

٩٢٤
١

العهد

رحلة من الاغتراب إلى المصالحة

تأليف: مونت و. سميث

Dr. Mont W. Smith

www.christianlib.com

مراجعة

دكتور جرجس كامل

ترجمة

القس عاطف المرفوض

الْعَهْدُ

رحلته من الاغتراب إلى المصالحة

٦٠٢١ / ١٥

٩٩٤ / ١١

٢٠١١ / ١٥

تأليف: مونت و. سميث

Dr. Mont W. Smith

مكتبة
الكتاب
القدس

مراجعة

دكتور جرجس كامل

ترجمة

القس عاطف المرفوض

إسم الكتاب : العهد رحلة من الاغتراب إلى المصالحة

المؤلف : مونت و. سميث

الناشر : جلال الدين للنترجمة والنشر والتوزيع

ت : ٢٦٣٣٨١٣٧

رقم الإيداع : ٢٠١١/٤٨١٣

الترقيم الدولي : 978-977-5086-01-3

الطبعة : الأولى ٢٠١١



المحتويات

صفحة

٧ مقدمة
	الفصل الأول
١١ العهد اتفاقية: قصة العهد بالكتاب المقدس :
	الفصل الثاني
٤٧ أفلاطون أم موسى؟ :
	الفصل الثالث
٧٣ العهود الرئيسية بأسفار العهد القديم :
	الفصل الرابع
١١٧ العهد في الأنبياء والكتب :
	الفصل الخامس
١٥٩ نهاية العهد القديم :
	الفصل السادس
١٩٩ الفكر الرسولي عن العهدين :
	الفصل السابع
٢٤١ العهد الجديد:
	الفصل الثامن
٢٧٩ حيسد العهد الجديد:
	الفصل التاسع
٣٠٩ لاهوت العهد :
	الفصل العاشر
٣٤١ الخاتمة :

تَوَظُّعٌ

باسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين

في عام ٢٠٠٣م، أثناء دراستي بكلية اللاهوت، كان موضوع العهد أحد الموضوعات المقترحة للبحث. ومع أنه كان في الواقع موضوعاً شيقاً، إلا أن افتقار مكتبتنا العربية للمراجع التي تغطيه بشكل واف، قد أثبط همتي.

ولم تمض شهور قليلة، حتى طلب مني صديق، بحكم تخصصي، مساعدته في ترجمة أحد الكتب، على أن يقوم هو بالمراجعة. وكانت المفاجأة كبيرة عندما اكتشفت أن الكتاب يتناول موضوع العهد بشكل موسّع، ويخدم احتياج القارئ العادي والأكاديمي المتخصص. إلا أن الرياح لا تأتي دائماً بما تشتهي السفن، فما أن انتهيت من ترجمة الكتاب حتى توقف مشروع نشره لأسباب لا أعلمها. وباتت مسودة الترجمة حبيسة أدراجي، لم يرافقها إلا صلوات مرفوعة لمدة سبع سنوات: "يارب لتكن مشيئتك في موضوع النشر".

ولما حان وقت خروج الكتاب إلي النور، تعرّفت في أواخر عام ٢٠١٠م، على شريك خدمة، أيقظ في داخلي حلم نشره من جديد، وبعد مناقشة موجزة حول موضوعه، تبين لنا كيف تتلاقى أفكار مؤلف الكتاب مع الرؤى الأصيلة لآباء الكنيسة الأولى حول موضوعات كثيرة. وهكذا، عقدنا العزم على مراجعة الكتاب سوياً ليكون أول مرجع لاهوتي باللغة العربية يشرح المعنى الأصيل للعهد وما يتضمنه قديماً وجديداً، ويفسر المفردات وثيقة الصلة به، وي طرح الكثير من الأفكار، التي لم يألّف القارئ المعاصر سماعها اليوم.

إن هذا الكتاب يشبه منشورًا زجاجيًا، يتيح لعين القارئ رؤية الألوان البديعة لنور العهد الذي تعلنه كلمة الله.

ولا يسعني إلا تقديم الشكر للرب أولاً، الذي وضع في قلب مؤلف الكتاب أن يقدم لنا هذا الطرح الجميل، شاكرًا الله من أجل كل من شجعني على النشر، ومن أجل شريك الخدمة الحبيب الدكتور جرجس كامل إذ بما له من باع ضوئيل في حقل خدمة الترجمة، أعانني على ضبط مفردات الكتاب نحوياً، وإخراجه بشكل سلس وجذاب. وأشكر الله أيضاً، من أجل دار الجذور لترجمة والنشر والتوزيع، التي رحبت بنشر هذا الكتاب. وأصلى داعياً أبانا السماوي أن يبارك بقوة روحه القدوس جهد هذه السنين، ليكون هذا العمل بركة لتقريبين والبعيدين، باسم المسيح، آمين.

المترجم: ق. عاطف داود المرفوض

almarfoud07@gmail.com

Tel: 0100607543

مُقَدِّمَةٌ

لا أستطيع أن أتذكر أول مرة أصبحت فيها على دراية بالعهد. فقد قرأت عدة أبحاث كتبها ألكساندر كامبل، واكتشفت فيما بعد أنه استخدم العهد كأساس للتفسير. كما أذكر أنه كان في الجامعة أستاذان، أشارا لموضوع العهد بشكل متكرر. أما أساتذتي في الدراسات العليا، وهم في أغلب الأحيان، مسيحيون وجوديون أكفاء، فقد كانوا منشغلين باللاهوت المعاصر الذي لم يكن يتضمن أي دراسة للعهد. وبرغم اهتمامهم بالوحدة المسيحية، إلا أن علوم اللاهوت النظامية شكّلت أحد العوائق أمام هذا الاهتمام.

وبعدما قضيت ستة أعوام خارج الولايات المتحدة، من أجل الخدمة في إثيوبيا، عدت وحصلت في النهاية على شهادة الدكتوراة من معهد فوللر اللاهوتي، *Fuller Seminary*، في باسادينا. كان هناك بحث مطروح بغرض وضع أساس لاهوتي صحيح لنمو الكنيسة. فبدا الأمر مذهلاً بالنسبة لي أن يكون هدف الله المعلن هو استعادة الشركة مع الإنسان في حين لا تبني الكنيسة هذا الأمر بشكل جدي. فما هو الخطأ؟ بصورة عامة، كان المسيحيون الذين عرفتهم أناساً صالحين: يصلون، ويعطون، ويسعون في طلب الإرشاد من الرب، ويذهبون إلى الكنيسة، ويحبون جيرانهم، ومع كل هذا لا ينمون ككنيسة. وإن كانت الإرساليات تظهر بعضاً من هذا النمو، إلا أنه كان ضعيفاً.

وبعدما أصبحت أستاذًا لمادة "الإرساليات ونمو الكنيسة"، تعرضت لصدمة أخرى من جراء المقاومة الشديدة التي لاقيتها من بعض الطلاب أثناء عرضي لأساس كتابي، ولاهوتي فيما يتعلق بالمادة. وقد جاءت نفس المقاومة من قسم الدراسات الكتابية ذاته.

ثم اتضح الأمر أمامي تماماً عندما أدركت أن الرسول بولس قد استخدم كلمة العهد بالتبادل مع كلمة الخدمة. وقد كان هذا يعني أن شروط الغفران لم تكن هي نفس شروط العهد. ولم يكن الدخول في العهد تنفيذاً لشروطه. وقد كانت تلك هي بداية إعادة التفكير في العهد. فالشيء الذي يتعهد المسيحيون بعمله، بحكم وجودهم في العهد، هو تنفيذ العهد؛ فالتنفيذ هو الخدمة - نفس الكلمة التي استخدمها الرسول بولس في (٢كو ٣: ٦ وما بعده). إن الإخفاق في أن نكون جزءاً نشطاً في خدمة المصالحة يعد انتهاكاً للعهد. ومن هنا، أعيد بالكامل تطوير التصور باستخدام كافة الأدوات المتاحة لي. ولحسن حظي كان رئيس الكلية دكتور ميدفورد جونز، *Dr. Medford Jones*، عالماً لاهوتياً ممتازاً تأثر بموضوع العهد بصورة عميقة جداً، كما كان مكرساً له. كما سبقني بسنوات وسنوات من جهة تفكيره حول هذا الموضوع. وحين بدأت في إعداد تصوري الخاص بالنسبة للإرساليات ونمو الكنيسة في إطار العهد، شجعتني د. جونز أثناء المراحل الانتقالية، لذا أشعر بغاية الامتنان له من أجل هذا الأمر.

أما في وقت كتابتي هذا الكتاب، فقد كنت رئيساً لكلية الدراسات الكتابية، *Bible Faculty*. والآن نحاول في الوقت الراهن تأصيل مفهوم العهد في اللاهوت الكتابي لدى كل الطلاب، فليس لنا أي غرض إلا الشروع في خدمة مطيعة للتكليف الإلهي الجليل: "تلمذوا جميع الأمم"، (مت ٢٨: ١٨-٢٠). واضعين في اعتبارنا أن نزرع في كل الكنائس، بغض النظر عن طوائفها وتوجهاتها اللاهوتية، رجالاً وسيدات يتمتعون بالكفاءة لقيادة كنائسهم لتلمذة الأمم. ومن أجل هذا الغرض عينه، أكتب هذا الكتاب.

وعلى الجانب الشخصي، أؤمن أنه لولا مفهوم العهد في حد ذاته، لما استطعت أن أظل عاملاً في الكنيسة وما تمكنت من أن أكون مؤمناً من الأساس. وبسبب ما توفر لدي من اطمئنان موضوعي خلال تاريخ الله الطويل في أن يكون أميناً في التزاماته التي تعهد بها، فقد نمت في روحي ثقة أكثر عمقاً ورسوخاً. لقد وجدت أن الله أمين في كلمته، ولذا تعهدنا بأن نخدم المسيح

بشكل جيد. كما أريد أن أكون أميناً في كلمتي وأن أفي بها أيضاً. وبسبب ما وجدته من عون كبير عند دراسة العهد، أردت أن أشارككم بفرحة ما اكتشفت.

مونت و. سميث

Mont W. Smith

فبراير/ شباط ١٩٨١م

الفصل الأول

العهد (اتفاقية) قصة العهد بالكتاب المقدس

قصة الإيمان كما يرويها لنا الكتاب هي قصة علاقة أساسها اتفاق يُسمَّى عهداً. ولأن العلاقة العهدية تمثل مدخلاً محدداً للحياة، يعكس التاريخ الكتابي لهذه القصة فلسفة. وقد اختار كُتَّاب هذا التاريخ من بين آلاف الوقائع فقط تلك الأحداث التي لها مغزى غير عادي. ولا يشرح الكتاب المقدس الفلسفة العبرية والمسيحية فقط لهذا العهد، بل يوضح الكيفية التي سار بها، مشيراً للحنونة الذين خالفوه وكسروه، وللأبطال الذين قدَّروه وحفظوه^(١).

نظرة شاملة لتاريخ العهد

تشير الأحداث المذكورة في الإصحاحات الأولى من سفر التكوين، (تك ١-١١)، إلى الكيفية التي بها تغربت البشرية عن الحياة الإلهية. أما (تك ١٢) فيشير إلى بداية الرواية الحقيقية للعهد باختيار الله لرجل آرامي تائه، اسمه إبراهيم العبراني، ليبدأ الله بواسطته المصالحة الإلهية مع البشرية. عقد الله مع إبراهيم عهداً بسيطاً. وبحسب هذا العهد، التزم الله بأن يهتم بنسله، إذ قرَّر أن يبارك كل الجنس البشري من خلاله، وفي المقابل، كان على إبراهيم أن يتخذ الله إلهاً شخصياً له بالسير معه، وبالثقة فيه، (تك ١٢، ١٥، ١٧).

١- وترتبط الانقسامات داخل المجتمع العبري دائماً بما هو مؤيد للعهد أو بما ضده. أما داخل المجتمع المسيحي الأوسع فالانقسامات مرتبطة بشكل كبير بكيفية فهم كل طائفة له، وخاصةً الربط بين العهدين القديم والجديد، المؤلف.

ذهب نسل إبراهيم بحسب العهد إلى العبودية في مصر. وهناك عُرف باسم شعب إسرائيل. وقد أنقذهم الله من مصر بقيادة موسى بحدث معجزي انطبع علي الوعي العبري بشكل لا يُنسى. ولم يمض وقت طويل، حتى أضاف الله لعهد مع إبراهيم وعوداً، مع فرائض أخرى كثيرة، (خر ١٩-٢٠)، مثلت دستوراً للشعب العبري، وسُميت هذه الفرائض لاحقاً باسم الناموس. وقد تم توثيق ذلك العهد بشكل لائق من خلال طقس القَسَم المليء بالمعاني، والذي به تعهد الشعب والأبناء معاً أن يكونوا شعباً للرب. ويتتبع السجل الكتابي مسيرة هذا الشعب خلال مدة زمنية طويلة تمتد من عشرة قرون إلى خمسة عشر قرناً، حاولوا فيها تطبيق ناموس العهد. وعبر هذا التاريخ الطويل، كانت لشعب العهد زلاته وانتصاراته، وإخفاقاته وبطولاته.

وبدايةً بالملك داود وابنه سليمان، دخل العبرانيون ما اعتبروه عصرهم الذهبي: كان الشعب موحدًا تحت قيادة ملك مخلص تقي. تحولوا آنذاك من مجتمع بدائي، يرعى الغنم، إلى مملكة ثيوقراطية عسكرية أكثر تمدناً. دخلت هذه المملكة المعترك السياسي في الشرق الأدنى حتى صارت دولة محايدة بين مصر جنوباً، وأشور وفارس شمالاً وشرقاً، ليرتبط تاريخ شعبها الباقي بشكل وثيق بهاتين الجارتين. لكن لم يواكب المستوى الأخلاقي لشعب الله المختار تقدمه السياسي، فتزايد التوتر بينه وبين إلهه. ولاحقاً، انقسمت مملكة داود المتحدة إلى مملكتين، إحداهما شمالية عُرفت باسم "إسرائيل"، والأخرى جنوبية حملت الاسم "يهوذا". كما صار لكل منهما تاريخها المستقل، والذي فيه كانت كلاهما إما أمينتين أو خائنتين للعهد الذي استمرت في دعمه، أو كسره.

أرسل الله لهم الأنبياء، الذين اقتصرت رسالتهم على أمرين: دعوة الشعب لتغيير اتجاه القلب من نحو العهد، وتحذيره بجمية تطبيق لعنات كسره. وبعد عدة قرون من المناشدة، تخللتها بعض فترات من الازدهار بسبب الأمانة للعهد، وفترات أخرى من الانكسار بسبب الخيانة له، أصبح واضحاً أن العهد لن ينجح، فأعلن الله عن دينوته لشعبه بالسبي إلى بابل. كان السبي كأقصى عقوبة لكسر العهد صدمةً كبرى لإسرائيل. وقد تزامن إعلان الله عن عقابه

لشعبه مع إعلانه عن عودتهم لكنعان مرة أخرى ليبدأ معهم عهداً جديداً. وقد أطلق الأنبياء مجازاً على سبي إسرائيل والعودة منه تعبير "موت وقيامه" إسرائيل. ولم يكن العهد الجديد، الذي أمر السيد الرب بإعلانه لكل الأمم، متوقعاً على الإطلاق! لقد دخل ابن الله بذاته التاريخ الإنساني، وكانت حياته نموذج العهد وناموسه، وصار موته الذبيحة النهائية من أجل الخطية، وأصبحت قيامته ذروة رجاء الله لإسرائيل وكل البشرية. وقد انقسم الفكر العبري بشأن ذلك النظام الجديد: تحرك البعض على الفور إلى جانب العهد الجديد الذي قدمه المسيح، بينما لم يتقبل البعض الآخر طابع التغيير الجذري له، فرفضوا المسيح، وقتلوه. وبرغم قيامته، وحقيقة أن الأعضاء الأوائل في العهد كانوا عبرانيين، قاومت الأكثرية الرافضة، بكل همة ونشاط الجماعة الوليدة، التي نقرأ عن بداياتها في كل من الأناجيل وسفر أعمال الرسل. شكّلت هذه الجماعة التي عُرفت لاحقاً باسم المسيحية، شعب العهد الجديد، الذي يتبنّى آخر أسفاره عن اضطهاد شديد يواجهه، مصوّر بشكل وحوش، وتنانين، ومدن أثيمة، وامرأة جميلة شريرة. وبرغم كل الأحوال التي تمثّل تهديداً لأهل الإيمان، يظهر انتصار المسيح في النهاية، واضعاً حداً للتاريخ: ليدين الجميع، مجازياً كل واحد بحسب عمله، وليعلن بدء شركة شعب العهد مع الله في السموات الجديدة والأرض الجديدة. هذه هي الرواية الكتابية عن علاقة الله بالإنسان. رواية المصالحة الإلهية من أجل إنهاء اغتراب البشرية، إنها رواية العهد.

أسفار العهد والعهد

عندما ينطق المرء اليوم لفظة "عهد" فإنه يعني غالباً أسفار الكتاب المقدس، سواء أسفار "العهد القديم، *Old Testament*"، التي تبدأ بسفر التكوين وتنتهي بسفر ملاخي، أو أسفار "العهد الجديد، *New Testament*"، التي تبدأ ببشارة متى، وتنتهي بسفر الرؤيا. إلا أن لفظة "عهد" لا تعني أسفاراً بقدر ما تعني "اتفاقاً محدداً" أو "معاهدة" أو "وعوداً" يتم قطعها. علي كل، يسمى "الاتفاق" بحسب المفردات الكتابية "عهداً" أما الأسفار الكتابية التي تتحدث عن رواية هذا العهد تُسمّى نصوصاً مقدسة، *Scriptures*. وهناك لفظتان في

اللغة الإنجليزية بمعنى "عهد" هما: "testament"، و" covenant". وبرغم أن الفرق بينهما ليس مقنعاً بصورة كاملة، إذ أن كليهما ترجمة مناسبة لنفس اللفظة، "عهد" في اللغة العبرية، أصبح المعنى المفهوم عند استعمال اللفظة، *testament*، هو أنها تشير إلى أسفار الكتاب المقدس بعهديه، في حين اقتصر استعمال اللفظة "covenant"، علي العهد الذي تتحدث عنه تلك الأسفار. ولهذا الفرق، الذي يجب أن نحتفظ به في أذهاننا، أهمية كبيرة، سترتب عليها نتائج هامة ذات مغزى فيما بعد أثناء هذه الدراسة

الجذر العبري لكلمة العهد

يحتوي هذا القسم على معلومات فنية تتعلق ببعض المفردات والتعبيرات العبرية ذات الارتباط الوثيق بالعهد، والتي ربما تكون بعيدة عن احتياجات القارئ العادي. وقد تم طرحها بشيء من التفصيل لتوضيح مضمونه بشكل دقيق، وللتأكيد على أهمية مفهوم العهد في الأزمنة القديمة^(٢).

لفظة "عهد" في اللغة العبرية هي "بيريث، בֵּרִית، Berith"، وشكلها الأقدم هو "بريث، b'rith"، وتتيح لنا الدراسة اللغوية لأصلها التاريخي معرفة الفكرة التي تعبر عنها، إذ يبدو أنها مشتقة من الجذر "b-r-h" الذي يعني "يتعشى"، أو "ينتقي". لكن الأكثر احتمالاً أن أصلها هو "b-r-t"، ويعني، "يربط معاً"، ثم تطور هذا المعنى لمصطلح "معاهدة"، أو "ميثاق"، أو "تحالف". وعلي سبيل المثال، كان التعبير الأموري المستخدم عند صنع عهد يعني حرفياً، "أن يقتل المرء حماراً صغيراً"، كإشارة لأسلوب القَسَم قديماً بين الطرفين المتعاهدين، أما المصطلح العبري للدخول في اتفاق فإنه يعني فعلياً، "أن يقطع المرء عهداً"، أو "أن يتقيد اثنان معاً في تحالف"، وأفضل ترجمة له هي لفظة "معاهدة، treaty". وسنناقش بالتفصيل لاحقاً الأساليب القديمة لأخذ القَسَم، Oath، كما وردت بالكتاب المقدس، لكن من الضروري أن ندرس أولاً وبإيجاز عدداً من المفردات الأخرى وثيقة الصلة بالعهد، والتي يدل وجودها في أي نص كتابي علي أن سياقه سياق مرتبط بالعهد:

٢- وللاستاذ أمير محسن، المتخصص في الدراسات العبرية وصاحب القاموس العبري العربي "لسان المتعلمين"، جزيل الشكر لما قدمه لي من عون في ضبط المفردات العبرية بالكتاب، المترجم.

أولاً: آلاه، אלה، Alah

هي لفظة عبرية مستخدمة من أجل قَسَم العهد، وجذرها "hl". ويمكن تتبعها من "عَهْدَت، Ahdāt" إلى "عَدَّت، Adot"، إلى "عِدَّت، Edot"، وأخيراً "عِدَّت، Edut"، التي تُرجمت "عهداً"، كما أوضح "و. ف. البريت، W.F. Albright" (٣). وما يعنيه جذر اللفظة هو، "ارتباط اثنين معاً"، أو "تحالفاً"، أو "عهداً" أو "اتفاقاً". ويقابل المعنى الأكادي لللفظة "عائيلو، أو عييلو، a'alu e'elu" أي "التقيد معاً"، وينظر المعنى العربي "عهد، a'hd". أما اللفظة الآرامية المقابلة لهذا المعنى فهي "عاديّا، adayya"، وتُرجمت عهداً (٤). أيضاً، كانت تعبر اللفظة "آلاه، אלה" عن "فعل الدخول في العهد"، أو "التعهد"، أو "القَسَم". ولأن أسلوب القَسَم تضمن لعنة ذاتية، صار لللفظة ذاتها معني سلمي يدل علي اللعنة، وقد تُرجمت في فقرات كتابية عديدة بهذا المعنى. أيضاً، صارت تعني أخذ القَسَم لتنفيذ العهد، ويمكن أن تأتي بنفس معني لفظة "بيريث בְּרִית، Berith" ذاتها؛ ويعني الإدلاء بالقَسَم التقيد بالعهد، وكسر العهد يشير إلى كسر القَسَم أيضاً.

ثانياً: يَداع، ידעא، yada

اللفظة العبرية "يَداع، ידעא" مصطلح عبري آخر مرتبط بالعهد، ويقابلها في اللغة العربية الفعل "عَرَفَ". وتعني "يَداع" أن يكون للمرء "علاقة عهد مع". وقد تُرجمت هذه الكلمة في إحدى العبارات بألواح تل العمارنة، "ليعتني بي ملكي، وسيدي"، لكن الترجمة الأكثر دقة بحسب هفمان، Huffman، "ليت الملك سيدي يعرفني كخادم شرعي، ومن ثم يقدم لي الدعم المناسب" (٥). حين يُقال إنك تعرف شخصاً ما، فهذا يعني وجود علاقة عهد رسمية تربطك به. وبهذا المعنى، قال الرب لشعبه بقم عاموس النبي، "إِيَّاكُمْ فَقَطْ عَرَفْتُ،

3- W.F. Albright, "The Hebrew Expression for 'Making a Covenant,'" Bulletin of the American School of Oriental Research, 121: 21f, 1951.

4- Frank M. Cross, "Canaanite Myth and Hebrew Epic," Harvard University Press, 1973, p. 265f.

5- Herbert B. Huffman, "The Treaty Background of Hebrew YADA." Bulletin of the American School of Oriental Research, 181: 31, 1966.

כָּל־מִן־כָּל־אֲרָצוֹתֵינוּ، وعلى نفس القياس، يقول الكتاب، "عَرَفَ آدَمُ، כָּל־חַוָּא אִמְרָתָהּ فَحִבֵּלְתָּ.."، (تك: ٤: ١). كانت الكلمة "يَداع، כָּל" تستعمل كمصطلح في المعاهدات الدولية للشرق الأدنى القديم، بمعنى، "أن تكون في عهد مع"، وقد وظّف موسى النبي وكتب عبرانيون آخرون هذه اللفظة بنفس المعنى.

ثالثاً: حيسد، חֶסֶד، *Hesed*

وهي لفظة عبرية أخرى جديرة بالانتباه هنا. يشبه صوت الحرف الأول منها صوت حرف الحاء في اللغة العربية. ونظراً لأهميتها الكبيرة، استلزمت فحصاً كاملاً فيما بعد بهذا الفصل. درس نيلسون جلوك، *Nelson Glueck*، الباحث وعالم الآثار اليهودي هذه اللفظة دراسةً دقيقة، ووضح أنها تعني أن يكون المرء "حافظاً للعهد" أو "سالكاً بطريقة مساندة ولائقة نحو شريك العهد"، واختتم جلوك دراسته قائلاً: "إن الشخص غير المقيد بعهد لا يمكنه أن يُظهر 'حيسد، חֶסֶד'، لأنها جوهر ولب العهد، إذ تعني تنفيذ ما تمّ التعهد به، وبهذا المعنى فهي توازي لفظة 'الأمانة'، في كون المرء 'صادقاً مع'، أو 'مخلصاً لـ'، أو 'أهلاً للثقة'. ولأن 'حيسد' هي اللفظة الأكثر استخداماً بالتوازي مع حفظ العهد، فهي تعبّر عن حفظ الاتفاقات التي تمّ عقدها لمساندة شريك العهد؛ فهي مصطلح أخلاقي، يتجلى مضمونه في تنفيذ المرء لكل التزاماته التي قطعها على نفسه عندما دخل في العهد. وتعني الكلمة ضمناً أن العهد قائم بين الأطراف سواء كان هذا العهد رسمياً أو طبيعياً".

ومن الأفضل هنا تدوين بعض الأفعال الأخرى المرتبطة بالعهد، كالفعل "كاراث، כָּרַת، *karath*، بمعنى "قطع"، والفعل "بَارَا، בָּרָא، *bara*، بمعنى "خلق، أو صنع"، والفعل "عَامَد، עָמַד، *amad*، بمعنى "وقّف، أو قام"، والفعل، "عَافَر، עָוָר، *avar*، بمعنى "عبر، أو اجتاز، أو تعدى". والجذر "ف. ر. ر"، الذي لم يرد في الوزن المجرّد، أي وزن الكال، קָלַל، *Qal*، وإنما في وزن هيفعل، הִפְעִיל، مثل هيفير، הִפֵּר، بمعنى، "نكثَ، أو نقضَ، أو خانَ"، وورد أيضاً في وزن هوفعل، הִפְעִיל، مثل هوفر، הוֹפֵר، بمعنى،

"حُرَقَ، أو نُقِصَ". أيضًا يتم استعمال أفعال أخرى عند مناقشة الالتزام بالعهد مثل، الفعل "عَاسَا، אָסָה، asha"، بمعنى، "فَعَلَ"، أو "صَنَعَ"، والفعل "نָاثַן، נָתַן، Nathan"، بمعنى "أَعْطَى، أو وَضَعَ، أو ثَبَّتَ"، والفعل "حَاقَقَ، חָקַק، haqqa"، بمعنى، "شَرَعَ، أو نَقَشَ، أو سَنَّ قانونًا، أو قَنَّ"، والفعل "شَامَرَ، שָׁמַר، Shamar"، بمعنى، "حَرَسَ، أو حَفِظَ".

مسح إحصائي لاستخدام كلمة عهد

١- الله ونوح: دخل الله مع نوح وعائلته في عهد ألزمهم فيه بشمانية أشياء، متعهدًا بأنه لن يدمر الأرض بالطوفان ثانية. وتأتي لفظة "عهد" في قول الرب لنوح: "أَنَا مُقِيمٌ مِيثَاقِي، בְּרִיתִי .."، (تك ٩: ١-١٧).

٢- إبراهيم وأبمالك: دخل الاثنان في عهدٍ، بحسب نص الكتاب: "قَطَعَا كِلَاهُمَا مِيثَاقًا، בְּרִית .."، (تك ٢١: ٢٧).

٣- الزواج: كان الزواج نوعًا من العهد، ونستدل علي ذلك من قول النبي ملاخي: ".. الرَّبُّ هُوَ الشَّاهِدُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ امْرَأَةِ شَبَابِكَ .. وَهِيَ قَرِيبَتُكَ وَامْرَأَةُ عَهْدِكَ، בְּרִיתִי"، (ملا ٢: ١٤). ويتم توظيف التعبيرات العهدية مثل، الفعل "يَدَاع، יָדַע"، ولفظة "حيسد، חִסַד"، بشكل كبير عند الحديث عن الزواج. وقد استخدم النبي حزقيال الزواج بالتوازي مع تعبير "الدخول في عهد"، بقوله عن فم الرب لشعبه: "فَمَرَرْتُ بِكَ وَرَأَيْتُكَ، وَإِذَا زَمَنُكَ زَمَنُ الْحُبِّ .. وَخَلَقْتُ لَكَ، وَدَخَلْتُ مَعَكَ فِي عَهْدٍ، בְּרִית .."، (حز ١٦: ٨). وقد استخدم أنبياء آخرون مثل إرميا، وهوشع، الزواج كصورة جمالية عند الحديث عن عهد الرب مع إسرائيل.

٤- العمونيون، ويابيش جلعاد: يعبر الكتاب عن معاهدة تمت بين بني عمون وأهل يابيش: ".. فَقَالَ جَمِيعُ أَهْلِ يَابِيشَ لِنَاحَاشَ، اقْطَعْ لَنَا عَهْدًا، בְּרִית .."، (١صم ١١: ١).

٥- عهود متنوعة: منع موسى النبي بني إسرائيل من أن يصنعوا عهودًا مع الشعوب الوثنية، الساكنة في كنعان: "لَا تَقْطَعْ مَعَهُمْ وَلَا مَعَ آلِهِتِهِمْ عَهْدًا، בְּרִית .."، (خر ٢٣: ٣٢).

- ٦- الجبعونيون مع يشوع: بعد أن خدع الجبعونيون يشوع، صنع معهم عهداً בְרִית, لاستحيائهم، (يش ٩: ٣-١٨)، وقد صار مقدساً جداً بعد القَسَم عليه باسم الرب يهوه. كما شعر يشوع بجمية الالتزام بحفظه..
- ٧- عهد بين ملكين: ونقرأ عنه في (١ مل ٢٠: ٣٤)، إذ قطع أحدهما عهداً בְרִית, للآخر وأطلقه.
- ٨- يهوياذا والرؤساء: يخبرنا الكتاب أن يهوياذا هو أحد القادة العسكريين، الذين ثبتوا علي ولائهم لأسرة داود المالكة. قام هذا الرجل بتجنيد وحشد قادة آخرين ثم قطع معهم عهداً من أجل مساندة الأمير يواش الذي اختبأ سراً مع مريته لمدة ست سنوات بالهيكل، (٢ مل ١١: ٤).
- ٩- ملك ورعاياه: هناك مثال لعهد مقطوع بين ملك ورعاياه، تحت إشراف يهوياذا الذي قطع عهداً، בְרִית, "بَيْنَهُ وَبَيْنَ كُلِّ الشَّعْبِ وَبَيْنَ الْمَلِكِ .."، (٢ أخ ٢٣: ١٦).

العهد الثلاثة الأكثر أهمية

أول العهود الثلاثة وأكثرها أهمية، العهد الذي صنعه الله مع أبينا إبراهيم، (تك ١٢: ١-٣)، ثم العهد بين الله وشعب إسرائيل، من خلال موسى النبي عند جبل سيناء، (خر ٢٤: ١-٧)، والعهد بين الله وداود، (٢ صم ٧: ١ أخ ١٧). ولا يحتوي النص الكتابي لعهد الله مع الملك داود على لفظة، "عهد"، برغم وجود كل عناصر ومفردات العهد النموذجي، فأطراف العهد محددة، وشروطه والتزاماته مدونة، ووعوده ومكافآته معلنة. فهل يمكننا أن نعتبره عهداً، رغم غياب لفظة "عهد"؟ نعم، لأن المصطلح "حيسد، חֶסֶד"، المتعلق بحفظ العهد، *Covenant Keeping*، موجود، ومستخدم فيما يرتبط بأمانة الله لوعوده التي قطعها للملك داود، (٢ صم ٧: ١٥). إن وعود الله له تعني ضمناً وجود عهد، وإن غابت اللفظة ذاتها. وتشير كلمات الرب للملك سليمان إلى فعل قطع العهد مع الملك داود، بالقول، "... فَإِنِّي أُثَبِّتُ كُرْسِيَّ

مُلْكِكَ كَمَا عَاهَدْتُ دَاوُدَ בְּרִיתִי לְדָוִד אָבָאكَ .."، (٢ أخ: ١٧-١٨)^(٦).

وبنفس الطريقة نستدل علي وجود عهد بين الله وآدم بالرغم من غياب اللفظة ذاتها في (تك ١-٣). لكن تأتي لفظة "عهد" بحصر اللفظ منطبقة عليه في سفر هوشع، بقوله عن بني إسرائيل، "وَلَكِنَّهُمْ كَادَمَ تَعَدُّوا الْعَهْدَ، בְּרִיתִי" (هو: ٦: ٧). وضع الله علي آدم قيوداً، وقدم له وعوداً مشروطة بحفظه للأمانة أي "حيسد"، وعندما كسر الشروط، توقف الوعد، بقول الرب، "... لَأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ"، (تك ٣: ٣). ولا تكمن أهمية أي عقيدة أو فكرة في تكرار مصطلح معين في حد ذاته، بل في المعنى الذي يحمله والذي يجب أن يرتبط بالاتجاه المركزي للكتاب المقدس. وفيما يتعلق بفكرة العهد نجدها ترتبط بشكل كبير بكل فكرة رئيسية وردت بالكتاب المقدس.

وقبل أن نترك دراسة المفردات المرتبطة بالعهد، يجب أن نتطرق ولو قليلاً إلى شرطية العهد. هل يتضمن العهد فكرة الشروط؟ بتعبير آخر، هل يحمل العهد فكرة الالتزام المتبادل أو الوعد الشرطي؟ يتفاوت اللاهوتيون في آرائهم من جهة هذا الأمر؛ إذ يعتقد بعضهم بعهد، مواعيده غير مشروطة، يسمّى عهداً أحادي الجانب، بينما يعتقد البعض الآخر بأن كل العهود بها شرطية شرعية إلى حد ما. ويتضح لنا الفهم القديم الصحيح عن شرطية العهد من خلال تعليق ويلسون، Wilson، العالم الخبير في اللغة العبرية والكلدانية: "كانت لفظة عهد تستخدم .. للتعبير عن أي عهد بين الله والإنسان، أو بين الإنسان والإنسان. وتستعمل مع أي وعد، أو شرط، أو اتفاق مثبت، (إر ٣٣: ٢٠)، أو مبدأ يجب مراعاته وحفظه، (إر ٣٤: ١٥). فقد كانت توضع من أجل الشروط المحددة للعهد مثل الوصايا العشرة، (ث ٤: ١٣، ٩: ٩؛ إش ٢٨: ١٨)، ولعلامة العهد، (تك ١٧: ٣)"^(٧).

يمكننا أن نعتبر أن التزام المرء بالقيام بأمر معين عهداً، بصرف النظر عن أي

٦ - هناك نصوص كتابية كثيرة تشير صراحة لعهد الرب مع داود مثل: (إش ١٦: ٥؛ ٥٥: ٣-٤؛ إر ٣٣: ١٩-٢٢؛ مز ٨٩: ٣-٤؛ ١٩-٣٧)، المترجم.

7- William Wilson, *Old Testament Word Studies*, Grand Rapids: Kregel Publications, 1978, p. 99.

تنازل أو التزام من الطرف الآخر. ولكن من الواضح أن الاستخدام العادي للفظلة العهد "بيريث، בִּרִית، Berith"، كان يتطلب التزاماً متبادلاً. إن معنى الكلمة يحتم علينا التسليم بالالتزام المتبادل عند الاستخدام. لكن إن زعم أحد بأن هناك استثناءات، فلا بد من تدعيمها بدليل نصي، لأنه لا جدوى من دعم مفهوم معين من خلال افتراض لاهوتي مسبق يفتقر إلى دليل.

اكتشافات العهود الحثية

كان لفك شفرة اللغة الحثية القديمة التي ناقشها سيرام، *Ceram*، بشكل موسّع^(٨)، فائدة عظيمة لخبراء العهد القديم، وخاصة في الدراسات الكتابية. وقد كشفت ترجمة نصوص العهود الحثية^(٩) تشابهات كثيرة بينها وبين عهود العهد القديم. وقد أحدث هذا الاكتشاف ثورةً في اللاهوت الكتابي، زودتنا بدعم إضافي لتاريخ ومصداقية وثائق العهد القديم.

قام ف. كوروسك، *V. Korosec*^(١٠)، الخبير والحجة في هذا المجال، بفحص هذه النصوص بعناية، والكتابة عنها عام ١٩٣١م. أما أول باحث يقدمها للرأي العام، فكان د. ج. وايزمان، *D. J. Wiseman*، عندما قرأ بحثاً عن التعبيرات المتوازية بين صيغة العهود العبرية والحثية، أمام جمعية دراسات العهد القديم في يناير ١٩٤٨م^(١١). وفي عام ١٩٥٤م، قام جورج. إ. مندهول، *Goerge. E. Mendenhall*، وهو أكثر القادة الأوائل تأثيراً، بنشر مقال في مجلة "عالم الآثار الكتابي" بعنوان، "أشكال العهد في التقاليد الإسرائيلية"، وقد أعيد طبعه كمقال رائع في مجال نادر من مجالات المعرفة، ووُزِعَ على نطاق كبير، عام ١٩٥٥م^(١٢). بعد ذلك، بدأ كُتّاب آخرون في إنتاج مجموعة من

8- C. Ceram, *The Secret of the Hittites*, Yr. by R. Wilson, AA Knopf, 1956.

٩- وهي نصوص مرتبطة بشعب قديم، عاش بآسيا الصغرى، تركيا وشمال سوريا، في ق ١٨ ق.م، وأقام مملكة قوية عاصمتها "حاتوسا"، كوى الحالية، على بعد ١٤٤ كم من أنقرة. وقد كشف التنقيب عن أكبر مجموعة من الوثائق الحثية مثلت محفوظات دولتهم، يزيد عددها عن ١٠٠٠٠ لوح فخاري، ق. ١٤ ق.م، مكتوبة بالكتابة المسمارية، وبعضها بالهيروغليفية، وقد كانت المعاهدات الحثية مع الممالك المحيطة أشهر ما تم اكتشافه فيها، المترجم.

10- V. Korosec, *Hethitische Staatsverträge Ein Beitrag zu ihrer juristischen Wertung*, Rechtswissenschaftliche, Studen 60, Leipzig, 1931.

11- D. J. Wiseman, *The Vassal-Treaties of Esarhaddon*, London, 1978, p. 60.

12- George E. Mendenhall, *Law and Covenant in the Ancient Near East*, Monograph, Pittsburg, 1955. "Covenant Forms" in the *Biblical Archeologist*, #15, 1954:50-76

الكتب والمقالات في هذا الموضوع؛ ومنهم الخبير اللامع في دراسات العهد القديم للآباء اليسوعيين د. ج. مكارثي، *D. J. McCarthy*، الذي نشر كتاباً بعنوان، "المعاهدة والعهد"^(١٣)، في روما عام ١٩٦٣م. ونشر د. ر. هيلارز، *D. R. Hillars*، مقالاً بعنوان، "العهد: تاريخ فكرة كتابية عام ١٩٦٩م"^(١٤). وأعدت ميريديث كلاين *Meredeth Kline*، ثلاثة كتب رائعة عن أوجه الموضوع المختلفة، أولها كتاب بعنوان، "معاهدة الملك العظيم"، عام ١٩٦٣م، وكتاب "القسم الثابت"، عام ١٩٦٨م، و "بنية السلطان الكتابي"^(١٥)، عام ١٩٧٢م.

عهد السيد مع العبد^(١٦)

تميزت العهود الحثية والآشورية القديمة بسبعة ملامح رئيسية، اكتشفها كثير من العلماء في العهود الإسرائيلية:

١- التمهيد

وفيه يعرف كل طرف من أطراف الميثاق نفسه بوضوح للطرف للآخر، معلناً عن اسمه، وأحياناً مكانته أو رتبته.

٢- مقدمة تاريخية

وتتم فيها مناقشة المكانة السابقة أو التاريخ السابق لكلا الطرفين، وكيف تعرّف أحدهما على الآخر، وكيف أن الطرف الأقوى كان معيناً للأضعف، مع كتابة قائمة بالعلاقات، أو العهود السابقة لكلا الطرفين. كانت صيغة العهد أخلاقية بشكل كبير، إذ يدخل كلاهما في علاقة شخصية وشرعية أيضاً. وفي حالات كثيرة كانت كرامتهما وحياتهما معرضة للخطر، من أجل

13- D.J McCarthy, *Treaty and Covenant*, Rome, 1963.

14- D.R Hillars, *Covenant: The History of a Biblical Idea*, Johns Hopkins, Baltimore, 1969.

15- Meredith g. Kline, *The Treaty of the great Kink*, Grand Rapids: Eerdmans, 1963. By Oath Consigned, Grand Rapids: Eerdmans, 1968. *The Structure of Biblical Authority*, same, 1972.

١٦- وهو عبد إقطاعي، محافظ أو وزير بلغتنا الحالية، يهب له الملك ممتلكات من أراضيه كهبة مقابل الخضوع والولاء، والخدمة العسكرية، المترجم.

تحقيق شروط العهد، ولهذا كان كل من السيد والعبد بحاجة إلي التزام أخلاقي تجاه أحدهما الآخر. كان كلاهما مستعدًا لبذل قلبه، وروحه، وحياته من أجل نجاح هذه العلاقة. ويُلخّص مندنهول، *Mendenhall*، هذا الأمر بشكل جيد قائلاً، "لا يزال التفكير يتم في صيغة العهد كعلاقة شخصية أكثر من كونها بياناً قانونياً موضوعياً^(١٧)".

٣- الشروط

وتشير غالباً لالتزامات الطرف الأضعف، أو التزامات الطرفين، إن كانا متساويين في المكانة أو الرتبة. ويتم تحديد الشروط بالتفصيل باستخدام تعبيرات أخلاقية متكررة مثل "أن تحب" أو "أن تسير معي بكل القلب". كان السيد يمنع عبده من الدخول في تحالفات أخرى. ولأن الولاء الكامل مطلوب، كان العبد يلتزم بمساعدة الملك سيده، إن دعاه في أي وقت، ليس فقط في الأمور السياسية، بل في مواقفه، وفكره واهتماماته الشخصية. كان العبد ملتزماً بالتعبير الواضح عن ثنائه وخدمته له؛ فلم يكن مسموحاً له، ولو تلميحاً، بعدم الولاء أو اللامبالاة أو البرود العاطفي. وفي المقابل، يلتزم الملك بحبة عبده، وتدبير شؤونه، ومساعدته في حروبه إن تعرض لأي هجوم؛ فدعم الملك كان مطلقاً، إذ كان يخاطب عبده المتعاهد معه: "يا ابني".

٤- حفظ وثيقة العهد

لأن وثيقة العهد كانت مقدسة جداً، حُفِظَتْ في الهيكل في محضر الآلهة التي تم القَسَم علي العهد أمامها. كان يتم تحديد ميعاد سنوي لقراءتها علناً أمام الجميع، وفي مكان عام. وتهدف قراءة وثيقة العهد إلي تأكيد النوايا الحسنة، والاستمرار في العهد، وللتذكير بشروطه؛ فبالنسبة للعبد، تخدم القراءة مصالحه وأهدافه، فهي بمثابة إعادة تأكيد لولائه من نحو الملك، كما تذكره بالعلاقة الشخصية، المستمرة والكريمة والطموحة والدافئة للملك.

17- George E. Mendenhall, *Law and Covenant in the Ancient Near East*, Monograph, Pittsburg, 1955.

٥- الشهود

لأهميتهم الكبيرة كجزء من العهد كان يتم تدوين أسمائهم في قائمة تُعرف باسم قائمة الشهود التي كانت تتضمن في الغالب آلهة كلا الطرفين. وفي العهود الأولى، كانت تُكتب آلهة العبد بالكامل، ولكن تراجع الأمر فيما بعد، لتدوين الرجال المكرّمين، أو الأنهار، أو الجبال المقدسة أو السماء، وأشياء أخرى من الطبيعة ليكونوا شهودًا على العهد.

٦- اللعنات والبركات

كان طرفا العهد، والشهود، وكل الحاضرين واعين بالنتائج المترتبة على العهد سواء نتائج الخيانة أو الولاء. ويقبل العبد بتطبيق أية عقوبة عليه كلجنة مدوّنة، ويكون السيد عادلاً إن طُبّق على العبد العقوبات المنصوص عليها حال خيانتة أو كسر التزامه الأخلاقي. من أجل ذلك، كان يتم تحديد العقوبات أو اللعنات بدقة. أيضاً، يتم التدوين المفصّل لبركات العهد من محبة ودعم سياسي. ولم تُعرف البركات التي يجود بها السيد على العبد كشروط يتحتم عليه تنفيذها، بل كان يُنظر إليها كلمحاحات عطف يتحنن بها السيد على خادمه، الذي يقبله، ويحبه، معتبراً إياه كابن له ضمن عائلته، وورثته.

٧- قَسَم العهد

كان القَسَم هو التعهد الحقيقي المقدم من العبد إلى السيد. كان يتضمن القَسَم قتل حيوان أو أكثر، علي أن يلمس طرفا العهد دم الحيوان، وذلك لتأكيد الفكرة بأنهما صاراً دماً واحداً بحياة مشتركة، وللتأكيد أيضاً على نوع العقوبة اللائقة بالسيد، والواجبة على العبد الذي قد يكسر قَسَمه أو يخون عهده مع سيده.

وبسبب ما تقدم ندرك بسهولة سبب الاهتمام الكبير لدى الباحثين، بعد ترجمة نصوص العهود الحثية. فتفسير النصوص الكتابية كان متنوعاً، ولكن ثمة إجماعاً كاملاً بين أغلب علماء اللاهوت بأن صيغ العهود المدونة بأسفار العهد القديم مرتبطة بطريقة ما أو بأخرى بالصيغة الحثية في المعاهدات الدولية.

جدول مقارنة لصيغ العهود

الدولة الآشورية الحديثة	إسرائيل
المقدمة: هكذا يقول، ن ن .. الملك الشجاع العظيم لأرض حث ..	"أَنَا الرَّبُّ .. الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ .. مِصْرَ .."، (خر ٢٠: ٢).
٢- مقدمة تاريخية: سعت وراءك .. مريضاً ومتوجعاً، لكني كملك وضعتك في مكان أبيك. وأخذت إخوتك وأخواتك .. أرض الأموريين بالقسم لأهلك.	"أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ مَا صَنَعْتُ بِالْمِصْرِيِّينَ. وَأَنَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى أَجْنَحَةِ النُّسُورِ وَجِئْتُ بِكُمْ إِلَيَّ"، (خر ١٩: ٤).
٣- الشروط على العبد: لا يصنع عبد عهداً مع أي قوة أجنبية. لا يجب أن يبدأ عبد حرباً ضد عبد آخر. يجب أن يلي دعوة الملك لحمل السلاح. ثقة لا نهائية، ومحبة، لا للتدمير ضد الملك، لا لترويع الإشاعات. لا يقدم عبد ملجأ لأي عبد آخر هارب من غضب الملك. عليك أن تظهر أمام الملك مرة في السنة. الملك هو السلطة القضائية المطلقة.	"لَا يَكُنْ لَكَ إِلَهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي"، (تث ٥: ٧). "مَتَى أَتَى بِكَ الرَّبُّ .. إِلَى الْأَرْضِ .. وَطَرَدَ شَعُوبًا .. مِنْ أَمَامِكَ .. لَا تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْدًا .."، (تث ٧: ١-٣). "لَا تُجَرِّبُوا الرَّبَّ إِلَهُكُمْ .."، (تث ٦: ١٦، خر ١٧: ٧). ".. وَلَا تَعْبُدُ إِلَهَهُمْ .."، (تث ٧: ١٦). "أَمَامَ الرَّبِّ .. تَأْكُلُهُ سَنَةٌ بِسَنَةٍ .."، (تث ١٥: ٢٠). "إِذَا عَسَرَ عَلَيْكَ أَمْرٌ فِي الْقَضَاءِ .. فَقُمْ وَأَصْعِدْ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلَهُكَ"، (تث ١٧: ٩-١٧).
٤- حفظ وثيقة العهد: الترتيب لمكان وثيقة العهد وميعاد القراءة العامة لنص الوثيقة	"وَتَضَعُ فِي التَّابُوتِ الشَّهَادَةَ الَّتِي أُعْطِيكَ"، (خر ٢٥: ١٦).
٥- قائمة شهود العهد: كانت آلهة المنطقة الرئيسية	"وَأُشْهِدْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ .."، (تث ٣١: ٢٨؛ ٣٢: ١).
٦- البركات واللعنات:	"مَلْعُونٌ مَنْ لَا يُقِيمُ كَلِمَاتِ هَذَا النَّامُوسِ .."، (تث ٢٧: ٢٦).
٧- الإدلاء بالقسم الرسمي:	".. وَأَخَذَ .. الدَّمَ وَرَشَّ عَلَى الشَّعْبِ وَقَالَ، هُوَذَا دَمُ الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعَهُ الرَّبُّ مَعَكُمْ .."، (خر ٢٤: ٧-٨).

وقبلاً، تأثر العلماء الليبراليون، بنتائج الدراسة النقدية للكتاب المعروفة باسم "نقد الشكل، *Form Criticism* ^(١٨)"، واتجهوا للأخذ بوجهة نظر تطويرية في طبيعتها فيما يتعلق بالديانة اليهودية. واعتقدوا أن العبرانيين استعاروا نماذج من الشرق الأدنى وأعطوها معانٍ عبرية خاصة، عبرت عنها الشخصيات، والخرافات والأساطير الأولى. ونادوا بأن الأفكار الدينية العبرية تطورت في نفس زمن تطور أفكار جيرانهم الوثنيين. ويمثل يوليوس فلهاوزن *Julius Wellhausen*، وجهة النظر المتدنية نحو الأسفار المقدسة. وللمهتمين بفهم المزيد عن وجهة نظره، فيمكنهم قراءة كتاباته المترجمة ^(١٩) أو قراءة، "تاريخ تقاليد الأسفار الخمسة"، لمارتن نوث *Martin Noth* ^(٢٠). أما الذين يرغبون في القراءة عن نفس الموضوع من منظور عهدي، يدعم في الغالب النص كما فهم تقليدياً، فيمكنهم قراءة كتاب، "لاهوت العهد القديم"، للكاتب والتر آيكروود، *Walter Eichrodt* ^(٢١). يمكننا أن نقول الآن، وبكل يقين، بعدما انقشعت سحب النقد الأكاديمي، أن أنبياء العهد القديم وبصفة خاصة موسى النبي، ثم يشوع من بعده، قد فهموا أن لهم عهداً مع الرب يهوه، خالق الكون، وأدركوا أن عهده معهم كان مسألة جادة، وعلاقة هامة كأية علاقة من العلاقات الأخرى التي كانت بين الملوك وعبيدهم، كما أيقنوا أن الأمانة من نحو الله لا تقل أهمية عن الأمانة من نحو ملوك وأسياد الأرض.

اللغة الدينية لغة عهد

يتأثر المرء بنوعية اللغة الموجودة في صيغ العهود القديمة، وذلك لارتباطها الشديد بالمفردات الدينية الكتابية. على سبيل المثال، تتكرر في سجلات تواريخ أشور بانيبال هذه العبارة، "وسأل شعب العربية بعضهم بعضاً قائلاً،

١٨- دراسة صور وأشكال التقليد الشفوي المرتبطة بالأحداث الواردة في أي عمل أدبي، وكيفية تطورها وتداولها، بدءاً من التاريخ الفعلي لها حتى وقت تدوينها، للمزيد، يمكن الرجوع إلى كتاب د. فيهم عزيز، "علم التفسير، ط ١ دار الثقافة، ص ١٥٦"، المترجم.

19- Julius Wellhausen, *Die Composition des Hexateuchs*, Jahrbucher duer Deutch Theologie 21 1876:362-450.

20- Martin Noth, *A History of Pentateuchal Traditions*. Englewood Cliffs, N.J: Prentice Hall, 1972.

21- Walter Eichrodt, *Theology of the Old Testament*, Vol. 1, Philadelphia: Westminster Press, 1961.

لماذا أصاب مثل هذا الشر بلاد العربية؟ فأجابوا، "لأنهم لم يحفظوا العهد الصادق الذي أقسموا عليه لإله آشور"^(٢٢). ونجد نفس التساؤل في (تث ٢٩: ٢١-٢٤)، بفم موسى النبي: "وَيَقُولُ جَمِيعُ الْأُمَمِ، لِمَاذَا فَعَلَ الرَّبُّ هَكَذَا بِهِذِهِ الْأَرْضَ؟ لِمَاذَا حُمُو هَذَا الْغَضَبِ الْعَظِيمِ؟ فَيَقُولُونَ، لِأَنَّهُمْ تَرَكَوا عَهْدَ الرَّبِّ إِلَهِ آبَائِهِمُ الَّذِي قَطَعَهُ مَعَهُمْ .. وَذَهَبُوا وَعَبَدُوا آلِهَةً أُخْرَى ..".

أيضاً، نجد نفس لغة الأسفار المقدسة مستخدمة بكثرة في وثائق العهود القديمة عند منح السيد هبات للعبد الأمين، فنقرأ عن هبة من سيد عظيم لخادمه الآشوري بالقول، "بولطا، Balta، صاحب القلب المخلص لسيدته، ثَبَّتْ أُمَامِي بِكُلِّ ثِقَةٍ، وَسَرَتْ بِالْكَمَالِ فِي قَصْرِي .. وَحَفِظْتَ وَصِيَةَ مَلُوكِيَّتِي .. أَنَا أَقْدَرُ عِلَاقَتَكَ الصَّالِحَةَ مِنْ نَحْوِي وَلِذَا أَقَرُّ مَنَحَكَ هَذِهِ الْهَبَةَ". علي نفس القياس، نقرأ عن عطايا مقدمة من السيد الرب للآباء إبراهيم، وإسحاق، داود. علي سبيل المثال، قول الله لإسحاق، "وَأَكْثَرُ نَسْلِكَ كُنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأُعْطِي نَسْلَكَ جَمِيعَ هَذِهِ الْبِلَادِ .."، (تك ٢٦: ٤-٥). ويخاطب الملك سليمان الرب من جهة داود أبيه: "إِنَّكَ قَدْ فَعَلْتَ مَعَ عَبْدِكَ دَاوُدَ أَبِي رَحْمَةٍ عَظِيمَةٍ حَسْبَمَا سَارَ أَمَامَكَ بِأَمَانَةٍ وَبِرٍّ .. فَحَفِظْتَ لَهُ هَذِهِ الرَّحْمَةَ الْعَظِيمَةَ وَأَعْطَيْتَهُ ابْنًا يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّهِ كَهَذَا الْيَوْمَ"، (١ مل ٣: ٦). أيضاً، جاد الملوك على العبيد وقادة الحرب بالأراضي في العالم القديم، فنقرأ عبارات كهذه، "ها أنا أعطي لك أرض نهر شيحا، *Seha-river-land* .. ولكن ماشولواز *Mashuiluwas*، أعطيت أرض ميرا، *Mira*". وفي وثيقة عهد حثية، يكافئ أحد الملوك عبده بالقول، "انظر، منحتك أرض جبل سييسلا، *Sippasla*، اصعد لتمتلكها". بالمثل قال الله ليشوع، "انظر. قَدْ دَفَعْتُ يَدَكَ أَرِيحَا وَمَلِكُهَا، جَبَابِرَةَ الْبَاسِ"، (يش ٦: ٢)، كما قال لإبراهيم بعد اعتزال لوط عنه، "ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ .. لِأَنَّ جَمِيعَ الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الْأَبَدِ .."، (تك ١٣: ١٤-١٥).

أظهر كتاب موران، *W. L. Moran*، الرائع أن مبدأ الولاء يعبر فعلياً عن

"حبة الله" (٢٣). وهو المعنى المستخدم تقريباً في كل الوثائق الباقية حتى الآن، إذ كانت المحبة للسيد تعبيراً سياسياً. ويزخر سفر التثنية بهذه التعبيرات الدينية المستعملة في اللغة الدبلوماسية (٢٤) للشرق الأدنى القديم، ومن هذه التعبيرات: "أن تتبع بكل قلبك"، و"أن تكون مخلصاً بكل نفسك وقوتك، و"أن تستمع لصوت .."، و"أن تكون كاملاً مع"، و"أن تسير وراء .."، و"أن تتحدث بقلب كامل"، و"أن تخاف"، و"أن تضع هذه الكلمات علي قلبك"، و"أن لا تحيد عنها يميناً أو يساراً". وقد كانت تعبيرات شائعة في مفردات العلاقات الدولية منذ ألفي عام قبل مجيء المسيح.

ولأقسام البركات واللعنات بوثائق العهود الحثية القديمة أهمية خاصة، لأنها تشبه بشكل لافت ما ورد في ناموس موسى؛ فبركات العبد الأمين فيها مدونة بالتفصيل، وبالمثل اللعنات التي تم الاشتراط عليها قبل القَسَم بأنها عقوبات واجبة التطبيق علي العبد غير الأمين. وقد ترجم مكارثي، *MecCarthy*، لعنة عهد وردت في نص قديم يقول: "هذه الرأس ليست رأس الكبش بل هي رأس ماتيلو، *Matiilu*، ورأس أبناؤه، وشرفائه، وشعبه. فأن أخطأ هؤلاء ضد العهد، فكما قُطعت رأس هذا الكبش ووُضعت رجله في فمه، هكذا أقطع رؤوس أولئك المدعوين بأسمائهم. وهذا الكتف هو كتف ذلك المسمى وأبناؤه، وشرفائه وشعب أرضه. إن أخطأ ماتيلو، *Matiilu*، ضد هذا العهد فكما نزع هذا الكتف من الكبش المذبوح أنزع أكتاف هؤلاء".

إن قراءة بركات ولعنات العهد، (لا ٢٦؛ تث ٢٨)، تترك المرء يشعر بنفس الشيء؛ فالموت والألم هما نصيب كل من يكسر العهد الذي تم القَسَم عليه أمام الرب. ولم يكن العهد المقطوع مع الله والمختوم بقَسَم مهيب، أقل إلزاماً أو خطورةً من أي عهد مع أي ملك مقتدر. لقد اعتزم الرب بأن يكون الملك العظيم على شعبه، وانتظر منه أن يقدم نفس الولاء الذي كان من الممكن أن يقدمه لأي ملك أرضي آخر، إن كان في عهدٍ معه، ويوضح النبي ملاحية هذا الأمر بجلاء:

23- W. L. Moran, "Love of God," Catholic Biblical Quarterly, 25:77-87, 1963

٢٤- تعني "الدبلوماسية" ممارسة أو فن إقامة العلاقات الدولية، وتستعمل عند التفاوض من أجل الاتفاقيات أو المعاهدات، المترجم.

"الابن يُكْرِمُ أَبَاهُ، وَالْعَبْدُ يُكْرِمُ سَيِّدَهُ. فَإِنْ كُنْتُ أَنَا أَبًا، فَأَيْنَ كَرَامَتِي؟ وَإِنْ كُنْتُ سَيِّدًا، فَأَيْنَ هَيْبَتِي؟ .. أَيُّهَا الْكَهَنَةُ الْمُحْتَقِرُونَ اسْمِي. وَتَقُولُونَ، بِمَ احْتَقَرْنَا اسْمَكَ؟ تَقْرَبُونَ خُبْرًا نَجَسًا عَلَى مَذْبَحِي. وَتَقُولُونَ، بِمَ نَجَسْنَاكَ؟ بِقَوْلِكُمْ، إِنَّ مَائِدَةَ الرَّبِّ مُحْتَقَرَةٌ. وَإِنْ قَرَبْتُمْ الْأَعْمَى ذَبِيحَةً، أَفَلَيْسَ ذَلِكَ شَرًّا؟ وَإِنْ قَرَبْتُمْ الْأَعْرَجَ وَالسَّقِيمَ، أَفَلَيْسَ ذَلِكَ شَرًّا؟ قَرَبُهُ لَوَالِيكَ، أَفَيَرْضَى عَلَيْكَ أَوْ يَرْفَعُ وَجْهَكَ؟ قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ"، (ملا ٦: ٨-١٠).

أبدية العهد

إن تحديد المدة الزمنية للعهد أمر هام في العلاقات الدولية، وأيضًا في التعاقدات بين المدن، والقبائل، والأفراد؛ فقد يستمر العهد لفترة محددة من السنين، وفي هذه الحالة يتم تحديد زمن انتهائه كجزء من نص العهد، على أن يتم أو لا يتم تجديد العهد بعد انقضاء هذه المدة. ومن ناحية أخرى، قد تكون نهاية العهد غير محددة أو بحسب اللغة الدبلوماسية عهدًا مؤبدًا. لكن إلى متى؟ يعني التعبير "عهد أبدي" في متن وثيقة العهد أن العهد قائم ما لم تحتم الظروف تغييرًا فيه، إما بالاتفاق المشترك أو بكسر أحد الطرفين له، أو بأي شكل آخر يجعله لاغيا غير قابل للتمديد. لم تكن العهود المؤبدة في المواثيق الدائمة بين الأمم ملزمة في الزمن الحاضر فقط بل في الأزمنة التالية أيضًا. كان المتوقع من الابن الذي تعاهد أبوه مع الملك، أن يستمر في الالتزام بالعهد المؤبد بعد وفاة أبيه مع هذا الملك.

ويفيد التعبير العبري، "عهد عولام، יְהוֹלָם"، الذي يعني "حتى الأبد، أو إلى الأبد"، أن الوعد المرتبط بالعهد مستمر طالما أن العهد قائم، وثمة وعود قليلة في العهد القديم، يمكن اعتبارها مستمرة في العهد الجديد. ويصف الكتاب أمورًا كثيرة في العهد القديم بأنها أبدية، كأرض كنعان، (تك ١٧: ٨)، والختان، (خر ١٧: ١٣)، والسبت، (خر ٣١: ١٦)، والفصح، (خر ١٢: ١٤)، وكهنوت بيت عالي، (١ صم ٢: ٣٠)، وثياب هارون الكهنوتية،

(خر ٢٨: ٤٣)، ويوم الكفارة العظيم، (لا ١٦: ٢٩)، وعرش داود (٢ صم ٧: ١٣)، إلا أن كل هذه الأمور انتهت جميعاً على اعتبار أننا نؤمن برسُل المسيح. وذلك لأن استخدام التعبير العبري "عاد عولام" مع أمور العهد يعني الاستمرارية طالما أن العهد قائم، ولكن بانتهاء العهد القديم كما فهم رسل العهد الجديد، تنتهي كل المواعيد المرتبطة به.

صيغة العهد قديماً

تشير صيغة العهد إلى أجزاء العهد. وفي سلسلة محاضرات رائعة لآشلي جونسون، *Ashley Johnson*، في نهاية القرن ١٩م، تم تناول موضوع العهدين، باستخدام النظام الثلاثي للتحليل. واعتقد أنه نفس النظام الذي استخدمه الرسل. فصيغة العهد النموذجي لها "أطراف"، و"شروط"، و"مواعيد". وفي الغالب، تناقش كل فقرة في الأسفار المقدسة جزءاً معيناً من هذه الأجزاء. لذا فإن لم يكن المرء طرفاً في عهد ما، فليس هناك داع للقلق من جهة حفظ شروطه، ولا يجب أن يتوقع أيضاً أية بركة إن حفظ هذه الشروط أو أية لعنة إن لم يحفظها. فالعهد كانت صفقة كاملة. وهناك ترنيمة كنسيّة شهيرة يقول نصها:

Every promise in the book is mine

كل وعد في الكتاب ملكي

Every chapter, every verse, every line

كل إصحاح، كل آية كل سطر

All the blessing of His love Divine

كل بركات محبته الإلهية

Every promise in the book is mine

كل وعد في الكتاب ملكي

فبالرغم من اللحن الجميل لهذه الترنيمة، لكنها ليست صحيحة لاهوتياً. فإن لم يكن المرء على سبيل المثال، من نسل إبراهيم بالدم فليس له نصيب في ميراث أرض الموعد، كما أنه غير ملزم بختان أطفاله، ولا يتوقع كمؤمن بأن يكون طرفاً في أمة عظيمة. فهذه الوعود كانت جزءاً من عهد لم يكن من نوع

عالمي شامل، بل عهد خاص مع إنسان معين ومع نسله. لذا، على المرء أن يتوخى الحذر عند قراءة الكتاب المقدس، وذلك فيما يرتبط بتطبيقه على حياته اليوم. عليه أن ينظر إلى الكتاب كوثيقة عهد وليس وسيلة للعرفاء أو كتاب يحمل له بعض القوى السحرية ليكشف له عن رسالة إلهية خاصة. للكتاب لغة مباشرة، ويعني ما يقوله حرفياً في نص كلماته، إذ أنه مهتم بتوصيل حقيقة العهد ذاتها للقارئ ولهذا السبب تمت كتابة وثائق العهود، لتُقرأ للإنسان العادي كل سنة، إذ يمكنه فهم اللغة التي يسمعها، تبعاً لقواعد اللغة السائدة في وقته. وعندما يوضع النص في سياق القرينة اللغوية والتاريخية، يظهر المعنى الحقيقي الأصلي للنص على الفور.

حيسد، חֶסֶד، *Hesed*

تحمل اللفظة العبرية "حيسد" فكرةً مذهشة. وقبل تعريفها، أود أن أرسّخ مكانتها العالية في الفكر الكتابي. إن اللفظة عبارة عن مصطلح مرتبط بالعهد له أهمية كبيرة. وكما سبقت الإشارة، قام نلسون جلوك، *Nelson Glueck*، بدراسة تحليلية لها، تم نشرها باللغة الإنجليزية عام ١٩٧٥م^(٢٥). كما قام باون، *Bowen*، وهو من طلاب اللغة العبرية بجامعة ييل، *Yale*، الأميركيّة، بإعداد رسالة دكتوراة على نفس اللفظة، وعرفها في عام ١٩٣٥م، بأنها: "تعبير نفعي يعبر عن علاقة تنمو على أساس صلة أو ارتباط معين كعلاقة الأسرة أو العهد أو أي علاقة أخرى مثل علاقة الضيف بالمضيف"^(٢٦).

وبالرغم من أن المصطلح حيسد مستخدم لوصف الإنسان، إلا أنه مستعمل في سفر التثنية على وجه الحصر ليصف الرب يهوه، كما يتم توظيفه دائماً بالارتباط مع لفظة "بيريث، בְּרִית، *Berith*" التي تعني عهداً. كانت "حيسد، חֶסֶד" كمصطلح أخلاقي تُستخدم في سياق الكلام عن أي عهد. ويعرّف الكاتب "أوبري جونسون، *Aubrey Johnson*"، الألفاظ "حيسد

25- Nelson Glueck, *Hesed*, Hebrew Union College Press, Also KVAL, New York City, 1927 and 1975.

26- Boone A. Bowen, *A Study of Hesed*, unpublished doctoral dissertation, Yale University School, 1935.

وحاسيد"، بأنها مفردات تُستخدم للإشارة لشروط العهد أو الولاء لها^(٢٧).

يمكن للمرء ببساطة، أن يتوقع "حيسد" من الرب لأنه صالح مثل كلمته، ويشعر بمدى نيته لإحسان الرب إن كان في عهد معه. ويختلف جونسون عن جلوك قليلاً في هذا الأمر؛ فبالنسبة له، "حيسد" لفظة مليئة بأحشاء الرأفة، ولا يمكن ترجمتها ببساطة إلى "ولاء"، إذ كان لطرف العهد عنصر من الثقة، والمحبة، والاهتمام بالطرف الآخر، سواء كان العهد بين طرفين متكافئين أو بين مَلِك وعبد، إلا أن المعنى الجوهرى والمقبول لكل من جونسون، وجلوك، فيما يتعلق باللفظة هو "الأمانة" من نحو التزامات العهد.

يهوه الإله حافظ العهد

بعد دراسة جادة ينتهي جلوك بأنه عند تطبيق لفظة "حيسد" على الرب يهوه YHWH، فهي تعني أنه حافظ العهد: "في الحياة اليومية تعبر 'حيسد' عن السلوك المتبادل والمتوقع في العلاقة بين السيد، والعبد. وعلى نفس القياس، كانت تصف العلاقة المتبادلة بين يهوه وعبيده، فالرب يحفظ وعوده، وهكذا يظهر حيسد، لأولئك السائرين أمامه .. تضمن العهد المختوم بالقَسَم بين الرب والآباء "حيسد" كنتيجة، إذ أنها محتوى أي عهد. ولذا تُرجمَت اللفظة إلى "ولاء"، و"محبة" للتأكيد على أنها أمانة ومحبة الرب، لكن يجب على المرء أن يكون واعياً بأن المحبة المقصودة هنا هي محبة من نوع خاص جداً، محبة مطابقة للولاء والالتزام، ومن خلالها تتحقق شروط العهد".

خاصية التوازي^(٢٨)

ساعد التوازي المستعمل في نصوص كتابية كثيرة علماء الكتاب في تحديد معاني الألفاظ العبرية، وعلى سبيل المثال، القول، "الرَّبُّ إِلَهَكَ هُوَ اللهُ، الإلهُ

27- Aubrey Johnson, *Hesed and Hasid*, Oslo: Fabritus and Sonner, 1955, P. 100-112

٢٨- التوازي هو أحد خواص الشعر العبرى. وتنصف به الأسفار الشعرية والأجزاء المكتوبة شعراً في الأسفار النبوية، ينقسم بيت الشعر في العبرية إلى شطرتين بينهما تواز في الفكرة: مترادفاً، (مز ١٤٢: ٢)؛ أو متناقضاً، (مز ٢٠: ٨، لو ١: ٥٢). وأغلب ما يركز عليه الكاتب هنا هو التوازي المترادف. ولمزيد من المعرفة، يمكن للقارئ الرجوع لكتاب د. فهيم عزيز، علم التفسير، ط١، دار الثقافة ١٩٨٦م، ص ٣٣٨-٣٤٢، المترجم.

الْأَمِينُ، الْحَافِظُ الْعَهْدَ وَالْإِحْسَانَ"، (تث ٧: ٩)، نجد أن لفظة "الأمين" توازي بشكل مترادف لفظة "حافظ العهد"، كما تعني أن الرب لديه "حيسد". ويتضح الأمر أكثر في قول الرب لداود علي لسان المرنم، "إِلَى الدَّهْرِ أَحْفَظُ لَهُ رَحْمَتِي. وَعَهْدِي يُثَبِّتُ لَهُ"، (مزمور ٨٩: ٢٨)، فنجد أن تعبير "إلى الدهر" مستعمل بالتوازي مع تعبير "يُثَبِّتُ لَهُ"، وكلمة "حيسد"، المترجمة "رحمتي"، توازي لفظة "عهدي":

- "إِنْ تَرَكَ بَنُوهُ شَرِيعَتِي وَلَمْ يَسْلُكُوا بِأَحْكَامِي"، (مزمور ٨٩: ٣٠).

- "إِنْ نَقَضُوا فَرَائِضِي وَلَمْ يَحْفَظُوا وَصَايَايَ"، (مزمور ٨٩: ٣١).

- "أَفْتَقِدُ بَعْضًا مَعْصِيَتَهُمْ، وَبِضَرْبَاتٍ إِثْمُهُمْ"، (مزمور ٨٩: ٣٢).

- "أَمَّا رَحْمَتِي فَلَا أَنْزِعُهَا عَنْهُ، وَلَا أَكْذِبُ مِنْ جِهَةِ أَمَانَتِي"، (مزمور ٨٩: ٣٣).

- "لَا أَنْقُضُ عَهْدِي، وَلَا أَعْيِّرُ مَا خَرَجَ مِنْ شَفَتِي"، (مزمور ٨٩: ٣٤).

وهكذا يتضح لنا أن لفظة "ترك" توازي التعبير "لم يسلكوا"، ولفظة "شريعتي" توازي وبشكل مترادف لفظة "أحكامي"، كما أن لفظة "معصيتهم" تحمل نفس معنى "إثمهم". إلى أن نصل إلى العدد (٣٣)، فنجد أن لفظة "رحمتي"، أي "حيسد"، تعني بالتوازي "أمانتي" أي عدم خروقي للعهد أو حفظي له، وفي ضوء هذا المعنى يتغنّى المرنم برحمة الرب: "لَأَنَّ رَحْمَتَكَ أَمَامَ عَيْنِي. وَقَدْ سَلَكَتُ بِحَقِّكَ"، (مزمور ٢٦: ٣). كما يقول أيضًا: "أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَلَا تَمْنَعُ رَأْفَتَكَ عَنِّي. تَنْصُرْنِي رَحْمَتُكَ وَحَقُّكَ دَائِمًا"، (مزمور ٤٠: ١١).

وفي الصلوات العظيمة التي رفعها كل من الملك سليمان، ودانيال النبي، ونحميا، تم استخدام نفس النموذج. وعلى الرغم من أن الفاصل الزمني بينهم يمتد لسنوات عديدة، إلا أن صلواتهم قد احتوت بشكل أساسي علي نفس الفكرة: ثبات أمانة الله في العهد؛ فهو الإله حافظ العهد والرحمة، **אֱלֹהֵינוּ הוּא הַיְיָ** (١ مل ٨: ٢٣؛ نح ١: ٥؛ دا ٩: ٤).

تعرّضت خاصية التوازي مؤخرًا للهجوم، لدرجة فقدان التفكير الكتابي الصحيح. لكن عندما يدرك الدارس هذه المتوازيات، ويستوعب طريقة توظيفها الأصلية من قِبَل كُتّاب النصوص، سيفهم فكرهم، ويتبنى نظامهم في التصنيف والشرح. وقد استخدم العلماء المعاصرون هذه الخاصية لتساعدهم على فهم اللغة العبرية القديمة. وبنفس الطريقة نكتشف أن لفظة "حيسد" عنصرين، يشمل أحدهما الآخر، إلا أنهما مترابطان. وللأسف، ليس هناك مقابل يوناني، أو لاتيني أو حتى إنجليزي، يحمل كلا العنصرين معًا. ولذا نجد صعوبة في توصيل المعنى الصحيح لها من العبرية للغات الأخرى، إلا باستخدام الشرح الوافي لها.

ترجمة "حيسد"

إن الفكرة الأساسية في لفظة "حيسد" هي "مواصلة الالتزام بثبات حتى النهاية". وتعني هذه الفكرة سلوكًا محددًا؛ فليست كلمة "حيسد" مشاعر تقود إلى العمل، بل هي العمل ذاته. وحيث أن "الالتزام" جزء من تعريف اللفظة، فمن المؤكد أنه التزام تم التعهد به مسبقًا بشكل فعلي أو ضمني. ولهذا السبب، قال نلسون جلوك، "حيسد هي جوهر العهد"، وهذا يعني أن تميم العهد هو إظهار الأمانة المرتبطة به، لأنه إذا قطع المرء التزامًا على نفسه ولم يف به، فهذا يعني غياب "حيسد".

"إليوس" *Eleos*، ἔλεος اليونانية

عند ترجمة اللفظة العبرية "حيسد" لليونانية، استخدم مترجمو السبعينية كلمة "إليوس". والسؤال الطبيعي الذي يطرح نفسه، لماذا أُستخدِمَت لفظة "إليوس" كترجمة لللفظة "حيسد" التي تفيد معنى الأمانة أو الولاء؟ لا نعرف يقينًا، ولكن من المؤكد أنها حملت نفس معنى "حيسد"، لأن المترجمين لم يعرّبوها بل ترجموها. أما المعاني الرئيسية التي تُرجمَت إليها "إليوس" من اليونانية للإنجليزية فهي: "رحمة"، و"محبة ثابتة"، و"إحسان". وهنا نتساءل، لماذا ترجمت إلي هذه المعاني ولم تترجم إلى "أمانة" أو "ولاء"؟ ربما لأنه عندما

يعقد شخص اتفاقاً، فأغلب الظن، يكون لمصلحته، إذ يجب أن يستفيد من أداء الطرف الآخر في الاتفاق. فإذا أحقق شريكه في مواصلة التزامه إلى النهاية، فهذا يعني خسارته؛ لأنه من المنفعة له أن يواصل شريكه التزامه حتى النهاية. ولذا، يتم ترجمة مفهوم "مواصلة الالتزام بثبات حتى النهاية"، بمصطلح نفعي مثل "المحبة"، و"الرحمة"، و"الإحسان"، و"اللطف". ولأن معنى كلمة "رحمة، Mercy"، المتداول اليوم، يختلف قليلاً عن الكلمة العبرية "حيسد"، فعندما نسمعها تُقرأ من الأسفار المقدسة، يجب علينا أن ندرك أنها تعني "الأمانة"، أي "مواصلة الالتزام بثبات حتى النهاية"، كي لا يعاني الطرف الآخر الخسارة بسبب غيابها^(٢٩).

أنواع الالتزامات

في المجتمع العبري كما الحال في أي مجتمع آخر، هناك نوعان أو أكثر من الالتزامات. البعض رسمي، ويسمى عهداً، والبعض الآخر غير رسمي، يتمثل في رد الإحسان لمن صنع بنا إحساناً.

أولاً: الالتزامات الرسمية

ينشأ هذا النوع من الالتزامات عندما يدخل المرء في اتحاد أو تحالف. وفي هذه الحالة، يكون هناك عهد أو وثيقة عهد مكتوبة. وتُعتبر التعاقدات، والزيجات، والمعاهدات الدولية جميعها عهود رسمية. وتُستخدم لفظة "حيسد"، لحفظ تلك الالتزامات أينما وُجدت تلك العهود، لكونها تفيد معنى "مواصلة الالتزام بثبات حتى النهاية". ولسوء الحظ فيما يتعلق بفهم مفردات الكتاب المقدس، لا نجد في اللغة الإنجليزية مقابلاً للفظ "إليوس" أو "حيسد"، يفيد معنى "مواصلة الالتزام بثبات حتى النهاية"، لكون المرء مقيداً بمساندة شريك العهد.

ثانياً: الالتزامات غير الرسمية

١- الآباء والأبناء: يلتزم الآباء أخلاقياً بالعناية بأولادهم، حتى وإن لم يكن

٢٩- في ضوء هذه المفاهيم عن "حيسد"، و"إليوس"، سبتحتم علينا إعادة النظر للفظ "رحمة" الواردة كثيراً في العهد الجديد لأن كنية العهد الجديد عبرانيون، المترجم.

هذا الالتزام موثقاً كتابةً. ومن أجل المصلحة العليا للأولاد تتضمن هذه الرعاية تعليمهم، وتأديتهم، ومنحهم درجات من الحرية، والرعاية البدنية.

٢- **المضيف والضيف**: يلتزم المضيف براحة الضيف، وأمانه، ملبيًا احتياجاته حسبما يتطلب الأمر. وعلى الضيف أيضًا، التزامات من نحو مضيفه: ألا يكون كثير المطالب، أو وقحًا، أو مجازيًا بالشر من أكل معه خبزًا

٣- **الملك والرعية**: يفوق التزام الملك الأخلاقي من نحو شعبه أي قانون مكتوب، فهو مسئول عن رفاهية شعبه، كما أنه قدوة لشعبه، فمن شابه ملكه ما ظلم. كما يجب علي الرعايا أن يكرموا ملكهم ويساندوه، ليس في الشر فقط، بل في الخير أيضًا. ويجب علي الشيوخ، والقادة السلوك بكل ما هو نافع لجميع الناس.

٤- **الصديق مع الصديق**: بين الأصدقاء التزامات أدبية غير رسمية؛ فالأحباء الذين ساعدوك يتوقعون منك نفس المعاملة، وهو أمر شائع في كل مجتمع. وقد أطلقَ العبرانيون على هذا النوع من النية الحسنة "حيسد". ولأن مبدأ العطاء والأخذ هو جوهر "حيسد"، كما أننا نحتاج للمعونة عندما نعجز عن الأداء بمفردنا، نرى لماذا استخدمت الكلمات "رحمة"، و"إحسان"، و"محبة" كترجمة للفظة "حيسد".

التزامات أخلاقية كتابية

— إبراهيم وسارة

كلما دخل إبراهيم أرضًا غريبة، يُقتل فيها الغرباء عادة بسبب زواجهم، كان يطلب من سارة أن تظهر له "حيسد" أي إحسانًا بأن تقول إنها أخته، إن كان هذا ضروريًا لإنقاذه، (تك ١٢: ١٣).

- يوسف وساقى فرعون

عندما فسر يوسف حلمَ رئيس السقاة بشكل صحيح، ومن ثم استعاد حظوته لدى فرعون فيما بعد، طلب إليه يوسف أن يصنع معه إحساناً ويتذكره أمام فرعون، ليخرجه من بيت السجن، (تك ٤ : ١٤).

- نعمي، وبوعز

باركت نعمي بوعز لأمانته من جهة شريعة الفادي، إذ أظهر أمانة، والتزاماً بزواجه من راعوث، فقالت عنه نعمي، " .. مُبَارَكٌ هُوَ .. لِأَنَّهُ لَمْ يَتْرِكِ الْمَعْرُوفَ، (راعوث ٢ : ٢٠) ..

- بوعز، وراعوث

جامل بوعز راعوث لأمانتها نحو حماها، وذلك لالتزامها بالعناية من أجل حماها، فقال لها، " .. مُبَارَكَةٌ مِنَ الرَّبِّ يَا بِنْتِي لِأَنَّكَ قَدْ أَحْسَنْتِ مَعْرُوفَكَ، (راعوث ٣ : ١٠) ..

- كاتب سفر القضاة

ينتقد كاتب السفر شعب إسرائيل لأنهم لم يعتنوا بعائلة جدعون، أي يربعل، الذي ساعدهم في كل حروبهم من أجل الخلاص والتحرير: "وَلَمْ يَذْكُرْ بَنُو إِسْرَائِيلَ .. وَلَمْ يَعْمَلُوا مَعْرُوفًا، (راعوث ٣ : ١٠) .. نَظِيرَ كُلِّ الْخَيْرِ الَّذِي عَمِلَ مَعَ إِسْرَائِيلَ"، (قض ٨ : ٣٥).

- راحاب الزانية

طلبت راحاب من الجاسوسين أن يحلفا لها بقسم، وأن يحفظا وعودهما مقابل مساعدتهما، وسمي هذا الالتزام باسم "حيسد": "فَالآنَ احْلِفَا .. وَأَعْطِيَانِي عِلَامَةَ أَمَانَةٍ (راعوث ٣ : ١٠) .. لِأَنِّي قَدْ عَمَلْتُ مَعَكُمْ مَعْرُوفًا (راعوث ٣ : ١٠) .. بَأَن تَعْمَلَا .. مَعْرُوفًا (راعوث ٣ : ١٠) .. وَتَسْتَحْيِيَا أَبِي وَأُمِّي .. فَقَالَ لَهَا الرَّجُلَانِ .. نَعْمَلُ مَعَكَ مَعْرُوفًا (راعوث ٣ : ١٠) .."، (يش ٢ : ١٢-١٤).

- أُنْبَيَّرُ، وبيت شاول

كان أُنْبَيَّرُ غاضبًا من إِيْشْبُوْشْتُ، ابن شاول الذي اتهمه بكسر عهده مع بيت شاول، وذلك بعدما دخل علي سرية أبيه، فقال أُنْبَيَّرُ لإِيْشْبُوْشْتُ، .. أَصْنَعُ مَعْرُوفًا 707، مَعَ نَيْتٍ .. أَيْيَكَ .. وَتُطَالِبُنِي الْيَوْمَ بِإِثْمِ الْمَرْأَةِ!" (٢صم ٧: ٨).

- داود، وبرزلاي الجلعاوي

طلب الملك داود من سليمان ابنه أن يتذكر التزامه مع بيت برزلاي الجلعاوي بأن يصنع معروفًا، معهم لأنهم ساعدوه عند هروبه من وجه أبشالوم، فأوصاه: "وَأَفْعَلْ مَعْرُوفًا 708-707، لِنَبِيِّ بَرَزَلَايِ الْجَلْعَاوِيِّ فَيَكُونُوا بَيْنَ الْآكِلِينَ عَلَى مَائِدَتِكَ .."، (١مل ٢: ٧). وقد سمي هذا الالتزام الذي كان على الملك سليمان أن يتذكره "حيسد".

- أبشالوم، وحوشاي

أظهر الأصدقاء "حيسد"، لأصدقائهم، فقال أبشالوم لحوشاي، " .. أَهَذَا مَعْرُوفُكَ، 709، مَعَ صَاحِبِكَ؟ .."، (٢صم ١٦: ١٧).

- داود وحانون

بالمثل قام الملك داود برد المعروف إلي حانون بن ناحاش، الذي صنع معه معروفًا من قبل: "فَقَالَ دَاوُدُ أَصْنَعُ مَعْرُوفًا 710، مَعَ حَانُونٍ .."، (٢صم ١٠: ٢).

- يوش، وزكريا

كانت خيانة المعروف، جريمة جسيمة بالنسبة للملك يوش الذي قتل زكريا بن يهوياذاع الكاهن برغم المعروف الذي صنعه يهوياذاع معه من قبل، ويقول الكتاب: "وَلَمْ يَذْكُرْ يُوَاشُ الْمَلِكُ الْمَعْرُوفَ 711، الَّذِي عَمِلَهُ يَهُوَيَاذَاغُ .. بَلْ قَتَلَ ابْنَهُ .."، (٢أخ ٢٤: ٢٢).

لقد نشأت "حيسد" من علاقات كانت قائمة سواء بالميلاد أو بالزواج أو أي أمر اجتماعي متعارف عليه. كان يبلغ الالتزام حد الإلزام الأخلاقي القسري. إن إطلاق لفظ "صديق"، أو "عائلة"، أو "زوجة"، أو "سيد"، أو

"شريك"، أو "خادم" أو "ضيف" علي شخص معين كان يضع على الفرد التزاماً بأن يتصرف بما هو لخير الطرف الآخر وأن يواصل إظهار هذا الالتزام حتى النهاية معه.

العهد كأساس لاهوتي

يمكن عمل قاموس عبري للمصطلحات اللاهوتية باستخدام العهد كأساس للاهوت الكتابي، إذ أن كل فكرة رئيسية في الكتاب المقدس مرتبطة بطريقةٍ أو أخرى بالعهد؛ فأية فكرة لا ترتبط بالعهد بأي وجه من وجوه الارتباط لهي فكرة دينية قليلة الشأن في الكتاب. ويمكن للقارئ أن يتأمل معي تعريفات بعض المفردات الكتابية أدناه في ضوء ارتباطها بالعهد:

• **الله:** أحب الله أن يعرف علي أنه الخالق وحافظ العهد، والتعبير الأكثر شيوعاً لوصف الرب يهوه هو أنه "الإله حافظ العهد"، أو "السيد حافظ العهد"، (تث ٧: ٧-٩).

• **الإنسان:** خُلِقَ الإنسان على صورة الله، ويختلف عن الحيوان بقدرته على صنع اختيارات أخلاقية. للكلب قدرة ما على الاختيار، إذ يفضل قطعة لحم علي شريحة بفتيك جافة كل مرة! لكن الإنسان لا يمكنه فقط أن يمارس التزاماً أخلاقياً، بل يمكنه أن يختار طرقاً مختلفة لممارسته. وفي هذا السياق، تساءل ميخا النبي عما يطلبه الله من الإنسان كشريك عهد معه، فقال، "أَنْ تَصْنَعَ الْحَقَّ وَتُحِبَّ الرَّحْمَةَ، وَتَسْلُكَ مُتَوَاضِعاً مَعَ إِلَهِكَ"، (مي ٦: ٦-٨).

• **البر:** هو حفظ العهد، كما كان الحال مع آدم، وشعب الله، ويقول الكتاب، "إِنَّهُ يَكُونُ لَنَا بَرٌّ إِذَا حَفَظْنَا جَمِيعَ هَذِهِ الْوَصَايَا .."، (تث ٦: ٢٥). وفي العهد الجديد: "مَنْ يَفْعَلُ الْبِرَّ فَهُوَ بَارٌّ .."، (١يو ٣: ٧). ويفيد التعبير "يفعل البر"، القيام بكل ما تم الاشتراط عليه في العهد.

• **العدل أو الحق:** تعني هذه اللفظة في العبرية "مِشْطَاط، מִשְׁטָט"، أي "صنع الأحكام أو اتخاذ القرارات التي تنسجم مع العهد"، أو "اتخاذ القرارات بشكل سليم"، (تث ٣٣: ٢١).

- **الاستماع:** هو الطاعة للرب، أي تنفيذ وعمل كل ما تكلم به الرب، (تث ٢٨: ٢، ١٣، ١٥). وما أمر به الرب كان متضمنًا في العهد.
- **الخطية:** كانت الخطية خرقًا للعهد أو عصيًّا ضد إله العهد، ويؤكد سفر التثنية على ذلك بالقول: "إِنْ لَمْ تَحْرُصْ لِتَعْمَلَ بِجَمِيعِ كَلِمَاتِ هَذَا النَّامُوسِ .. يَجْعَلُ الرَّبُّ ضَرْبَاتِكَ .. عَجِيبَةً .."، (تث ٢٨: ٥٨-٦١)، كما أكد الرسول يوحنا أن الخطية هي التعدي. والتقدمات عن الخطايا كانت بسبب كسر ناموس عهد الله، الذي كان يمثل كلمات عهده، سواء كانت هذه الخطايا سهوًا أو عمدًا، (لا ٤: ٢، ١٣، ٢٢، ٢٧).
- **الذبايح:** كانت تُقدَّم الذبايح من أجل التكفير عن الخطايا، ولذا كانت جزءًا حيويًا من العهد القديم ولكن عندما زال العهد، بطلت معه كل الذبايح، (عب ١٠: ١-١٠).
- **الناموس:** كان الناموس وثيقة شروط العهد لبني إسرائيل، وهو لفظة خا دلالة ألطف وأوسع من مبادئ القانون الأميري أو الأوربي. كان الناموس أداة نعمة تساعد على مواصلة العلاقات الجيدة، إذ عرّف شريك العهد ما لا يمكن لله أن يتساهل فيه، كما سَمَح بمساحات كبيرة من الحرية؛ فالأمر الذي لم يكن ممنوعًا يمكن التسليم بأنه كان مباحًا. وقد صار فيما بعد مرادفًا للعهد ذاته، كما أصبح في النهاية كناية عن أسفار العهد القديم.
- **شعب الله:** تعبير أو مفهوم كتابي له أهميته في كلا العهدين، فشعب الله قد خرج للوجود بسبب العهد مع الله، إذ اختار الله إبراهيم وإسرائيل كشعب خاص وصنع معهم عهدًا، (تث ٢٦: ١٦-١٩).
- **البركات:** كانت البركات من الله مواعيد عهدية، وقد كان بعضها شاملاً شائعًا، لكل نسل آدم، بينما اقتصر البعض الآخر، على شعب العهد، (تث ٢٨: ١-١٤).
- **اللعنات:** ترتبط اللعنات دائمًا بالعهد، وخاصةً عند كسره، وهي مدونة بقائمة طويلة في (لا ٢٦؛ تث ٢٨). وما لعنة الله علي الشعوب المجاورة

لإسرائيل إلا تأكيد من الله علي بقاء شعبه وتنفيذ وعوده التي قطعها للآباء،
(تث ٩: ١-٦).

• الأنبياء: لم يكن الأنبياء حاملين متصوفين بل هم مدافعون عاقلون عن العهد، ومساندون لقضية الرب ضد أمة خاطئة كاسرة لعهداها معه، وقد أرسلهم الله لمساندة إسرائيل، ليواصلوا علاقتهم مع الرب بشكل صحيح، كما ارتبطت تهديداتهم لإسرائيل من أجل خطاياها ضد ناموس العهد، وهي تلك الحقيقة التي أقرَّ بها إسرائيل في السبي، (د ٩: ٧-١٩).

• عشاء الرب: هو احتفال تجديد العهد كأحد مظاهر الذبائح القديمة.

• المحبة للرب: استُخدمت بالتوازي مع حفظ أوامر الرب وشهاداته، والسير في طريقه، والالتصاق به. وقد كانت هذه التعبيرات كلها مصطلحات عهدية تستعمل من أجل حفظ أي عهد.

وفي دراسة لعدد من المفردات الكتابية بالقاموس اللاهوتي، الذي حرره آلان ريتشاردسون، *Alan Richardson*، وساهم فيه خبراء مختلفون، لاحظت وجود إشارات عديدة للعهد بكلمات تنوب عنه^(٣٠)؛ فالكلمات التي تتكرر في الكتاب المقدس، مثل: "مدعوون"، و"مختارون"، و"منتخبون"، ترتبط بعهد الله مع إبراهيم، كما تشير التعبيرات مثل، "قصد"، أو "القصد السابق"، أو "التعين المسبق"، إلى تصميم الله وقصده في أن يبارك كل البشرية في المسيح، الذي هو نسل المرأة ونسل إبراهيم أيضًا، وقد بدأ هذا التصميم مع اختيار الله لإبراهيم.

• النعمة: ترتبط بقوة في العهد القديم بفكرة العهد، فهي تمثل إمهال الله الذي تعامل به مع الإنسان برغم تغربه وانحرافه. وقد كان مدخل الرسول بولس للنعمة من خلال فكرة "الرحمة"، أي "حيسد" التي كسرت كل الحواجز، (أف ٢: ٤-١٠).

• الميراث: هو مفهوم نوال بركات الله في إطار عائلته، ويرتبط الميراث بوعد الله لإبراهيم، (تك ١٢: ٧).

30- Alan Canon Richardson, *A Theological Dictionary of the Bible*, New York: Macmillan Company, 1953.

• **اللطف، kindness:** وردت مرة واحدة في (٢صم ٢: ٦)، بمعنى "عمل صالح"، أما باقي المرات، حوالي ٣٦ مرة بمعنى "حيسد"، وقد سبق شرحها، وهي كلمة وثيقة الارتباط بالعهد، وترجمها كلوفرديل، *Cloverdale*، إلى "محبة الإحسان"، وذلك فيما يتعلق بأمانة الله من جهة عهده.

• **محبة الإحسان:** ويترجمها آدم سميث، *Adam Smith Sir*، إلى "المحبة الوفية"، وجدارة هذه الترجمة أنها تجمع كلا الفكرتين: "المحبة" و"الولاء"؛ إذ تكمن الأهمية اللاهوتية للفظ "حيسد" في إشارتها أكثر من أية كلمة أخرى للاتجاه الذي يجب أن يتمسك به طرفا العهد.

• **الرحمة:** تشير إلى إمهال الله المتواصل الذي به يحفظ عهده مع إسرائيل حتى لو تراخى إسرائيل في حفظه بأي شكل.

• **الطاعة:** مشتقة من كلمة "شماع، שמע" العبرية، التي تعني، "اسمع"، وهي فعل أمر غرضه "التجاوب باتضاع مع ما يصفه الله بالكلام أو الوعد"، ونقيضها التمرد والعصيان من الذين يتعدون العهد.

• **السلام:** مفهوم مركب، يتضمن السلام العهدي مع الله، (إش ٥٤: ١٠)، كما أنه حالة مناسبة من التناغم الذي يمكن أن يتمتع به الناس في علاقتهم مع بعضهم البعض في العائلة أولاً، ثم تمتد هذه الحالة للآخرين بواسطة علاقات عهدية.

• **الوعد:** أكثر الكلمات تكراراً وارتباطاً بالعهد: "... كُنْتُمْ .. أَجْنَبِيِّنَ .. وَغُرَبَاءَ عَنْ عُهُودِ الْمَوْعِدِ .."، (أف ٢: ١٢).

ليس ضرورياً أن نعزز الفكرة أكثر من ذلك؛ فبكل جلاء، ترتبط كل المفاهيم الكتابية الأخرى بمفهوم العهد كأساس لاهوتي. ولكن من المفيد قبل الانتهاء من مناقشة هذه النقطة، أن نفحص النموذج الذي رتب فيه والتر آيكروود، *W. Eichrodt*، اللاهوتي المعتبر، كل أحداث العهد القديم من خلال منظور عهدي:

١- لاهوت العهد القديم: المشكلة والطريقة

٢-علاقة العهد

أ- معنى ومفهوم العهد

ب- تاريخ مفهوم العهد

٣- أحكام العهد

أ- القانون الديني

٤- أحكام العهد

ب- العبادات

(١) الطقوس المقدسة

(٢) الأغراض المقدسة

(٣) المواسم المقدسة، الأعياد

(٤) الأفعال المقدسة

(٥) المستجدات

٥- اسم إله العهد

٦- طبيعة إله العهد: الوجود

٧- طبيعة إله العهد: الفعل

٨- أدوات العهد

أ- القادة الموهوبون: موسي - النبوة، Nabism؛ الراؤون، Seers؛

النبوة الكلاسيكية، Classical prophecy؛ النذرون.

٩- أدوات العهد

ب- القادة الرسميون

• الكهنة

• الملك

١٠- كسر العهد والدينونة

أ- الدينونة كضمان، واسترداد العهد

ب- الدينونة كإلغاء للعهد

ج- المظهر الفردي والشمولي للعهد

١١- تتميم العهد

أ- شكل رجاء العهد القديم في الخلاص

ب- أهمية العقيدة

ج- أصول رجاء الخلاص في العهد القديم

د- التنبؤ والتحقيق

من الواضح لأي قارئ عادي للعهد القديم أن أسفاره ليست مطروحة بنفس الطريقة المرتبة والمنمقة لايكروود، وذلك لأن تلك الأسفار تطورت حول العهد عبر فترة زمنية طويلة، كما أنها لم تكتب بأسلوب تشريعي، إذ تقدّم لنا معظم نصوص التوراة رؤى ومفاهيم عن التاريخ، والعهد، والإخفاقات والنجاحات، مختلطة معاً. ومع ذلك، يبقى اقتراح آيكروود صحيحاً، وذلك لوجود جوهر موحد لهذه الأسفار، أطلق عليه كتبة العهد الجديد تعبير "العهد القديم"، (٢كو ٣: ١٤).

وبخلاف آيكروود، رفض جيرهارت هازل، *Gerhart Hasel*، إمكانية أن يكون مفهوم العهد هو الفكرة الرئيسية الموحدة لأسفار العهد القديم، وبالتالي، رفض إمكانية شرح كل الأفكار الكتابية الأخرى من خلاله^(٣١). لكنني أعتقد أن حقيقة تأكيدنا وتحديدنا لأسفار العهد القديم بأنها وثائق عهديّة، تقودنا إلى التسليم بأن العهد هو جوهر هذه الأسفار؛ وإن لم يكن العهد في المقام الأول، الفكرة الرئيسية، لهذه الوثائق، والتي ترتبط بها كل الأفكار الأخرى، فما هي الفكرة البديلة؟ وكما نعلم، فإن التاريخ هو انتقاء واع للأحداث من أجل تثبيت وتدعيم مبدأ معين، فلم يتناول تاريخ الخلاص في ذاته كل ما يحتويه التاريخ من أحداث، بل انتقى فقط ما يدعم مفهوم العهد. وينطبق نفس الشيء على الكنيسة الأولى في اختيارها اسم العهد الجديد لكتابات

31- Gerhart Hasel, *Old Testament Theology: Basic Issues in the Current Debate*, Grand Rapids: Eerdmans, 1972, p. 79.

الرسل، لتعبّر من خلاله عن إدراكها للعهد كمفهوم فلسفي رئيسي، وموحّد لهذه الكتابات^(٣٢).

٣٢- كان ترتليانوس، ١٦٠-٢٢٠م، أول من أطلق تعبير "العهد الجديد" علي وثائق وكتابات الرسل، أما ميليتوس أسقف ساردس، ١٨٠م، فهو أول من أطلق تعبير "العهد القديم" على الأسفار المقدسة العبرية، المترجم.

ختام الفصل الأول

حاولنا في هذا الفصل الأول أن نُعرِّف المفردات الرئيسية الهامة بهذه الدراسة مثل لفظة "عهد"، و"حافظ العهد". ورأينا كيف تناقلت اللغة العبرية هذه المفردات من خلال اللفظتين، "بيريث، בִּרִית، Berith"، و"حيسد، חֶסֶד، Hesed" على التوالي. ومن أجل الوصول إلى تعريفهما، استخدمنا طريقتين: كانت الأولى بفهم كيفية استعمالهما في سياق العهد عند كتابة الوحي، أما الطريقة الثانية، فكانت من خلال فحص المتوازيات سواء كانت في الصيغة العبرية الأصلية أو في ترجمتها. وتعلمنا من هذه الدراسة أن اللفظ "بيريث، בִּרִית، Berith" مصطلح دبلوماسي يعني عهداً؛ وهو المعنى المناسب لمعظم استعمالات اللفظة في العهد القديم، وخاصة العهد في سيناء. وفهمنا أن للعهد ثلاثة ملامح: أطراف، وشروط، ومواعيد. وكانت الفكرة الهامة في العهد هي الالتزام المتبادل. كما ناقشنا مبدأ الشرطية؛ فقد كانت المواعيد مشروطة على أمانة طرفي العهد وهو ما تغيّر قليلاً عند ترجمة لفظة "حيسد" إلى رحمة.

أيضاً، تضمّن هذا الفصل فحصاً مقارناً لنماذج العهد الحثية القديمة في الشرق الأدنى، وقد دَعَم هذا الفحص فكرة العهد بين الله وإسرائيل. لكننا لم نقم بأية محاولات لفهم تداعيات التشابه باستثناء المضمون الأساسي، ألا وهو وجود علاقة عهدية ذات بناء ثابت بين الله والعبرانيين الذين تعاملوا معها بشكل جدي، وأولوها اهتماماً يماثل أي اهتمام مقدّم لأي سيد أرضي، بل حظيت أيضاً باهتمام أخلاقي وقانوني تتمتع به أية علاقة عهدية بين الأفراد أو الدول.

كان المبدأ الرئيس الثالث الذي تناولناه هو: "العهد" كأساس للاهوت الكتابي أو كفلسفة عبرية، إذ كانت كل الأفكار والعناصر الرئيسية لديانة إسرائيل جزءاً من العهد، فالشعب ذاته كان شعب العهد، كما أن الكهنوت، والذبايح، والعبادة، وشكل الحكم، جميعها أمور تم توظيفها لتعزيز وحماية العهد.

كانت الفكرة الأخيرة في هذا الفصل دراسة مبسطة عن لفظة "حيسد"، باعتبارها المصطلح العبري الرئيسي لحفظ العهد. وقد أُستخدِمت بالتوازي مع لفظة "الأمانة"، ومع تعبير، "حفظ العهد"، كما استعملت في المواقف التي كان فيها دعم وتعزيد الآخرين أمرًا مطلوبًا. وتضمنت اللفظة "حيسد" فكرتين عن الأمانة: الأمانة من جهة شروط العهد، والأمانة من نحو الطرف الآخر في العهد.

الفصل الثاني

أفلاطون أم موسى؟

من يقودنا في محاولتنا لفهم الله وعهوده؟ ومن يخبرنا عن معنى الحياة وطبيعة الإنسان؟ ومن يعلمنا عن الواقع^(١)، والاختيار، والقدر: أفلاطون أم موسى؟ ربما تندersh عندما تجد من خلال قراءتك لهذا الفصل أن عددًا غفيرًا في العالم المسيحي قد اختار.. أفلاطون! لكنني أرى أن النبي العبري موسى كان سببًا عنه في أمور الفلسفة الجديرة بالاعتبار. تحرك موسى من التفكير اليوناني الفلسفي، المنشغل مسبقًا بطبيعة الأشياء، لمعرفة الغرض منها؛ فإن أردنا الاقتراب من الله ورسالته، يكون من الأفضل لنا أن نتحول بعيدًا عن أفلاطون واليونانيين لنستمع إلي موسى.

إن ما نحاول القيام به في هذا الفصل هو فحص للأفكار الفلسفية المسبقة لديانة العهد؛ أي دراسة الأسس الفكرية التي تقوم عليها، وذلك من خلال مقارنتها ومضاهاتها بفلسفات العالم اليوناني. لأن الكثير من التفكير الخاطئ في اللاهوت قد حدث بسبب التعود على قبول أفكار اليونانيين وإعادة صياغة المفاهيم الكتابية في قالبها؛ فعندما يعتنق المرء هذه الأفكار، ثم يحاول تفهيم معاني الكتاب المقدس، تنجم مشاكل عديدة بسبب الاختلاف في الفكر، لأن الأسفار المقدسة تحمل في طياتها نظامها الفكري المحدد، كما تتسم بعناصرها المترابطة التي تترتب في إطار مرجعي خاص بها. في الواقع، للكتاب المقدس.. فلسفته الشديدة الخصوصية، والتي تتناغم كل أفكارها مع مفهوم العهد.

١- في الفلسفة، يعني الواقع المطلق، *ultimate reality*، الوجود الذاتي الذي لا يعتمد على غيره من الأشياء إلا نفسه، وتتبع منه كل الموجودات الأخرى، وقد اعتبرته أغلب الفلسفات اليونانية إن لم يكن كلها مبدأً أو فكرة بلا شخصية، المترجم

الواقع^(٢)

تمسك اليونانيون بنظريتين مختلفتين للواقع المطلق. إحداهما يمثلها أفلاطون الذي رفض فكرة محاكاة الآلهة فسعى لتفسيره في الطبيعة ذاتها. درس أفلاطون قوانين الطبيعة والسلوك الإنساني، واستنتج أن الواقع يتمثل في شقين، شق متعلق بالظواهر الحسية التي تحكمها قوانين الطبيعة، وشق مثالي غير ملموس، تحكمه قوانين الوجود. اعتبر أفلاطون الشق الأول ثانوياً سريع الزوال، أما الثاني فأبدي روحي، يشمل الطبيعة كلها. وعلى سبيل المثال، تزول كل الظواهر الحسية لقانون التكاثر، لكن يبقى القانون ذاته. كان النظام الشامل الذي وجده أفلاطون في الطبيعة هو الأقرب إلى الله. كان أفلاطون حلولياً^(٣) من نوع ما. وبالنسبة للفلسفات اليونانية عموماً، لم تكن هناك إلهية منفصلة عن طبيعة المادة ذاتها والأفكار التي نظمته. وقد تبني هذه الفكرة فيما بعد أرسطو، تلميذ أفلاطون. كما قبل بها فلاسفة الغرب من غير المسيحيين ومن الأغلبية الساحقة لأساتذة العلوم، مما أدى في النهاية إلى نشأة الفلسفة المادية، *Materialism*، التي نادى بأن الطبيعة هي الحقيقة الوحيدة المطلقة.

تمسك بعض آخر من فلاسفة اليونان بفكرة "محاكاة الآلهة، *analogy of gods*" لتفسير الواقع المطلق. قالوا إن ما يتم على الأرض لا يحدث بواسطة قوانين الطبيعة، لكنه انعكاس لنشاط الآلهة، فالسماء تمطر بسبب إله المطر، والشمس تشرق بسبب إله الشمس؛ وهكذا يقوم كل إله بوظيفته. وعندما تغضب الآلهة أو تتقاتل تسوء أحوال الطبيعة، وتندلع الحروب وتنتشر الفوضى على الأرض. وقد تأسست ديانة البعل بالاعتماد على هذا الفكر، كما اعتقدت ديانات العالم القديم في مصر وكنعان آنذاك بذلك. وبسبب هذه الأفكار التي سعت لتفسير الوجود المطلق، أصبح الإنسان في النهاية أسيراً إما للطبيعة أو للآلهة.

٢- لا يمثل أفلاطون كل الفلسفات اليونانية المعروفة، ولكن لأن كتاباته بقيت إلي الآن، ونوقشت على نطاق واسع، أصبح اسمه يستخدم كمرادف لهذه الفلسفات؛ ولذا استخدمه هنا بهذا المعنى رغم إدراكي لمحدوديته، المؤلف

٣- الحلولية، *Pantheism*، هي مذهب وحدة الوجود القائل بأن الله والطبيعة هما شيء واحد وبأن الكون المادي ليس إلا مظهرًا أو تجليًا للذات الإلهية، المترجم.

أما شعب العهد فكانت له نظرة مختلفة تماماً؛ فلم يهتم العبرانيون بفلسفة الطبيعة، *Naturalism*^(٤)، ولا بفكرة "محاكاة الآلهة". كان الواقع بالنسبة لهم يتكون من الطبيعي والفائق للطبيعي؛ من المادة والروح، أي عالم الطبيعة وعالم الله، وهنا يجب أن ننتبه إلى البيان الفلسفي لموسى الموجود في الإصحاحات الأولى من سفر التكوين. لم يكن موسى مادياً أو حلولياً؛ فبحسب فكره، أراد الله ببساطة أن يخرج الكون للوجود، فخلقت الطبيعة من العدم. قال الله ليكن نور فكان نور، وبنفس الطريقة صنع الله باقي الكون، واضعاً أسس نظامه، وقوانين مداراته الفلكية وأنماطه التكاثرية. أيضاً، لم يتطَّع الإنسان العبري للطبيعة من أجل أية معرفة حقيقية عن الله؛ فلم تكن الطبيعة عنده هي الله. وقد تبني الرسول بولس نفس الفكرة إذ كان فيلسوفاً كموسى؛ فحدّد أمرين فقط يمكن للإنسان أن يعرفهما عن الله عند النظر للطبيعة: الله موجود وأنه كلي القدرة، (روا: ٢٠: ٢٠)^(٥). وهذا عين ما نراه علي الفور في العهد الذي قطعه الله مع إبراهيم، لأن العهد يتضمن حقيقة وجود الله، كونه ليس جزءاً من الطبيعة، بل إله كلي العلم، عاقل، رحيم، مَخْطُط، قادر على التكلم بلغة الإنسان، والأكثر من ذلك، أنه قادر علي الحد من سيادته للدرجة التي تمكنه من الاقتراب من الإنسان دون أن يهلكه.

انشغل أفلاطون مسبقاً بمشكلة ارتباط الله بالطبيعة، بينما كان موسى راضياً ومقتنعاً بتبني الحس الفطري، فراح يسأل ما الذي يريده الله من الطبيعة والإنسان. وهو الأمر الذي شدّد عليه العهد، بتأكيد علي اهتمام الله بالتاريخ ودور الإنسان فيه أكثر من تأكيده علي الموضوعات الأخرى. فعندما صنع الله عهداً مع إبراهيم أسس أجنحة للفلسفة والتاريخ. وقد يكون المهم والمثير بالنسبة لك أو لعالم الطبيعة، أن تكتشف كيف تعمل الطبيعة، لكن الأهم هو أن تدخل في علاقة عهد صحيحة مع إله الطبيعة.

٤- من الناحية الفلسفية، هي المذهب الذي يؤمن بأن كل الظواهر الطبيعية تحكمها القوانين العلمية ومن ثم فإن كل التفسيرات الغائية، أو الروحية لهذه الظواهر بلا قيمة، ومن الناحية اللاهوتية هي الاعتقاد بأن كل الحق الديني ينبع من دراسة العمليات الطبيعية وليس من دراسة الإعلان، المترجم.

٥- كان لإقرار الرسول بولس هذا بعض التداعيات لكنه لم يتوسع أكثر من ذلك، المؤلف.

قصة جنة عدن

يتوسع موسى في المفاهيم الضمنية للعهد بدءاً من رواية جنة عدن التي تفاعلت فيها عوامل كثيرة لتقدم صورة كاملة. وتقدم الأشياء بصورة مكتملة هو أحد الطرق العبرية في الشرح. لنرَ أولاً كيف كانت تعمل الطبيعة. لم تكن الطبيعة بحسب الفكري العبري هي الله بل كانت من الله. ولم يكن ارتباط روح الله بالطبيعة هو موضوع الاهتمام، فقد أسس الله نظام الطبيعة ثم طلب من الإنسان أن يسود عليها ويحفظها. وبإيجاز، كان علي الإنسان أن يتعلم كيف يعيش في الطبيعة، لا أن تسوده الطبيعة. كان في الطبيعة، لكنه فوق الطبيعة. وتختلف هذه النظرة تماماً عن وجهة النظر التي تبناها كل من أفلاطون، وعابدي البعل؛ الذين رأوا أنه يجب على الإنسان أن يخضع للطبيعة، وأن يقوم بما تمليه عليه، وأن يحيا بالتناغم مع دوراتها حتى يجد السلام والأمن. فإن كانت الطبيعة هي الواقع الوحيد، كما نادت الفلسفة المادية، *Materialism*، فإن الامتثال لأوامرها سيكون بالحق هو الطريق الأفضل للبقاء علي قيد الحياة. وتنعكس هذه النظرة في بعض الأقوال التي نسمعها اليوم كالقول، "الإنسان نفسه محصلة من الشر أكثر من كونه شريراً؛ إذ أنه نتاج خريطته الجينية ومكانته الاجتماعية. فهو مضطر لفعل ما يفعله تحت هذه الظروف."

كان علي موسى النبي أن ينظر لهذه الأفكار الفلسفية بعين القلق والحذر؛ فلم تكن الطبيعة قاسية عنده كما كانت عند اليونانيين، الذين اعتقدوا بأن الطبيعة تشبه الآلة. وقد نادى بهذه النظرة الآلية المشقة عن الطبيعة كل من أرسطو^(٦)، وغيره من فلاسفة وقادة العلوم الطبيعية. أما الكتاب المقدس فكانت لديه نظرة أخرى، إذ يقدمها على أنها تجمع بين النظام الخاص بها، وإمكانية التدخل فيه. وبكل يقين، للطبيعة نظامها وتناسقها، فإن لم يكن لها نظام، لما تمكن المرء من أن يخبز خبزاً! لا بد أن تكون الأشياء منتظمة بدرجة كافية تُمكن الإنسان من أن يتعلم نموذجاً محدداً يستخدمه جيداً فيما بعد. ومع ذلك فإمكانية التدخل في

٦- اعتقد أرسطو أن لكل معلول علة، ولذا نادى بدراسة أسباب وعلل الظواهر الطبيعية من خلال الملاحظة الدقيقة، إذ أن الوصول لعلة ما يدفعنا لمزيد من الدراسة والبحث عن العلة السابقة لها، وبهذه الطريقة يمكننا الوصول للعلة الأولى، أي الواقع المطلق، الله، المترجم.

نظام الطبيعة هو جزء منها. وعلى سبيل المثال، تُعتبر تربية سلالات من الماشية تدخلاً من جانب الإنسان للتحكم في نظام تكاثرها، وبالمثل زراعة القمح في حقل معين تمثل تدخلاً مخططاً من أجل التحكم في بذور كان من الممكن أن تنتشر عشوائياً في هذا الحقل، وعلى نفس القياس تمثل الأدوية والإسعافات الأولية تدخلاً لقوى علاجية تؤخر مسار الانحلال الجسدي الطبيعي أو الإصابة بالمرض.

وكما يستطيع الله أن يتدخل في الطبيعة بفعل استعلاي عن نفسه، كما الحال في ظهوره لإبراهيم، يمكن للإنسان أيضاً أن يتدخل في مسارات الطبيعة؛ فيمكنه أن يضع يده في الماء المناسب ليعيد من نظام انسيابه، ليعود الماء للشكل الذي كان عليه قبلاً بمجرد رفع اليد. وبكلمات أخرى، لا يمكن قبول القوانين الطبيعية التي تحكم مسارات الطبيعة دون شروط مسبقة. على سبيل المثال: يكون قانون الحركة غير صحيح عندما نقول: "تبقى الأجسام المتحركة متحركة، وتبقى الساكنة ساكنة". ولكي يصبح نص القانون صحيحاً نقول: "تبقى الأجسام المتحركة متحركة وتبقى الساكنة ساكنة ما لم تؤثر عليها قوى أخرى تغير من حالتها^(٧)". وربما تكون هذه القوى قوة الرياح أو يداً تؤثر علي مسار حركة الأجسام. ولكل الكائنات الحية الإمكانية بأن تصبح قوة أخرى دخيلة بشكل ما أو بآخر لتوقف أو تغير من نظام الطبيعة. وبالنسبة لموسى، كان للإنسان إمكانيات كامنة شبيهة بالله، كونه مخلوقاً بحسب الصورة الإلهية؛ فهو يعرف كيف يفكر، ويخطط، ومن ثم يمكنه أن يعدل بشكل كبير من مسارات الطبيعة، وبهذا يُخضع الأرض.

وقد كان يعتقد قبلاً أن سبب التغيرات في الطبيعة هو الآلهة أو الإله الحقيقي. أو كم يفسرها علم النفس بتأثير قوى أخرى في الطبيعة، أو بأنها من عمل الإنسان. لكن هناك تدخلات في الطبيعة، لا يمكن أن ننسبها إلا لله وحده، ومن بينها إعلاناته التي يدعمها بالأدلة الدامغة. والحواس البشرية التي تشهد

٧- وبالمثل يكون المبدأ العلمي غير صحيح عند القول: "معدل سرعة سقوط الأجسام نحو الأرض هو ٩,٨ م / ث^٢"، ويصبح المبدأ صحيحاً بالقول: "معدل سرعة سقوط الأجسام نحو الأرض هو ٩,٨ م / ث^٢ ما لم تقاوم هذا السقوط قوى أخرى"، المؤلف.

لنظام الطبيعة هي ذات الحواس التي لا يجب أن نشكك فيها عندما تشهد لتدخلات الله. ولختام الكلام في هذا الجزء نقول، كان للعبرانيين تصور عن الطبيعة أكثر منطقية وأقل آلية من التصور الذي ورثناه عن اليونانيين.

الاختيار وعواقبه

حظي آدم بقدر كبير من الحرية؛ فكان مسموحاً له أن يفعل كل شيء، عدا أن يأكل من شجرة معرفة الخير والشر. كان الإنسان حرّاً في اختيار ما يريد، لكنه لم يكن حرّاً في تحديد عواقب اختياره! لقد ساهم الله والطبيعة، والمجتمع فيما بعد، في تحديد العواقب. كان هذا الأمر حقيقياً في الطبيعة. فالألم لم كان موجوداً في الجنة، إن افترضنا أن للإنسان جسداً يشبه أجسادنا الآن! والألم في القدم أقل من مشكلة عدوى ميكروبية في القدم. فإن كانت هناك شجرة في عدن، في قشر جذعها حامض التنيك، فمن الممكن أن يُصاب آدم بالمرض لو شرب شايّاً بتخمير هذا الجذع. يمكن لآدم أن يضع أو لا يضع يده في الماء أو النار لينال عاقبة ما يختار؛ فلم يكن هو من يحدد العواقب، بل الله. وينطبق نفس الأمر علي دائرة المسؤولية الأخلاقية. لقد أخبر الله الإنسان بما يمكن أن يعمل أو لا يعمل؛ إذ أوصاه ألا يأكل من شجرة واحدة فقط. ويتضمن مفهوم الوصية فكرة الالتزام الأخلاقي، إذ يعلم الكتاب من البداية، أن الإنسان كائن قادر أخلاقياً، ومسئول أخلاقياً أمام الله، وأن الله مصدر هذه الأخلاق، فهي ليست مجرد انعكاس لقيم وأساليب اجتماعية، بها يحفظ المجتمع صلاحه. لقد كان الإنسان حرّاً؛ كان عليه ألا يأكل من تلك الشجرة، لكن من الممكن أن يأكل لو اختار. وهكذا نجد أن للأخلاق علاقة بالاختيار؛ فالأخلاق لا تنشأ بدون حرية اختيار. أما فيما يتعلق بعواقب اختيار الإنسان فقد كانت خارجة عن نطاق سيطرته.

فهم العبرانيون أن كلّ الناس مسئولون أخلاقياً، لأن جميعهم مولودون من آدم وحاملون ختم صورته. ولذا فكل الناس مُمسكون في الخطية عندما يسلكون ضد الحق سواء المعلن من الله أو بناموس موسى، أو في ضمير الإنسان

ذاته، (رو: ١٢-١٦). ويعاني كل الذين يخطئون من عواقب خطاياهم سواء بالطبيعة، كما يقرر الكتاب: "نَائِلِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَزَاءَ ضَلَالِهِمُ الْمُحَقِّ"، (رو: ١: ٢٧)، أو عن طريق المجتمع، كما يؤكد الرسول بولس: "وَالْمَقَاوِمُونَ سَيَأْخُذُونَ لِأَنْفُسِهِمْ دَيْنُونَةً. فَإِنَّ الْحُكَّامَ لَيُسَوُّوا خَوْفًا لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بَلْ لِلشَّرِّيرَةِ .."، (رو: ١٣: ١-٣)، أو في يوم الدينونة الأخير: "فِي الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ يَدِينُ اللَّهُ سَرَائِرَ النَّاسِ حَسَبَ إِنْجِيلِي يَسُوعَ الْمَسِيحِ"، (رو: ١٦). وحين يتكلم الرسول بولس بهذه الطريقة، فإنه يعبر عن المبدأ الموسوي القديم المتعلق بالمسؤولية الأخلاقية البشرية العامة.

امتدت مسؤولية الإنسان على الأقل إلى ثلاثة مجالات؛ أولها مسؤوليته تجاه الله، وهو الأمر المعبر عنه بوجوب حفظ الوصية، ومسؤوليته عن عالمه بشكل كبير، إذ أوصاه الله أن يعمل الجنة ويحفظها. وأخيراً، علي الإنسان مسؤولية أخلاقية تجاه الآخرين من بني جنسه، وإن شكّل ما فعلته حواء عقبة في طريق قيامه بتلك المسؤولية. وقد نالت حواء عواقب فعلتها، فجلبت علي نفسها الهلاك، بسبب الحية التي أوقعت الشك في قلبها من جهة أمانة الله؛ فصارت هي الأخرى في نظر الله والإنسان في الدرك الأدنى، ترحف علي البطن، وتأكل تراب الأرض، فكل من يقود آخر إلى الضلال، بحسب الفلسفة العبرية لموسى، مسئول أخلاقياً عن فعلته.

وإزاء هذه المعايير السامية، كان مفهوم اليونانيين عن المسؤولية الأخلاقية ضعيفاً، إذ كان سلوك الإنسان محدداً مقدراً؛ يسلك بما تمليه عليه الطبيعة أو أفضل ما فيها، أو بحسب ما تقرره له الآلهة من مصير وقدر. ولذلك امتلك اليونانيون العبيد، ومارسوا الشذوذ الجنسي، وقدموا أطفالهم الرضع ذبائح، ملقين اللوم في موتهم على الآلهة، كما فعلوا ما كانت تمارسه الحيوانات، في إتباعهم سياسة البقاء للأصلح. وفي عالم آلي وقدري كهذا، لم يكن الاحتياج ملجأً لمناقشة الأخلاق، فالمرء يريد ما قدر له أن يريد.

أفكار عن الله

كانت أفكار اليهود واليونانيين عن الله متعارضة جداً. كان عامة اليونانيين متدينين، لديهم نظام كبير للآلهة، تُصنّف فيه لآلهة عليا ودنيا، إلي جانب أساطيرهم التي تفسر فصول السنة الأربعة، أما اليهود فكانوا يعبدون الإله الواحد. كانت آلهة اليونان تشبه اليونانيين أنفسهم، خليطاً من الشر والخير، لها فضائل وورذائل. كما نسبوا لها أسباب كل شيء، ومنحوا لأوثانها مكاناً مكرماً وسط عائلاتهم.

ولكن بالنسبة للفلاسفة، لم يكن الوثن في حد ذاته يمثل إلهاً على الإطلاق، بل كان فكرةً عن هذا الإله مثل الحب أو الأمل، أو الشرف الشخصي، أو الصداقة الدائمة، وما شابه ذلك. إن اليونانيين في افتقارهم للإعلان الإلهي، بذلوا أقصى ما في وسعهم، فلم يحققوا شيئاً سوى أنهم صنعوا آلهتهم علي صورتهم. أما العبرانيون، فلم يُسَمَح لهم بعمل أية صورة لله، إذ كانت صورة الله الوحيدة عندهم هي .. الإنسان!!

وبينما اختلف اليونانيون جذرياً عن العبرانيين في أمور كثيرة، إلا أن أكثرها اختلافاً وتناقضاً هو ما يتعلق بالسيادة الإلهية واستخدامها. كانت السيادة عند اليونانيين أعظم الصفات الإلهية. لقد عَشَقُوا السيادة، وتاقوا إليها، وعبروا عن هذا العشق في آلهتهم؛ التي تصبح سيادتها على الكون سيادة مطلقة عندما تمارس بإرادتها كل من الشر والخير^(٨). كانت السيادة بالنسبة لليونانيين أكثر أهمية من الأخلاق؛ لأن خضوع أي إله لنظام أخلاقي معين، يجعله أقل شأنًا من ذلك النظام، بل وأقل شأنًا من واضعه.

تقييد الله للسيادة

حين أخرج موسى النبي سفر التكوين إلي النور ليقراء الناس؛ تحدى أفكار فلاسفة اليونان الأساسية فيما يتعلق بالله وعلاقته بالطبيعة، ونظامها، كما أظهر لهم أين يكمن مجد الله الحقيقي وسلطانه؛ فعندما صنع الله الطبيعة حد من

٨- وهو نفس الفكر الذي اقترحتة الحية علي حواء: بأن تكون هي وزوجها كالله عارفين الخير والشر. والتعبير "عارفين" بالنسبة للعبرانيين يعني الاشتراك الحميم والنشط في أمر ما، المؤلف

سيادته، إذ التزم وارتضى بعدم التدخل فيها، تاركاً إياها تتحرك وفق مسارها. بالتأكيد، كان هذا التقييد من جانب الله تقييداً إرادياً، لكن لم يقف الأمر عند هذا الحد، بل شكّلت الطبيعة ذاتها قيداً على أعمال الله المستقبلية؛ فطالما سمح الله للطبيعة بالتواجد، توجب عليه أن يفسح المجال لها.

وعندما خلق الله الإنسان بروح، وفكر، وشعور، وإرادة، حدّ الله من سيادته بشكل كبير. كما أثار دهشة السماء حين منحه إرادة حرة، وضعت عليه قيداً، إذ سمحت للإنسان بأن يختار ما هو ضد إرادة الله الثابتة. ولطالما وُجد الإنسان، كان على الله أن يرتّب لوجوده أيضاً. ولم يحقق الإنسان إرادة الله عندما أكل من الثمرة، وعدم تحقيق إرادة كائن ما، هو بكل يقين تقييد له. وبالطبع لا يتعثر من هذا الكلام إلا القارئ الذي يؤمن كاليونانيين أن السيادة هي أعظم صفات الله.

كما حدّ الله من سيادته بشكل أكبر بتواصله مع الإنسان عن طريق اللغة. علّم الله آدم اللغة، فتحدثا معاً بكلمات. ومن المؤكّد، أن حديثهما كان بصوت عالٍ ومسموع، إذ كان آدم إنساناً مثلنا! ويمكننا التخمين بأنهما ابتكرا مفردات جديدة عندما قاما بتسمية الحيوانات معاً. كانت اللغة نوعاً من العهد، إذ لا بد أن نتفق كلنا على أن كلمة ما معينة تعني ما نتكلم عنه، فلا يمكن لاثنتين أن يكون بينهما حوار إن لم تنقل معاني الكلمات ما يقبله كلاهما. أما إذ مارس أحدهما نوعاً من السيادة، وأعاد تعريف كل مفردات الحوار ثم نسى الأصل، فلن يتحقق بينهما أي تواصل فيما بعد. إن روح الله يتواصل معنا من خلال الكلمات، وهذا هو المصدر الأصيل للاهوت الفكر العبري عن كلمة الله، فما يتكلم به الله هو ما يقوله روحه. ولذا، كان على الله أن يجد من إعلانه عن نفسه في جمل بشرية، وأن يلتزم بنظام القواعد الصحيحة في استخدام الأفعال اللغوية. فهل يكون التزامه هذا ضعفاً كما يظن فلاسفة اليونان، أم هو العظمة والمجد اللائقان به؟!؟

وأخيراً، قيد الله نفسه بأعظم القيود بدخوله في العهد مع الإنسان. فقد وضع علي نفسه التزامات لفترات طويلة. كما حثّمت عليه أمانته، "حيسد"،

أن يتم ما التزم به، ولا يمكن لله أن يفعل إلا ما يتعهد به، لأنه لا يقدر أن ينكر نفسه، (٢ تيم ٢: ١٣). لأنه عندما يقطع المرء وعداً علي نفسه فإنه يستبعد من حساباته أعمالاً مستقبلية كثيرة. فلنكي يتم الله ما وعد به، أصبح ملتزماً بسلسلة كاملة من الأفعال، وقد أجبرته أخلاقه بأن يتم ما وعد به. كما تحدّد اختياره في أن يبارك أو لا يبارك العالم بسبب العهد، إذ لم يصبح أمامه أي خيار آخر سوى أن يبارك العالم من خلال نسل إبراهيم. ولهذا، كان العهد في حد ذاته تقييداً. وعندما يفكر المرء في هذا الأمر، يبدو له كما لو أن الله قد اعتاد علي تقييد سيادته. كما يبدو أن الله يريدنا أن ندرك هذا الفكر: إن تقييد السيادة صفة للشخصية أعظم من السيادة ذاتها.

تقييد القدرة: خطية أم بر

كانت على آدم قيود في الجنة، إذا ارتضى أن يحيا في إطارها، ضمن التمتع بالحياة مع الله. ولكن عندما مارس قدرته علي اختيار المعرفة الذاتية المستقلة عن الله، سقط عن هذه الحياة. وهكذا يمثل مفهوم الخطية عند العبرانيين في ممارسة القدرة دون قيود. وعلى سبيل المثال، فإن التكلم بالصدق أو بالكذب، هو ممارسة حرة للقدرة الكلامية؛ فعندما يقتصر الكلام على الحق فقط فهذا تقييد للقدرة علي الكلام، كذلك التحرر الجنسي خطية، أما تقييد الجنس، وقصره على الزواج بر، وبالمثل السرقة، فهي أيضاً استعمال حر للقدرة علي امتلاك الأشياء، أما اقتناؤها وفقاً لقانون الملكية هو بر. ومن الصعب أن نفكر في أية خطية مذكورة في العهدين القديم أو الجديد دون أن تتضمن استعمالاً مفرطاً للقدرة، وفي نفس الوقت، ليس من السهل أن تجد ما يعتبره الناس برّاً دون أن يتطلب من المرء تقييداً كاملاً لقدراته بشكل أو آخر.

الإفناع والبرمجة

بدأ الله في إصلاح العلاقة الممزقة بسبب الرفض المتعمّد لكلمته، ومن ثم الرفض لطبيعته ذاتها. بالطبع، لم يختر آدم علاقته مع الله، لكنه ولد فيها، إذ كان قدره أن يُخلق. لكن لم يكن له سوى خطأ واحد وهو أنه اختار بإرادته

الحرّة ألا يستمرّ في هذه العلاقة. ومن وقتها وحتى الآن، قرر الله ألا تكون له علاقة إلا مع طالبيها. كان الله كريماً سخياً، فإن لم يرد الإنسان أن تكون له شركة معه، لن يجبره الله على ذلك، مع أن الإنسان قد يعاني فيما بعد الانفصال الأبدي عن محضر الله، (٢: ١ : ٩).

كان العهد مع إبراهيم منسجماً مع طبيعة الله وظروف البشرية، فمن خلاله قدّم الله في نعمته ورأفته المصالحة للإنسان، فما عليه إلا أن يقبل، لأن العهد كان هو الحل. وفي كل معاملات الله مع البشرية نجد أن للإنسان دوراً، والله دوراً. وإن كان دور الله، المدفوع بإرادته الصالحة هو الأعظم بما لا يقاس، إلا أن الإنسان عليه أن يمسك بيد الله، مفكراً بعقله، ومقرّراً بإرادته، ومحرّكاً لجسده ليدخل معه في العهد، فالله لا يبرمج إنساناً ليقول له "أحبك يا رب"، بل يرغب في إقناع الإنسان بمراحمه، وتحذيره بإعلاناته، مستخدماً التاريخ، والإعلان الذاتي، والكلمات للوصول إليه. والأكثر من ذلك، استخدم الله الوساطة، إذ يقف العهد بينه وبين البشرية ليربط معاً الذين يقبلون بشروطه، مستبعداً كل الراضين له. ومن هذا المنطلق، يستلزم الإقناع قوة أكبر من البرمجة، وذلك من أجل المصالحة مع كائنات حرة. لقد قبل الله أن يخاطر بشكل كبير عندما خلق الإنسان بإرادة حرة، بل يمكن القول بأنه خاطر بشكل أكبر عندما قرر أن يملأ الأرض بكائنات مقتدرة قد تنقلب عليه يوماً ما. وبقيناً، كان من الممكن أن تزول هذه المخاطر لو خلق الله إنساناً مبرمجاً للطاعة فقط.

الإنسان

بالنسبة للعبرانيين، لم يكن ممكناً مناقشة شخص الله بمعزل عن الإنسان، فقد اختبروا الله في علاقته معهم، وليس من خلال تخمينات فلسفية. وإن كنا قد تكلمنا قليلاً عن الإنسان تحت عنوان "أفكار عن الله"، من المفيد أن نقضي وقتاً أكبر لمناقشة آراء كل من العبرانيين واليونانيين المتعارضة عن الإنسان أيضاً. كانت لليونانيين نظرة متدنية عن الإنسان، فبحسب اعتقادهم، جاء الإنسان من الشر، وطالما أنه ساكن في الجسد فهو مقيد بأن يكون شريراً إلى أبعد حد.

وقد عبّرت أساطيرهم عن هذا الفكر، إذ نقرأ في أسطورة دلفي، *Delphi* myth، أن الإغريق استعاثوا بالإله زيوس، *Zeus*، في الحرب مع تيتان، *Titan*، الشرير، الذي طُرِح للأرض محترقاً بالبرق، ليخرج من رماده الإنسان.

أما أفلاطون، فقد صوّر الإنسان بحسب جسده؛ فكانت الرأس هي "العقل، *Nous*"، والصدر هو الروح أو الشجاعة، في حين مثّلت البطن الشهوة أو اللذة. استعمل أفلاطون وغالبية أتباعه، كلمة "العقل، *Nous*"، للإشارة إلى الله. كان العقل عندهم يمثل قوة الحياة الأزلية. كان المضمون واضحاً فالإنسان عقله مثل الله أما جسده شرير منغمس في الملذات الحسية مثل تيتان. وتمثّل هذه النظرة الأساس الفلسفي للفكر الثنائي الوثني، *Pagan Dualism*، الذي ميز التفكير اليوناني. وبحسب هذا الفكر فإن ما يجب علي الإنسان القيام به هو أن يحرر نفسه من قيود الجسد الذي تقبع فيه الروح مقيدة كسجين في زنزانه^(٩). وصَفَ بلوتارك، *Plutarch*، في كتاب، "تعزيات لزوجة" الطبيعة الثنائية للإنسان بقوله إن الروح المحبوسة في الجسد هي كالطائر في القفص، فهي تحاول مثله الهرب، لكنها ضعيفة، بلا حياة..^(١٠).

انشغلت الكنيسة القديمة بشكل كبير بهذه الثنائية. كما تبنّى الغنوسيون نفس هذه النظرة فيما بعد؛ فنادوا بأن الجسد شرير، بينما الروح صالح. وإن كان ليس من العدل المطابقة بين أفلاطون والغنوسية، خاصة عندما نعلم أنه أجرى تعديلاً فلسفياً كبيراً في كتاباته الأخيرة^(١١)، إلا أن الفهم الشائع عن أفلاطون، يجعل أغلب العلماء يتفقون مع "لاد، *Ladd*"، بأن "الثنائية الأفلاطونية تشبه تقريباً الثنائية الغنوسية"^(١٢) التي فيها يشبه الإنسان قائد مركبة يجرها حصانان يسيران في اتجاهين متعاكسين عبر السماوات: يجاهد أحدهما ليطيّر إلى أسفل، نحو المحدود، للأسر والهلاك، بينما يتطلع الآخر إلى التحليق لأعلى، الذي كان يمثل عند أفلاطون المطلق أو الجوهر عديم اللون أو الشكل، أي الواقع الحقيقي

9- Phaedrus 250C, Phaedo 66B, Republic 517B, Cratylus 400C, Gorgias 493a.

10- Plutarch, *Consolations* 611E.

11- Leonard J. Eslick, op. cit. , 191.

12- Goerge Eldoon Ladd, *The Pattern of New Testament Truth*, Grand Rapids: Eerdmans, 1968, pp. 13, 14.

للوجود غير الملموس الذي تختص به كل صنوف المعرفة^(١٣). أما الأسفل "فهو اتجاه يكمن فيه الشر، يجذب الإنسان إلى الأرض، ليقود النفس حتمًا إلى الصراع والتعب"^(١٤). ويذكر أفلاطون أربع عبارات يمكننا أن ندرك من خلالها نظرتة المتدنية عن الإنسان:

- الجسد عدو للروح، وكتلة من الشر^(١٥).
- الجسد سجن الروح^(١٦).
- الجسد يعيق الروح في سعيها وراء المعرفة، وحياة التأمل والتجريد^(١٧).
- من الضروري أن يكون تعامل العقل مع الجسد في أضيق الحدود^(١٨).

بالنسبة للغنوسيين الذين شدّدوا علي الفكر الثنائي الوثني، كانت المادة شرًا، كما اعتبروا الجسد في حد ذاته شرًا. وعندما حاولوا التوفيق بين أفكارهم والأفكار المسيحية والعبرية، رأوا المسيح كفادٍ، أي كشعاع نور من الله ليظهر للإنسان الطريق إلى السماء. أما الخلاص بالنسبة لهم فهو انعدام للشخصية، ويتحقق بالهروب من الجسد للذوبان في العقل اللاهوائي للإله الواحد*. أمّا الأخلاق عند الغنوسيين فقد اتخذت اتجاهين مختلفين تمامًا. نادى بعضهم بأنهم قد تحرروا من الجسد بإيمانهم أن الجسد مات مع المسيح. كما ظنوا أنه طالما كان للإنسان فكر نقي وإرادة تسعى لفعل الصلاح، فليس للخطايا التي يرتكبها بجسده أية عواقب حقيقية عليه، لأنها مجرد فعل الجسد التعيس، الذي يخطئ كما تخطئ سائر الأجساد. وقد قاوم الرسول يوحنا هذا الفكر بشدة في (١ يوا): ٨-١٠). أما البعض الآخر فنادى بأنه إن كان الجسد شريرًا، فلا بد من إمانته، فأذلوا أجسادهم وحرموها من احتياجاتها الطبيعية كالطعام والمأوى. وقد قاوم الرسول بولس هذا الرأي أيضًا في، (كو ٢: ١٦-٢٣).

13- Phaedrus 247C.

14- Phaedrus 247C.

15- Phaedo 66B.

16- Phaedo 82B.

17- Phaedo 66.

18- Phaedo 65B.

النظرة العبرية للإنسان

كانت الشراكة مع الله هي الهدف من خلقة الإنسان علي صورته، فالإنسان تعبير الله ذاته، وتاج الخليفة وأفضل ما فيها. وبحسب الفكر العبري لم يمتلك الإنسان نَفْسًا، بل كان نَفْسًا حية، الأمر الذي يقرره الكتاب صراحة: "وَجَبَلَ الرَّبُّ إِلَهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الْأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً." (تك ٢: ٧، مع إش ٤٢: ٥). كانت الروح أو النفخة هي الحياة، والحركة، والقوة القادرة علي إحداث فرق علي الأرض. رأي العبرانيون أن الإنسان كل متكامل، يتحد فيه العقل والجسد معًا بطريقة يستحيل معها التمييز. وتأتي لفظة "نفس" بالعبرية "נֶפֶשׁ *Nephesh or Nepes*"، وهي ذات الكلمة المستخدمة في (مز ٦٩: ١)، وهي النسمة، *breath*، في (تك ٣٥: ١٨)، والحياة في (تك ٩: ٤؛ لا ١٧: ١١). وتعبر "نفس" في كل هذه النصوص عن كيان فردي حي. استخدم العبرانيون أيضًا لفظة "نفخة أو نسمة *N'sama*" للتعبير عن عقل الإنسان، (أي ٣٢: ٨)، فالنسمة هي برهان الحياة وقوتها؛ وبخروجها يموت الإنسان، (مز ١٠٤: ٢٩).

أما اللفظة العبرية "רוּחַ *Ruah*" فتعني "روحًا"، وهي مرادف للنفس أو النفخة، كما أنها اللفظ الأكثر استعمالاً لوصف طبيعة أخلاق الإنسان. ويستعمل العبرانيون لفظة "לֵב، *Leb*"، التي تعني "قلبًا" بالتوازي المترادف مع لفظة "روح". وقد يكون الإنسان بالروح أو بالقلب أمينًا، منكسرًا، حزينًا، مجروحًا، مغتاظًا، متكبرًا، زانيًا، أو مقاومًا لله. وهكذا ينظر الفكر العبري بشكل أساسي للإنسان بحسب الشواهد الكتابية علي أنه كل متكامل، أو وحدة واحدة.

أما اللفظة العبرية "בָּסָר *Basar*" فتعني "جسدًا". لم يعتقد العبرانيون أبدًا أن الجسد شرير، وإن أقروا بأنه ضعيف، فشتان بين حياة الإنسان في الجسد وحياته الأبدية مع الله كما كانت له قبل السقوط. لم يتبن العبرانيون أيضًا ثنائية الخير والشر التي اعتقد بها اليونانيون؛ فالإنسان يعمل بجسده وروحه معًا، فعندما تضعف الروح يتألم الجسد، وعندما تبتهج الروح يطمئن الجسد، (مز ١٦: ٩).

أما اللفظة "شيئول، Sheol" فتعني انفصال الإنسان عن أصل حياته. ولم يعن تعبير "هالك الروح" بالنسبة للعبرانيين فناءها، بقدر ما هو شيء رديء؛ فالموت "وجودٌ كثيبٌ موحش بلا معنى، هو انفصال عن الأحياء وانقطاع عن الوجود في محضر الرب يهوه^(١٩)". لقد آمن العبرانيون بخلاف اليونانيين، أن حياة الإنسان كانت طبيعة أساسية كشبه الله. ويمكن للإنسان بروحه وجسده، أن يكون معاً إنساناً صالحاً أو شريراً، فلم يكن شيء ما في الإنسان شريراً في حد ذاته عدا انفصاله ككل عن الرب يهوه. في الواقع، إن العبرانيين في تصورهم عن الإنسان كوحدة واحدة تبنا وجهة النظر الوحيدة التي تنسجم مع مفهوم العهد.

الإرادة الحرة والفساد

عندما تبني الناس مفهوم سيادة الله المطلقة بدون خاصية تقييدها من أجل الشرعة، صار الله هو المسئول عن كل شيء. كانت لدى اليونانيين مشكلة فلسفية عن الشر الموجود في الإنسان؛ فبالنسبة لهم إن كان الله كلي القدرة، فلا بد من أنه مصدر الشر البشري أيضاً. وقد رأى البعض في سقوط آدم فرصة لأن يغيروا من نظرة اليونانيين المتدنية عن الإنسان بتبني وجهة النظر العبرية المتسامية عنه. لكن البعض الآخر أراد أن يبرر الفكر اليوناني زاعماً بأن البشرية أصبحت شريرة بعد سقوط آدم كما اعتقد اليونانيون علي الدوام، وهو ما عُرف فيما بعد باسم "الفساد الكلي". وبحسب هذا الاعتقاد، صار الإنسان فاسداً كما كان مقدراً له بأن يكون. وقد تبني مارتن لوتر هذا الفكر، وعلي سبيل المثال، إليك عزيزي القارئ ما كتبه عن الفساد الكلي في أيامه الأولى: "وإذ قد فسدت طبيعة الإنسان تماماً بالخطية الأصلية ولُعنت داخلياً وخارجياً، نفساً وجسداً، حتى أنها تهرب من الله لشعورها بخطيئتها حقاً، فماذا يبقى للإنسان من قوة وإرادة حرة؟ .. فلم تفسد القوى الروحية فقط بل دُمِرت بالكامل في البشر والشياطين، ولم يتبق شيء إلا عقل فاسد وإرادة معادية

19- Alan R. Richardson, *A Theological Wordbook of the Bible*, New York: Macmillan Co., 195

مقاومة لله، في كل فكر واتجاه... (٢٠)".

إن نظرة مثل هذه لا تمثل أبداً الفكر العبري عن الإنسان بل تعكس الفكر الوثني اليوناني. وعلى كل، بالنسبة لآدم إما أن تكون قد فسدت كل قواه الفكرية والإرادية تماماً أو لم تفسد، لكن النص لم يقرر ذلك بوضوح وإن صرّح بأن آدم شعر بالخزي، وأنه اختبأ، وأنه تألم من جراء خسارة الوجود في عدن، وأنه يجب أن يعمل بعرق جبينه، وأن حواء ستألم في الولادة، وأنها يجب أن تخضع وتخدم رجلها. ومع كل ذلك لم يُذكر بالنص أي شيء عن الفساد الكلي.

تفترض النصوص الكتابية أن الله تعامل مع الإنسان قبل وبعد الخطية، باعتباره كائنًا مسئولاً مسؤولاً أخلاقية أمامه، وأن لديه القوى الإرادية، والعاطفية، والعقلية الكاملة، على سبيل المثال لا الحصر، قال الله لقائين: "لَمَآذَا اغْتُظِّتَ؟ .. إِنْ أَحْسَنْتَ أَفْلاً رَفَعُ؟ وَإِنْ لَمْ تُحْسِنْ فَعِنْدَ الْبَابِ خَطِيئَةٌ رَابِضَةٌ، وَإِلَيْكَ اسْتِيَاقُهَا، *it wants to rule you*، وَأَنْتَ تَسُودُ عَلَيْهَا، *but must master it*"، (تك ٤: ٦-٧). ويفترض النبي موسى بأن بني إسرائيل لديهم القدرة العقلية، وحرية الإرادة في أن يقبلوا أو يرفضوا العهد: "انْظُرْ. قَدْ جَعَلْتُ الْيَوْمَ قُدَامَكَ الْحَيَاةَ وَالْخَيْرَ، وَالْمَوْتَ وَالشَّرَّ .. قَدْ جَعَلْتُ قُدَامَكَ .. الْبَرَكَاتِ وَاللَعْنَةَ. فَاخْتَرِ الْحَيَاةَ لَكِي تَحْيَا أَنْتَ وَنَسْلُكَ، إِذْ تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ .. لِأَنَّهُ هُوَ حَيَاتُكَ .." (تث ٣٠: ١٥-٢٠). ويشجع يشوع الشعب على اختيار ما يقود إلى الحياة والسلام: "وَإِنْ سَاءَ فِي أَعْيُنِكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا الرَّبَّ، فَاخْتَارُوا لِأَنْفُسِكُمْ الْيَوْمَ مَنْ تَعْبُدُونَ، إِنْ كَانَ الْآلِهَةُ الَّذِينَ عَبَدَهُمْ آبَاؤُكُمْ .. وَأَمَّا أَنَا وَبَنِيَّ فَنَعْبُدُ الرَّبَّ"، (يش ٢٤: ١٥). ويؤكد إشعياء النبي بأن الإنسان كائن يمكن مناقشته بما له من قدرة عقلية، وذلك عندما خاطب شعبه عن فم الرب: "هَلُمَّ تَتَحَاجَّجْ، يَقُولُ الرَّبُّ. إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْقِرْمِزِ تَبْيِضُ كَالثَلْجِ .."، (إش ١: ١٨). كما أن للعبرانيين سناً للمسائلة القانونية، (إش ٧: ١٤-١٦). وقد أظهر إيليا نفس الشيء، وهو يدعو الشعب لاختيار يهوذا وليس البعل،

".. حَتَّى مَتَى تَعْرُجُونَ بَيْنَ الْفِرْقَتَيْنِ؟ إِنْ كَانَ الرَّبُّ هُوَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوهُ، وَإِنْ كَانَ الْبَعْلُ فَاتَّبِعُوهُ .."، (١مل ١٨: ٢١).

ساد الاعتقاد العبري بأن الإنسان كائن مسئول، فترة ما بين العهدين أيضاً، وذلك بحسب ما ورد في حكمة يشوع بن سيراخ: "هو صنع الإنسان في البدء وتركه يستشير نفسه، فإن شئت حفظت الوصايا وأتممت ما يرضيه بأمانة. وَضَعَ أَمَامَكَ النَّارَ وَالْمَاءَ فَتَمَدَّ يَدُكَ إِلَى مَا شِئْتَ. الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ أَمَامَ النَّاسِ فَمَا أَحْجَبَهُمْ يُعْطَى لَهُمْ. إِنْ حَكَمَ الرَّبُّ عَظِيمَةً وَهُوَ يَرَى كُلَّ شَيْءٍ"، (حك ١٥: ١٤-١٨). وقد أشار الرب نفسه إلى الفكر العبري الأساسي عندما بكى على أورشليم قائلاً: ".. كَمْ مَرَّةً أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلَادَكَ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاحَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا!!"، (مت ٢٣: ٣٧). كما أظهر الرب السبب الأساسي في رفض الناس للإيمان به، عند قوله: "كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تُؤْمِنُوا وَأَنْتُمْ تَقْبَلُونَ مَجْدًا بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَالْمَجْدُ الَّذِي مِنْ إِلَهِ الْوَاحِدِ لَسْتُمْ تَطْلُبُونَهُ؟"، (يو ٥: ٤٤). ويعكس كلام المسيح ما ورد علي لسان إرميا النبي: ".. ارْجِعُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَنْ طَرِيقِهِ الرَّدِيِّءِ .. فَقَالُوا، بَاطِلٌ! لَأَنْتَا نَسْعَى وَرَاءَ أَفْكَارِنَا، وَكُلُّ وَاحِدٍ يَعْمَلُ حَسَبَ عِنَادِ قَلْبِهِ الرَّدِيِّءِ"، (إرميا ١٨: ١١-١٢). وهكذا، تظهر لنا كل هذه الأمثلة الفطرة السليمة، كما ترىنا أن الشخص العبري كان فيلسوفاً بالبدية، لأن العهد عند العبرانيين يفترض مسبقاً سيادة الله وحرية الإرادة لدى الإنسان.

الكلمات العبرية للإرادة الحرة

هناك خمس كلمات رئيسية استخدمها العبرانيون للإشارة إلى القيام بالاختيارات. وهي نفس الكلمات التي تنطبق على قدرة الله في الاختيار وصنع القرار بحسب الأهداف والضغوط والمفاضلات.

١- آفا، *Avah*، *אָוַח*: تعني "الميل الإرادي" بحسب المعاجم العبرانية. وتمت ترجمتهما لليونانية إلى "بولوميه، *βούλομαι*" و"تيلو، *θέλω*": ".. فَلَمْ يَشَأْ *אָוַח*، أَنْ يُطْلَقَهُمْ"، (خر ١٠: ٢٧) أي لم يكن لديه ميل إلى، (تث ١: ١٠؛ إش ١: ١٩).

٢- حَافِيس، *Hafes*، חָפִיץ: وتمت ترجمتها بمعنى "يُسَرُّ بـ" أو "يفضِّل" أو "يختار" أو "يريد" أو "يكون راغباً أن"، في أماكن مختلفة ويمكن أن تستخدم بشكل سلمي كالقول: "לֹם יִשָּׂא חָפִיץ" في (رأ ٣١: ١٣؛ مع أم ٢١: ٤١؛ ٣١: ١٣؛ إش ٤٢: ٢١؛ صم ٢٠: ١١؛ صم ١٥: ٢٢).

٣- رَاصُون، *Ratson*، רָצוֹן: وقد تمت ترجمة المشتقات منها إلى "إرادة"، و"مشيئة"، و"مرضاة"، و"رضى" مثل القول: "חֲסַבְתִּי רָצוֹנָם" (نح ٩: ٢٤؛ مع مز ٤٠: ٨؛ دا ٨: ٤؛ مز ١٤٣: ١٠).

٤- نَادَاث، *Nadav*، נָדָב: بمعنى منتدب، إرادة كما في (مز ٥٤: ٦؛ مز ١١٠: ٣؛ ٢ كوا ٨: ١١).

٥- يَأَل، *Ya'al*، יָאֵל: وقد ترجمت إلى الكلمات "ارتضى"، و"شرع"، و"عزم" كالقول: "لֹאֲנֵה אֲרַצְנִי הָיִי" (هو ٥: ١١؛ مع تك ١٨: ٢٧؛ قض ١٧: ١١؛ صم ١٧: ٣٩).

إن النتيجة المؤكدة، من حيث أن الإنسان كائن مسئول، هي أنه يمتلك قدرة كافية علي أن يختار الخير ويرفض الشر، أما عبوديته، إن كانت هناك عبودية، فتتمثل في وجود الإنسان في برائن جيل شرير ومجتمع يسوده أشرار يعلمونه أن يجب الظلم ويختار ما هو ضد خيره. وهو بالطبع نوع من الفساد، وإن كان غير موروث.

إن عقيدة الفساد الكلي وسيلة مصطنعة، وغير ضرورية للدفاع عن مجد الله. ومع هذا قد شاب الفساد علاقة الإنسان مع الله، وذلك بتخلي آدم عن شركته مع الله سعياً وراء السيادة، تاركاً تقواه من أجل التعبير غير المنضبط عن ذاته. ومع الوقت، بدأت تفسد قدرات الصورة الإلهية فيه بسبب الاعتیاد على إساءة استعمالها. وبالتعود على ذلك، تقسّت إرادته بالميل للشر، واستخدم ذهنه في تبرير الخطأ بدلاً من الحكم عليه. وما أن يتراكم الشر بواسطة العادة ويتعزز بواسطة المجتمع الذي يرى الشر خيراً، ويكافئ الخطيئة بالتأييد والتهليل، لا يجد الإنسان في نفسه إلا كائنًا سجينًا ضائعاً، لا يمكن أن

يخلصه إلا التدخل الإلهي وحده. إن الاعتقاد بالفساد الوراثي أمر غير مؤكّد في كل من العهدين القديم أو الجديد، كما تخلو الأسفار المقدسة من تعبير، "الفساد الكلي للإنسان"، بل قد يفترض المرء أن المفهوم ذاته الذي يحمله هذا التعبير غائب من كلمة الله. لأن هذا الفكر الفلسفي المتدني عن الإنسان لم يخرج من أورشليم بل من أثينا!

وعقيدة الفساد الكلي مترسّخة بقوة في بعض تيارات اللاهوت الإنجيلي. قال، ه. ج. لوالد *H. J. Lwald*، .. "يُثبّت أو يسقط اللاهوت الإنجيلي بعقيدة الإرادة المقيدة"^(٢١). "وقد صرّح، ب. ب. ورفيلد، *B.B. Warfield*، أن عقيدة الفساد الكلي هي الحق الرئيسي الذي طوّره عصر الإصلاح البروتستانتي. ويقرر باكر، *Packer*: "إن مسألة الفساد الكلي هي العقيدة الأصلية في الإصلاح، ومصدر اللاهوت المصلّح .. وهي .. بالمعنى الحقيقي البيان الأساسي الرسمي للإصلاح"^(٢٢).

كان الأسلوب اليوناني النموذجي المتبع للوصول للحقيقة يتمثل في السعي وراء افتراض فلسفي مسبق بغرض الوصول لنهايته المنطقية. في المقابل، كانت رؤية العبرانيين تركز على الهدف الذي يمثل جوهر الأمور وقلبها، فلا أهمية لأمر إن لم يكن مرتبطاً بهذا الهدف. ويعكس تعريف الخطية كإخفاق عن الهدف هذا التصور. لقد فكّر العبرانيون بشكل تصويري، بينما مال اليونانيون للتحليل. ومن العجيب أن المسيح علّم باستخدام الطريقة العبرية في التفكير؛ بالأمثال والنماذج التوضيحية. وبحسب الفكر العبري، كلما ابتعد المرء أكثر عن الشركة مع الله كلما أصبح أكثر فساداً. أما بالنسبة للاهوتيين ذوي النمط اليوناني ثنائي التفكير، كان الروح دائماً صالحاً، في حين أن الجسد ناقل ومورث للفساد. كان التفكير العبري واقعياً أصيلاً بالفطرة، ولم يول أي انتباه لمثل هذه الاهتمامات الفلسفية اليونانية.

تجربنا الفطرة السليمة جميعاً إلى الاعتراف بأن لدينا القدرة على أن نختار

21- J. I Packer. OP. cit., P 58

22-J. I Packer and O. R. Johnson, in *the Bondage of the will*, by Luther, n.d., Westwood, N.J.: Revel, P. 41.

بين أنواع من الخير والشر ندركها تمامًا؛ فلا يمكن أن نشكك في حتمية استجابتنا للمؤثرات. ولا تعتمد الطريقة التي نستجيب بها لهذه المؤثرات علي قوانيننا وأعرافنا الاجتماعية فقط، بل على أهدافنا الخاصة أيضًا. كما يمكن تخفيف تأثيرها العاطفي أو تقويته تبعًا لما نريده ونرغب فيه. وعلي الدوام، ليس ما نرغب فيه هو ما يعلمنا المجتمع أن نتطلع إليه. فإن اجتزنا في خبرات تعيسة، نُعلمنا الفطرة أن تكرر أفعالها حماقة. وعندما يغير المرء من طريقة تفكيره، تتغير أهدافه وطرق استجابته للمؤثرات.

وعلى أي حال، يعتبرُ الله الإنسانَ مسئولاً عن استجاباته وفقًا للبرهان العقلي. وما تقدّم الله للإنسان عهدًا إلا دليل علي اعتبار الله له بأنه قادر وبشكل كافٍ علي الاستجابة له بعمله رضاه. مما يعني أن التسليم بفساد الإنسان أو عدمه لا علاقة له بقدرته علي التجاوب مع ما يمكن أن يقدمه الله له. ويقول الكتاب عن إبراهيم، " .. آمَنَ، إبراهيم، بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بَرًّا"، (تك ١٥ : ٦)؛ فإن كان الله مستعدًا أن يحسب استجابة أمينة من نحو كلمته، لإنسان مثل إبراهيم، برًّا فهذا يعني أن مسألة الفساد، سواء كانت حقًا أم لا، ليست لها علاقة بقدره الإنسان علي الاختيار والتجاوب:

الفكر اليوناني	الفكر العبري
الله فكرة مجردة. والسيادة الإلهية أعظم وأفضل تعبير عن الله.	الله روح يفكر، ويشعر، ويريد. يظهر مجده في تقييده لسيادته.
الإنسان جاء من رماد الإله تيتان الشرير، ولذا يميل إلى الشر؛ فهو من المادة، والمادة شر.	خلق الله الإنسان على صورته، لذا يمكنه أن يفكر ويشعر ويريد، ويصنع الخير أو الشر.
المادة شريرة وجامدة بينما الروح فكرة أو نور. وكلما زادت كثافة المادة زاد الشر.	خلق الله المادة كجزء من نظام قال عنه أنه صالح لكن يمكن استخدامها للخير أو الشر.
تشبه الطبيعة آله تتداخل أجزاءها معًا. كل شيء في الطبيعة مقدر الحدوث بأشياء وعلل أخرى، وإرادة الإنسان رهينة لأقدار الطبيعة.	للطبيعة نظامهما المشروط. ليس على الإنسان أن يكون عبدا لها بل سيد عليها؛ فكل من الطبيعة والإنسان يستجيب للمؤثرات، وإن كان للإنسان قدرة على توجيه استجاباته.
تعني الخطيئة الإخفاق في طلب الحكمة أو المبدأ أو القوانين الضابطة للطبيعة والناس.	تعني الخطيئة خرقاً لشركة العهد مع الله أو عصياناً لكلمته أو القيام بما يساند هذا التعدي.
الخلاص هو انعدام وجود الإنسان المادي، للدخول في عالم الخلود غير المادي.	الخلاص هو مصالحة مع الله فيها يحيا الإنسان مغفور الخطايا.
الدين يحدد من يسود، وعلي ماذا يسود، وبعدها يمارس الإنسان العرافة لاكتشاف الأحداث مقدماً.	الدين، <i>Religion</i> *, هو حياة يحياها المرء بالتناغم مع نوااميس أو إرادة الله وبلاستجابة لما يريده الله أيضاً.

* الدين: نقلاً عن موقع، www.etymonline.com، من معاني الدين، بحسب الأصل التاريخي للكلمة، هو حالة الحياة المقيدة أو الملتزمة بنذور رهبانية، ويربط البعض .. معنى الدين باللفظة، *religare*، بمعنى الالتزام الثابت، أو "وضع القزماً على"، أو رابطة بين البشر والآلهة، المترجم.

فلسفة موسى عن المجتمع

يواصل موسى النبي قصته عن اغتراب البشرية عن الله في العالم كما نعرفه اليوم، حيث امتلأت الأرض بالبشر، بعد أن طُرد الإنسان من جنة عدن. وكانت الصدمة أن نرى أول مواليد آدم، لم يجلب الأمل فقط، بل الموت أيضًا؛ إذ قتل قايين هابيل أخاه. وطبقًا لمبدأ الالتزام الأخلاقي كان قايين مسئولاً أمام الله عن موت أخيه، ولذا سأله الرب، "أَيْنَ هَابِيلَ أَخُوكَ؟"، (تك ٤: ٩)، وعندما أجاب الرب مستكراً، "أَحَارِسُ أَنَا لِأَخِي؟"، كانت الإجابة، بالطبع، "بلى". ومع توالى أحداث القصة؛ أصبح الإنسان شريراً أكثر فأكثر، بل ابتدع نماذج للشر في مجتمعه. ومع هذا، لم يخلُ التاريخ المبكر من رجال، فاق صلاحهم الوصف، كأخنوخ الذي سَارَ مَعَ اللَّهِ فَأَخَذَهُ إِلَيْهِ، (تك ٥: ٢٤). وإن لم يخبرنا الكتاب بمعنى السير مع الله في تلك الأيام، إلا أن أخنوخ كان قد أرضى الله، ولم يمُت.

تزايد شر الجنس البشري إلى أن ملَّ الله في النهاية، واشتمز جدًّا، بل وندم أنه صنع الإنسان (تك ٦). لله مشاعر؛ فهو يشعر. لقد أصبح الله آنذاك، مجروح القلب، محزون الفؤاد، وبدا كما لو أنه لم يحقق مقاصده العظيمة من خلق الإنسان. وبالفعل، قرر أن يُدمر كل الكائنات الحية، الحيوانات، والطيور والزواحف؛ فالإله القادر على أن يمحو البشر، قادر بالأولى على أن يستردهم، وبحسب ما نعلم من القصة، خلَّص الله فقط نوحًا وعائلته، وما يكفي من المخلوقات ليبدأ من جديد. إن المجتمع البشري بحسب بيان موسى الفلسفي ليس قانونًا لذاته؛ بل هو مسئول عن ضبط مساره الخاص وفقًا لعطية التكليف الإلهي. وقد كانت هذه النظرة غريبة ومتطرفة في عصر كان المجتمع يصنع فيه آلهته بنفسه! اعتمدت نظرة موسى النبي على أن الإنسان مسئول أخلاقيًا أمام الله، قبل وبعد السقوط، وأن الله لا يمكن أن يحتمل شر الإنسان للنهية؛ فإن كان الله كلي النعمة والرأفة إلا أنه إله أخلاق يتوقع من الذين خلقهم علي صورته ألا يتدنوا عن مستوى هذه الصورة.

العهد مع نوح^(٢٣)

اشتملت علاقة الله مع نوح وأسرته علي عهددين، أحدهما قبل الطوفان، والآخر معهم كأسرة تمثل الأجيال البشرية المستقبلية بعد الطوفان، وقد كانت صيغة العهد الأول هكذا:

- الأطراف: - الله ونوح
الشروط: - أن يبني نوح فلكاً بحجم وأسلوب معين. أن يجمع الحيوانات لتدخل الفلك في حينه.
الوعود: - النجاة من الطوفان والهروب من دينونة الله بإبادة كل بشر.

أما صيغة العهد بعد الطوفان فكانت

- الأطراف: - الله ونوح مع عائلته، ومع كل الأجيال العتيدة أن تأتي من بعده.
الشروط: - أثمروا، واكثروا، واملأوا الأرض. تسلطوا على كل المخلوقات. كلوا من كل ما هو نبات أخضر. لا تأكلوا لحماً به دم. لا تقتلوا إنساناً.
الوعود: - كل شيء متحرك وحي يكون طعاماً. لن يدمر الله الأرض ثانية بالطوفان. وعد بالسيادة على الأرض وما فيها من مخلوقات، وقد كانت علامة العهد هي قوس قزح.

لاحظ أن كل الجنس البشري، كما كان الحال مع آدم، مسئول أمام الله للعناية بثلاثة أمور في الحياة:

- علاقته العهدية مع الله.
- العناية بالأرض ورعايتها.
- العناية بأخيه الإنسان.

وسيقدم كل إنسان أمام الله حساباً عن كل هذه الالتزامات الواجبة. في واقع الأمر، يُعتبر العهد مع نوح تحديداً للتكليف الإلهي الذي كُلف به آدم. فإن افترضنا وجود فكرة معينة، أراد موسى النبي أن ينقلها لنا، فهي أن الإنسان

٢٣- يعتبرها البعض عهداً واحداً، بينما يرى آخرون أنها عهدان، وتأتي الإشارة إليهما في (تك: ٦: ١٨؛
تك: ٩: ١-١٧)، المترجم

كائن مسئول أمام الله أخلاقياً، ومخلوقٌ علي صورة الله، وأي هجوم عليه هو هجوم علي الله، فمن يقتل أخاه الإنسان سيقدم جواباً عن هذا أمام الله!

سفر التكوين

من منظور العهد؛ سفر التكوين هو سفر البدايات: بداية الطبيعة، والرجل، والمرأة، واللغة، والشركة، والشك والإغواء، والخطية، والخزي، والسقوط، والطرْد، والاعتراب عن الله، ونمو المجتمع، وتزايد الخطية، ودينونة العالم بالطوفان، وأخيراً، بداية العهد بدعوة إبراهيم، ليبدأ بعده التاريخ الحقيقي لتحقيق ذلك العهد في سفر الخروج. كما يعتبر سفر التكوين كتاب تاريخ وفلسفة، يتركنا نتساءل حول الكثير من الأمور، كما يثير أسئلة لا يجيب عنها. وفي حين أن أجندة السفر الحقيقية ليست مألوفة للجميع، لكن ما يقدمه للمرء كاف من أجل الحصول على مرجع لما هو عتيق أن يأتي. كما يرينا السفر المسلمات والأفكار الأساسية التي قبلها كتبة الأسفار المقدسة كحق ضابط لأفكارهم، كما يساعدنا أن نفهم كيف بدأ الكل. وكل ما علينا الآن هو أن نتقدم لنر كيف بلغت التجربة الإلهية العظيمة نهايتها. لكن قبل أن ننهي الكلام هنا علينا أن نضع الأمور في نصابها: خلق الله الإنسان من أجل الشركة، ومع أنه فضّل الاعتراب عن الله بنفسه في سعيه المحموم وراء السيادة المستقلة، شرع الله في تنفيذ برنامجه لمصالحة تلك البشرية المتغربة، بدعوة إبراهيم.

ختام الفصل الثاني

في قالب قصصي، قدّم موسى النبي بيانه الفلسفي الذي قبله بإعلان من الله، (عب ١: ١). كان بيانه قصة حقيقية. وبالرغم من أن هذا الأسلوب في الطرح لم يكن مألوفاً لدى فلاسفة اليونان، إلا أنه تناسب بشكل جيد مع قصد موسى، الذي بلور الأفكار الرئيسية لفلسفته حول مفهوم العهد كأساس لكل الأمور. على سبيل المثال، في تقديم الله عهداً لإبراهيم، ندرك علي الفور أن الله شخص؛ فلم يكن فكرةً، أو سيادةً بلا شخصية، وهو الأمر الذي يختلف بشدة مع المفهوم اليوناني الوثني القائل بأن كيان الله ما هو إلا سيادة مطلقة؛ فلن يلتقي أبداً مفكران لديهما أفكار فلسفية متعارضة، ينادي أحدهما بأن "السيادة أعظم صفات الله"، بينما يشدد الآخر علي أن "تقييدها هو أعظم صفات الله"؛ فالفكر الأول يقود صاحبة إلى القدرية، *Determinism*، أما الثاني فيدخل بالمرء إلى العهد. ولكليهما تصور مختلف عن الإنسان: فالأول يرى الإنسان في الجسد شريراً بالكامل، والثاني يرى الإنسان مخلوقاً على صورة الله، وقادراً علي صنع الخير أو الشر، غير مصيرٍ بأي منهما. ولأن الإرادة الحرة أمر مؤكد، كانت المسألة أمام الله جزءاً من الفلسفة الموسوية؛ فقد أعطى الله الإنسان أن يختار بين طريقين، يمكنه أن يطيع فيحيا أو يتمرد فيموت.

في بيان هذه القصة نرى أيضاً أن الله خلق الطبيعة لتكون خادمة للإنسان، فلم يكن من المفترض أن يعتبر الإنسان نفسه ابناً للطبيعة أو أسيراً لفصولها. ولم تغتبر المجتمعات البشرية هذه الحقيقة؛ فلا يمكن للبشر معاً تبديل إرادة الله. ومع ذلك، استعمل الإنسان بالفعل قدرته، ومارس حرته، فاختر أن يمزق الشراكة الرائعة التي كانت له مع الله. إلا أن الله لم يتركه في يأسه الكامل، بل خطط أن يتدخل في التاريخ، باذلاً كل جهده لاسترداد الإنسان المتغرب عنه، بإبراهيم الذي من خلاله بدأ الله في تنفيذ خطته المحكمة من أجل المصالحة.

الفصل الثالث

العهد الرئيسي بأسفار العهد القديم

من بين العهود القديمة التي حظيت بمعالجة كبيرة في أسفار العهد الجديد: العهد الإبراهيمي، والعهد الموسوي، وذلك من خلال الإشارات المستمرة لهما من قِبَل المسيح ورسله، وخاصة الرسول بولس. أما العهد الداودي، والذي يعتبر نوعاً من معاهدة السيد مع العبد، فلم يحظ إلا باتباه قليل، علي الرغم من أهميته الكبيرة، كما لم تُستخدم لفظة "عهد" عند الإشارة إليه. وتشكل هذه العهود الرئيسية الثلاثة الأساس اللاهوتي للعهد الجديد بأكمله. وقد أكد ألكساندر كامبل، *Alexander Campbell*، على هذا الأمر بقوله: "إن كل مفردات وعبارات العهد الجديد يجب فهمها وشرحها من خلال تاريخ الأمة العبرية وسيادة الله عليها^(١)". ويرتبط كل عهد من هذه العهود الثلاثة بواحد من الآباء العظام: إبراهيم، وموسى، وداود، الذين يقفون كقمم الجبال في تاريخ الخلاص، ويتسامون عما عداهم في العالم الواسع القدم، برغم ضعف تأثيرهم الأدبي أو السياسي.

العهد الإبراهيمي

بالنسبة للإسرائيليين، يبدأ تاريخهم بإبراهيم؛ وهو الأمر الذي يعبر عنه ما ورد في، (تث ٢٦: ٣-٩)، النص المعروف باسم "شِماع إبراهيم". فقد كان يجب على الإسرائيلي الذي يأتي بتقدمة لله أن يردد هذا النص كنوع من قوانين

1- Alexander Campbell, ed. *The Christian System*, Nashville, 1835, Reprinted, Cincinnati: Standard Publishing.

".. أَعْتَرَفُ الْيَوْمَ .. أَنِّي قَدْ دَخَلْتُ الْأَرْضَ الَّتِي حَلَفَ الرَّبُّ لِآبَائِنَا أَنْ يُعْطَيْنَا إِيَّاهَا .. أَرَامِيًّا تَائِهًا كَانَ أَبِي، فَانْحَدَرَ إِلَى مِصْرَ وَتَغَرَّبَ هُنَاكَ فِي نَفَرٍ قَلِيلٍ، فَصَارَ هُنَاكَ أُمَّةٌ كَبِيرَةٌ .. فَاسَاءَ إِلَيْنَا الْمِصْرِيُّونَ .. وَجَعَلُوا عَلَيْنَا عُيُودِيَّةً قَاسِيَةً. فَلَمَّا صَرَخْنَا إِلَى الرَّبِّ .. سَمِعَ الرَّبُّ صَوْتَنَا، وَرَأَى مَشَقَّتَنَا .. فَأَخْرَجَنَا الرَّبُّ مِنْ مِصْرَ بِيَدٍ شَدِيدَةٍ .. وَآيَاتٍ وَعَجَائِبَ، وَأَدْخَلَنَا .. وَأَعْطَانَا هَذِهِ الْأَرْضَ، أَرْضًا تَفِيضُ لَبْنًا وَعَسَلًا."، (تث ٢٦: ٣-٩).

ويشير كتبة الوحي دائماً إلى إبراهيم كلما ذكروا بعض أحداث الماضي الخاصة بالخروج من مصر، أو امتلاك كنعان، أو بركة الأرض، أو تقسيمها على بني إسرائيل، دون الإشارة إلى آدم أو أخنوخ، أو نوح أو الطوفان. ولاعتقادهم بأن التاريخ الحقيقي يبدأ بإبراهيم، لا يعودون إلى الوراثة لما هو قبل إبراهيم. ويسود هذا الحق معظم أسفار العهد القديم. وعلى سبيل المثال يقول موسى النبي للشعب، ".. ادْخُلُوا وَتَمَلَّكُوا الْأَرْضَ الَّتِي أَقْسَمَ الرَّبُّ لِآبَائِكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أَنْ يُعْطِيَهَا لَهُمْ .."، (تث ١: ٨). كما يذكر موسى في صلاته الشفعية إبراهيم أمام الرب ليغفر للشعب التائه في البرية، (خر ٣٢: ١١-١٤). وقد وعد الله بسبب التزامه المسبق من نحو إبراهيم، بأن يغفر للشعب إن تاب وحفظ العهد، ".. إِنْ أَقَرُّوا بِذُنُوبِهِمْ .. أَذْكَرُ .. مِثَاقِي مَعَ إِبْرَاهِيمَ .."، (لا ٢٦: ٤٠-٤٢). وعندما استعد الشعب لمغادرة جبل سيناء، قال الرب لموسى، ".. اذْهَبْ اصْعَدْ مِنْ هُنَا أَنْتَ وَالشَّعْبُ .. إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي حَلَفْتُ لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ قَائِلًا، لِنَسْلِكَ أَعْطِيهَا"، (خر ٣٣: ١). وفي سفر التثنية، نقرأ عن أكثر تصريحات الله وضوحاً فيما يتعلق بدافعه من أجل خلاص إسرائيل وإعطائه أرض كنعان: "لَا تَقُلْ فِي قَلْبِكَ .. لِأَجْلِ بَرِّي أَدْخَلَنِي الرَّبُّ .. الْأَرْضَ. وَلِأَجْلِ إِيَّاهُ .. الشُّعُوبُ .. لَيْسَ لِأَجْلِ بَرِّكَ .. تَدْخُلْ لَتَمْتَلِكَ أَرْضَهُمْ، بَلْ لِأَجْلِ إِيَّاهُ أُولَئِكَ الشُّعُوبُ .. وَلِكَيْ يَفِي بِالْكَلامِ الَّذِي أَقْسَمَ الرَّبُّ عَلَيْهِ لِآبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ .."، (تث ٩: ٤-٦).

أيضاً، عبّر الكارزون الأوائل في العهد الجديد عن نفس الفكرة، فعندما قام استَفَانُوس بسرد الأحداث لم يبدأ إلا بدعوة إبراهيم ثم الخروج من مصر مشيراً إلى مواعيد العهد بالقول: "وَكَمَا كَانَ يَقْرُبُ وَقْتُ الْمَوْعِدِ الَّذِي أَقْسَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ لِإِبْرَاهِيمَ، كَانَ يَنْمُو الشَّعْبُ وَيَكْثُرُ فِي مِصْرَ"، (أع ٧: ١٧). ولكل هذه الأسباب، يكون من المنطقي النظر للعهد الإبراهيمي على أنه يمثل البداية الفعلية لتاريخ الخلاص. وبالفعل لم تحظ الأحداث السابقة له باهتمام كبير، كما أنها لم تُذكر إلا قليلاً على صفحات العهد القديم، في حين أن التركيز على دعوة إبراهيم، والعهد معه يحظى بأهمية قصوى في التاريخ الكتابي. وفيما يرتبط بدعوة الله لإبراهيم فقد دعاه الله لأسباب لم يكشف عنها، وبعد أن اختبر الله طاعته، قطع معه عهداً بالقول: "... أَذْهَبُ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. فَأَجْعَلُكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأَعْظِمَ اسْمَكَ، وَتَكُونُ بَرَكَهً. وَأُبَارِكَ مُبَارِكَكَ، وَلَا عِنَكَ أَلَعْنُهُ. وَتَبَارَكَ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ"، (تك ١٢: ١-٣).

وتتضح التفاصيل الدقيقة التي تتعلق بهذه العلاقة العهدية بين الله وإبراهيم كلما توالى الأحداث، التي فيها اختبر الله أمانته مرات عديدة، إذ صار راضياً بأن يعدّل ويوسّع هذا العهد ليجعل منه الأساس لكل أحداث المستقبل:

الأطراف : - الله طرف أول، وإبراهيم وكل ذريته، إسحاق، والعبيد المرتبطون به كطرف ثان، (تك ١٧: ١).

الشروط: - أن يواصل إبراهيم ثقته في الرب وحده، (تك ١٤: ٢٢ - ١٥: ٤-٧). وأن يختن كل الذكور، (تك ١٧: ٩). وأن يعيّن إسحاق وارثاً للعهد، (تك ١٧: ١٩). وأن يعلم بأنه نسله سيكون غريباً مستعبداً في أرض ليست لهم، وبعد فترة معينة ينقذهم الرب، (تك ١٥: ١٣).

المواعيد: - يرث إبراهيم أرض كنعان، (تك ١٥: ١٨).
- يصبح هو ونسله، أمة عظيمة، (تك ١٥: ٤).

- ينقذ الله نسله من عبودية المصريين، (تك ١٧ : ١٦).
- تلد سارة ابن الموعد، (تك ١٧ : ١٥).
- يصبح إسماعيل أباً لاثنتي عشر أمة، (تك ١٧ : ٢٠).
- يتم تجديد العهد مع إسحاق، (تك ١٧ : ٢١).
- تَبَارَكَ فِي إِبْرَاهِيمَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ، (تك ١٢ : ٣).

كان لإبراهيم عذر في حاجته للتأكد من أن الله سيفي بالمواعيد التي قطعها له، فهو بالطبع إنسان، كما كانت افتقادات الله له معدودة. ولكن في إشارة معبرة عن صلاح النية، أقسم له الله بشكل رسمي علي هذا العهد؛ وذلك عندما طلب منه أن يجهز حيوانات الإدلاء بالقسم. وبالفعل ذبحها إبراهيم وشقها نصفين من الرأس إلى الذيل، ثم رتب جثثها جنباً إلى جنب بشكل يسمح لطرفي العهد بالمرور بينها. ولم يشر هذا المرور فقط إلي قسَم الطرفين بأههما صارا واحداً بحياة مشتركة، بل أيضاً إلي العقاب واجب التطبيق علي خائن الأمانة؛ فمن يخون لا بد أن يموت. ويخبرنا النص الوارد في (تك ١٥) بقسَم الرب لإبراهيم:

"فَقَالَ أَبْرَامُ .. بِمَاذَا أَعْلَمُ أَنِّي أَرْتُهَا؟ فَقَالَ .. خُذْ لِي عَجَلَةً ثَلَاثِيَّةً .. وَلَمَّا صَارَتِ الشَّمْسُ إِلَى الْمَغِيبِ، وَقَعَ عَلَى أَبْرَامَ سُبَاتٌ .. فَقَالَ لَأَبْرَامَ، ااعْلَمْ يَقِينًا أَنَّ نَسْلَكَ سَيَكُونُ غَرِيْبًا فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ، وَيُسْتَعْبَدُونَ لَهُمْ. فَيَذْلُونَهُمْ أَرْبَعَ مِئَةِ سَنَةٍ ثُمَّ الْأُمَّةُ الَّتِي يُسْتَعْبَدُونَ لَهَا أَنَا أَدِينُهَا، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُونَ .. ثُمَّ غَابَتِ الشَّمْسُ .. وَإِذَا تَنَوَّرَ دُخَانٌ وَمِصْبَاحُ نَارٍ يَجُوزُ بَيْنَ تِلْكَ الْقِطْعِ. فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ مِيثَاقًا قَائِلًا، لِنَسْلِكَ أُعْطِيَ هَذِهِ الْأَرْضُ .."، (تك ١٥ : ٢-١٧).

وبطرق متنوعة، أعاد الله تأكيده على بعض شروط ومواعيد العهد^(٢). وتنحصر المواعيد التي قطعها الرب لإبراهيم في ثلاث: أن يمتلك نسله أرض كنعان، أن يصبح نسله أمة عظيمة، وأن تبارك في نسله كل الأرض. أيضاً

^٢ - وهي النصوص التي تتحدث عن العهد بشكل مباشر، (تك ١٢ : ١-٣؛ تك ١٥؛ تك ١٧)، ويعد النص (تك ١٢) عهداً بسبب مواعيده، المترجم

اختبر الله إبراهيم مرات عديدة. ويستخدم كنية العهد الجديد استجاباته من نحو الله كدليل لما يريده الله حقاً من الإنسان. على سبيل المثال، عندما وعده الله بأن ذريته ستكون كرمل البحر، ونجوم السماء، لم يكن من إبراهيم إلا الإيمان كما يؤكد الكتاب: "آمَنَ بِالرَّبِّ فَحَسِبُهُ لَهُ بَرًّا"، (تك ١٥ : ٦). إن أعظم سمة يمكن لشعب أن يشبع بها قلب الله هي أن يؤمن بما يقوله الله. ويمثل الإيمان عند العبرانيين عقيدة "شماع، Shema"؛ فالسمع يعني معرفة معلومات، يفهمها المرء ثم يسلك بناءً عليها. وقد نقلت الترجمات الإنجليزية القديمة لفظة "شماع" بمعنى "يسمع"، أما الترجمات الأحدث فقد نقلتها بشكل أدق إلى معانٍ من الفعل "يطيع، Obey".

وفي مناسبة أخرى، أمر الرب إبراهيم أن يقدم ابنه إسحاق وحيداً، ابن الموعد ذبيحة. وقد أطاع إبراهيم بالفعل هذا الأمر طاعة تامة، إذ أخذ ابنه مع بعض الحطب وانطلق للجبل^(٣) لتقديمه. لقد قرر إبراهيم بماء طاعته أن يذبح ابنه الذي تعهد الله سابقاً أن يبارك العالم من خلاله. لقد أطاع إبراهيم مؤمناً بيقينية مواعيد الله، ومتوقعاً قيامة ابنه من الموت. ويشهد كاتب العبرانيين لإيمان إبراهيم بقوله، "... حَسِبَ أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى الْإِقَامَةِ مِنَ الْأَمْوَاتِ أَيْضًا ..."، (عب ١١ : ١٩). آمن إبراهيم أن الله سيقم إسحاق ثانية من الموت، وقد استخدم الرسول بولس ويعقوب الشيخ، هذه الحادثة لتقديم مفاهيم صحيحة عن الإيمان؛ فأكد الأول على الثقة العميقة في الله، أما يعقوب فلفت الانتباه إلى أعمال إبراهيم النابعة من ثقته في الله، وذلك بقوله: "أَلَمْ يَتَبَرَّرْ إِبْرَاهِيمُ أَبُونَا بِالْأَعْمَالِ، إِذْ قَدَّمَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ؟ فَتَرَى أَنَّ الْإِيمَانَ عَمِلَ مَعَ أَعْمَالِهِ، وَبِالْأَعْمَالِ أُكْمِلَ الْإِيمَانُ"، (يع ٢ : ٢١ - ٢٣).

أبناء العهد

بالطبع، يحظى المرء بمكانة متميزة عندما يكون داخل علاقة العهد مع الله. ومع ذلك، لم يكن كل أبناء إبراهيم بالضرورة أفضل الناس، باستثناء إسحاق الذي كان رجلاً صالحاً، ويوسف حفيده، أما بقية العائلة والأجيال

٣ - "وَيُعْتَقَدُ عَمُومًا، أَنَّ هَذَا الْمَوْضِعَ هُوَ أورشليم، والمكان الذي بُنِيَ فِيهِ الْهَيْكَلُ، وَالَّذِي فِيهِ صَلَبَ الْمَسِيحُ"، المؤلف.

عديدة فلا يوجد فيها ما هو متميز أخلاقياً. وبحسب الاتفاق، انتقل العهد أولاً إلى إسحاق كما كلمه الرب: "... تَعَرَّبْ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ فَأَكُونَ مَعَكَ وَأُبَارِكَكَ، لِأَنِّي لَكَ وَلَيْسَلِكَ أُعْطِيَ جَمِيعَ هَذِهِ الْبِلَادِ، وَأَفِي بِالْقَسَمِ الَّذِي أَقْسَمْتُ لِإِبْرَاهِيمَ أَيْبِكَ. وَأَكْثَرُ نَسْلِكَ كُنُجُومُ السَّمَاءِ، وَأُعْطِيَ نَسْلَكَ جَمِيعَ هَذِهِ الْبِلَادِ، وَتَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الْأَرْضِ، مِنْ أَجْلِ أَنْ إِبْرَاهِيمَ سَمِعَ لِقَوْلِي وَحَفِظَ مَا يُحْفَظُ لِي: أَوَامِرِي وَفَرَائِضِي وَشَرَائِعِي"، (تك ٢٦: ١-٥).

كان يعقوب ابن إسحاق وغداً: فقد خدع أباه الأعمى متورطاً في مشاكل جمة مع أخيه، ثم عانى المصاعب مع خاله، وحميه، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد، إذ خدعه خاله أيضاً، (تك ٣٠: ٣١). ومع كل هذا يعتبر الكتاب المقدس يعقوب رجلاً عظيماً، وذلك لموقفه الذي تبناه من نحو العهد. فقد تعامل مع موضوع العهد بجدية بخلاف أخيه البكر عيسو، الذي كان متحرراً يأبى الخضوع لأية قيود. كما كان دائم الترحال لصيد الغزلان وربما النساء، متجاهلاً ما هو الصالح لجماعة شعب العهد. وذات مرة، وبعد رحلة صيد طويلة غير موفقة أتى عيسو جائعاً، فطلب من يعقوب أخيه طعاماً. وبعد حوار له مع أخيه، باعه بكوريته كالتالي:

عيسو: أكاد أموت جوعاً، هل يمكنك أن تُعَدَّ لي شيئاً آكله يا يعقوب؟
يعقوب: لما لا تستقر يا عيسو، وتهتم أكثر بنفسك وبشئون بيتك؟ فأنت ترحل وتأتي وقتما تشاء، ثم تأتي متعباً متسخاً هكذا.
عيسو: أحب لحم الغزلان، وأكره لحم الضأن، كما أملُّ السكون برعاية الماعز والغنم.

يعقوب: وماذا عن الأسرة؟ والأرض؟ ومواعيد العهد؟

عيسو: الأرض! أي أرض تتكلم عنها؟ دعك من هذا الأمر، يكفي أن تتأمل الطبيعة من حولك، هل جربت مطاردة غزالة في الصباح الباكر؟ هل جربت أن تعيش حرّاً بلا قيود؟

يعقوب: حرّاً؟ وماذا عن العائلة والعهد؟ وماذا عن قَسَمِ جِدِّي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ؟
عيسو: مللت العهد، هل لا تزال مؤمناً به؟ انظر كم من السنين مضت ولم

يتحقق شيء. هل امتلكننا أي أرض؟ هل امتدت أغنامك بعد حتى دمشق؟ دعك من هذا يا يعقوب، واحضر لي شيئاً لآكله قبل أن أموت. يعقوب: كيف؟ أليس من المفترض أن هذه الأرض لنا وأنت لا تهتم؛ منشغل بمطاردة الغزلان، ومن يدري أي شيء آخر تلاحق؟! يا عيسو، هذه الأرض ملكنا، وأنت غير مبالي.

عيسو: لتهتم أنت، اذهب أخير شيوخ بئر سبع بهذا، أو اذهب إلي الوادي المجاور لنا وقل لهم، "أيها الرجال: اخرجوا من أرضنا"، وانظر ماذا سيحدث لك، أو اذهب إلي أورشليم، واقرع أبوابها، وأخبر حراسها بأنك تملك هذا المكان، وأعط أمراً للملكها بأن يقدم لك جزيّة، وعندها ستخترق رماحهم ظهرك، وأنت تحاول الهروب. يعقوب: إن كان العهد لا يعني لك شيئاً، فأعطني إياه. عيسو: حسناً تولى أنت الأمر.

يعقوب: لا تستخف، فأنا جاد فيما أقول، إن كنت لا تريد حق البكورية فأعطني إياها رسمياً، وبشهود، أو إن شئت أدفع لك؛ فأنا أريد تولي المسؤولية، وإلا سينكسر قلب أبيك إن انتقلت البكورية لشخص لا يقدرها حق تقديرها. بعها لي.

عيسو: اتفقنا، سأبيعها لك. وبشهود، سأبيع لك مواعيد العهد، مع والدي العزيز إسحاق العجوز المسكين، الذي يؤمن مثلك بهذا الهراء، سأبيع لك كنعان، والأمة العظيمة، ونجوم السماء، ورمل البحر، سأبيع لك أيضاً أورشليم، وبئر سبع، وأشدود، وكل أودية وكروم السامرة، وكل النساء الجميلة فيها، فكم تستطيع أن تدفع؟

يعقوب: انظر، ماذا تطلب؟

عيسو: أتريد أن تعرف الثمن؟ ترى ما هو الثمن الحقيقي الذي يستحقه هذا الوهم؟ وهم كنعان، ونجوم السماء، وأمم الأرض، وهم كل مواعيد العهد. اعتقد أن طبقاً شهياً من ذلك العدس المطبوخ يكفي، ما قولك؟ يعقوب: سأحضر الشهود.

ويمكن للمرء أن يواصل قراءة القصة بأسفار موسى الخمسة، ليجد أن العهد انتقل بطريقة متعثرة، وقاسية عبر السنين، إلا أن كل الذين نظروا إليه بعين الاعتبار، خلّدهم التاريخ الكتابي كأبطال بغض النظر عن مستواهم الأخلاقي، أما أولئك الذين اعتبروا مواعيد العهد أحلامًا خاويةً فقد تم محوهم من ذاكرة التاريخ، وإن تذكّرهم فيشير إليهم كخونة وأشرار. ولا يعني هذا أن الله يتجاهل الأخلاقيات بقدر ما يعني أن حفظ العهد كان المعيار الأخلاقي الأول في هذا التوقيت، لأن بقاء العهد ودوامه كان أكثر أهمية من مراعاة أخلاقيات منفردة. لقد تمثّلت الأخلاق آنذاك في الإيمان بقضية العهد، وتأيدها، وتعزيز نجاحها.

حَظِي يعقوب بمواجهة مع الله، تغيّر فيها اسمه من يعقوب إلى إسرائيل، (تك ٣٢: ٢٢-٢٩). في ذلك الوقت، كان له اثنا عشر ابنًا، صاروا فيما بعد أسباطًا عظيمة، إلا أن أخلاقيات معظمهم لم تكن بالحسنة. وبسبب المجاعة التي أصابت أرض كنعان، ذهبوا إلى مصر كضيوف مكرمين من أجل يوسف، وعاشوا هناك حتى الوقت المتفق عليه. وبمرور الزمن، تغيرت مكانتهم بعد موت يوسف، الأمر المشار إليه بالقول: "ثُمَّ قَامَ مَلِكٌ جَدِيدٌ عَلَى مِصْرَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ يُوسُفَ"، (خر ١: ٨).

وبحسب قول الرب لإبراهيم في (تك ١٥: ١٣-١٤)، أساء المصريون معاملة نسله، فصاروا عبيدًا؛ إذ تدهور بهم الحال وانحدرت آدميتهم. وبينما فسدت غالبيتهم، تمسكت قلة منهم بالأفكار القديمة عن الرب، محتفظةً باسمه، وبأحلام عهده. كان البقاء علي قيد الحياة بالنسبة لأغلبية أولئك العبيد، أولوية أكثر أهمية من نوعية الحياة نفسها، وهو ما حدث بعد خروجهم من مصر. فقد كانوا فئة متمردة، مضطربة، يملأ الشر ذهنها، بلا إيمان، أو أخلاق، أو تعليم، جهلة، هوائيين، يفتقرون للنظام والتأديب. ومع كل ذلك كانوا شعب العهد الذي قرّر الله أن يبارك كل البشرية من خلاله.

موسى

من أعظم الآباء القدامى موسى الذي كان طفلاً على وشك الموت، موضوعاً في سلة طافية بين نبات القصب في النيل، ثم صار ابناً للأميرة، ابنة فرعون، التي أنقذته، ليصبح بعدها عضواً ثرياً مثقفاً في الأسرة المالكة، ثم قاتلاً، منبوذاً، انتهى به الحال هارباً من القانون ومطلوباً من فرعون. وفي بركة مديان، عمل بعد ذلك راعياً وزوجاً وأباً. وأخيراً ظهر الله له داعياً إياه ليواصل تاريخ الخلاص. وبرغم مرور ما يقرب من أربعمئة سنة على عهد الرب مع إبراهيم، إلا أن الله يذكره لموسى كما لو أنه قد قُطِعَ بالأمس: "أنا إله أبائك، إله إبراهيم.. قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي.. عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ، فَزَلْتُ.. وَأَصْعَدَهُمْ مِنْ تِلْكَ الْأَرْضِ.. الْآنَ هَلُمَّ فَأَرْسِلْكَ إِلَيَّ فِرْعَوْنَ، وَتُخْرِجْ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ"، (خر ٣: ٦-٧، ١٠).

الفصح

بالنسبة للعبرانيين، يمثل الخروج من أرض مصر أعظم حدث في تاريخ الخلاص بعد العهد الإبراهيمي. لقد أظهر الله أمانته "חסد" من جهة عهده من خلال إنقاذه لشعبه، كما سبق ووَعَدَ إبراهيم من قبل. أحيا شعب إسرائيل ذكرى هذا الحدث عبر السنين من خلال عيد يُعرَف باسم عيد الفصح الذي فيه كانوا يترنمون بالخلاص، كما كانوا يتطلعون إليه من أجل اليقين كلما ضعف إيمانهم، أو اتابتهم الشكوك في صدق عهد الله معهم.

ويمكن للقارئ أن يطالع بنفسه تحدي الله لآلهة المصريين من خلال الضربات العشرة، (خر ٧-١٢) التي ماتت في آخرها كل أبكار أرض مصر أما إسرائيل فعاش لأنه كان ابناً بكرًا لله، (خر ٤: ٢٢-٢٣). أمر الله بني إسرائيل قبل ضربته الأخيرة للمصريين بأن يستعدوا للخروج الوشيك، بتجميع ممتلكاتهم، وبذبح حمل الفصح. وعن فم موسى طلب الرب من شعبه أن يأخذوا من دم حمل الفصح ويجعلونه على قوائم أبوابهم والعتبة العليا، على أن يأكلوا لحم هذا الحمل في تلك الليلة مشويًا بالنار مع فطير، وبعجلة، لأن الرب سيجتاز في أرض مِصْرَ ويضرب كل بكر فيها، (خر ١٢: ٦-١٣).

وهكذا، سُمع النحيب في كل أرجاء مصر، إذ ماتت أبكار المصريين أما أبكار الإسرائيليين فلم تمت، لأن ملاك الموت عبر على بيوتهم، ورأى قوائمها مغطاة بعلامة الدم، (خر ١٢: ١٣). ولئلا تنسى الأجيال الجديدة من بني إسرائيل ما فعله الله مع آبائهم، طلب من أولئك الآباء أن يخبروا بنبيهم بقصة الخروج، وهو الأمر الذي فعله المخلصين في عهدهم مع الرب جيلاً بعد جيل، "إِذَا سَأَلَكَ ابْنُكَ غَدًا قَائِلًا، مَا هِيَ الشَّهَادَاتُ وَالْفَرَائِضُ .. أَوْصَاكُمْ بِهَا الرَّبُّ إِهْنَأُ؟ تَقُولُ لِابْنِكَ، كُنَّا عِبِيدًا لِفِرْعَوْنَ فِي مِصْرَ، فَأَخْرَجَنَا الرَّبُّ مِنْ مِصْرَ بِيَدٍ شَدِيدَةٍ. وَصَنَعَ الرَّبُّ آيَاتٍ وَعَجَائِبَ عَظِيمَةً وَرَدِيئَةً بِمِصْرَ .. وَأَخْرَجَنَا مِنْ هُنَاكَ لِكَيْ يَأْتِيَ بَنَا وَيُعْطِيَنَا الْأَرْضَ الَّتِي حَلَفَ لِآبَائِنَا"، (تث ٦: ٢٠-٢٣).

قاد النبي موسى جماعة الشعب المرتبكة كبيرة العدد رائعة المنظر. كانت برية سيناء مكاناً وعراً قاحلاً بخلاف ما كانت عليه مصر. ساروا في البرية متجهين إلى الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً حسبما وعدهم الله، إلا أنهم لم يدخلوا أرض الموعد، إذ لعدم إيمانهم، غضب الله عليهم تاركاً عظامهم في البرية، (عب ٣: ٧). ومن اللائق هنا التأكيد علي أمر هام: فبالرغم من أن مواعيد العهد كانت لجماعة من الناس ترتبط بإبراهيم عن طريق الدم، إلا أنه يمكن للفرد في هذه الجماعة بعضيانه وعدم إيمانه أن يفقد نصيبه في تلك المواعيد. أيضاً، لا يمكن للفرد المتمرد غير المؤمن أن يدعي بأن الله لم يحقق وعده متذرعاً بمواعيد العهد المقطوعة لجماعة. لأن ما نتكلم عنه هنا هو نظام جمعي غير مألوف بالنسبة للعالم الفلسفي الغربي. إن مواعيد العهد للجماعة بحسب هذا النظام هي مواعيد غير مشروطة بالفعل من جانب الله؛ لأنه يتم ما وعد به. أما حق كل فرد في التمتع ببركات هذه المواعيد فقد كان مشروطاً بحفظه للعهد. وهكذا يمكن لعصيان الفرد أن يُسْقِطَه خارج بركات مواعيد العهد، في حين يتمتع بها الباقيون من الأمناء. ويتيح إدراك القارئ لهذا المبدأ القدرة علي استيعاب اللاهوت الكتابي بشكل معقول.

وصل الشعب إلي جبل سيناء حيث قطع الله معهم عهداً عُرفَ لاحقاً باسم بالعهد القديم. وقد أُضِيفَ هذا العهد إلي العهد الإبراهيمي، (غل ٣: ١٩).

وهكذا اندمج العهد الموسوي في الإبراهيمي ليصير الاثنان واحداً، وقد تحققت كل مواعيد العهد القديم ما عدا الوعد ببركة كل أمم الأرض، الذي تحقق في المسيح. وتصف أربعة أسفار من أسفار موسى الخمسة هذا العهد بدقة:

الأطراف: الله وأبناء إسرائيل، (لا ٢٦: ٤٦).

الشروط: حفظ ٦١٣ شريعة لموسى، (لا ٢٦: ١٤).

المواعيد: جميعها مادية، قومية، أرضية، (لا ٢٦: ١-١٣).

قَسَمَ العهد القديم

كان قسم العهد، "آلاه، אלהיך، *alah*"، أمراً ضرورياً في كل عهد من العهود الرئيسية بالعهد القديم. وكما تم الإدلاء بالقَسَم علي العهد بين الله وإبراهيم، أَقَسَم الشعب على عهد الرب معهم من خلال طقس القَسَم الذي صار عالقاً في ذهنهم إلى الأبد. جهَّز موسى الموقع، بحسب التقليد المتبع آنذاك، واجتمع الشعب بكل الأسباط: العشائر، والعائلات، والأفراد المنعزلين المتمين لمجموعات أسرية غير واضحة. وبعدما استعد الكل، ذبح موسى الحيوانات ورتَّب جثثها تاركاً مسافة مناسبة تسمح للشعب بالمرور فيها مثلما اجتاز الله مع إبراهيم^(٤). وبغض النظر عن عددهم كان لا بد أن يعبر الشعب بكل عشائره بين قطع الذبائح، كما تمت قراءة كتاب العهد وأجاب كل الشعب بصوت عال بأنهم ملتزمون بشروطه كما هو مكتوب: "وَأَخَذَ كِتَابَ الْعَهْدِ وَقَرَأَ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ، فَقَالُوا، كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعَلُ وَنَسْمَعُ لَهُ"، (خر ٢٤: ٧). جمع موسى الدم في أوعية خاصة، وقسمه لنصفين، أحدهما يتم صبه على المذبح، إشارة للقَسَم الإلهي، بينما يُخَفَّف النصف الآخر بالماء مئاة المرات ليرشه موسى علي الشعب أثناء مروره بين الذبائح^(٥)، حسب قول

٤- هناك اعتقاد بأن ذبائح إبراهيم وإسحاق كانت ذبائح عهدية تتضمن قسمهما على العهد، وخاصة أن تقديمها كان تالياً لظهور إلهي يعلن فيه الله كل مواعيد العهد أو أحدها، (تك ١٢: ٧؛ ١٣: ١٤؛ ٢٦: ٢٥)، أيضاً يمكننا الاستدلال على التزام إبراهيم بشروط العهد في، (تك ٢٦: ٥)، المترجم

٥- يتأكد لنا قسم الشعب في سيناء بهذا الشكل المذكور من خلال قول المرنم، "اجْمَعُوا إِلَيَّ أَتَقِيَانِي، الْقَاطِعِينَ عَهْدِي عَلَى ذَبِيحَةٍ"، (مز ٥٠: ٥؛ إر ١٨: ٣٤)، المترجم

الكتاب، "أَخَذَ مُوسَى الدَّمَ وَرَشَ عَلَى الشَّعْبِ وَقَالَ، هُوَذَا دَمُ الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعَهُ الرَّبُّ مَعَكُمْ عَلَى جَمِيعِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ"، (خر ٢٤: ٨).

ويعني لمس الشعب للدم قَسَمَهُم وتعهدهم الرسمي بالالتزام بشروط عهد الرب معهم. أما القسم ذاته فهو إعلان وتصريح عن قبولهم لأبوة الله الذي ضمهم كأعضاء في ملكوته. وربما تكون تفاصيل الإدلاء بالقَسَم لكلا الطرفين مختلفة قليلاً عن السرد الكتابي المختصر، إلا أن الشعب كان يدرك أنه بدون الدم لا يمكن للعهد أن يصبح موثقاً، وهي الحقيقة التي أشار إليها كاتب الرسالة إلى العبرانيين، (عب ٩: ١٨-٢٠).

العهد القديم والأطراف

يمكن للمرء أن يتمتع بشركة العهد مع الله إن كان من نسل إبراهيم بحسب الجسد. وقد صار ممكناً لعبيد إبراهيم قبلاً أن يكونوا جزءاً من العهد بحكم أنهم جزء من عائلته. لكن ماذا عن الغرباء في وسط بني إسرائيل أو حولهم؟ هل كان يحق لهم التمتع بشركة العهد مع الرب؟ لقد منعت شريعة موسى بسبب هذا الأمر الزواج المختلط من نساء أجنبيات غير إسرائيليات، كما أقرت بأن أبناء الجيل العاشر فقط من الزواج المختلط مع الموآبيين يمكنهم أن يصبحوا إسرائيليين ويدخلوا في العهد مع الرب. وينطبق نفس الشيء علي أبناء الزيجات المحرمة أو الأبناء غير الشرعيين. أما أبناء الزواج المختلط الذين يُولَدُونَ لِلآدوميين أو المصريين فيدخلون في جَمَاعَةِ الرب في الجيل الثالث، (تث ٢٣: ١-٨) ^(٦). وباستثناء هذه النصوص يبدو أنه من المحال بحسب شريعة موسى أن يصبح أي شعب آخر من أية عرقية أخرى جزءاً من إسرائيل، وهناك نصوص كتابية كثيرة توضح وتؤكد هذا الأمر: "مَتَى أَتَى بِكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَى الْأَرْضِ .. لَا تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْداً .."، (تث ٧: ١-٣؛ مع تث ٧: ٦-٨؛ أخ ٢٠: ٧).

٦ - نرى القراء الواعية لهذا النص لماذا قبلت راعوث الموابية جدة الملك داود في جماعة الرب، المترجم.

كان الرسول بولس حاسماً في التأكيد علي أطراف العهد القديم، اليهود وليس الأمم، (رو٢: ١٤؛ مع رو٣: ١-٢؛ رو٩: ٢٣-٢٤). وتأتي لفظة "أمة، أو شعب" من اللفظة العبرية "עַם"، "جوي"، أو اليونانية "إثنوس، ἔθνος"، وجمعها "ἔθνη، إثني"، بمعنى "شعوب أو أمم". واللفظة "إثني"، قريبة الشبه من الكلمة الإنجليزية، *ethnic*، بمعنى عرقي، وتعني على وجه الحصر أي شعب أو جنس أو عرق غير شعب إسرائيل، كما استخدمها الرسول بولس بالتبادل مع كلمة "وثن" للإشارة إلي أي شخص غير مولود من نسل إبراهيم حسب الجسد. أدرك الرسول أيضاً أن الناموس، الذي يشير إلي الميثاق القديم، قد فصل بين اليهود والأمم، ولكن في المسيح، تم إبطال العهد القديم، وهكذا أمكن لهذين النوعين من الشعوب على الأرض أن يجتمعا معاً ثانية. وبتعبير آخر، لم يكن ممكناً لأي شخص أممي أو وثن أن يكون له نصيب في العهد القديم، لأنه ناموس هذا العهد كان سبباً في جعله أممياً:

• "لأنَّه هُوَ سَلامًا، الَّذِي جَعَلَ الْاِثْنَيْنِ وَاحِدًا، وَنَقَضَ حَائِطَ السِّيَاحِ الْمُتَوَسِّطِ أَيْ الْعَدَاوَةِ. مُبْطَلًا بِحَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ، لِكَيْ يَخْلُقَ الْاِثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَانًا وَاحِدًا جَدِيدًا، صَانِعًا سَلامًا"، (أف٢: ١٤-١٥).

• "لِذَلِكَ اذْكُرُوا أَنَّكُمْ أَنْتُمْ الْأُمَمَ قَبْلًا فِي الْحَسَدِ، الْمَدْعُوبِينَ غُرْلَةً مِنَ الْمَدْعُورِ حَتَانًا .. أَنَّكُمْ كُنْتُمْ .. بَدُونِ مَسِيحٍ، أَجْنَبِيِّينَ عَنْ رَعْوِيَّةِ إِسْرَائِيلَ، وَغُرَبَاءَ عَنْ عُهُودِ الْمَوْعِدِ، لَا رَجَاءَ لَكُمْ، وَبِلَا إِلَهٍ فِي الْعَالَمِ"، (أف٢: ١١-١٢).

لم يقرّر الله أبداً أن تحفظ كل أمم الأرض ناموس موسى؛ فلا يوجد موضع في العهد القديم يجعلنا نفترض بأن إسرائيل كان عليه أن يعلم هذا الناموس للأمم الأخرى أو يفرضه عليهم، لأن العهد لم يأمرهم بالتبشير بديانتهم. وللايجاز، قطع الرب عهداً في سيناء مع نسل إبراهيم حسب الجسد وليس مع أية أمة أو شعب آخر. وبناءً على ذلك، لا يمكن لأحد من أي شعب أو جنس آخر أن يختار الدخول في شركة هذا العهد، لأن التمتع بهذه الشركة كان مقصوراً فقط علي نسل إبراهيم بالجسد.

تفسر لنا هذه الحقيقة الحيرة التي أصابت نيقوديموس أثناء حوارهِ مع المسيح، (يو ٣)، فإن أعدنا صياغة حوارهِ مع الرب سيكون شيئاً من هذا القبيل: قال له الرب: "لا يمكن للمرء أن يُحسب فيما بعد عضواً في الملكوت، بسبب ميلاده الجسدي من إبراهيم". فأجاب نيقوديموس، "لكنني مولود من الله، بل إنني بالفعل في ملكوت الله"، فأجابه الرب: "لا! لأنه يجب عليك أن تولد ثانية لكي تدخل ملكوت الله". أجاب نيقوديموس: "كيف يمكنني أن أدخل بطن أمي ثانية وأولد؟" أجابه الرب، "يجب أن تولد من الماء والروح"، أي بواسطة اختيارك، أو بالأحرى بالتعبير عن ولائك الشخصي؛ فالميلاد الجسدي من إبراهيم لا يفيد الإنسان شيئاً، فعلى الإنسان أن يختار أن يكون ابناً لله، إذ لا يمكنك أن تولد في هذه العلاقة بدون اختيارك كما كان الحال من قبل، (يو ١: ١٢).

العهد القديم: الشروط

بحسب التعليم اليهودي، بلغ عدد وصايا العهد الموسوي ٦١٣ وصية، مثلت جميعها شروط العهد. وقد كان القصد الإلهي مناشدة الشعب بحفظها جميعاً. ويتم التعبير عنها من خلال ألفاظ مترادفة ومتوازنة:

- "وَهَذِهِ هِيَ الشَّرِيعَةُ الَّتِي وَضَعَهَا مُوسَى أَمَامَ بَنِي إِسْرَائِيلَ"، (تث ٤: ٤٤).
- "إِنْ لَمْ تَسْمَعْ لَصَوْتِ الرَّبِّ .. لِتَحْرَصَ أَنْ تَعْمَلَ بِجَمِيعِ وَصَايَاهُ .. تَأْتِي عَلَيْكَ .. اللَّعْنَاتُ .."، (تث ٢٨: ١٥).
- "احْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَنْسَى الرَّبَّ .. وَلَا تَحْفَظْ وَصَايَاهُ وَأَحْكَامَهُ وَفَرَائِضَهُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا .."، (تث ٨: ١١).
- "يُثِمِّمُكَ الرَّبُّ لِنَفْسِهِ شَعْبًا مُقَدَّسًا كَمَا حَلَفَ لَكَ، إِذَا حَفِظْتَ وَصَايَا الرَّبِّ إِلَهِكَ وَسَلَكَتَ فِي طَرَفِهِ"، (تث ٢٨: ٩).

وفي نهاية الأسفار الخمسة يجد القارئ نصاً أكثر شمولاً بخصوص "السير مع الله"، وذلك لأنه يمثل بياناً ممتازاً عن الفكر الفلسفي الأساسي لديانة العبرانيين، ويحتوي تقريباً على كل العناصر الضرورية لبناء فكرة متوازنة عما جعل

إسرائيل بالشكل الذي كان عليه^(٧) :

"إِنَّ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ الَّتِي أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ لَيْسَتْ عَسْرَةً عَلَيْكَ وَلَا بَعِيدَةً مِنْكَ. لَيْسَتْ هِيَ فِي السَّمَاءِ حَتَّى تَقُولَ، مَنْ يَصْعَدُ لِأَجْلِنَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَأْخُذْهَا لَنَا وَيُسْمِعُنَا إِيَّاهَا لِنَعْمَلَ بِهَا؟ وَلَا هِيَ فِي عَبْرِ الْبَحْرِ حَتَّى تَقُولَ، مَنْ يَعْبُرُ لِأَجْلِنَا الْبَحْرَ وَيَأْخُذْهَا لَنَا وَيُسْمِعُنَا إِيَّاهَا لِنَعْمَلَ بِهَا؟ بَلِ الْكَلِمَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ جَدًّا، فِي فَمِكَ وَفِي قَلْبِكَ لِنَعْمَلَ بِهَا .. قَدْ جَعَلْتُ الْيَوْمَ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْخَيْرَ، وَالْمَوْتَ وَالشَّرَّ، بِمَا أَنِّي أُوصَيْتُكَ الْيَوْمَ أَنْ تُحِبَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ وَتَسْلُكَ فِي طُرُقِهِ وَتَحْفَظَ وَصَايَاهُ وَفَرَائِضَهُ وَأَحْكَامَهُ لِكَيْ تَحْيَا وَتَنْمُوَ، وَيُبَارِكَكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ فِي الْأَرْضِ .. فَإِنْ أَنْصَرَفَ قَلْبُكَ وَلَمْ تَسْمَعْ، بَلْ غَوَيْتَ وَسَجَدْتَ لِآلِهَةٍ أُخْرَى وَعَبَدْتَهَا، فَإِنِّي أُبْنِيكُمْ الْيَوْمَ أَنْكُمْ لَا مَحَالَةَ تَهْلِكُونَ .. أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ. قَدْ جَعَلْتُ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ. الْبَرَكَةُ وَاللَّعْنَةُ. فَاخْتَرِ الْحَيَاةَ لِكَيْ تَحْيَا أَنْتَ وَنَسْلُكَ .." (تث ٣٠ : ١١-٢٠).

وهكذا ندرك أن محبة الرب، والسلوك في طريقه، والاستماع لصوته، والالتصاق به، وحفظ وصاياه، ليست إلا تعبيرات متوازية لها مضمون واحد يتمثل في طاعة شروط العهد. أعلن الله الناموس لبني إسرائيل ليكون مفهوماً بوضوح؛ فلم يكن صعباً بالنسبة لهم. وبناءً على حفظه، كانوا علي يقين من معونة الله لهم من أجل حياة مزدهرة ومديدة في الأرض الجديدة.

وحدة الناموس

كان الناموس بشرائعه المتنوعة وحدة فريدة، برغم بنوده المبعثرة في أسفار موسى الخمسة. ومع أن كتبة الوحي أدركوا أهمية التعامل معه ككل، إلا أن الشعب كله لم ينشغل به بنفس القدر؛ فقد كانت هناك فئات معينة من الشعب انشغلت ببعض أجزاء منه بشكل أكبر من أجزاء أخرى. ومن المؤكّد أنهم حفظوها عن ظهر قلب إذ أثرت فيهم بشكل كبير ومباشر. على سبيل

٧- تم اقتباس بعض أجزاء من نص هذا البيان في العهد الجديد، المؤلف.

المثال، كانت لرجال الكهنوت نسخٌ وثيقة الصلة بالتعليمات الخاصة برسامة المرشحين الجدد للكهنوت. كما كانت للاويين الذين عملوا كقضاة محليين نسخ من بعض الأجزاء الفرعية المختصة بالمسائل القضائية. ومهما تنوعت دوائر الاختصاص في كل قطاعات إسرائيل بدءاً من الملك أو النبي أو الكاهن حتى عموم الشعب، كان المتفق عليه أن الناموس وحدة واحدة يجب علي الجميع التعامل معها بجدية.

وبقدر ما نعلم، لم يتم تقسيم الناموس لأقسام فرعية على نمط القانون الأوروبي؛ فلم يكن هناك ناموس أخلاقي بمعزل عن الناموس الطقسي، أو القضائي أو القومي أو ناموس للأسرة بمعزل عن الشرائع التي تحكم المجتمع. بالطبع كانت هناك شرائع تخاطب هذه الحالات، لكن ليس من الإنصاف أو الحكمة تقسيمها بطريقة تخالف طريقة العبرانيين في النظر إلى الناموس.

خلق ناموس موسى من شعب إسرائيل مملكة ثيوقراطية، ملكها هو الله نفسه. وفي هذه المملكة كان الدين والمجتمع شيئاً واحداً، إذ ارتبط فيها كل من الإيمان ونظام الحكم بالعهد. لم تكن هناك حرية دينية، لأن الدين بالنسبة للشخص العبري كان يمثل كل شيء؛ فلم يكن هناك فرق بين الديني، *sacred* والديني، *secular*؛ فالشرائع التي تحكم الأرض هي نواميس الله التي غطت وحكمت كل مظهر من مظاهر الحياة، بدءاً من واجبات الملك، (تث ١٧ : ١٤)، والصحة العامة (لا ١٣-١٤)، والزواج والطلاق (تث ٢٢ : ١٣)، والأعياد المقدسة، (لا ٢٣ : ١)، والذبائح، (لا ٧-١١)، والعلاقات المباحة والمحرمة، (لا ١٨-١٩)، والأطعمة (لا ١١ : ١)، وما يختص بالعلاقات الجنسية، (لا ١٢ : ١٨)، وتطبيق العدل، (تث ١٩ : ١٥)، والتجنيد الإلزامي، (تث ٢٠)، وصحة ونظافة مكان المعيشة، (تث ٢٣ : ١٢)، ونظام الرق، (تث ١٥ : ١٢)، والتمويل العام، (تث ١٤ : ٢٢)، والعناية بالفقراء، (تث ٢٤ : ١٩)، وغيرها الكثير.

ومع أن بعض الشرائع الموسوية قد تبدو بالنسبة لنا بدائية، أو خرافية كالتشريع الذي يمنع لبس الصوف والكتان معاً، (تث ٢٢ : ١١)، أو طبخ جدي بلبن أمه (تث ١٤ : ٢١)، إلا أنه لا يجب التسرع في الحكم عليها.

ربما كان المقصود منها محو خرافات كانت منتشرة آنذاك، وذلك من خلال الثقة في الله وناموسه. على سبيل المثال، وبحسب أحد طقوس العرافة الوثنية الشائعة، فإن الزوجة التي ترغب في إنجاب طفل ذكر، يجب عليها أن تطبخ جدياً بلبن أمه. إن الرغبة في تدمير الممارسات السحرية كانت السبب الأصلي في وجود مثل هذه الشرائع. بالمثل منعت الشريعة ارتداء الصوف والكتان معاً بسبب الخرافات التي ادعت بأنهما وسيلة للحماية من الأرواح الشريرة. وقد يتعثر البعض عند قراءة الشرائع المتنوعة الخاصة بتطهير النساء مما يبدو أنه وظائف حيوية طبيعية، متجاهلاً أنها شُرعت في الأصل لحماية المرأة. فإن اعتقد رجال ذلك العصر باطلاً، أن الدورة الشهرية للمرأة لعنة إلهية وعلامة على تدني مكانتها مقابل مكانة الرجل كإنسان أمام الله، كان طقس التطهير يرفع هذه اللعنة ماحياً لدى المرأة الإحساس بالفرق، ومانحاً لها راحة البال إذ بعد التطهير تكون خالية تماماً من أي دنس.

يشعر الكثيرون بأن التشريع الذي يأمر بحصر اللفظ، "عَيْنًا بَعَيْنٍ، وَسِنًا بِسِنٍ" (خر ٢١: ٢٤)، يجعل من ناموس موسى ناموساً وحشياً قاسياً يحفز على الأخذ بالثأر. لكن حاشاً! لأن هذه الوصية معطاة للحد من الانتقام وما يترتب عليه من خسائر لتصبح العقوبة تعويضات عينية بقدر الجرم. ومن الأفضل أن نقرأها على هذا النحو، "عين بعين فقط، وسن بسن فقط."

الناموس والتشريعات الإنسانية

يتملى ناموس موسى بالشرائع الإنسانية الجديرة بالملاحظة، ومنها الآتي:

- "لَا تَظْلِمُ أَجِيرًا مِسْكِينًا وَفَقِيرًا مِنْ إِخْوَتِكَ أَوْ مِنَ الْغُرَبَاءِ الَّذِينَ فِي أَرْضِكَ، فِي أَبْوَابِكَ"، (ث ٢٤: ١٤).
- "لَا تُعَوِّجُ حُكْمَ الْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ، وَلَا تَسْتَرْهِنُ ثَوْبَ الْأَرْمَلَةِ .. اذْكُرْ أَنَّكَ كُنْتَ عَبْدًا .."، (ث ٢٤: ١٧-١٨).
- "وَإِذَا خَبَطْتَ زَيْتُونَكَ فَلَا تُرَاجِعِ الْأَغْصَانَ وَرَأْيَكَ، لِلْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ وَالْأَرْمَلَةِ يَكُونُ"، (ث ٢٤: ٢٠).

- "لَا يَكُنْ لَكَ فِي كَيْسِكَ أَوْزَانٌ مُخْتَلِفَةٌ كَبِيرَةٌ وَصَغِيرَةٌ. لَا يَكُنْ لَكَ فِي يَبْنِكَ مَكَائِيلُ مُخْتَلِفَةٌ كَبِيرَةٌ وَصَغِيرَةٌ .. لِكُنِّي تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الْأَرْضِ .." (ث ٢٥ : ١٣-١٦).
- "لَا يَسْتَرْهِنُ أَحَدٌ رَحَى أَوْ مِرْدَاتَهَا، لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَسْتَرْهِنُ حَيَاةً"، (ث ٢٤ : ٦).
- "عَبْدًا أَبْقَ إِلَيْكَ مِنْ مَوْلَاهُ لَا تُسَلِّمَ إِلَى مَوْلَاهُ. عِنْدَكَ يُقِيمُ فِي وَسْطِكَ، .. يَطِيبُ لَهُ. لَا تَظْلِمُهُ"، (ث ٢٣ : ١٥-١٦).
- "لَا تَنْتَقِمَ وَلَا تَحْقِدْ عَلَى أَبْنَاءِ شَعْبِكَ، بَلْ تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. أَنَا الرَّبُّ"، (لا ١٩ : ١٨).
- "لَا تَرْتَكِبُوا جَوْرًا فِي الْقَضَاءِ. لَا تَأْخُذُوا بِوَجْهِ مِسْكِينٍ وَلَا تَحْتَرِمَ وَجْهَ كَبِيرٍ. بِالْعَدْلِ تَحْكُمُ لِقَرِيبِكَ"، (لا ١٩ : ١٥).

النظام الذبائحي

من الأجزاء الرائعة في العهد القديم الجزء المختص بنظام الذبائح. يتيح هذا النظام بذبائحه المتنوعة لكل من الفرد والجماعة فرصة التمتع بحق الاقتراب من الله والمثول أمامه. وهكذا اقترب العبرانيون من الله بحسب الناموس من خلال الذبائح. كان رئيس الكهنة كممثل عن الشعب يدخل بدم الذبيحة إلى قدس الأقداس، وهو الجزء الداخلي من خيمة الاجتماع ومحضر الله ذاته. ومن خلال الاعتراف بالخطايا الذي صاحب تقديم الذبيحة كان بنو إسرائيل يؤكدون التزامهم بشروط العهد. كان دم الذبائح كفارة عن الخطايا، وتأميناً من العقاب. وفي طقس يوم الكفارة العظيم المليء بالمعاني كان يُقدَّم للرب تيسان يُذبح أحدهما ويُطلق الآخر إلى البرية لأبعد مكان يتمنى إسرائيل زوال خطاياهم فيه. وفي هذا الصدد يقول الكتاب: "وَيَصْعُ هَارُونُ يَدِيهِ عَلَى رَأْسِ التَّيْسِ الْحَيِّ وَيُقَرَّرُ عَلَيْهِ بِكُلِّ ذُنُوبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ .. وَيُرْسِلُهُ يَدٌ مِنْ يَلَاقِيهِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ، لِيَحْمِلَ التَّيْسُ عَلَيْهِ كُلَّ ذُنُوبِهِمْ إِلَى أَرْضٍ مُقْفَرَةٍ .." (لا ١٦ : ٢٠-٢٢).

كانت إحدى مسؤوليات رئيس الكهنة المهيبه والمخيفة حمل دم الكفارة إلى قدس الأقداس بالخيمة إذ لم يكن مسموحاً لأحد غيره بالدخول إلى هناك.

وبعدها يرش الدم سبع مرات على غطاء تابوت العهد، ثم يخرج ليعلم للشعب بحسب الناموس أن خطاياهم قد تم التكفير عنها، (عب ٩: ٢١).

كانت الذبيحة تعد أيضاً مقدمة بدلية أمام الله؛ فهي تقديم حياة حيوان بدلاً عن الإنسان. ولأن غلة الأرض هي قوام الحياة، سمح الناموس للعبرانيين بتقديمها دقيماً^(٨). وبالمثل الخمر الذي كان يشير إلى الحياة الممتلئة. كما كان يتم تقديم الابن البكر في كل أسرة لله، لا لذبحه كما فعل باقي الأمم، بل لتكريسه للرب. ومهما تنوعت الذبائح أو التقديمات فهي تنحصر في خمسة أنواع رئيسية تتشابه في أشياء وتختلف في أخرى: ذبيحة المحرقة، وتقديم الدقيق، وذبيحة الشركة أو السلامة، وذبيحة الخطية، وذبيحة الإثم، (لاويين ١-٧).

ولم يصحب تقديم الذبيحة العبرية أية ممارسات سحرية، فهي ذبيحة عهد مباشرة قبل الله بأن يستجيب لمقدمها. وقد أدرك الإنسان العبري أن الحيوان يمثله ويحل محله في تلقي العقاب المستحق عليه. كما قبل الله بسبب عهده مع شعبه موت الحيوان كما لو أنه موت الإنسان. كفر دم ذبيحة الكفارة السنوية عن خطايا عام كامل قد مضى ليبدأ الإنسان من جديد، (لا ١٦). كانت خطايا الإنسان تتراكم مقدماً، كما لو أنها تتزايد علواً عاماً بعد عام. ولكن طالما قدم الإنسان العبري الذبيحة، حظي بتأكيد إلهي بأن مكانته مع الله آمنة. كما كان على الإنسان العبري أن يذبح ذبيحته بقلب تائب وصالح، فلا بد أن يكون مخلصاً؛ فالذبائح لا بد أن تقدم بالإيمان، (عب ١١: ٢٨). كانت الذبائح تطهر الضمير فقط، فعندما يؤمن الإنسان أن الله صالح في كلمته وأنه يقبل دم الحمل المسفوك عوضاً عنه، فإنه يتحرر من مشاعر الذنب ليبدأ أمام الله بداية جديدة بدون خطايا الماضي^(٩).

٨ - كان الدقيق يقرب كنقدمة محرقة وأيضاً كقربان عن الخطية كما في (٥٤: ١١)، المترجم.
٩ - لم ترق فعالية ذبائح العهد القديم كظلال إلى فعالية ذبيحة المسيح، فالأولي قدمت تطهيراً وقتياً، أما الثانية فقد استطاعت أن تنزع جسد الخطية، (عب ١٠)، المترجم.

الذبيحة العبرية مقابل اليونانية

اختلف اليونانيون والعبرانيون في طقوس تقديم الذبائح برغم أن اللفظة العبرية "ذبيحة" لها مقابل يوناني في الترجمة اليونانية السبعينية لأسفار العهد القديم. وتعبير آخر، عندما يسمع شخص يوناني كلمة ذبيحة في سياق المناقشات العبرية أو المسيحية لا يجب أن يتصور ما كان يفعله كهنة اليونان في أثينا، بل ما يفعله العبرانيون في أورشليم. ومن بعيد يبدو ما يُمارس في كلا المكانين أنه نفس الشيء. لكن كلما اقترب المرء أكثر فأكثر يجد أن الاختلاف بينهما شاسع وذلك لاختلاف المفاهيم التي صاحبت تقديم الذبيحة فيهما.

في ديانة اليونان، يقف الكاهن حاملاً سكيناً في يده أمام المذبح الموضوع عليه الحيوان. ويقف بجواره أحد أنبياء الكهانة ماسكاً بيده كتاباً للعرافة، ككتاب دائرة البروج. وتُرفع صلاة تقول: "أيتها الآلهة الساكنة في جبال الأوليمب وفي كل مكان، أئنا لنقتني منك حكمة، فأخبرنا بقدرك لمستقبلنا. من خلال هذه الذبيحة أخبرنا بمشيئتك وأعطنا حكمتك. نحن نؤمن بكتابك وسنسلك تبعاً لاستجابتك".

يشق الكاهن الذبيحة بدءاً من العنق حتى الحوض، ويقرأ الكاهن الذبيحة ليحصل منها على العلامات وذلك بتحديد شكل مسار الدم أو أشكال بعض الأعضاء في جسد الذبيحة كالقلب، والأمعاء والكبد^(١٠). يفسر النبي الواقف بجانب الكاهن هذه العلامات في ضوء كتاب العرافة. وبذلك يعلن للشعب قضاء الآلهة، على سبيل المثال قد يقول للشعب: إن تدفق الدم السريع من الناحية اليسرى للمذبح تعني عدم الدخول في أية اتفاقيات مع أي شخص لمدة ثلاثة أسابيع. وهكذا، يمكن وصف نظامهم بالكامل على أنه نوع من السحر أو العرافة. أما الذبيحة العبرية فكانت مختلفة تماماً؛ فهي طقس تحديد عهد. وكما الحال في اليونان، كان الكاهن العبري يحمل بيده سكيناً ويقف بجواره نبي للرب، إن كان هناك نبي، ومعه كتاب سفر الشريعة، ثم تُرفع صلاة تقول: "أيها الرب الإله؛ إله أبينا إبراهيم، أئنا أمامك لنعترف بخطايانا. لقد أخطأنا

١٠- فعل البابليون نفس الشيء، اقرأ (حز ٢١: ٢١)، المترجم.

في حقك .. نعلم يا رب أننا نستحق الموت إذ قلت إن النفس التي تخطئ هي تموت. ولم نخطئ وحدنا فقط بل نحن وكل شعبنا، فاعفر أيها السيد لهم ولنا. نشكرك من أجل موت هذا الحمل الذبيح عنا. نعلم أن من يستحق الموت هو نحن لكننا نثق أن هذا الدم المسفوك أمامك هو عوضاً عنا. نشكرك من أجل أنك أنت هو الإله حافظ العهد والرحمة .. " كان العبراني الوثائق في مواعيد الله يشعر بالراحة عندما يقدم ذبيحته أمام الرب. وبهذا الطقس كان يتطهر من كل مشاعر الذنب، لبدء عامًا جديدًا:

الذبيحة اليونانية	الذبيحة العبرية
المواد: مذبح، حيوان، كاهن، نبي، كتاب العرافة	المواد: مذبح، حيوان، كاهن، نبي، كتاب العهد
الصلاة: مقدمة للآلهة للحصول على معلومات بغرض معرفة المصير والقدر الذي قدرته هذه الآلهة.	الصلاة: تفيض بالاعتراف والشكر والتوسل وتحديد العهد، والتسبيح برحمة وأمانة الله من أجل حفظه لعهد.
الغرض: محاولة لخداع الأقدار بالحصول على معلومات سرية.	الغرض: تحديد العهد، والتكفير عن الخطية، وتطهير الضمير.
الأساس: ابتكار ذكي بواسطة الإنسان ليساعده على التحكم في العوامل التي تتعدى حدود قدراته	الأساس: العهد مع الله الذي يمكن الإنسان من الاستمرار في الشركة معه ومع الآخرين.
فلسفتها: تمثل نظرة قدرية لعالم مبرمج، كما أنها محاولة لرؤية الأحداث مستقبلاً.	فلسفتها: مواصلة علاقة العهد مع الله الذي فيه الحياة والأمان، فالعهد قدّم للإنسان كل ما يحتاجه

العهد القديم: المواعيد

كانت كل مواعيد العهد القديم مادية وقومية، وآنية. ويمكن تصنيفها بسهولة كما صنفها العبرانيون أنفسهم لمواعيد إيجابية أطلقوا عليها اللفظ "بركات" وأخرى سلبية يُطلق عليها "لعنات". يشير سفر اللاويين إلى المواعيد الإيجابية بالنص: "إِذَا سَلَكَتُمْ فِي فَرَائِضِي .. وَعَمَلْتُمْ بِهَا، أُعْطِيَ مَطَرُكُمْ فِي حِينِهِ، وَتُعْطِي الْأَرْضُ غَلَّتَهَا .. وَتَسْكُنُونَ فِي أَرْضِكُمْ آمِنِينَ .. وَتَطْرُدُونَ أَعْدَاءَكُمْ .. وَالتَفْتُ إِلَيْكُمْ وَأُثْمِرَكُمْ وَأَكْثَرْتُكُمْ وَأَفِي مِيثَاقِي مَعَكُمْ، فَتَأْكُلُونَ الْعَتِيقَ الْمُعْتَقَ، وَتَخْرُجُونَ الْعَتِيقَ مِنْ وَجْهِ الْجَدِيدِ. وَأَجْعَلُ مَسْكَنِي فِي وَسْطِكُمْ، وَلَا تَرُدُّكُمْ نَفْسِي. وَأَسِيرُ بَيْنَكُمْ وَأَكُونُ لَكُمْ إلهًا وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي شَعْبًا. أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ .."، (لا ٢٦: ٣-١٣). ويعرض سفر التثنية أيضًا قائمة جزئية عن تلك البركات المادية، (تث ٢٨: ١-١٤).

كانت المواعيد قومية لأنها ارتبطت بالشعب كله وليس بفرد واحد، فالفرد الأمين في العهد قد يعاني الهزيمة والسجن وسط جيل شرير. كما ارتبط تحقيق المواعيد بأرض الموعد؛ فلم تكن أبدًا وعودًا للساكنين خارج هذه الأرض. كما كانت فورية أو آنية ترتبط بحياة الدنيا الحاضرة هنا على الأرض. في الواقع، لا يوجد في هذه المواعيد أية إشارة إلى الحياة الأبدية، لأنها لم تكن جزءًا من العهد الموسوي. ربما كان هناك مفهوم ما عن الحياة بعد الموت، يتوقعه البعض أو الكل، وذلك إن حفظوا عهدهم مع الرب كأفراد. علي أي حال، لم تُذكر الحياة الأبدية ببساطة كتعبير مباشر في نص العهد. ولهذا السبب أيضًا، عندما أتى المسيح وركز بالحياة الأبدية كوعد للعهد الجديد، انجذب الناس نحوه أفواجًا. إلا أن الصدوقيين الذين عاصروه رفضوا أي رجاء للحياة بعد الموت. وقد قال عنهم المؤرخ اليهودي يوسيفوس: "نحى الصدوقيون جانبًا الاعتقاد بخلود النفس، والجزاء والعقاب المنتظر في الهاوية"^(١١). في الحقيقة، لم ينكر الصدوقيون تعليم الناموس الواضح إذ كانوا بالفعل كما قال عنهم باتن، Patten، محافظين فيما يتعلق بالناموس^(١٢)، ورافضين أي تعليم لا يمكن

11- Flavius Josephus, Wars, ii, 8, 14

12- Prescilla Patten and Rebecca Patten, Before the Times, San Francisco: Strawberry Hill Press, 1980, P. 86

تبريره بواسطته^(١٣). ومع أنه يبدو لنا أن المسيح قد انحاز للفريسيين في إيمانهم بالقيامة، إلا أن أساس الحصول على الحياة الأبدية بالنسبة له كان مختلفاً عما اعتقدوه. وبرغم أن الصدوقيين كانوا علي صواب، لصمت الناموس من جهة هذا الأمر، يمكن القول أن المسيح قد أيدهم عندما أعلن أن الحياة الأبدية متاحة من خلاله، وليس من خلال حفظ العهد القديم كما اعتقد الفريسيون، (يو: ٥: ٣٩-٤٠).

الناموس

لم تكن لفظة "الناموس" أو "التوراة" تعني شيئاً مرعباً كما يفترض البعض. إنها تعني ببساطة وصية إرشادية من الله لشعبه سواء كانت تشريعاً أو شرعاً لأحداث تاريخية. لم يكن القصد من الناموس وضع الشعب تحت أثقال مرهقة مقدر له الإخفاق في حملها. إن العلاقات الحقيقية، والدائمة تعتمد علي التفاهم المتبادل. كان على الشعب أن يعرف بكل وضوح ما يقبله الله وما لا يقبله. فلا يمكن لعلاقة أن تدوم إذا كان أحد الأطراف مثيراً للمشاكل. إن الله أظهر رحمته وأمانته الحقيقية في حفظ العهد بإعلانه لإسرائيل، ليس فقط، عن مطالبه الجوهريّة، لكن أيضاً عن الأمور التي يجب تجنبها بكل حرص. بتعبير آخر، كان الله يعين شريك العهد ليفعل المفضل لديه. إلا أن الاختبار الإنساني الطويل برهن لنا ضعف الإنسان في أفضل حالاته. فهل لم يكن الناموس مثالاً؟! حاشا، بل كان وسيلة مرضية بما يكفي لشعب الله لأن يخطو خطواته في المسار الصحيح. وبرغم كل المفشلات، يمكننا القول بكل تأكيد، حقق الناموس قصد الله من جهته.

نمو معنى الناموس

تطورت المعاني المرتبطة بلفظة "الناموس"، أو "الشرية، Law"، عبر تاريخ إسرائيل. ومن الضروري أن يكون لطلبة اللاهوت، ودارسي الكتاب فكرة

13- David S. Russel, *The Jews from Alexander to Herod*, London: Oxford University Press, 1967, p. 159

واضحة عن كيفية استخدامها في الأسفار المقدسة. فقد استخدم المسيح ورسله هذه اللفظة مراراً، وتكراراً، كما كانت مصدرًا لخلافات لاهوتية كثيرة، وسبباً في انقسام الكنائس. وما يساعدنا على تجنب الكثير من التشويش فيما يتعلق بمعنى اللفظة هو مراعاة القرينة الكتابية المستخدمة فيها. وعلي كل، فإن اللفظة "ناموس" أربعة معانٍ في الأسفار المقدسة، تطورت من الأضيق إلي الأوسع بحسب ما حدده المسيح ورسله.

تعني اللفظة أصلاً شروط العهد؛ فهي تشير إلى الجزء الملزم الذي على الإنسان القيام به كطرف في العهد. إذاً فهي صيغة مختصرة للوصية. وتعني عند استخدامها كنكرة مفردة، "وصية أو قانوناً، *a law*"، أما استخدامها معرفةً بأداة التعريف فيشير إلى شروط العهد الموسوي. وتأتي دائماً بالتوازي مع كلمات أخرى يتم فهمها عامة علي أنها مطالب شريعة موسى، (تث ٢٧: ٢-٣، ٨، ١١). وما يأتي في النص بعد ذلك، أي (تث ٢٨)، هو قائمة بوصايا العهد في شكل لعنة القسم، وقد كان على نصف الشعب أن يرددها علي مسامع النصف الآخر، الذي يقول آمين بعد كل وصية. وهكذا، تشير لفظة الناموس هنا وفي هذا الموقف تحديداً إلي وصايا العهد. وقد استخدم الرسول بولس اللفظة بهذا المعنى في معرض مناقشته للناموس في رسالته لأهل روما بقوله: "هَلِ النَّامُوسُ خَطِيئَةٌ؟ حَاشَا! بَلْ لَمْ أَعْرِفِ الْخَطِيئَةَ إِلَّا بِالنَّامُوسِ. فَإِنِّي لَمْ أَعْرِفِ الشَّهْوَةَ لَوْ لَمْ يَقُلِ النَّامُوسُ، لَا تَشْتَهَ .."، (رو ٧: ٧-٨). أكد الرسول بولس بعد ذلك أن الناموس لم تعد له قوته المميتة التي تعمل من خلال جسد الخطية، وذلك لأنه أصبح ميتاً بالنسبة له، وقد عبّر عن تحرره من هذا الناموس بالقول: "لَأَنَّ نَامُوسَ رُوحِ الْحَيَاةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَدْ أَعْتَقَنِي مِنْ نَامُوسِ الْخَطِيئَةِ وَالْمَوْتِ"، (رو ٨: ٢).

ويتضح استعمال الرسول بولس لللفظة بمعناها الضيق باقتباسه لأحد الوصايا العشر كمثال للناموس، وبالمثل فعل معلمنا يعقوب: "لَأَنَّ مَنْ حَفِظَ كُلَّ النَّامُوسِ، وَإِنَّمَا عَثَرَ فِي وَاحِدَةٍ، فَقَدْ صَارَ مُجْرِمًا فِي الْكُلِّ"، (يع ٢: ١٠). لكن لم يقصّر يعقوب معنى "ناموس" على الوصايا العشر فقط، لأنه قال،

"وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ تُحَابُونَ، تَفْعَلُونَ خَطِيئَةً، مُؤَبِّحِينَ مِنَ النَّامُوسِ كَمُتَعَدِّينَ"،
 (يع: ٢: ٩). إن الوصية بخصوص عدم المحاباة في الحكم بغض النظر عن مكانة
 المرء سواء كان كريماً أو بخيلاً، غنياً أو فقيراً، غريباً أو وطنياً، توجد نصاً في
 أماكن عديدة أخرى في شريعة موسى، (لا: ١٩: ١٥). إن المعنى الضيق للفظه
 "ناموس" إنما تشير إلى شروط العهد.

تشير لفظة "ناموس" في معناها الثاني للعهد ذاته، (أخ: ٣٥: ١٢)، كما
 تشير اللفظة للنظام الذبائحي، وخاصة ما هو موجود في (لا: ١٣). وقد
 استخدم يوحنا الرسول اللفظة بهذا المعنى: "لَأَنَّ النَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ، أَمَّا
 النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَيَسُوعُ الْمَسِيحُ صَارَا"، (يو: ١٧: ١). ويستعمل يوحنا اللفظة
 هنا لتشمل كل ما قاله موسى، فهي لا تشير فقط إلى شروط العهد بل للعهد
 كله: الأطراف والمواعيد والشروط أيضاً. وعندما يواصل يوحنا البشير كلامه
 يشير بالفعل لأطراف العهد الجديد مقابل القديم: "وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبَلُوهُ
 فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللَّهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ. الَّذِينَ وَلِدُوا
 لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ، بَلْ مِنْ اللَّهِ"، (يو: ١٢-١٣).
 ويميز الرب يسوع في (يو: ٧: ١٩-٢٣) بين ما جاء من موسى
 وما جاء من الآباء. أيضاً، وردت اللفظة كمرادف للعهد الموسوي القديم في
 الرسالة إلى أهل غلاطية، (غل: ٣: ٥، ٢١؛ ٤: ٢٤-٢٦).

تطور مفهوم الناموس إلى معني ثالث، ليشير إلى "أسفار موسى الخمسة"،
 وقد استخدم الرب يسوع هذا المعنى، وهو يخاطب تلاميذه: "... لَا بُدَّ أَنْ يَتِمَّ
 جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ"، (لو: ٢٤: ٤٤).
 وكان العرف الشائع قبل مجيء المسيح بزمن طويل أن يشير تعبير
 "ناموس موسى" إلى الأسفار الخمسة الأولى من أسفار العهد القديم. ويمكن
 للقارئ أن يطالع الشواهد الكتابية التي تؤكد هذا المفهوم، (٢ مل: ١٤: ٦؛
 تث: ٢٤: ١٦ - عز: ٦: ١٨؛ عد: ٣: ٦ - يش: ٨: ٣١؛ خر: ٢٠: ٢٥ - نح: ٨:
 ١؛ تث: ٣١: ١١ - نح: ٨: ١٨ - لا: ٢٣: ٢٣؛ غل: ٤: ٢١-٢٢ - تك: ٢١:
 ١؛ لو: ٢: ٢٢ - أخ: ٣: ١٤؛ خر: ٤٠: ١٢).

أخيراً، تعني لفظة "ناموس" نظام العهد القديم كله، وتكرر بهذا المعنى ما يزيد عن ١٥٠ مرة. وعندما يستخدم المسيح ورسله اللفظة بهذا الشكل فإنهما يقصدان عادة الأسفار المقدسة كلها قبل مجيء المسيح: ويشير البشير لوقا إلى ذلك المعنى عن فم المسيح: "كَانَ النَّامُوسُ وَالْأَنْبِيَاءُ إِلَى يُوحَنَّا. وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ يُبَشِّرُ بِمَلَكُوتِ اللَّهِ.." (لو ١٦: ١٦). وعلى نفس المنوال، ما يكتبه كاتب الرسالة إلى العبرانيين: "فَإِنَّهُ يَصِيرُ إِنْطَالُ الْوَصِيَّةِ السَّابِقَةِ مِنْ أَجْلِ ضَعْفِهَا وَعَدَمِ نَفْعِهَا، إِذِ النَّامُوسُ لَمْ يُكْمَلْ شَيْئًا. وَلَكِنْ يَصِيرُ إِدْخَالُ رَجَاءٍ أَفْضَلَ بِهِ نَقْتَرِبُ إِلَى اللَّهِ.." (عب ٧: ١٨-١٩).

والنص الكلاسيكي الذي يشير إلى طريقة تفكير الرسل هو تصريح الرسول بولس بزوال كل خدمة أو تدبير الأمور المرتبطة بموسى، مقابل خدمة العهد الجديد، (٢ كو ٣: ٤-١٥). واقتبس الرب يسوع نصاً من أحد المزامير وأشار إليه بالقول، "مَكْتُوبًا فِي نَامُوسِكُمْ.." (يو ١٠: ٣٤؛ مز ٨٢: ٦). وقد اعتادت الكنيسة الأولى تسمية كل الوثائق الخاصة بأسفار العهد القديم باسم "أسفار الناموس".

ولفهم التطور في معنى اللفظة بشكل إجمالي معكوس، يمكن للقارئ أن يتصور قُمعاً تمثل فتحته الواسعة نظام وأسفار العهد القديم كله، أما عنقه فتشير إلى جزء أصغر من العهد القديم يعرف باسم أسفار موسى الخمسة، ثم يضيق معني اللفظة بعد ذلك في الجزء الممتد بعد العنق ليشير للعهد الموسوي فقط مقابل التاريخ السابق له والعهود والتطورات التي لحقت. أما الفتحة الضيقة للقمع فتشير إلى الاستخدام الأضيق لللفظة الناموس، بمعنى الوصايا العشر، أي شروط العهد ذاته. وأعتقد أن ما كان في ذهن المسيح ورسوله بولس، من جهة لفظة "الناموس" هو أنها كانت تعني كل شيء عن العهد القديم بحسب ما هو متأصل في شروط العهد عند جبل سيناء. ولا يوجد سفر في العهد القديم يمكنه أن يهرب من التطور الحادث في المعنى والذي يظهر من خلال علاقة هذا السفر بالعهد.

خدمة الموت

كان للرسول بولس مبرر جيد عندما أطلق علي العهد القدام تعبير خدمة الموت. كان ناموس الأرض هو شريعة الدين. ولم يكن مطلوباً من خدام العهد الإشراف الديني عليه فقط، بل المدني أيضاً من خلال تنفيذ أحكامه على كل من يكسره. ولا سبيل للهروب من هذا الأمر لأنه من المحال في الدولة الثيوقراطية أن يكون هناك فشل ديني دون أن يمثل تمرّداً مدنياً أيضاً. على سبيل المثال، يوجد أمر ملزم بقتل المخطئ لكل وصية من الوصايا العشر. وينطبق هذا الأمر علي كل الوصايا ما عدا الوصية الأخيرة، والمرتبطة بالنهي عن الاشتهااء، لأنها خطيئة شخصية بدرجة كبيرة ويتعذر التأكد منه بشهادة شهود.

- "مَنْ ضَرَبَ إِنْسَانًا فَمَاتَ يُقْتَلُ قَتْلًا"، (خر ٢١: ١٢).
- "وَإِذَا نَطَحَ ثَوْرٌ رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً فَمَاتَ .. فَالْثَوْرُ يُرْجَمُ وَصَاحِبُهُ أَيْضًا يُقْتَلُ"، (خر ٢١: ٢٨، ٢٩).
- "لَا تَدْعُ سَاحِرَةً تَعِيشُ"، (خر ٢٢: ١٨).
- "كُلُّ مَنْ اضْطَحَّ مَعَ بَهِيمَةٍ يُقْتَلُ قَتْلًا"، (خر ٢٢: ١٩).
- "وَأَمَّا النَّبِيُّ الَّذِي .. يَتَكَلَّمُ بِاسْمِي كَلَامًا لَمْ أَوْصِهِ .. يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ إِلَهَةٍ أُخْرَى، فَيَمُوتُ .."، (خر ١٨: ٢٠).
- "إِذَا عَسَرَ عَلَيْكَ أَمْرٌ فِي الْقَضَاءِ .. وَاصْعَدَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلَهُكَ، وَأَذْهَبَ إِلَى الْكَهَنَةِ اللَّائِيَّيْنَ .. فَتَعْمَلُ .. حَسَبَ الشَّرِيعَةِ الَّتِي يُعَلِّمُونَكَ وَالْقَضَاءِ الَّذِي يَقُولُونَ لَكَ تَعْمَلُ .. وَالرَّجُلُ الَّذِي يَعْمَلُ بِطُغْيَانٍ، فَلَا يَسْمَعُ لِلْكَاهِنِ .. أَوْ لِلْقَاضِي، يُقْتَلُ .."، (تث ١٧: ٨-١٣).

قائمة بكل الوصايا والنصوص التي يجب تنفيذ حكم الموت على المخطئ فيها:

١- "لَا يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي"، (خر ٢٠: ٣)	"مَنْ ذَبَحَ لِآلِهَةٍ غَيْرِ الرَّبِّ وَحْدَهُ، يُهْلِكُ"، (خر ٢٢: ٢٠).
٢- "لَا تَصْنَعْ لَكَ تِمَثَالًا مَنحُوتًا .."، (خر ٢٠: ٤)	"وَإِذَا أَغْوَاكَ .. أَخَوْكَ .. قَائِلًا، نَذْهَبُ وَنَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى .. تَرْجُمُهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ .."، (تث ١٣: ٦-١٠).
٣- "لَا تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِكَ بَاطِلًا .."، (خر ٢٠: ٧)	"وَمَنْ جَدَفَ عَلَى اسْمِ الرَّبِّ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ .."، (لا ٢٤: ١٦).
٤- "أَذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِقُدْسِهِ"، (خر ٢٠: ٨)	".. وَجَدُوا رَجُلًا يَحْتَطِبُ .. يَوْمَ السَّبْتِ .. فَقَالَ الرَّبُّ .. قَتْلًا يُقْتَلُ الرَّجُلُ .. فَمَاتَ"، (عدد ١٥: ٣٥-٣٦).
٥- "أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ .."، (خر ٢٠: ١٢)	"وَمَنْ شَتَمَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يُقْتَلُ قَتْلًا"، (خر ٢١: ١٧).
٦- "لَا تَقْتُلْ"، (خر ٢٠: ١٣)	"مَنْ ضَرَبَ إِنْسَانًا فَمَاتَ يُقْتَلُ قَتْلًا"، (خر ٢١: ١٢-١٦).
٧- "لَا تَزْنِ"، (خر ٢٠: ١٤)	"وَإِذَا زَنَى رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ .. فَإِنَّهُ يُقْتَلُ .."، (لا ٢٠: ١٠).
٨- "لَا تَسْرِقْ"، (خر ٢٠: ١٥)	"إِنْ وَجَدَ السَّارِقُ .. فَضْرَبَ وَمَاتَ، فَلَيْسَ لَهُ دَمٌ"، (خر ٢٢: ٢).
٩- "لَا تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةً زُورٍ"، (خر ٢٠: ١٦)	"فَإِنْ فَحَصَ الْقَضَاءُ جَيِّدًا، وَإِذَا الشَّاهِدُ شَهِدَ كَاذِبٌ .. فَافْعَلُوا بِهِ كَمَا نَوَى أَنْ يَفْعَلَ بِأَخِيهِ"، (تث ١٩: ١٨-١٩).
١٠- "الطَّمَعُ الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ"، (كو ٣: ٥)	"إِذَا وَجَدَ .. رَجُلٌ أَوْ امْرَأَةٌ يَفْعَلُ شَرًّا .. وَيَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى .. ارْجُمُهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ"، (تث ١٧: ١-٥).

لا عجب، بعد قراءة كل هذه النصوص، أن يطلق الرسول بولس علي العهد القديم خدمة الموت! فلكي يكون المرء مخلصاً للناموس كان عليه أن يقدم الموت لصديقه وجاره المخطئ. لذا يعني التحرير من الناموس تحريراً من

الموت. وقد قرر الرسول بولس أن العهد الموسوي، هو ناموس الخطية الموت، وقد تحرر منه بناموس الروح المحيي في المسيح، (رو ٨: ٢). وكتب في رسالة أخرى عن الناموس أنه كَانَ ضِدًّا لَنَا، (كو ٢: ١٤). ووضح لنا السبب الرئيس لمجيء المسيح بقوله أن الآب أرسله لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّنَبُّيَّ، (غل ٤: ٥). واندھش من أهل غلاطية الذين يرغبون في العودة مرة أخرى للعيش تحت الناموس: "... كَيْفَ تَرْجِعُونَ أَيْضًا إِلَى الْأَرْكَانِ الضَّعِيفَةِ الْفَقِيرَةِ الَّتِي تُرِيدُونَ أَنْ تُسْتَعْبَدُوا لَهَا مِنْ جَدِيدٍ؟ أَنْتُمْ حَافِظُونَ أَيَّامًا وَشُهُورًا وَأَوْقَاتًا وَسِنِينَ .."، (غل ٤: ٩-١١). واستنتج أنه ما من أحد يمكنه حفظ الناموس، سواء على مستوى الفرد أو الأمة، وبالتالي لا يمكن لأحد أن يترنم به طالما بقيت لعنته سارية المفعول بعد أن وافق عليها إسرائيل في حال كسرهم له: "... جَمِيعَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَعْمَالِ النَّامُوسِ هُمْ تَحْتَ لَعْنَةٍ، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ، مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لَا يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ"، (غل ٣: ١٠).

الخيمة وتابوت العهد

من أكثر الأشياء أهمية في ناموس العهد القديم خيمة الاجتماع والتابوت. وقد تطورت ديانة إسرائيل كلها بالارتباط بهما كأقدس شيئين في إسرائيل. تسلّم موسى بكل وضوح التفاصيل المتعلقة بالخيمة التي تصف أثنائها بعناية فائقة مع كل إجراءات ممارسة الخدمة داخلها، طريقة دخولها، أو الاقتراب منها. ورافقت الخيمة أسباط بني إسرائيل أثناء رحلاتهم في البرية. أما في وقت الراحة فكان يحل بنو إسرائيل بخيامهم حولها. وعد الله بأن يكون مع شعبه فقادهم بعمود سحاب نهارًا وعمود نار ليلاً، ساكنًا وسطهم بهذه الخيمة. ويعني وجود الله وسط إسرائيل بلمعان مجده الساطع من خلال جدران هذه الخيمة أن كل الأمور تمضي بشكل جيد. وتحولت هذه الخيمة فيما بعد إلى الهيكل الذي بناه الملك سليمان في أورشليم.

كان التابوت صندوقًا خشبيًا مغطيًا بالذهب المطروق، ومنقوشًا بالزخارف،

وموضوعاً في أقدس مكان بخيمة الاجتماع، قدس الأقداس. عُرف الغطاء الموجود فوقه باسم كرسي الرحمة، الذي كان رئيس الكهنة يرش عليه دم الذبيحة السنوية في يوم الكفارة العظيم. وُضع بداخل التابوت عدة أشياء لها معاني هامة في تاريخ إسرائيل: لوحا الحجاره، (خر ٢٥: ١٦)، وعصا هارون التي أفرخت، وقسط من المن، (عب ٩: ٤). ولأنه لم يكن مسموحاً برفع غطاء التابوت، وُضع كتاب العهد خارج التابوت وبجانبه، شهادة على بني إسرائيل، (تث ٣١: ٢٤-٢٥). وهكذا تم حفظ نص العهد في أقدس مكان، علي أن تتم قراءته أمام جميع الناس مرة كل عام^(١٤). يشير مكان كتاب العهد إلي مسئولية كل أعضاء الشعب في معرفة وحفظ هذا العهد. كما أن العهد المائل أمام حضرة الله منح الشعب يقيناً من نجاحه. إن ما جعل التابوت والخيمة مقدسين ومميزين هو العهد الذي كان الله طرفاً فيه؛ فالعهد هو الذي أتى بكل من الخيمة والتابوت إلي الوجود. وفي وقت لاحق من التاريخ يشير الرسول بولس للكنيسة على أنها هيكل الله، وأن روحه يسكن فيها، فالخيمة القديمة كانت تلقي بظلالها علي الأمور العتيدة. وإن كان جديراً ومجيداً بالحق أن نتأمل تلك الخيمة، فكم بالأولي يكون الأمر أبهى وأعظم أن نتأملها فينا الآن؛ كنيسة الله الواحدة المجيدة.

امتلاك كنعان والقضاة

عبر بنو إسرائيل نهر الأردن ودخلوا كنعان كجماعة متحدة بعهد مع الله. لقد خرجوا من مصر كعبيد شبه عرايا، عزل بلا سلاح، أو مهارة. والآن يتوقعون امتلاك أرض كنعان بقيادة يشوع رجل الله بعد أن رحل عنهم موسى المُشرِّع الجليل. كان يشوع وقتها رجلاً عجوزاً، فهو واحد من المجموعة الأصلية التي خرجت من أرض مصر، كما كان أحد الجواسيس الاثني عشر الذين أرسلهم موسى لتجسس أرض كنعان. وقد قدّم مع كالب بن يفنة تقريراً مشجعاً ومختلفاً عن تقارير باقي الجواسيس التي أرعبت الشعب، (تث ١: ٢٢). أكّد أولئك الجواسيس أن الأرض تفيض لبناً وعسلاً، وحملوا

١٤ - راجع الفصل الأول، سمات اليهود القديمة، المترجم.

من ثمارها برهاناً علي ذلك، لكنهم صُعِقُوا من عدد وحجم سكانها، وقوة مدنها، وشعروا بعدم قدرتهم على امتلاكها، (عد ١٣ : ٣١-٣٣). وما أن أشاع هؤلاء الجواسيس العشرة مذمة الأرض حتى انطلق الشعب في التمرد على الرب وعلى موسى. حمي غضب الله عليهم، وقتل على الفور الجواسيس العشرة، كما حكم بهلاك البالغين من الشعب رجالاً ونساءً عبر أربعين عاماً من التيه في بركة سيناء.

شَهِدَ يشوع رجل الله كل هذه الأحداث: عاين المن والسلوى، طعام الشعب في البرية، (خر ١٦؛ عد ١١)، والحية النحاسية، (عد ٢١ : ٤-٩). وخاض الكثير من المعارك التي ذاق فيها طعم الانتصار. وصمد مع موسى النبي ضد انقلابات الشعب الكثيرة. لقد كان بالحق رجلاً وفيّاً صالحاً. والآن، أصبح قائداً لجيش ضعيف ومرتاب!

وفيما هو يتجول ذات مرة، وجد هذا الرجل العجوز شخصاً غريباً بالقرب من معسكره، فتحدهاه ساحباً سيفه، وصارتخاً في وجهه: "هَلْ لَنَا أَنْتَ أَمْ لَأَعْدَائِنَا؟". أجابه الغريب، "أَنَا رَئِيسُ جُنْدِ الرَّبِّ"، (يش ٥ : ١٣-١٤)، وما كان من يشوع إلا أن ركع بركبتيه اليابستين متوكئاً على طرف سيفه .. لينبطح تماماً أمام الرب. يا لروعة المنظر! برجال علي شاكلته شرع الله في أن يبارك العالم كله! وبتأثير تلك الرؤيا المهيبة، تم امتلاك الأرض، إذ خضعت المدن المسورة مدينة بعد أخرى، عبر معارك شرسة مات فيها كثيرون من سكان الأرض الأصليين: الرجال، والنساء، والأطفال، وأحياناً الحيوانات. قُسمَت الأرض على الأسباط بالقرعة، ولكن لم يسكنها سوى الشيوخ والعجائز، والزوجات والأطفال، والصبيان، إذ تجنَّد أغلب رجال إسرائيل لغزو أراضٍ أخرى لم يتم امتلاكها بعد.

كان الأمر دمويّاً وحشيّاً، يشبه ما آلت إليه الحياة على الأرض بعد الخروج من الجنة. ولعل القارئ يتساءل: هل كان الله في قلب هذه الأحداث؟ بالطبع نعم! فهو الذي أمر بها. لكن ليس هناك من داع للإساءة إلي طبيعة الله البارة العادلة؛ فالله هو لا يتغير: يفكر، ويخطط، وينفذ ما يخططه. أيضاً ليس من

الصواب الاعتقاد بأن إله العهد القديم كان إلهاً قَبلياً سريع الانتقام والغضب، في حين أن رب العهد الجديد هو مثال للعطف الأبوي. حاشا! لأن كلاهما واحد في الجوهر، بحسب كلام الرب نفسه في (يو ١٤: ٦-٩). أدرك الله أن هذا سيحدث عندما قرر أن ينفذ خططه عبر التاريخ. بالضبط كما سبق وتحدث مع إبراهيم قائلاً، "وَفِي الْجِيلِ الرَّابِعِ يَرْجِعُونَ إِلَيَّ هَهُنَا، لِأَنَّ ذَنْبَ الْأُمُورِيِّينَ لَيْسَ إِلَيَّ الْآنَ كَامِلاً"، (تك ١٥: ١٦). وعلى القارئ العزيز ألا يسيء الظن بالله، الذي لديه القدرة على تنفيذ خططه. وعد الله أن يعطي هذه الأرض لنسل إبراهيم، والآن ينفذ ما وعد به؛ فالله صاحب الدور الأساسي والأعظم في امتلاك أرض كنعان^(١٥).

راحاب وأريحا

يظهر اسم راحاب، بشكل غير متوقع بين أسماء العظماء في تاريخ الخلاص (عب ١١). كما كانت امرأة زانية تدير بيتاً للدعارة. وقد لمع اسمها بسبب ارتباطها بالعهد، لذا فتاريخها جدير بالتأمل، إذ تشبه قصتها تقريباً قصة الجنس البشري كله.

أرسل يشوع جاسوسين إلى المنطقة المأهولة بالسكان غرب أريحا، والتي تقع في وادٍ مزدهر تكثر به الينابيع الطبيعية حتى يومنا هذا. كانت الأسوار تحيط بأريحا من جميع الجهات. وما أن دخل الجواسيس المدينة، إلا وعلم الناس بخبرهم. ولما أصبح الجاسوسان في خطر داهم، دخلا بيت راحاب، *Inn keeper*، المتاخم للسور، طالبين مساعدتها. أقنعاها بأنها ستكون في عناية الله الذي أتى بشعبه لهذه الأرض، كما أوضحها لها حقيقة سقوط المدينة الوشيك. آمنت راحاب بما قالاه، فإله إسرائيل ضرب أرض مصر بضربات عظيمة وأعان شعبه على ستة ملوك عبر الأردن، وأعلن بقسم الدم أن يعطيهم أرض كنعان ملكاً لهم. ويتجلى إيمان راحاب من خلال كلماتها للجاسوسين، بقولها: "عَلِمْتُ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَعْطَاكُمْ الْأَرْضَ .. رُعْبُكُمْ قَدْ وَقَعَ عَلَيْنَا ..

١٥- لا ينبغي أن يشك القارئ في حكمة الله وصلاحه، فهو يستخدم شعوباً لتأديب شعوب أخرى، فقد استخدم الله إسرائيل لإبادة الكنعانيين، ولاحقاً، استخدم الآشوريين، والبابليين لتأديب شعبه بإجلالهم عن الأرض، (مل ١٧: ١-٤١؛ ٢٥: ١-٢٧)، المترجم.

لَأَنَّنَا قَدْ سَمِعْنَا كَيْفَ يَبْسُ الرَّبُّ مِيَاهَ بَحْرِ سُوفَ قُدَّامَكُمْ عِنْدَ خُرُوجِكُمْ مِنْ مِصْرَ، وَمَا عَمَلْتُمُوهُ بِمَلَكِي الْأُمُورِيِّينَ اللَّذِينَ فِي عَبْرِ الْأَرْدُنِّ .. سَمِعْنَا فَذَابَتْ قُلُوبُنَا وَلَمْ تَبْقَ بَعْدَ رُوحٍ فِي إِنْسَانٍ بِسَبِّكُمْ .." (يش ٢: ٩-١١).

قبلت راحاب مساعدتهما مقابل العناية بها وبعائلتها عند سقوط المدينة. كما عقدت معهما صفقة؛ وقطعت معها عهداً كان طرفاه الجاسوسين وراحاب. أما شروطه فهي تخبئة الجاسوسين وإنزاهما من على السور خارج المدينة، دون إفشاء سرهما، مع تعليق حبل قرمزي، طويل ومرئي بوضوح من نافذة شباكها المطل على السور، أما مواعيد تلك الصفقة فكانت الحياة لها ولكل أسرتها.

- "فَالآنَ احْلَفَا لِي بِالرَّبِّ وَأَعْطِيَانِي عِلَامَةً أَمَانَةٍ .." (يش ٢: ١٢).
- "فَقَالَ لَهَا الرَّجُلَانِ، نَفْسُنَا عَوْضُكُمْ لِلْمَوْتِ إِنْ لَمْ تُفْشُوا أَمْرَنَا هَذَا .." (يش ٢: ١٤).

- "هُوَذَا نَحْنُ نَأْتِي إِلَى الْأَرْضِ، فَارْبِطِي هَذَا الْحَبْلَ مِنْ خُيُوطِ الْقِرْمِزِ فِي الْكُوءَةِ الَّتِي أَنْزَلْتِنَا مِنْهَا، وَاجْمَعِي إِلَيْكَ فِي الْبَيْتِ أَبَاكَ وَأُمَّكَ وَإِخْوَتَكَ وَسَائِرَ بَيْتِ أَبِيكَ. فَيَكُونُ أَنْ كُلُّ مَنْ يَخْرُجُ مِنْ أَبْوَابِ بَيْتِكَ إِلَى خَارِجٍ، فَدَمُهُ عَلَى رَأْسِهِ"، (يش ٢: ١٨-١٩).
- "وَإِنْ أَفْشَيْتِ أَمْرَنَا هَذَا نَكُونُ بَرِيئِينَ مِنْ حَلْفِكَ الَّذِي حَلَفْتِنَا"، (يش ٢: ٢٠).

- "فَقَالَتْ، هُوَ هَكَذَا حَسَبَ كَلَامِكُمَا .. وَرَبَطْتُ حَبْلَ الْقِرْمِزِ فِي الْكُوءَةِ"، (يش ٢: ٢١).

وقبل غزو أريحا، قال يشوع للرجلين: "ادْخُلَا بَيْتَ الْمَرْأَةِ الزَّانِيَةِ وَأَخْرِجَا مِنْ هُنَاكَ الْمَرْأَةَ وَكُلَّ مَا لَهَا كَمَا حَلَفْتُمَا لَهَا. فَدَخَلَ الْعَلَامَانِ الْجَّاسُوسَانِ وَأَخْرِجَا رَا حَابَ وَأَبَاهَا وَأُمَّهَا وَإِخْوَتَهَا .. وَأَخْرِجَا كُلَّ عَشَائِرِهَا .. وَأَحْرِقُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ مَعَ كُلِّ مَا بَهَا .. وَاسْتَحْيَا يَشُوعُ رَا حَابَ .. وَكُلَّ مَا لَهَا، وَسَكَنْتَ فِي .. إِسْرَائِيلَ .. لِأَنَّهَا خَبَّاتِ الْمُرْسَلِينَ .." (يش ٦: ٢٣-٢٥).

من هذه القصة العرضية، يمكننا أن نخرج بعدة مبادئ: أولها أن مساعدة شعب العهد هو مساعدة مباشرة للرب يهوه إله وسيد العهد، فلا يمكن الفصل تقريباً بين عهد الله وشعبه؛ فالعهد هو ما جعلهم شعباً، كما أنه يجب على هذا الشعب أن يحفظ ويؤيد، ويحمي علاقة العهد. أما المبدأ الثاني فيتكشف لنا في حفظ العهود التي تؤمّن وتضمن استمرارية المجتمع. لأن أخلاقيات العهد، أي حفظ شروطه تصبح فارغة إن لم يوجد التزام محدد يتفق عليه طرفا العهد. فلم تكن ديانة إسرائيل ديانة ذاتية يعمل فيها كل طرف بالاستقلال عن الطرف الآخر. إن أخلاقيات العهد تتطلب معياراً محدداً يقبل به كلا الطرفين. أما المبدأ الثالث هو أن أي سمة خلقية محددة يملكها الفرد، قبل أو في وقت ارتباطه بالعهدي مع الله أو شعبه، أقل أهمية من الثقة التي يضعها هذا الفرد في إله العهد أو شعبه. إن راحاب خلصت لأنها ساندت خطة الله من جهة شعبه. وفي تاريخ الخلاص، كل من يساند خطط الله يأتي ذكره عبر التاريخ كبطل، بغض النظر عن أخلاقياته الماضية.

ونفس الشيء ينطبق على شمشون. برغم مشكلاته الكثيرة مع النساء، وموته كأعمى أسير بعيداً عن وطنه ينظر إليه العبرانيون كبطل، لماذا؟ لأنه كان قاضياً عظيماً، حكم بأحكام عادلة حسب الناموس، (قض ١٥ : ٢٠). ولم يلتزم بشروط العهد فقط بل ساند شعب الله عندما قاوم أعدائه. غطت هذه الحقيقة كل ضعفات شمشون البشرية، حتى أن كاتب الرسالة للعبرانيين يحسبه من أبطال الإيمان.

وتتضح هذه النقطة مرة أخرى مع الأبناء الأوغاد لعالي الكاهن. لقد خدموا عند مذبح خيمة الاجتماع وكان لهم نصيب من كل ما يُذبح. ولكنهم أخذوا من الذبائح ما لا يحق لهم، مخالفين شريعة الرب، (١ صم ٢ : ١٢). وما ضاعف من خطورة عملهم استغلالهم للنساء اللاتي كن يأتين لتقديم الذبائح أو للعمل في الخيمة. سمع عالي أبوهم بالأمر فقال لهم: "لَا يَا بَنَيَّ، لَأَنَّهُ لَيْسَ حَسَنًا الْخَبِيرُ الَّذِي أَسْمَعُ. تَجْعَلُونَ شَعْبَ الرَّبِّ يَتَعَدُّونَ. إِذَا أَخْطَأَ إِنْسَانٌ إِلَى إِنْسَانٍ يَدِيئُهُ اللَّهُ. فَإِنْ أَخْطَأَ إِنْسَانٌ إِلَى الرَّبِّ فَمَنْ يُصَلِّي مِنْ أَجْلِهِ؟"، (١ صم ٢ : ٢٤-٢٥). ولعدم توبتهم قرر الله أن يلغي ما وعد به أسلاف عشيرة عالي بأن يكونوا

كهنة للأبد: " .. إِنِّي قُلْتُ إِنَّ بَيْتَكَ وَبَيْتَ أَبِيكَ يَسِيرُونَ أَمَامِي إِلَى الْأَبَدِ. وَالْآنَ يَقُولُ الرَّبُّ، حَاشَا لِي! فَإِنِّي أَكْرُمُ الَّذِينَ يُكْرِمُونِي، وَالَّذِينَ يَحْتَقِرُونِي يَصْغُرُونَ. هُوَذَا تَأْتِي أَيَّامٌ أَقْطَعُ فِيهَا ذِرَاعَكَ وَذِرَاعَ بَيْتِ أَبِيكَ .. وَأَقِيمُ لِنَفْسِي كَاهِنًا أَمِينًا يَعْمَلُ حَسَبَ مَا بَقَلِي وَنَفْسِي .."، (١صم ٢: ٣٠-٣٥).

وهكذا استمر تاريخ شعب العهد بنجاحاته وإخفاقاته. افتقر شعب إسرائيل للمهارة في الزراعة، ويبدو أنهم كانوا هكذا في الصناعة أيضًا. منعهم الفلسطينيون أثناء حكم الملك شاول من صهر الحديد أو الاحتراف فيه كحدادين، (١صم ١٣: ١٩). ومع ذلك ساهم شاول بالكثير من أجل إسرائيل بالرغم من الصعوبات الجمة التي واجهته. ومع أنه حقق بعض المصالح لإسرائيل، إلا أنه كان مجنوناً متقلب المزاج، إذ تغيرت طبيعته في النهاية لدرجة يصعب معها التقويم. لقد عصى أوامر الله المباشرة، (١صم ١٥: ٣)، كما زاد في خيائته للرب باستشارته العرافين، (١صم ٢٨: ٨). والأسوأ من كل ذلك، رفع يده ليسيء لداود؛ الشاب الذي مسحه الله ليكون ملكاً على شعبه.

العهد الداودي

يعتبر داود أكثر الملوك شهرةً في التاريخ العبري، فقصته مألوفة ولا تحتاج إلى تكرار. نشأ داود في مجتمع رعوي بسيط بمدينة بيت لحم. ولعت شهرته بسبب قتله جُلَيَّات الفلسطينيين الجبار، وزواجه من ابنة الملك شاول. وفيما بعد خاصمه وطارده الملك شاول بسبب شهرته ومسح صموئيل النبي له ملكاً. ولهذا، عاش داود فترة طويلة طريداً وقائداً لمجموعة من الرجال كانت بنظر الملك عصابة ثورية تسعى لانتزاع العرش. انضم داود لفترة من الزمن إلى الجيش الفلسطيني وعُيِّن قائداً على إحدى وحداته، (١صم ٢٧: ١). وأخيراً، بعد موت شاول ويوناثان ابنه، تُوج داود ملكاً على سبط يهوذا في حبرون.

وقعت أراضي سبط بنيامين بين حدود أراضي يهوذا في الجنوب وباقي أسباط إسرائيل شمالاً. كان داود مسالماً لهذه الأسباط رغم ملك إيشبوشث ابن شاول البنياميني عليها. إلا أن الأمر لم يستمر على هذا الحال إذ انقلب

سبط بنيامين علي بيت شاول لمساندة داود. وقد بدأ هذا التحول عندما أتهم الملك إيشبوشثُ أُنْبَيَّرَ القائدَ العسكري للأسباط الشمالية بعدم الولاء لأبيه. انحاز أُنْبَيْر مع الكثيرين من سبط بنيامين إلى جانب داود، كما ناشد باقي قادة أسباط إسرائيل شمالاً بالولاء لداود الملك المختار من الله.

تعقدت الأمور عندما قام يوأب، رئيس جيش داود وابن عمه، بقتل أُنْبَيْر عند رجوعه إلى إسرائيل لعقد مؤتمر للصالح القومي. شعر داود بالحرج الشديد وناح أمام جميع الشعب الذي اقتنعت أسباطه بأنه لم يكن متورطاً في هذه الجريمة. في ذلك الوقت قُتِلَ إيشبوشث ابن شاول. بعدها، بدأت تسعى أسباط الشمال في طلب الوحدة، فأعلن مجلس شيوخ المنطقة الشمالية أن داود هو ملكهم. وهكذا، ذهبوا ليمسحوا داود ملكاً على كل إسرائيل بعد أن مَلَكَ على يهوذا في الجنوب لمدة ٧ سنوات، (٢ صم ٢-٥).

كان مُلْكُ داود ناجحاً، إذ امتدت مملكته لتضم كل الأراضي التي وعد بها الرب إبراهيم جده. رَسَخَ داود العدل ورفع من شأن الناموس، بعد أن دعمته كل القوى السياسية في الأرض: الكهنة بتكتلهم القوي، والجيش الذي قاده أصدقاء الحروب القدامى، وشيوخ الأسباط الذين تاقوا للسلم وإعادة البناء، وعامة الشعب الذين عاشوا في عهده بلا خوف من غزو الفلسطينيين. كما استطاع داود أن يأسر حصن مدينة ييوس العظيمة ويجعله عاصمةً للمملكة الموحدة^(١٦). وأعاد التابوت لجبل صهيون، وهو يرقص فرحاً أمامه. كما بدأ في التخطيط لبناء الهيكل مثبتاً الناموس كشريعة للأرض سارية المفعول. وهكذا تحققت كل المواعيد التي قيلت لإبراهيم ما خلا واحداً. لقد أصبح بنو إسرائيل أمة عظيمة، إذ صار لإسحاق ابن إبراهيم شعباً عظيماً. والأكثر من ذلك، يسكن هذا الشعب بالفعل أرضاً تفيض لبناً وعسلاً، ويتمتع بملكه داود؛ المحارب الخبير، والموسيقار الرقيق، والمدير الحكيم. لكن ماذا عن وعد العهد ببركة كل الأمم في نسل إبراهيم؟ لقد تحقق هذا الوعد وإن كان بعد زمن داود بحوالي ٩٠٠ سنة أخرى من تحقيق هذين الوعدين.

١٦- كانت أورشليم قبل أن يستولي عليها داود تُعرف باسم حصن اليبوسيين، (٢ صم ٥: ٤-١٠).

هبة الله لداود

على الرغم من أن داود مرَّ بجاذب عرضي مخزٍ مع بشبع، زوجة أوريا الحثي، إلا أنه يُذكر بشكل تام كأعظم ملوك إسرائيل. لقد أدرك من خلال خطايه التي ارتكبها أنه ليس هناك إنسان فوق الناموس؛ فالملك ورجل الأرض العادي كانا متساويين أمام ناموس الرب. وتكمن خطورة خطية داود في أنه كان المثال لشعبه الذي كان يميل وبشدة آنذاك لتقليد ملكه، فمن شابه ملكه ما ظلم. وقبل هذه الواقعة، أعلن الله لعبده داود من خلال النبي ناثان، عن هبة عظيمة.

- "وَالآنَ .. تَقُولُ لِعَبْدِي دَاوُدَ أَنَا أَخَذْتُكَ .. مِنْ وَرَاءِ الْغَنَمِ لِتَكُونَ رَئِيسًا عَلَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ .."
- "وَالرَّبُّ يُخْبِرُكَ أَنَّ الرَّبَّ يَصْنَعُ لَكَ بَيْتًا .. أَقِيمْ بَعْدَكَ نَسْلَكَ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكَ وَأُثْبِتَ مَمْلَكَتَهُ"
- "هُوَ يَبْنِي بَيْتًا لِاسْمِي، وَأَنَا أُثْبِتُ كُرْسِيَّ مَمْلَكَتِهِ إِلَى الْأَبَدِ. أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبًا وَهُوَ يَكُونُ لِي ابْنًا .."
- "إِنْ تَعَوَّجَ أَوْدَبُهُ بِقَضِيبِ النَّاسِ وَبِضَرْبَاتِ بَنِي آدَمَ. وَلَكِنْ رَحْمَتِي لَا تُنْزَعُ مِنْهُ .."
- "وَيَأْمَنُ بَيْتُكَ وَمَمْلَكَتُكَ إِلَى الْأَبَدِ أَمَامَكَ. كُرْسِيُّكَ يَكُونُ ثَابِتًا إِلَى الْأَبَدِ .." (٢صم ٧: ٨-١٧).

تشبه صيغة الكلام هبات العهود القديمة المعروفة باسم "عهد السيد مع العبد"، وإن اختلفت بطرق لها دلالتها عن العهود بين الدول. وفي أحد الهبات من آشوربانيبول، Ashurbanibol، لخادمه بولطا، Balta، نجد نفس اللغة، حيث يخاطب السيد عبده بالقول: "بولطا صاحب القلب المخلص لسيده، ثَبَّتْ أُمَامِي بِكُلِّ ثَقَةٍ، وَسَرَتْ بِالْكَمَالِ فِي قَصْرِي .. وَحَفِظْتَ وَصِيَّةَ مَلُوكِيَّتِي .. أَنَا أَقْدَرُ عِلَاقَتَكَ الصَّالِحَةَ مِنْ نَحْوِي وَلِذَا أَقَرُّ مَنَحَكَ هَذِهِ الْهَبَةَ^(١٧)". كان

17- Moshe Weinfeld, "Covenant," *Encyclopaedia Judaica*, V, Jerusalem: Keter Publishing House, 1971, P. 1018

التعبير "هُوَ يَكُونُ لِي ابْنًا" تعبيرًا مألوفًا في هبات العهود القديمة بين أي سيد وعبد. لقد كان العبد النليل يُعْتَبَرُ ابْنًا لسيده بالتبني، كما كانت ترتقي مكانته لوarith. وقد أدرك داود صيغة العهود القديمة ^(١٨)، فدعا سليمان ابنه قبل موته ليوصيه بمواصلة التزامه مع الرب، إذ لا يمكن لابن العبد أن يحل محل أبيه كخادم متعاقد مع السيد الإله ما لم يلتزم هذا الابن بنفس إخلاص وولاء أبيه: "أَنَا ذَاهِبٌ فِي طَرِيقِ الْأَرْضِ كُلِّهَا، فَتَشَدَّدْ وَكُنْ رَجُلًا. احْفَظْ شَعَائِرَ الرَّبِّ إِيْلَهُكَ، إِذْ تَسِيرُ فِي طَرَفِهِ، وَتَحْفَظْ فَرَائِضَهُ، وَصَايَاهُ وَأَحْكَامَهُ وَشَهَادَاتِهِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى، لِكَيْ تَفْلَحَ فِي كُلِّ مَا تَفْعَلُ وَحَيْثُمَا تَوَجَّهْتَ. لِكَيْ يُقِيمَ الرَّبُّ كَلَامَهُ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ عَنِّي قَائِلًا، إِذَا حَفَظَ بَنُوكَ طَرِيقَهُمْ وَسَلَكُوا أَمَامِي بِالْأَمَانَةِ مِنْ كُلِّ قُلُوبِهِمْ وَكُلِّ أَنْفُسِهِمْ، قَالَ لَا يُعْذَمُ لَكَ رَجُلٌ عَنْ كُرْسِيِّ إِسْرَائِيلَ"، (١مل ٢: ٢-٤).

وإليك عزيزي القارئ موجز مختصر للعهد الداودي:

الأطراف: الله وداود (٢ صم ٧: ١٢-١٧)

الشروط: حفظ ناموس موسى (١مل ٢: ٢)، الابتعاد عن الأصنام (١مل ١١: ٩)، حماية وتأيد العهد (١مل ١١: ٣٣)

المواعيد: نسل داود يكون ملكًا، (٢ صم ٧: ١٣)، وعد بالعقاب في حال كسر العهد دون التخلي عن البيت الملكي، (٢ صم ٧: ١٥)، أن يكون ملكًا على سبطين، (١مل ١١: ٣٦)، "ولا نهاية للملكه"، (١مل ١١: ٣٩، لو ١: ٣٣)

وهنا نجد نموذجًا آخر لوعد عام مقدم لجماعة، فإن التزم الفرد في هذه الجماعة بعهده ينال مواعيد بركاته، أما إن خان عهده فلا ينال إلا لعناته. وبمعنى آخر أدرك داود جيدًا أن الهبة كانت مشروطة. لقد فهم أنه يجب على سليمان أن يحل محل أبيه في التمتع بالامتيازات، وفي الالتزام بالمسئولية أيضًا. وقد اتضح هذا الأمر عندما انحرف سليمان بعيدًا عن الله فضاعت من بيت داود الأسباط الشمالية: "فَقَالَ الرَّبُّ لِسُلَيْمَانَ، مِنْ أَجْلِ أَنْ ذَلِكَ عِنْدَكَ،

١٨- يتجلى الفهم العميق للملك داود لعهد الله معه من خلال تسبخته التي قدمها للرب بعدما كلمه ناثان في (٢ صم ٧: ١٨-٢٨)، المترجم.

وَلَمْ تَحْفَظْ عَهْدِي وَفَرَائِضِي الَّتِي أَوْصَيْتُكَ بِهَا، فَإِنِّي أُمَزِّقُ الْمَمْلَكَةَ عَنْكَ تَمْزِيقًا وَأُعْطِيهَا لِعَبْدِكَ .. عَلَى أَنِّي لَا أُمَزِّقُ مِنْكَ الْمَمْلَكَةَ كُلَّهَا، بَلْ أُعْطِي سِبْطًا وَاحِدًا لِابْنِكَ .."، (امل ١١ : ٩-١٣).

وبالفعل، اختار الله خادماً نشيطاً لسليمان، وأنعم عليه بنفس نوع الهبة التي سبق ومنح مثلها لداود، وذلك بأن يملك على كل أسباط إسرائيل الشمالية عدا سبط يهوذا. وقد حاول سليمان قتل ذلك العبد، لكنه هرب إلى مصر، وعاش هناك حتى موت سليمان. وبعدها صعد ليملك على أسباط الشمال، (امل ١١ : ٢٦-١٢ : ٢٠).

علامات العهد

تتضح فكرة علامة العهد من البداية في عهد الله مع نوح. ويجب الانتباه أن علامة العهد تختلف عن قسم العهد. كانت علامات العهود في القدم كومة من الحجارة، أو عموداً حجرياً، أو أي شيء آخر يتفق عليه الطرفان أو أي شيء يفرضه طرف العهد الأقوى علي الأضعف. وكانت علامة عهد الله مع نوح هي قوس قزح: "وَضَعْتُ قَوْسِي فِي السَّحَابِ فَتَكُونُ عَلَامَةً مِيثَاقَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَرْضِ"، (تك ٩ : ١٢-١٣). أما الختان فكان علامة العهد الإبراهيمي: "فَتُخْتَنُونَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِكُمْ، فَيَكُونُ عَلَامَةً عَهْدِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ"، (تك ١٧ : ١١). أما علامة العهد الموسوي فتمثلت في حفظ السبت: "سُبُوتِي تَحْفَظُونَهَا، لِأَنَّهُ عَلَامَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فِي أَجْيَالِكُمْ .."، (خر ٣١ : ١٢-١٣). لكن فيما يتعلق بالعهد الداودي، فلم تذكر علامة محددة خاصة به^(١٩). كان حفظ العلامات يرتبط مباشرة بالعهد الذي يكون الإنسان طرفاً فيه. وبما أن العهد الموسوي تمت إضافته إلى العهد الإبراهيمي، حفظ بنو إسرائيل كلا العلامتين: الختان والسبت معاً.

عندما تكون للمرء علاقة مع الله، عليه أن يفهم ببساطة كيف يفكر الله. تعامل الله مع الشعب من حيث كونهم مخلوقين على صورته: أي كشعب

١٩- ربما كان ثبات النظام الطبيعي، تعاقب الليل والنهار، علامة على حفظ الله لعهد مع داود، (إر ٣٣ : ٢٠-٢١ : ٧٢، ٥، ١٧)، المترجم

مسئول. وكما كان على آدم أن يتعلم الحياة مع الطبيعة في جنة عدن، هكذا، علي البشرية أن تتعلم كيف تعيش مع الله. ولا يمكن للمرء أن يقول، بعد أن يضع في اعتباره التاريخ الطويل لإمهال الله وصبره علي إسرائيل عبر السنين، أن الله كثير المطالب، سريع العقاب. فكم من السنين أهانه أبناء عالي الكاهن عند أبواب خيمة الاجتماع قبل أن يتخذ الإجراء الحاسم ضدهم؟ إن الله جادٌ مع الجنس البشري، ولذا يجب على البشر السلوك أمامه ككائنات مسئولة، لكونها مخلوقة على صورته. كان صبر الله عظيمًا على سليمان؛ فبسبب نعمة خلقته بحسب الصورة الإلهية، وحفظ الله لأمانته، "حسد، חסד، *Hesed*" ورحمته من نحو عبده داود، ترك سليمان على العرش حتى مات موتًا طبيعيًا! (١مل ٣: ٦-١٤). إن تسبيح كتاب المزامير برحمة الله وطول أناته، تسبيح حق، وإن كانت هذه الرحمة تكلفه الكثير.

كان لداود أولاد كثيرون مؤهلين بحسب الدم للجلوس على العرش. وبالفعل جلس منهم الكثير على عرشه وإن لم يكن جميعهم مُرضيًا لله. استبعد الله من كانت حياتهم تتسم بانتهاكات فاضحة؛ وسمح ببساطة لحماقات وأخطاء بعضهم أن تدركهم وتدمرهم. ولكن مع مرور الزمن وحتى السبي الكبير، أي بعد مئات من السنين، حفظ الله علي الدوام ابنًا لداود، ليجلس على عرشه. فما أن يتم استبعاد فرد ما، إلا ويحل محله ابن آخر لداود. وبالإيجاز، وجود المرء في المجموعة الوارثة للعرش لا يعفيه من الالتزام بالعهد. حفظ الله العهد مع هذه العائلة بكل صبر، عامًا بعد عام حتى سُبي كل الشعب من الأرض، ولم تقم للملكة قائمة. إلا أن الأمر الذي كان له مغزاه في تاريخ هذا الشعب فيما بعد، هو التتويج النهائي للرب يسوع، نسل داود، إسرائيل الله الجديد ليملك على بيت يعقوب، وليجلس علي عرش داود ملكًا. إن الله أمين من نحو داود وبيته، إذ لا يجلس الآن ابن داود على عرش أبيه فقط بل عن عین عظمة الله أيضًا، (لو ١: ٣٢).

الشرطية

كانت العهود كالتزامات متبادلة شرطية؛ فالحروف: "إن" و "لو"، و "إذا" تُعرّف في اللغة باسم أدوات الشرط. وثمة عبارات كتابية كثيرة وواضحة تعزز فكرة الشرطية في عهد الله مع إسرائيل. إن حياة إسرائيل السعيدة ومكانته ذاتها مع الله كانا أمرين محددين بشروط ثابتة، كما كانت لصياغة العهد شروط محددة يبيّن عليها؛ فأحد مظاهر صيغة العهد هو وجود الشروط فيه: "وَإِنْ سَمِعْتَ سَمْعًا لَصَوْتِ الرَّبِّ إِلَهِكَ .. يَجْعَلُكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ مُسْتَعْلِيًا عَلَى جَمِيعِ قَبَائِلِ الْأَرْضِ"، (تث ٢٨: ١).

والوعد المعطى لإبراهيم، والآن تم تنفيذه بالكامل في كل الأمور المختصة بصيرورة إسرائيل أمة عظيمة، كان وعدًا مشروطًا على أن يكون لنسل إبراهيم نفس إيمانه وولائه، وإلا يستأصلهم الله من أرضهم بغضب عظيم ويطرهم إلى أرض أخرى، (تث ٢٩: ٢٨). أيضًا، كانت العودة للأرض وعدًا مشروطًا بالتوبة الكاملة، وفقًا لمواعيد العهد بالنص: "فَإِنْ رَدَدْتَ فِي قَلْبِكَ بَيْنَ جَمِيعِ الْأُمَمِ الَّذِينَ طَرَدَكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ إِلَيْهِمْ، وَرَجَعْتَ إِلَى الرَّبِّ .. يَرُدُّ الرَّبُّ إِلَهَكَ سَبِيلَكَ .."، (تث ٣٠: ١-٣).

وبكل الثقة في صلاح الله، اقتبس الأنبياء فيما بعد هذه النصوص ذاتها لتذكير إسرائيل بشرطية العهد مع الله. كان إبراهيم مخلصًا، كما كان الله أيضًا أمينًا معه، إذ من خلال قَسَمِهِ التزم بأن ينقذ نسله من عبودية المصريين. وقد أظهر الله بالفعل أمانته للعهد الإبراهيمي عندما أخرج نسله من أرض مصر. وبعد ذلك، أضاف لهذا العهد شروطًا أخرى على نسل إبراهيم، حتى أن أرضهم ومكانتهم كان من الممكن خسرانها بناءً على تمردهم الفاضح. وهكذا صار استمرارهم كأمة عظيمة مالكة للأرض أمرًا مشروطًا. كان الله بريئًا من أن يتهمه أحد بكسر عهده مع إبراهيم إذا عانى إسرائيل الخسارة. ونفس الشيء كان حقيقياً مع أبناء داود. كانت الأمانة للعهد هي كل المطلوب. كان الله حرًا أن يغيّر العهد بناءً على أي خرق فاضح، وقد رأينا أنه فعل ذلك فيما يتعلق بالأسباط العشرة عندما أعطي المملكة ليربعام ونسله، إلا أن سلالته

فقدت هذه الملكية. إن النتيجة الواجب استخلاصها هي أن العهود شرطية. وبما أن كل مواعيد الله ترتبط بعهد ما فإن كل مواعيد الله شرطية أيضاً، ولا ينطبق هذا الأمر بالحق على العهد القديم فقط بل وعلى العهد الجديد أيضاً.

ختام الفصل الثالث

تمثل الإصحاحات الأولى من سفر التكوين، (تك ١-١١) تاريخًا. ولأن التاريخ فلسفة، كانت هذه الإصحاحات فلسفية في طبيعتها. وقد اعتبر بنو إسرائيل أن تاريخهم الذاتي يبدأ بدعوة واختيار إبراهيم الذي دعاه الله، واختاره، وقطع معه عهدًا. وقد اشتملت مواعيد هذا العهد أساسًا على ثلاثة أشياء: أن يرث إبراهيم أرض كنعان، وأن يصير نسله أمة عظيمة، وأن يبارك الله من خلاله كل أمم الأرض. كان إبراهيم أمينًا في عهده مع الله الذي كان أمينًا معه أيضًا. ويؤكد يسوع هذه الحقيقة بقوله، "... لَمْ تَسْقُطْ كَلِمَةً وَاحِدَةً مِنْ جَمِيعِ الْكَلَامِ الصَّالِحِ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ عَنْكُمْ. الْكُلُّ صَارَ لَكُمْ ..." (يش ٢٣ : ١٤).

ثم جاء العهد القديم العظيم؛ العهد الموسوي الذي تم توثيقه كتابة وقبوله بشكل رسمي. أعطى الله بواسطة هذا العهد مواعيد محددة، جميعها مرتبطة بالحياة الصالحة في كنعان. وعد الله شعبه بسلام دائم مبني على أمانتهم. خلق هذا العهد من بني إسرائيل حكومة ثيوقراطية ملكها هو الله نفسه، وإن صارت هذه الحقيقة في النهاية مشكلة كبرى للشعب القديم.

كان العهد مع داود ثالث العهود الكبرى التي قمنا بدراستها. قدّم الله هذا العهد لداود في شكل هبة له ولنسله الذين صاروا سلالة حاكمة لبني إسرائيل. ولم يكد العهد يتأسس حتى تم كسره، وتعديله فيما بعد. فلا يمكن لأي ابن لداود أن يجلس على عرشه بدون حفظه وولائه للناموس. رأينا في ذلك الوقت كيف تحققت لإسرائيل كل المواعيد التي وعد بها الله أبيهم إبراهيم، باستثناء وعد واحد، ألا وهو بركة كل أمم الأرض في نسل إبراهيم.

لاحظنا أن المرء يُمنَح مكانة لائقة في التاريخ المبكر لإسرائيل بناءً على إيمانه الذي يتجلى في تأييده لله ولعهده مع شعبه. فبكل تأكيد، كان الله مهتمًا بالأخلاق، إلا أن اهتمامه الفعلي، آنذاك، كان منصبًا على نجاح شعب العهد، ودخولهم وامتلاكهم، وحياتهم في كنعان كما وعدهم.

كانت العهود تشير إلى أشياء عديدة بطريقة غير مباشرة، فهي تتضمن أن

الله شخص، وأنه روح (يو ٤: ٢٤)، يفكر، ويخطط، ويغير من الإجراءات
الضرورية لتكميل خطته، ويشعر بالفرح، والإحباط، والرضا، والغضب.
كما يفترض العهد مسبقاً قوة أخلاقية حرة في الإنسان فهو كائن مسئول.
لقد أصبح العهد المعيار الموضوعي الذي به يصبح الإنسان مسئولاً من الناحية
الأخلاقية. وهكذا، نرى في التاريخ الكتابي أن أية علاقة مع الله كانت أولاً
وقبل كل شيء علاقة عهد.

الفصل الرابع

العهد في الأنبياء والكتب

خرج شعب الله إلى الوجود من خلال العهد، الذي بدونه لما كانت لهم أية هوية. وقد فهم جون برايت، *John Bright*، وهو أحد ألمع علماء اللاهوت بأميركا هذا الأمر بقوله: "من الواضح أن بني إسرائيل دخلوا التاريخ كشعب عهد. إلا أنه بعد حوالي مائتي عام من ظهورهم الأول في فلسطين لم تكن لهم دولة، أو حكومة منظمة، أو آلية إدارية، كما لم يكن لديهم ملك، إذ كانوا في الواقع تحالفًا يتكون من عدة أسباط مرتبطة معًا بعهد مع الرب يهوه. كما كانت خيمة الاجتماع مركز الثقل الذي وحدهم؛ فهي أقدس مقدساتهم التي استقر فيها تابوت العهد، العرش المحمول للإله غير المنظور"^(١).

وقد رأينا في الفصل السابق أنه بفضل الملك داود تطور تحالف تلك الأسباط المتفرقة إلى أمة عظيمة جدًا صارت فيما بعد مملكة شرق أوسطية قوية. إلا أن حال هذه المملكة تغير بسرعة تحت حكم الملك سليمان وابنه رحبعام. ويمكن ملاحظة هذا التغير من قول الكتاب عن رحبعام بأنه: "... تَرَكَ مَشُورَةَ الشَّيْخِ .. وَاسْتَشَارَ الْأَحْدَاثَ الَّذِينَ نَشَأُوا مَعَهُ .."، (١ مل ١٢: ٨). وعلى كل، فقد تحول الشعب العبري في تلك الفترة من مجتمع رعوي قروي إلى آخر متمدين: له أحكامه، وخصوصيته، وبيروقراطيته. وبرغم صغر مملكته إلا أنه كان مجتمعًا قويًا من الناحية العسكرية. وفوق ذلك كله، كان أفرادهم هم شعب الله وأبناء العهد الذي مثل أصلهم وهويتهم ووحدتهم الأخلاقية، (خر ١٩: ٤-٦).

1-JohnBright, *CovenantandPromise*, Philadelphia: TheWestminsterPress, 1967, p.31

ومع مرور الوقت أصبحت المحافظة على الهوية القومية أمراً صعباً، فالمملكة المتحدة لإسرائيل انقسمت لمملكتين: مملكة شمالية عُرفت باسم إسرائيل، وأخرى جنوبية حملت الاسم يهوذا. ولأن الهيكل كان في حدود المملكة الجنوبية، كان سفر مواطني مملكة الشمال إلى أورشليم خطراً وخاصةً في أوقات التوتر السياسي أو الحروب، والتي بسببها كان يتم تأخير الخدمات السنوية المرتبطة بتجديد العهد لفترات طويلة. دفع هذا الأمر مملكة إسرائيل شمالاً إلى تأسيس مراكز عبادة أخرى غير أورشليم، وهو الأمر الذي أدى في النهاية إلى ضعف الولاء للعهد.

أولاً: العهد والأنبياء

في تلك الفترة، شكّل اللاويون ورجال مدارس الأنبياء جبهة قوية كانت تقاوم العرش الملكي أحياناً. تطلع أغلب ملوك إسرائيل كعبدة للبعل متساهلين دينياً إلى هدوء الأوضاع الأمنية فقط. ولهذا مثل الصوت النبوي المناوئ لهم اضطراباً دينياً أزعج سلام الأرض. وفي الوقت الذي لم يتساهل فيه هؤلاء الملوك مع الأنبياء، تجاهلوا معابد البعل بقادتها الأسخياء بالمال والنساء، وذلك في إطار التزام الناس بدفع الضرائب، وتأدية أعمالهم العامة. أدت هذه الظروف للإحجام عن دراسة الشريعة، كما قلّ الذين درّسوها وعبروا عنها بوضوح وإقناع. فلولا مجيء الناس لتقدم الذبائح، ودفع العشور للاويين بأمر من بعض ملوك يهوذا لوجدت الخدمة التعليمية والدينية صعوبة كبيرة في إعادة ملء الصفوف بالرجال الأكفاء المخلصين للعهد. لكن من أجل شعب عهده، تدخل الله مرات كثيرة عبر التاريخ من خلال عبيده الأنبياء لتصحيح هذه الأوضاع المزرية.

ما هو التاريخ

تنقسم أسفار الأنبياء لقسمين: الأنبياء الأولون والأنبياء الآخرون^(٢). وتتحدث أسفار الأنبياء الأولين عن تاريخ الأمة العبرية. لقد كان أنبياء إسرائيل مؤرخين وليس مجرد رجال افتقدهم الله بإعلانات إلهية من وقت إلي آخر. وفيما يتعلق بالتاريخ، فلا يمكن لأحد أن يصبح مؤرخاً دون أن يكون في المقام الأول فيلسوفاً. وذلك لأن كتابة التاريخ ليست ببساطة تدويناً لأحداث الماضي، وإلا تحتم على المؤرخ تدوينها بالتفصيل في كل مكان وزمان. فالتاريخ هو سجل انتقائي لأهم أحداث الماضي. وعند تدوين التاريخ، يتمثل السعي الحقيقي لأي مؤرخ في كتابة أهم أحداثه الجديرة بالتسجيل من أجل المستقبل. وبحكم أن المؤرخين بشر، فمن الطبيعي اختلافهم فيما يفضلون تدوينه. إلا أن حقيقة بداية التاريخ الكتابي بعهد الله مع إبراهيم كانت المبدأ الأساسي الذي وُحِدَ من رؤية المؤرخين من أنبياء إسرائيل عند تدوينهم له. لقد كان تتبع الإسهامات من أجل تحقيق مواعيد العهد هو المبدأ الموحد للأنبياء عند تدوين أسفارهم، في حين كان الغرض الأساسي من تدوين الأحداث السابقة للعهد الإبراهيمي هو إظهار مدى الفوضى التي آل إليها المجتمع الإنساني بسبب العصيان.

محتوى التاريخ

يتألف التاريخ من ثلاثة عناصر: أولاً فلسفة ما وراء التاريخ، فلا يوجد تاريخ حقيقي بدون أساس موحد يساعد في انتقاء الأحداث المراد تسجيلها. ثانياً، الأحداث التي يتم انتقاؤها يجب أن يكون لها معنى سام وقيمة كبيرة؛ فلا يمكن اعتبار كل حوادث الماضي أحداثاً تاريخية، لأن الحدث التاريخي هو واقعة ارتقت إلى مرتبة حدث، لما لها من معنى في ذاتها. وأخيراً لا بد من وجود معنى تفسيري ينسب لهذا الحدث.

٢- تنقسم أسفار العهد القديم إلى ثلاثة أقسام: قسم التوراة، أو الناموس ويضم أسفار موسى الخمسة، وقسم الأنبياء ويضم الأنبياء الأولين: يشوع، قضاة، سفر صموئيل، سفر الملوك، والأنبياء الآخرين ويضم إشعياء، إرميا، حزقيال، هوشع، يونس، عاموس، عوبديا، يونا، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجي، زكريا، ملاخي، وقسم الكتب ويضم المزامير، الأمثال، أيوب، نشيد الأنشيد، راعوث، مراثي إرميا، الجامعة، أسستير، دانيال، عزرا، نحميا، وسفري أخبار الأيام، المترجم.

ولا ينظر العالم الطبيعي، *the naturalist* ^(٣)، بهذه النظرة للتاريخ، لأنه يعتقد أن دورة الطبيعة المستمرة بشكل لا نهائي هي أهم شيء للحياة. والإنسان كجزء من هذه الدورة يقوم بدوره كما تفعل باقي الأشياء، ولا يجد مثل هذا العالم أي معنى في تسجيل ما مضى من أحداث؛ فما المغزى من التدوين اللاهوائي للحدود والملوك؟ فالكل ليس إلا دورة مستمرة لا معنى لها. وقد عبر نيتشي، *Nietzsche*، عن وجهة النظر هذه بشكل جيد: "الكل يمضي، والكل يعود؛ فعجلة الوجود دائرة أبدا. الكل يذبل، والكل يزهر، الكل يعود بلا انقطاع للوجود. الكل ينحل، والكل يكتمل؛ الكل يبني لنفسه داراً للوجود. الكل يفترق، والكل يجتمع؛ إن حلقة الوجود؛ دورة الطبيعة، تبقى مغلقة لداها أبداً ^(٤)."

تشكل هذه النظرة الفكر الأساسية لعبادة البعل التي سنتوسع في وصفها لاحقاً. لكن هل التاريخ حقاً أمر لا طائل منه أم أنه مهم؟ وإن كان مهماً فما هي أهميته؟ في الواقع تكمن أهمية التاريخ في وجود هدف محدد له؛ لأنه إن كان التاريخ بلا هدف فلا حاجة إليه. وقد حطّم العهد الفلسفة الأبدية لدورة الطبيعة، وذلك بوضع التاريخ في مسار مستقيم جاعلاً له معنى، حتى أن التاريخ الكتابي يتتبع المسار الذي فيه تتحقق مواعيد عهد الله. وما يؤثر على هذا المسار هو المهم بالنسبة للتاريخ؛ فأى حدث يؤثر بشكل له مغزاه على مسار العهد، يرتقي في المكانة ليصبح حدثاً تاريخياً جديراً بالتسجيل. وهكذا اهتم العبرانيون بتدوين الأحداث التاريخية التي أعاققت أو ساعدت في تحقيق مواعيد العهد.

بالمثل يسجل المؤرخون المعاصرون الأحداث التي يشعرون بأهميتها. على سبيل المثال قد تستهويهم الأحداث المرتبطة بالأثرياء وأصحاب النفوذ، فيسجلون كل الأحداث التي كانت سبباً في ثرائهم أو نفوذهم أو انحدارهم

٣- من الناحية الفلسفية أو الروحية الأخلاقية ينادي أصحاب المذهب الطبيعي، *Naturalism*، بأن المادة هي

الحقيقة الوحيدة المطلقة، المترجم

4- Hendrikus Berkhoff, *Christ the Meaning of History*, Richmond, Virginia: John Knox Press, 1966, P. 27.

وسقوطهم. ويُعرّف التاريخ المعنى بتسجيل الأحداث المتعلقة بالأمم، والثروة والملوك، والحدود والمعاهدات الدولية، والحروب باسم التاريخ السياسي.

وقد يسجل مؤرخون آخرون الأحداث المتعلقة بالثورات الاجتماعية وذلك لاهتمامهم بالموجات التي تزعزع استقرار قوارب الملوك والأثرياء من أسفل. ويُعرّف التاريخ الذي يتتبع حركات المد والجزر في توجهات الشعوب على المستويين القومي والدولي باسم التاريخ الاجتماعي.

وللماركسيين أيضًا فلسفتهم الخاصة عن التاريخ. فهم كفلاسفة طبيعيين، *Naturalistic*، يؤمنون بلا شك أنهم اكتشفوا القوانين الثابتة علميًا للإنتاج والاستهلاك، والتكنولوجيا ودورات التطور الطبقي. وبحسب رأيهم يستمر الصراع الطبقي كقانون للطبيعة، حتى تنهار الرأسمالية، وتصبح السلطة التي هي وسيلة الإنتاج في يد الإنسان العادي. وعندما يتحقق هذا ينتهي الصراع بين الإنسان وأخيه الإنسان، ويسود السلام، ويتعايش المجتمع مع الطبيعة بكل وئام. وهكذا يرتبط التاريخ المهم بالنسبة لهم بتدوين الخير أو الشر من الأحداث التي إما تساند هذه العملية الطبيعية أو تعيقها. وتشبه هذه النظرة الشيوعية عن التاريخ الفكر العبري. وللشيوعية جذورها في المسيحية حتى أن بيرخوف، *Berkhoff*، قال في هذا الشأن: "أشار البعض بحق إلى الاتجاه النبوي المسياني في فكر اليهودي البروتستانتي المثقف، كارل ماركس، فلقد تلقت الشيوعية نفوذها الصاعق والجاذب من التراث اليهودي المسيحي ..^(٥)" إلا أن هناك فرقاً بين الشيوعي والنبى اليهودي. فبينما يؤمن الأول بأن القانون الطبيعي هو الذي يقود إلى النجاح النهائي، آمن النبى العبري بأن الله هو المسئول عن التاريخ.

لم يساعد الأنبياء إسرائيل على المضي قدماً في المسار الصحيح فقط، بل قيموا كمؤرخين أحداث التاريخ، فنسبوا أهمية لبعضها دون البعض. أيضاً تكلم هؤلاء الأنبياء نيابة عن الله موضحين لشعبه السلوك المتوافق مع ناموس موسى، فحكموا على الأعمال المتوافقة معه بأنها شرعية أخلاقية، أما المخالفة له فقد حكموا بأنها أعمال غير شرعية لا أخلاقية. كان تقييمهم لكل

الأحداث مبنياً على الأساس الثابت لعهد الله مع شعبه. ولم يكن النبي مجرد شاهد يسجل الأحداث ليشجب أخطاءها، وكأنه غير مبال أو كالصحفي المحايد الذي يقف عن بعد ملاحظاً سير الأحداث دون التدخل فيها، بل كان في حقيقة الأمر يوجه مسار الأحداث؛ وبهذا صنع التاريخ وسجله. وحيث أن تاريخ الخلاص كان معنياً بمدى التقدم في مسار العهد بدءاً من مواعيده وحتى التحقيق، كان للأنبياء سند قوى أعانوا به إسرائيل من أجل بلوغ هذه المواعيد. ولم يكن النبي العبري يتوعد دائماً بالدينونة لأنه كان محباً لشعب الله، كما كانت أحكامه مجرد إعلان بأن الأعمال المخالفة للناموس خاطئة تعيق الرجاء الذي ينتظره إسرائيل.

ولأن مواعيد الله كانت يقيناً، وإله التاريخ يحقق مشيئته بتعاون وعمل الإنسان مع الله نحو تحقيق الهدف، كانت للنبي وظيفة أخرى تمثلت في الدفاع عن الله كشريك أمين في العهد. لقد فسر النبي أحداث التاريخ ووضعها في المنظور المناسب في إطار علاقتها بالمواعيد. كان عمل النبي موجهاً نحو تشجيع الشعب على حفظ العهد حتى تتحقق المواعيد.

ديانة العهد وعبادة البعل

كانت عبادة البعل ديانة متطورة جيدة التنظيم، تعتمد على فكر فلسفي، يعتبره الكثير من فلاسفة اليوم فكراً صحيحاً. كان عابدو البعل طبعيين، *Naturalistic*، لديهم نظامهم المتكامل الذي لم يستطع الأنبياء التعامل معه بأي نوع من الرأفة. كان الصراع بين تلك العبادة وديانة العهد معركة حياة أو موت، فمن المستحيل أن يكون كلاهما صحيحاً ليتعايشا جنباً إلى جنب. فكل منهما لديه نظرة مختلفة ومتكاملة عن المجتمع إما أن تكون أو لا تكون. اختلف منظور كلا الديانتين عن الحياة الاجتماعية والزراعية، والسياسية، وأماكن العبادة المقدسة، والكهنوت، والذبيحة. وكانت لكليهما فلسفتان مختلفتان من جهة التعامل مع أصحاب الديانات الأخرى.

وبالإيجاز يتمثل الأساس الذي قامت عليه عبادة البعل في الافتراض بأن

الطبيعة هي الحقيقة الوحيدة المطلقة. اعتقد أتباعها بأن ما يحدث في الطبيعة هو انعكاس لما تفعله الآلهة، ولكي يصبح المرء متديناً، يجب عليه أن يقبل الطبيعة كما هي، محاكياً في حياته وممارساته الدينية الأعمال التكاثرية للآلهة، كما تعكسها الطبيعة. الأمر الذي لم يكن مقبولاً على الإطلاق من العبرانيين الذين آمنوا بأن الرب يهوه هو الإله الحقيقي، وأن الموت هو العقاب الواجب على كل من يعبد سواه أو يكسر ناموسه المرتبط مباشرة بكرامته. كانت عبادة الإسرائيليين للبعل تمثل خيانة وإهانة للاسم الأعظم ومن ثم يجب أن يموت على الفور بلا رحمة، وفقاً لما أكد عليه الناموس، والأنبياء. ولم يبلغ الأمر حد الإهانة لاسم الله فقط بل هدد عهد الله مع شعبه على نحو خطير. كانت تعني ثقة عابدي البعل في دورة الطبيعة كحقيقة مطلقة القضاء على أي مفهوم مرتبط بالعهد. لقد كان العهد دليلاً على تدخل الله في الطبيعة بطريقة خاصة من أجل شعبه، كما طالبهم الله فيه بالخضوع لشروطه، والحياة كأسياد للطبيعة وليس عبيداً لها. وهكذا نرى بوضوح كيف تأسست كل من ديانة العهد وعبادة البعل على فلسفتين متعارضتين.

ولم تدم اللحظات السارة التي جمعت كلا الديانتين عند زواج أخاب ملك إسرائيل من الأميرة إيزابل عابدة البعل، التي كانت العدو اللدود الذي قتل الآلاف من قادة عابدي الرب يهوه. وفي إطار خدمتها للبعل، لم ترهب إيزابل كل شعب إسرائيل فقط، بل ارتعب منها النبي المتقدم في إسرائيل، إيليا، الذي عبر عن موقفه العصيب في حديثه مع الرب: " .. قَتَلُوا أَنْبِيَاءَكَ بِالسَّيْفِ، فَبَقِيْتُ أَنَا وَحْدِي، وَهُمْ يَطْلُبُونَ نَفْسِي لِيَأْخُذُوهَا"، (١مل ١٩: ١٤).

كان لعبدة البعل مشاكلهم أيضاً. فذات مرة في اجتماع كبير لهم، شقَّ إيليا طريقه خلاصهم متوجّهاً إلى مقصورة الملك أخاب الذي اندهش من رؤيته بسبب أوامر الملكة التي صدرت بقتله. قال له الملك: "أَأَنْتَ هُوَ مُكَدِّرُ إِسْرَائِيلَ؟"، فأجابه إيليا: "لَمْ أَكْذِبْ إِسْرَائِيلَ، بَلْ أَنْتَ وَبَيْتُ أَبِيكَ بَتْرَكُكُمْ وَصَايَا الرَّبِّ وَبَسِيرِكَ وَرَاءَ الْبُعْلِيمِ"، (١مل ١٨: ١٧-١٨). تصاعدت وتيرة الصراع بالتحدي القوي الذي قدمه إيليا: "حَتَّى مَتَى تَعْرُجُونَ بَيْنَ الْفِرْقَتَيْنِ؟

إِنَّ كَانَ الرَّبُّ هُوَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوهُ، وَإِنْ كَانَ الْبَعْلُ فَاتَّبِعُوهُ"، (١مل ١٨ : ٢١). ولأن الشعب لم يجب بكلمة، اقترح عليهم النبي حسم الأمر بالإله الذي يستجيب بنار، تأكل الذبيحة التي يقدمها كلاهما لإخيه. وبحسب القصة الكتابية، لم تكن التماسات وصلوات كهنة البعل له إلا عبثاً، في حين لحست النار ذبيحة إيليا التي قدمها للرب يهوه بعد أن غمرتها المياه بالكامل. وإذ زادت مكانة إيليا أعين الناس، أمسك بأربعمائة كاهن للبعل، كانوا يلازمون المعبد الملكي للبعل ويأكلون على مائدة الملكة، وذبحهم في وادي قيشون، (١مل ١٨ : ٤٠).

كانت المعركة الحقيقية بين البعل والرب يهوه روحية؛ أخلاقية، عقلية، فلسفية. كانت متعلقة بإجابة السؤال: هل الطبيعة هي الواقع المطلق النهائي أم الرب الأبدي؟ وقد عكست أسفار الأنبياء الصورة الحقيقية لهذه المعركة. وتعني لفظة "بعل" بحسب معناها الأصلي في اللغة العبرية "رب أو سيد أو زوج". وقد وظّف بعض الأنبياء هذه المعاني في رسائلهم التي قدموها للشعب، مثل قول النبي هوشع: "وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، يَقُولُ الرَّبُّ، أَنْتَ تَدْعِينَنِي، رَجُلِي، אֱלֹהֵי، وَلَا تَدْعِينَنِي بَعْدُ بَعْلِي، בַּעַל...". (هو ٢ : ١٦-١٧). كما وظّف عابد البعل التلاعب بمعنى اللفظة أيضاً، فرمما كان يشير عند النطق بها إلى أي رب بأي اسم، مثل إله الرعد الذي دُعي "بعل". أما استخدام الاسم بصيغة الجمع، "بعليم" فكان يشير إلى أية مجموعة من الآلهة بأي اسم. كان التلاعب بمعنى اللفظ "بعل" يسمح لخونة العهد من عموم العبرانيين بتبني ديانة البعل في الخفاء بعيداً عن أعين السلطات اليهودية، إذ بدوا وكأنهم لا يختلفون كثيراً عن الأمناء الحقيقيين في عهدهم مع الرب. وعندما يطرح عابد الرب الحقيقي السؤال على أحدهم قائلاً: "هل تعبد الرب؟" يجيبه: نعم، وربما يضيف: "كل عائلتي تعبد بالرب"، فيكرر عابد الرب يهوه سؤاله: "أنا أعني يهوه الواحد الحقيقي؟" فيجيبه عابد البعل: "نعم نؤمن بالرب، رب السماوات". وهكذا كان إغراء العامة سهلاً إذ سمح الفكر الفلسفي الوثني بأن يكون الرب يهوه كإله للجبال بعلاً حقيقياً. وبسبب ما مثلته عبادة البعل الوثنية من تهديد خطير لشعب العهد، يكون من المفيد الآن تقديم تحليل مفصل ليزودنا بخلفية قيمة تساعدنا على قراءة وفهم العهد القديم.

الفكر الفلسفي

كانت عبادة البعل ديانة متطورة جيدة التنظيم، تعتمد على فكر فلسفي، يعتبره الكثير من فلاسفة اليوم فكراً صحيحاً. كان عابدو البعل طبيعيين، *Naturalists*، لم ينظروا إلى الطبيعة فقط كواقع مطلق وحيد، بل كانت مع الآلهة شيئاً واحداً. ولذا حددوا أوقاتاً للاحتفال بدورتها؛ فبالنسبة لهم يتمثل السلام أو السعادة في العيش مع تلك الطبيعة، وتعلم طرقها، ومحاكاة نماذجها وقبولها كما هي باعتبار أنها الحياة. ولأن الخصوبة من أهم الأشياء المرتبطة بالطبيعة شدد عبدة البعل على عبادتها، وذلك لظنهم بأن الطبيعة هي التي زودتهم بالقدرة على التكاثر الذي بدونه ما كان للحياة أن تستمر على الأرض، بل أنه لا يمكن لأي حياة أن تكون صالحة بدون تكاثر للحيوانات المتزلية أو المحاصيل الزراعية. لذا لم تكن الممارسات الجنسية خطية أو جرمًا، بل مشاركة في الحياة الأبدية، إذ تنتقل الحياة إلى الجيل التالي من خلال النشاط التكاثري للنبات والحيوان، والإنسان

الوصف اللاهوتي لعبادة البعل

كان إيل، *El*، الإله الخالق العظيم وأبو جميع الآلهة عند الكنعانيين. وقد لعب إيل دوراً صغيراً في تلك الديانة الوثنية مقارنة بالبعل، *Baal*، الذي تم تصويره كشور بسبب خصوبته، وتسميته باسم إله الرعد لقوته؛ فالبعل هو الإله الصغير الأكثر قوة ونشاطاً بين جميع الآلهة. وقد تزوج في إحدى ثوراته وجولاته من أخته، عانث، *Aneth*. ولم تخل حياته من الصراع فقد كان الإله مُتً، *Mot*، ابن إيل عدوه اللدود^(٦). وتدور قصة حياته كلها حول صراعه مع ذلك العدو؛ ففي الوقت الذي كان البعل يمثل فيه بداية الدورة التكاثرية الأبدية، مثل الإله مُتً نهايتها.

كانت الأرض بحسب اعتقادهم الأم التي اضطجعت عارية في انتظار البعل سيدها وزوجها، الذي جاءها في أحد العواصف الرعدية كشور هائج ليلقحها

6- William f. Albright, *Yahweh and the gods of Canaan*, Winona Lake, Indiana: Eisenbrauns, 1965, p. 115.

ببذور الحياة: المطر. أما تلال الأرض ومرتفعاتها فقد صوروها على أنها تُدِي الأم، ولذا أقيمت أغلب معابد البعل على المرتفعات، (عا: ٦: ٩).

ولأن البعل كان ابناً لداجون إله غلة الأرض، ارتبطت دورة حياة الإنسان بمحاصيل الأرض ارتباطاً وثيقاً. فقد اعتبر المجتمع الزراعي لعبدة البعل غلة الأرض مصدراً لحياة الحيوان والإنسان. وعندما انتقل العبرانيون للأودية الخصيبة في السامرة والجليل، بدا طبيعياً لعبدة البعل أن السبب وراء ما يتعتعون به من وفرة في الغلال هو إكرامهم للإله داجون. أما العبرانيون فكانوا رعاة للأغنام متجولين يعبدون ذلك الإله الذي كلمهم من الجبل. وبسبب ارتباط دورة الحياة الآمنة والسعيدة بالحيوانات كالماشية، والأغنام، والماعز، كان من الضروري تصوير هذه العلاقة والاحتفال بها في طقوس العبادة التي أدخلها عبدة البعل بغرض إظهار التضامن مع الحيوانات والاتكال المتبادل بينهما.

الممارسات الدينية

يمكن الحصول على صورة واضحة للممارسات الفعلية التي كان يمارسها عابدو البعل من مخطوطات رأس شمر ومن بعض نصوص الأسفار النبوية. كانت لهم عبادة طقسية أسبوعية صاحبها بعض احتفالات الأعياد الخاصة المحلية والإقليمية، إلى جانب الاحتفالات السنوية، والتي كان يسبقها نداء المنادي الذي يجوب الأودية صارخاً: "اصعدوا إلى بيت إيل واعبدوا .. اصعدوا وشاركوا" (٧) .. واذبحوا على المرتفعة .. وبعد يومين اذهبوا إلى الجلجال". ويستهزئ النبي عاموس بهذه المناداة ساخرًا من عبدة البعل بقوله: "هَلُمَّ إِلَى بَيْتِ إِيلَ، وَأَذْنِبُوا إِلَى الْجَلْجَالِ، وَأَكْثَرُوا الذُّنُوبَ، وَأَحْضَرُوا كُلَّ صَبَاحٍ ذَبَائِحَكُمْ، وَكُلَّ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ عُسُورَكُمْ .. لِأَنَّكُمْ هَكَذَا أَحْبَبْتُمْ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ"، (عا: ٤: ٥-٤).

صاحب خدماتهم الطقسية عزف القيثارات، والأغاني الجميلة، وعروض الأطفال وخاصة عند الاحتفال بقدوم الربيع أو بوقت الحصاد، أو بيوم الشكر

٧- أي شاركوا في الممارسات الجنسية، المؤلف.

عند تغير المواسم عرفاناً بالفوائد الجديدة للحياة. كانت مواكب احتفالاتهم تتقدم المرتفعات صعوداً مصحوبة ببعض الطقوس كتقديم الذبائح للآلهة، وتكريم تمثال الإله مولوك *Moloch*، (عاه: ٢٦)، الذي كان يمثل فكرة رائعة عن القانون الطبيعي. وبسبب هذه الممارسات أُرهبهم صوت النبي عاموس عندما أعلن لهم بأن ما كانوا يعبدونه لم يكن مطلقاً الرب يهوه، بغض النظر عن الاسم "رب" الذي استخدموه. وقد عبر الرب عن استيائه من تلك الممارسات بفم نبيه عاموس قائلاً: "بَغَضْتُ، كَرِهْتُ أَعْيَادَكُمْ .. أَبْعِدْ عَنِّي ضَحَّةَ أَغَانِيكَ .. وَلِيَجْرِ الْحَقُّ كَالْمِيَاهِ، وَالْبِرُّ كَنَهْرٍ دَائِمٍ"^(٨)، (عاه: ٢١ - ٢٤).

كان المتوقع من الشعب الذي سادت أرضه معابد البعل المشاركة في طقوس الإخوة؛ فكل شخص ناضج جنسياً سواء رجل أو امرأة يجب أن يكون متاحاً من أجل المشاركة الجنسية مرة من كل شهر، أو عام، أو بحسب ما يحدد قادة معبده. وهكذا أمكن لعابد البعل المسجل عضواً في أحد معابده التي امتلأت بالعاهرات أن يشبع احتياجه الجنسي متى سعى وراء ذلك وفي إطار ديني. كما كان يتم تعليم الفتيات الصغيرات أنه من الصواب الذهاب إلى تلك المعابد من أجل ممارسة الجنس كما يفعل آباؤهن. فلم يكن الجنس الذي كان يمثل التضامن البشري مع الطبيعة أمراً مخزياً أو خصوصياً بالنسبة لعبدة البعل. كما أنه لم يقتصر على الممارسات الطبيعية بين الرجل والمرأة بل تعداها للممارسات الشاذة المنحرفة. ولأن ما يحدث في الطبيعة هو انعكاس لنشاط الآلهة لعبت "الدراما الدينية المنحرفة لموت وقيامه إله الخصوبة بكل وضوح دوراً أساسياً في هذه الديانة، بالإضافة إلى أهمية معبد العهارة الذي كان يعزز من فكرة الخصوبة .."^(٩). لقد كان الملك يجامع علنياً أجمل فتاة في معابد البعل التي كانت منتشرة في بيت إيل، وذلك من أجل تصوير العلاقة الأساسية بين البعل، وعانث، *Aneth*.

ارتعب الأنبياء من تلك الممارسات لأن الإنسان يجب عليه طاعة ناموس

٨- حدد الناموس بكل وضوح معنى البر بالقول: "وَأَيْنَهُ يَكُونُ لَنَا بَرٌّ إِذَا حَفِظْنَا جَمِيعَ هَذِهِ الْوَصَايَا لِتَعْمَلَهَا أَمَامَ الرَّبِّ إِلَهِنَا كَمَا أَوْصَانَا"، (تث ٦: ٢٥)، المؤلف.

9- Helmer Ringgren, *Israelite Religion*. Tr. David E. Green, Philadelphia: Fortress Press, 1966, p. 43.

الله وليس محاكاة الطبيعة. لقد تمثلت ديانة إسرائيل بخلاف عبادة البعل في فهم العهد، وحفظ ناموس الله، والاحتفال بالتحريير الإلهي في عيد الفصح، وفي السيادة على الطبيعة، وفي الترميم بالمزامير، فلم يكن إسرائيل عبداً للبعل بل عروساً للرب يهوه، (حز ١٦: ٨).

كانت الممارسة الجنسية لعابد البعل في الأساس تقدمة، تشبه نوعاً من الصلاة أو تكريس الحياة له. وكان الشعور الغامر بالرضا بعد الانتهاء من تلك التقدمة برهاناً ملموساً على قبول البعل لها. وبسبب هذا اليقين الداخلي كان من الصعب إقناعه بأنه غير مقبول لدى إلهه. فبحسب زعمه، كان لديه دليل شخصي عارم بأن الآلهة قد قبلت تقدمته. احتقر عبدة البعل في المقابل ما كان يقدمه عبيد الرب في ديانتهم، وخاصة وقت الاحتفال بواقعة يزعمون أنها حدثت منذ خمس أو ست مائة عام! وهكذا سعى كلا الجانبين للاختبار كدليل على صدق الإيمان؛ فبينما انجذب عبدة البعل للاختبار الشخصي الحاضر، انجذب الأمناء لاختبار الشعب المتعاقد مع الله. وقد أدان الأنبياء عبادة البعل بكل قوة، كما سخرُوا أيضاً من ممارسات السحر والعِرافة التي صاحبتهما، وقد عبرت أقوالهم عن ذلك بوضوح:

• "وَيَذْهَبُ رَجُلٌ وَأَبُوهُ إِلَى صَبِيَّةٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى يُدْنِسُوا اسْمَ قُدْسِي. وَيَتَمَدَّدُونَ عَلَى ثِيَابٍ مَرْهُونَةٍ بِجَانِبِ كُلِّ مَذْبَحٍ، وَيَشْرَبُونَ خَمْرَ الْمُعَرَّمِينَ فِي بَيْتِ آلِهَتِهِمْ"، (عا ٧-٨).

• "وَأَعَاقِبُهَا عَلَى أَيَّامٍ بَعْلِيمٍ الَّتِي فِيهَا كَانَتْ تُبَخِّرُ لَهُمْ وَتَتَزَيَّنُ بِخَزَائِمِهَا وَحُلِيِّهَا .. وَتَنْسَانِي أَنَا، يَقُولُ الرَّبُّ"، (هو ٢: ٧)

• "يَذْبَحُونَ عَلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ، وَيُيَخَّرُونَ عَلَى التَّلَالِ .. لِذَلِكَ تَزْنِي بَنَاتُكُمْ وَتَفْسُقُ كَنَاتُكُمْ .."، (هو ١٣-١٤).

• "الزَّنى وَالْخَمْرُ وَالسَّلَافَةُ تَحْلِبُ الْقَلْبَ. شَعْبِي يَسْأَلُ خَشْبَهُ، وَعَصَاهُ تُخْبِرُهُ .."، (هو ١١-١٢).

بالإضافة للعهارة التي انتشرت في معابد البعل، كان لعبدة البعل طقس

خاص من أجل الاحتفال بالوحدة مع الحيوانات وذلك بالجماع الجنسي بين رجل ونعجة، أو امرأة وتيس؛ الأمر الذي لم يُعرف أبداً في سدوم. لقد أفرغت هذه الممارسات الغريبة الأنبياء كما راعهم أيضاً رؤية الأطفال التي تُقدّم كمحرقة للإله مولوك. ويشير النبي هوشع لكلا الأمرين بقوله: "لَمَّا تَكَلَّمَ أَفْرَايِمُ بِرَعْدَةٍ، تَرَفَّعَ فِي إِسْرَائِيلَ. وَلَمَّا أَتَمَّ بَيْعَ مَاتَ. وَالآنَ يَزْدَادُونَ خَطِيئَةً، وَيَصْنَعُونَ لَأَنْفُسِهِمْ تَمَاثِيلَ مَسْبُوكَةٍ مِنْ فَضْتِهِمْ، أَصْنَامًا بِحَذَاقَتِهِمْ، كُلُّهَا عَمَلُ الصَّنَاعِ. عَنْهَا هُمْ يَقُولُونَ، ذَابِحُوا النَّاسَ يُقْبَلُونَ الْعُجُولُ^(١٠)"، (هو ١٣: ١-٣).

التنظيم الاجتماعي والاقتصادي

إن الإشارات الكتابية المتكررة عن الضغوط الاقتصادية ضد الأمناء للعهد، توضح لنا مظهرًا آخر من مظاهر عبادة البعل. قامت معابد البعل بجمع العشور، وربما كانت العهارة المرتبطة بها تدر لها مزيداً من الدخل بالرغم من غياب الدليل الكتابي على ذلك. لكن فيما بعد، في زمن الرسول بولس كان لليونانيين في مدينة كورنثوس معبد بألف زانية مكرسات لخدمته، إذ كن يمارسن العمل ليلاً في شوارع المدينة^(١١). قامت هذه المعابد الثرية بدفع القروض المالية مقدماً للملك وللمواطنين الأعضاء ذوي المراكز المرموقة. كان الأثرياء من عبدة البعل سبباً في المشقة لأي إسرائيلي أمين في عهده مع الرب. فإذا أخفق محصوله من القمح لأمه عبدة البعل على عدم إكرامه للإله داجون إله غلة الأرض وأبي البعل. وإذا ماتت أغنامه أو كانت عقيمة أرجعوا السبب لعدم مشاركته في الشعائر الخاصة بمحاكاة دورة الطبيعة. وإذا احتاج للمال لم يكن له الحق في الاقتراض من صناديق معابد البعل بل من عبدة الرب يهوه. وإن اقترض من تلك الصناديق كان قرضه بمعدلات فائدة تعجيزية، وإن تخلف عن دفع ديونه كانوا يستعبدونه. لقد كره عبدة البعل عابدي الرب ليرهم

١٠- البعض يقرأ الجزء الأخير من النص: "عنها يتكلم ذابحو الناس مقبلو العجول"، وقد لا يشير التقيل إلى الممارسات الشاذة مع الحيوانات بل تقبل تماثيل البعل تبركاً بها، (١ مل ١٩: ١٨)، إلا أن الإشارات الواردة في (١ مل ١٨: ٢٣، ٢٠: ٢٥-١٦، ٢٣) تشير إلى هذه الممارسات الشاذة في كنعان قبل أن يدخلها إسرائيل، المترجم.

11- Will Durant, *A History of Greece*, New York: Simon and Schuster, 1939, VOL. IV, p. 39

الذاتي، كما شعروا بأنهم انفصاليون ضيقو العقل، ينتقدون كل الديانات الأخرى ما عدا ديانتهم. وقد أشار النبي عاموس إلى تلك الممارسات بقوله: "بَاعُوا الْبَارَّ بِالْفِضَّةِ، وَالْبَائِسَ لِأَجْلِ نَعْلَيْنِ .. يَتَمَدَّدُونَ عَلَى ثِيَابٍ مَرْهُونَةٍ بِجَانِبِ كُلِّ مَذْبَحٍ .."، (عا ٢٤: ٦-٨). وتشير لفظة "البار" التي يستخدمها النبي هنا إلى العابد الحقيقي للرب يهوه.

سحق رجال القضاء من عبدة البعل عابدي الرب يهوه في قضاياهم في حين أنهم حابوا وجوه ظالمهم من السكان المحليين. وعن هذا الظلم قال النبي هوشع: "كَرِهَ إِسْرَائِيلُ الصَّلَاحَ فَيَتَّبِعُهُ الْعَدُوُّ. هُمْ أَقَامُوا مُلُوكًا وَلَيْسَ مِنِّي. أَقَامُوا رُؤَسَاءَ وَأَنَا لَمْ أَعْرِفْ .."، (هو ٨: ٣-٦)، أما التعبير: "كَثْرَةُ الْحَقْدِ"، فيشير به النبي إلى كراهية عبدة البعل للأمناء مع الرب، (هو ٩: ٧).

وهكذا أحاطت الضغوط الشخص الأمين في العهد من كل جانب، فأقل شيء يمكن له أن يفعله بحسب مطالب عبدة البعل هو السماح بالحرية الدينية. استهزأ عبدة البعل بإله إسرائيل، بالنسبة لهم، من يكون إله الجبل هذا؟ ومن الذي يعتقد بعدم وجود إله غيره؟ ليتزل من جبله، ليرى أن هناك أرض وبحر وحقول وجبال مثل جبله أيضًا. يا له من إله حقير، هو وشعبه التافه ضيق الأفق! ليذهب عنا هو وشعبه. وكلما أُنذرهم الأنبياء بلعنات كسر العهد، طالبهم هؤلاء الناس الالتزام بالصمت، الأمر الذي يتجلى بوضوح في كثير من الأقوال النبوية:

- "لَكِنَّكُمْ سَقَيْتُمُ النَّذِيرِينَ خَمْرًا، وَأَوْصَيْتُمُ الْأَنْبِيَاءَ قَائِلِينَ: لَا تَنْبَأُوا"، (عا ٢٤: ١٢؛ ٥: ١٠-١٣؛ مي ٢: ٦).
- "لَوْ كَانَ أَحَدٌ وَهُوَ سَالِكٌ بِالرَّيْحِ وَالْكَذِبِ .. قَائِلًا، أَتَنْبَأُ لَكَ عَنِ الْخَمْرِ .. لَكَانَ هُوَ نَبِيَّ هَذَا الشَّعْبِ!"، (مي ٢: ١١).
- "وَيُنَادُونَ، سَلَامٌ! وَالَّذِي لَا يَجْعَلُ فِي أَفْوَاهِهِمْ شَيْئًا، يَفْتَحُونَ عَلَيْهِ حَرْبًا"، (مي ٣: ٥).
- "رُؤْسَاؤُهَا يَقْضُونَ بِالرَّشْوَةِ، وَكَهَنَتُهَا يُعَلِّمُونَ بِالْأَجْرَةِ، وَأَنْبِيَآؤُهَا يَعْرِفُونَ

بِالْفُضَّةِ، وَهُمْ يَتَوَكَّلُونَ عَلَى الرَّبِّ قَائِلِينَ، أَلَيْسَ الرَّبُّ فِي وَسْطِنَا؟ لَا يَأْتِي عَلَيْنَا شَرٌّ!"، (مي ٣: ١١).

استطاعت قلة فقط من عامة الناس توخى الحذر من شرك هذه الفلسفة الطبيعية! ولولا نعمة الله لما تمكنت ديانة العهد من البقاء علي قيد الحياة؛ إذ كان الله يختار من وقت لآخر القادة الجدد من أجل شعبه مثل ياهو القائد العسكري المخلص للرب. تظاهر ياهو في بادئ الأمر بأنه عابد غيور للبعل أكثر من أخاب، (٢ مل ١٠: ١٨). ثم دعا لعقد محفل كبير لإكرام البعل، بعد أن أمر رجاله بالقول: "ادْعُوا إِلَيَّ جَمِيعَ أَنْبِيَاءِ الْبَعْلِ وَكُلَّ عَابِدِيهِ وَكُلَّ كَهَنَتِهِ. لَا يُفْقَدُ أَحَدٌ، لِأَنَّ لِي ذَبِيحَةً عَظِيمَةً لِلْبَعْلِ. كُلُّ مَنْ فُقِدَ لَا يَعِيشُ"، (٢ مل ١٠: ١٩). وبينما كانوا يذبحون، أغلق ياهو الأبواب وأحاط المعبد بشمانين مقاتل وقال لهم، "الرَّجُلُ الَّذِي يَنْجُو .. تَكُونُ أَنْفُسُكُمْ بَدَلَ نَفْسِهِ"، (٢ مل ١٠: ٢٤). وهكذا قتلوهم بحد السيف، وطرخوا أجسادهم خارج المعبد الذي دمروه بالكامل، وَجَعَلُوهُ مَزْبَلَةً، (٢ مل ١٠: ٢٧).

مرت المواجهة بين ديانة العهد وعبادة البعل بعدة مراحل: تمثل أولها في الجهود المبذولة لمحو تلك العبادة بعد امتلاك إسرائيل لأرض كنعان ولكنها باءت بالفشل. سمحت المرحلة الثانية لعبدة البعل بالعبادة في هدوء من أجل عصر سلبي موحد. حتى أن الملك سليمان سمح ببناء معابد للبعل على أراض مملوكة للهيكل، لتسود بعدها فترة من التسامح الديني شعارها عش ودع الآخرين يعيشون. وذلك على أمل تأكيد صدق ديانة العهد من خلال الرخاء الذي يمكن لطاعة ناموس أن تجلبه، لينتهي الصراع بين الديانتين بشكل سلبي. إلا أن هذا الرخاء لم يكن في محله لأن عبادة البعل في مرحلتها الرابعة والأخيرة صارت قوية بما يكفي لتحدي ديانة العهد؛ إذ صارت الديانة الرسمية في إسرائيل، كما تبناها الملك منسي في مملكة يهوذا الجنوبية. وفي الانتصار النهائي لعبادة البعل وجد الأنبياء في أنفسهم المتحدين الرسميين بالنيابة عن أقلية مكروهة، حتى أنهم أصبحوا أمام القضاء مجرمين خارجين على القانون. وبالكاد استطاع الأمناء في عهدهم مع الرب البقاء علي قيد الحياة أثناء هذه الفترة:

ديانة شعب العهد	ديانة البعل
<p>الفلسفة: الله سيد التاريخ، وما يريده الله يحدده العهد المقطوع مع شعبه، والشركة مع الله هي جوهر الحياة.</p>	<p>الفلسفة: تقوم الفكرة على القانون الطبيعي، ودورة الطبيعة، وتمثيل الآلهة، والتكاثر كجوهر للحياة.</p>
<p>الديانة: تقوم على خدمة وتطبيق شروط العهد التي تُعد القانون المدني والأخلاقي .. الخطية هي خيانة وأيضاً شر. والكل مرتبط بناموس موسى.</p>	<p>الديانة: تعتمد ممارستها على الإعجاب بالطبيعة ومحاكاة دورتها من خلال شعائر العبادة كالممارسات الجنسية التي صورت تضامن الجنس البشري معاً ومع الحيوانات.</p>
<p>المجتمع: إسرائيل هو مملكة الرب يهوه ويجب أن يعيش بما يوافق الناموس، ولا يمكن لأحد أن يكسره بدون عقاب. كما أن المجتمع كله موجود من أجل تنفيذ ما يريده الله.</p>	<p>المجتمع: يجب على كل مواطنيه العيش في وحدة مع الطبيعة، كأسرة واحدة تشارك في العبادة والجنس، كما يمكن لأي مجتمع محلي أن يعبد البعل كيفما أراد لكن الكل يخضع لنفس النظام.</p>
<p>التسامح الديني: ليس هناك أي نوع من التسامح الديني في ديانة العهد، فلا يمكن لأية ديانة أن تتعايش معها.</p>	<p>التسامح الديني: متاح لكل من يعتقد أن أي إله هو بعل صالح. لكن لا يوجد أي تسامح ديني مع المتعصبين ضيقي الأفق الذين يعتقدون بأن لديهم فكراً خاص عن الله.</p>
<p>الذبائح: هي تقدمات من أجل التكفير عن الخطية، وتحديد العهد. وقد صاحبها صلوات التوسل، والاعتراف، والتكريس، كما خلت من أي ممارسات سحر أو عرافة.</p>	<p>الذبائح: قدمت بغرض محاكاة أسطورة دورة الطبيعة، والسحر والعرافة، والشكر. كما صاحبها الموسيقى، وتقديم الذبائح البشرية من الأطفال في بعض الحالات المنعزلة.</p>
<p>الإرشاد: بواسطة الناموس والأنبياء؛ من خلال الإعلانات الإلهية من وقت لآخر.</p>	<p>الإرشاد: بالعرافة والرؤيا بواسطة أنبياء يؤيدون انسجام وتناغم الحياة مع الطبيعة.</p>

اكتشاف سفر الشريعة

من أجمد الفترات في تاريخ إسرائيل تلك التي تلت المرحلة الأخيرة الصعبة في صراعه مع البعل. وبحسب التاريخ الكتابي ازدهرت الأرض بشكل كبير أثناء حكم الملك مَنَسَّى بالرغم من عبادته للبعل هو وابنه الملك آمون الذي ملك من بعده لسنوات قليلة لسبب الفتنة التي ثارت ضده، والتي قام خلالها أحد الضابط المخلصين بإنقاذ يوشيا حفيد الملك مَنَسَّى. ومن المؤكد أن يوشيا كان متأثرًا بالرب يهوه بشكل قوى، لأنه كان عبرانيًا تقيًا خلافًا لما كان عليه أبوه وجده. ويقول الكتاب إنه لما بلغ عامه السادس عشر سعى بكل حماس في طلب الرب إله دَاوُدَ، (٢أخ ٣٤: ٣). وبالرغم من الاعتقاد السائد بأن كل نسخ الشريعة قد دُمِرت بواسطة الملك مَنَسَّى، اكتشف حلقيا الكاهن أثناء ترميم الهيكل نسخة منها، (٢أخ ٣٤: ١٤). وما أن قُرئت تلك النسخة علي مسامع الملك الشاب يوشيا، حتى طلب مشورة خلدة النبية بخصوص ما ورد فيها. أخبرته خلدة بأن الإصلاح الذي يشرع في القيام به ضروري، وأن الله عتيد أن يعاقب إسرائيل بلعنات كسر العهد، عقابًا لا مفر منه، إلا أنه سيحل بإسرائيل بعد موت الملك يوشيا، (٢مل ٢٢: ١٥-٢٠).

على الفور وبكل حماسة، بدأ يوشيا الملك عملية إصلاح شامل: رُمّ الهيكل تمامًا، وأزال كل أوثان الديانات الغريبة منه ومن مدينة أورشليم، ومن كل الأرض، وأمر بقراءة سفر الشريعة علي مسامع جميع الشعب، ومنع تقديم الذبائح البشرية من الأطفال في وادي بني هنوم معتبرًا إياه أمرًا خارجًا على القانون، وإضافة إلي ذلك، أبادَ كل مرتفعات البعل، (٢مل ٢٣: ٤-١٤). كما دُمِّر مذبح عبادة البعل الموجود بالسامرة، وأخرج عظام كهنة المرتفعات من القبور وأحرقها عليه، وذلك تحقيقًا للنبوة التي تنبأت قبلاً عن اسمه، وفعله بما يزيد عن ثلاثمائة سنة، (١مل ١٣: ١-٣، ٢مل ٢٣: ١٥-١٦). وربما كانت أهم مظاهر الإصلاح الذي تولاه يوشيا إعادة الاحتفال بعيد الفصح، الذي "لَمْ يُعْمَلْ فِصْحٌ مِثْلُهُ فِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَيَّامِ صَمُوئِيلَ النَّبِيِّ .."، (٢أخ ٣٥: ١-١٤؛ ٣٥: ١٨). وبالطبع، كان اكتشاف سفر الشريعة السبب الرئيس في زيادة سرعة الإصلاح الذي قام به الملك يوشيا.

تُعد فترة حكم الملك يوشيا من أعظم الفترات في تاريخ إسرائيل بعد الملك داود؛ إذ اتحد الناس معاً معلنين الولاء والتكريس للرب ولناموسه، إذ كانوا إخوة في الجسد والروح كنسل إبراهيم. ولأنهم أحبوا وساندوا عهد الله المقدس حظيت أسماؤهم بمكانة رفيعة في تاريخ العهد، وعلى رأسهم أعظم الملوك كرامة: داود ويوشيا. امتلأت الأرض ثانية بالأنبياء أثناء حكم الملك يوشيا، وقد سجل الكثير منهم أسفاراً في العهد القديم، كسفر إرميا النبي العظيم، الذي بدأ خدمته النبوية في السنة الثالثة عشرة من مُلك يوشيا عام ٦٢٧م^(١٢)، (إر ١: ٢). كما سجّل صفنيا النبي سفره أثناء حكم يوشيا، (صف ١: ١). ومن الواضح بحسب السفر أن عملية الإصلاح في الأقاليم المحلية استغرقت وقتاً لاستمرار الكثيرين من عبدة البعل الفاسدين في الصعود لمرتفعاته. عاصر ناحوم النبي الملك يوشيا، وبرغم غياب ما يدل على ذلك بنص السفر، يتناول محتوى نبوته الرئيس سقوط نينوى، والذي وقع بالفعل قبل موت يوشيا بثلاث سنوات عام ٦١٥ ق.م. وقد تنبأ بحقوق النبي في نفس التوقيت المعاصر ليوشيا أيضاً، لأنه تكلم عن الغزو البابلي الوشيك على مملكة يهوذا، (حب ١: ١-١١).

حادثتان عرضيتان في العهد

سجل الأنبياء الأولون حادثتين عرضيتين حقيقتين أوضحت كل منهما كيف احترقت فلسفة العهد الفكر النبوي تماماً. كما أظهرتا العواقب السلبية والفوائد الإيجابية المرتبطة برحمة الله، "حيسد، *Hesed*، חֶסֶד"؛ وبحفظ الالتزامات الخاصة بالعهد كأسلوب حياة. وبمعرفتنا للأساس الذي اعتمد عليه الأنبياء المؤرخون في اختيارهم لهاتين الحادثتين من مئات الأحداث ليصبحا سجلاً أبدياً، فملك مفتاحاً لمعرفة السبب وراء تسجيلهما في الكتاب المقدس.

12- Leon wood, *A Survey of Israel's History*, Grand Rapids: Zondervan, 1970, p. 370

الحادثة الأولى

تحكي تلك الحادثة عن قصة رجل الله والنبى الشيخ، (١ مل ١٣)، ومع أن كليهما قد برهن تعاسة حظه، إلا أن قصتهما صورت لكتابة الأسفار النبوية الخلل الذي أصاب القيادة في إسرائيل. لقد أوصى الرب يهوه نبيّه؛ رجل الله من يهوذا أن يعلن ليربعام ملك إسرائيل إعلاناً إلهياً، وأمره ولأسباب غير معروفة ألا يأكل أو يشرب حتى عودته من مهمته. وهكذا مضى وتكلم بكلام الرب كما أوصاه. وقبل اكتمال مهمته أي أثناء عودته لوطنه من طريق آخر كما أمره الرب، عبر من أمام بيت النبى الشيخ. فناداه، ودعاه ليستريح ليجدد طاقته بالطعام والشراب. فلما رفض الرجل مستشهداً بأمر الرب له، أجابه النبى الشيخ: " .. أَنَا أَيْضًا نَبِيٌّ مِثْلُكَ، وَقَدْ كَلَّمَنِي مَلَاكُ بَكَلَامِ الرَّبِّ قَائِلًا، ارْجِعْ بِهِ مَعَكَ إِلَى بَيْتِكَ فَيَأْكُلْ خُبْزًا وَيَشْرَبَ مَاءً. كَذَبَ عَلَيْهِ"، (١ مل ١٣: ١٨). ولتعاسته، صدّق رجل الله الكذب وجلس كضيف للأكل معه. لكن عند عودته رجوعاً، قفز عليه حيوان مفترس وقتله. ويسجل كاتب السفر تعليق النبى الشيخ عن رجل الله بالقول: "هُوَ رَجُلُ اللَّهِ الَّذِي خَالَفَ، *who defied*، قَوْلَ الرَّبِّ، فَدَفَعَهُ الرَّبُّ لِلْأَسَدِ فَافْتَرَسَهُ وَقَتَلَهُ حَسَبَ كَلَامِ الرَّبِّ الَّذِي كَلَّمَهُ بِهِ"، (١ مل ١٣: ٢٦).

توضح لنا هذه الحالة المدى الواسع لاستجابات الله عند العصيان، فأسلاف هذا الرجل ساروا في البرية مع موسى وعصوا الله فمات بعضهم على الفور مثل الجواسيس العشرة، بينما صارع الباقي في البرية عاماً بعد عام، ليموت في النهاية دون أن يدخل أرض الموعد. وأحياناً يكون رد الفعل تدريجياً وممتداً طوال حياة الإنسان: غفر الله لداود عندما أكل الخبز المقدس الذي لا يحل إلا للكهنة، في حين أنه عاني عقاب فعلته مع بثشبع طوال حياته ، برغم غفران الله له أيضاً. وهكذا تتنوع ردود أفعال الله في مواجهته للعصيان.

الحادثة الثانية

تحكي تلك الحادثة عن نعمان القائد العسكري السوري الذي اكتشف أنه مصاب بالبرص؛ المرض الذي يُعتَبَر رمزاً للخطية. وسواء صح هذا الاعتبار أم لا، فما تسببه الخطية للروح يفعله البرص للجسد. كلاهما له بدايات غير معروفة، و ينتشر ببطء، وغير مؤلم، ويجلب التشويه والنفور، ويجعل العلاقات مضطربة، وأحياناً يسبب الموت، فالبرص الجسدي يأتي بالموت الجسدي في حين يأتي البرص الروحي بالموت الأدبي. ومن أجل الشفاء اقترحت جارية إسرائيلية في بيت نعمان أن يذهب سيدها بالذهاب لربي الله أليشع في إسرائيل. وبالفعل أخذ نعمان بعض خطابات التوصية والكثير من الهدايا، وذهب طالباً الشفاء: "وَوَقَفَ عِنْدَ بَابِ بَيْتِ أَلِيشَعَ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ .. رَسُولًا يَقُولُ، اذْهَبْ وَاغْتَسِلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي الْأُرْدُنِّ، فَيَرْجِعَ لَحْمُكَ إِلَيْكَ وَتَطْهَرُ"، (٢مل ٥: ٩-١٠). تضايق نعمان لإهانته مرتين: فلم يتم استقباله بطريقة تليق بمركزه، والآن يؤمر من عبد أن يخضع لأوامره كعبد! فمضى غاضباً. كان يتوقع من أليشع القيام ببعض الطقوس الكنعانية النمطية، كما أنه رفض الإيمان بأن مياه الأردن ستكون شافية بحسب قول النبي، ويسجل الكتاب لنا توقعه ورفضه: "قُلْتُ إِنَّهُ يَخْرُجُ إِلَيَّ، وَيَقِفُ وَيَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِي، وَيَرُدُّ يَدَهُ فَوْقَ الْمَوْضِعِ فَيَشْفِي الْأَبْرَصَ. أَلَيْسَ أَبَانَةٌ وَفَرَفَرُ نَهْرًا دِمَشْقُ أَحْسَنَ مِنْ جَمِيعِ مِيَاهِ إِسْرَائِيلَ؟ أَمَّا كُنْتُ اغْتَسِلُ بِهِمَا فَأَطْهَرُ؟" (٢مل ٥: ١١-١٢).

وبعد أن أشار عليه عبيده بالهدوء والخضوع قائلين: "يَا أَبَانَا، لَوْ قَالَ لَكَ النَّبِيُّ أَمْرًا عَظِيمًا، أَمَّا كُنْتَ تَعْمَلُهُ؟ فَكَمْ بِالْحَرِيِّ إِذْ قَالَ لَكَ، اغْتَسِلْ وَاطْهَرُ؟"، اقتنع نعمان بالأمر. وربما شعر بالحماقة وهم يساعدونه في نزع سلاحه، وطرح ردائه الذي كان يعبر عن مكانته. لكنه نزل أمام الجميع ليغوص بجسده في الماء بالكامل، ثم صعد لتنتهي المرة الأولى. ومع تشجيع الواقفين على الشاطئ، غاص خمس مرات أخرى لتبقي أصعبها؛ فإما أن يصعد من الماء لتنتشر قطراته من على جسده الأبرص ككلب مبلل، فيصبح هزأة وسخرية في الشرق كله، أو أن يصعد طاهراً، إلا أنه: "نَزَلَ وَغَطَسَ فِي

الأُزْدُنَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ، حَسَبَ قَوْلِ رَجُلٍ اللَّهِ، فَرَجَعَ لَحْمُهُ كُلَّحْمٍ صَبِيٍّ صَغِيرٍ
وَطَهَّرَ"، (٢ مل ٥: ١٤). كان الأمر يشبه عهداً:

الأطراف: الله الممثل في النبي، والطرف الآخر نعمان

الشروط: الاغتسال سبع مرات في نهر الأردن

المواعيد: تطهير وشفاء من البرص

كان المضمون واضحاً، فرجال الله هم رجال كلمتهم. ولأن الله على الدوام أمين من جهة كلمته يمكن للبشرية، سواء من إسرائيل أو الأمم أن تثق فيه عندما يتكلم؛ فالطاعة لكلمته تجلب الحياة، أما العصيان فنهايته الموت. والغريب أنه بعد عدة قرون، استخدم رسل المسيح وأنبياء العهد الجديد هذه الحالات ليذكروا شعبهم بعواقب العصيان والكبرياء، (٢ بط ٢: ١-٢٢) وبركات الطاعة للأمناء، (٢ بط ٣: ١١-١٨).

الأنبياء الآخرون

كتب الأنبياء الآخرون الأسفار النبوية للكتاب كإشعيا، وإرميا، وهوشع، وغيرهم^(١٣). وبالرغم من أنهم مؤرخون من نوع آخر؛ فهم صناع للتاريخ. ومن الإنصاف وصفهم كمحاميين للعهد أو وعاظ الساعة الذين خاطبوا حاجات المستمعين بالرسائل الإلهية. ومن الضروري لنا فحص علاقتهم بالعهد مع الوضع في الاعتبار مشاركتهم للأنبياء الأولين في تبني العهد كفلسفة أساسية لفهم التاريخ.

١٣- تنقسم أسفار الأنبياء الآخرين إلى قسمين: الأنبياء الكبار وهم إشعيا، وإرميا، وحزقيال، والأنبياء الصغار وهم هوشع، ويوئيل، وعاموس، وعوبديا، ويونان، وميخا، وناحوم، وحقوق، وصفنيا، وحجي، وزكريا، وملاخي، المترجم

فكرة المحاكمة

تشير أسفار الأنبياء الأخيرين حدوث تطور جديد كان نذيرًا بالشؤم على شعب العهد. كانت صياغة الأنبياء لرسالاتهم النبوية في شكل دعوى للتقاضي أمام المحكمة، تعني استدعاء شهود العهد. وهكذا، كان الحال في العهود القديمة، فعندما يشعر أحد طرفي العهد بإهمال الطرف الآخر أو إساءته، يرسل له رسالة للاستفسار عن ذلك. فإن لم تتحقق الطاعة المنشودة يرسل له وفدًا رسميًا، كما كان الأنبياء يمثلون بالفعل الوفد الرسمي المبعوث من قِبَل الرب الملك. فإن لم يرجع شريك العهد آنذاك ليفي بالتزامات عهده التي أقسم عليها، يكون الملاذ الأخير للطرف الأمين قبل استخدامه للقوة، هو استدعاء الخائن أمام شهود العهد الأصليين، فإن امتنع عن المثول أمامهم لتقديم دفاع فيما يرتبط بالتهمة الموجهة إليه، يستمع شهود العهد لشكاوى الطرف الأمين فقط.

وتتضح خطورة الوضع الذي آل إليه شعب العهد من صياغة الأنبياء لعباراتهم في إطار فكرة المحاكمة، فهي توحى بأن الله لم يعد لديه كلام آخر بعد، فقد قام في الواقع بكل المحاولات اللازمة لإقناع شعبه بالالتزام بعهده. والآن يلجأ إلى منطق استخدام القوة من أجل تطبيق العقاب الذي اتفق عليه كلاهما بأنه عادل. لأنه عندما أدلى شريكا العهد بقسميهما بالمرور بين قطع الذبيحة وبلمس دمها، أعطى كل منهما للآخر الأذن بسفك دمه عند الخيانة. ولم يتم توظيف فكرة المحاكمة من قبل حتى زمن الأنبياء الأخيرين الذين قاموا باستدعاء شهود العهد: السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، حسب نص العهد ذاته (تث ٤: ٢٦؛ ٣٠: ١٩). ويعلق دونالد علي هذا الأمر بالقول: "تمثلت شهود العهود الأخرى بالشرق الأدنى القديم في السماء والأرض والآلهة الأخرى أيضًا. ولأن إله إسرائيل كان طرفًا في العهد مع شعبه، فلم يكن ممكنًا أن يكون شاهدًا، فاستدعى خليفته لتكون الشاهد على عهده."^(١٤)

ويستخدم النبي ميخا في نبوءته هذه الصورة الاستعارية للمحاكمة، وهو

14 - Donald B. Allen, *Deuteronomy: An Expression of Covenant and Responsibility*, unpublished thesis for Master of Arts, Lincoln Christian Seminary, Lincoln, Illinois, 1980, p. 83

يشجب إسرائيل كمحامى نائب عن الله في ساحة القضاء أمام شهود العهد الأصليين: "١٠. اِسْمَعِي خُصُومَةَ الرَّبِّ أَيُّهَا الْجِبَالُ وَيَا أُسُسَ الْأَرْضِ الدَّائِمَةِ،" (مي ٦: ١-٢). والكلمة العبرية "ريب، ריב" المترجمة إلى "خصومة"، كانت تستخدم عند مقاضاة الخصوم أمام القضاء^(١٥). إن كل ما استخدمه ميخا النبي من مفردات واستعارات وثيق الصلة بالعهد حتى وإن غابت لفظة "العهد" ذاتها من النص. ولم يكتفِ النبي بفكرة الدعوى إلى التقاضي بل عاد إلى الوراء ليسترجع علاقة الله مع شعبه منذ الماضي، فبدأ من سفر الخروج ليذكر خونة العهد من سامعيه بفداء الله العظيم لهم، ثم انتقل إلى العهد في سيناء الذي صَنَعَ منهم شعباً مقدساً للرب^(١٦). وبقوله عن فم الرب: "يَا شَعْبِي، مَاذَا صَنَعْتُ بِكَ وَبِمَاذَا أَضَجَرْتُكَ؟ اَشْهَدْ عَلَيَّ!"، (مي ٦: ٣)، أكَّد أن الرب كشريك عهد لم يتخل قط عن شعبه من وقت خروجهم من أرض العبودية في مصر.

وردت المفردات المستخدمة لتحديد خطايا إسرائيل في أسفار الأنبياء الآخرين في شكل مقاطع متوازية^(١٧)، ارتبطت كلها بالعهد، على سبيل المثال، كانت اللفظة العبرية لجذر الفعل "آهب، אָהַב"، والمترجمة إلى "إحسان، Love" مصطلحاً عاماً، للتعبير عن الدعم الذي يتم بقلب خالص بين الأطراف المتعاهدة، (تث ٦: ٥). لأن الإنسان لا يمكنه أن يكون أميناً مع الله بدون التزام. لاحظ استخدام الفعل "تحب" بالتوازي المترادف مع أفعال أخرى مثل "تسمع"، و"تلتصق"، و"تسلك"، و"تحفظ" في النصوص الكتابية، وعلى سبيل المثال: "اخْتَرِ الْحَيَاةَ لِكَيْ تَحْيَا أَنْتَ وَنَسْلُكَ، إِذْ تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ وَتَسْمَعُ لَصَوْتِهِ وَتَلْتَصِقُ بِهِ"، وبالمثل ما ورد في (تث ٣٠: ١٦)، إذ تعني الأفعال الثلاثة نفس الشيء، لكونها تحمل نفس المفهوم: "١٠. تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ وَتَسْلُكَ فِي طَرِيقِهِ وَتَحْفَظُ وَصَايَاهُ .."

وبالمثل، يرتبط الجذر العبري للفعل "يَداع، יָדָע، Yada"، بشكل وثيق

15- J Limburg, "The Root RYB and the Prophetic Lawsuit Speeches," in Society of Biblical Literature, 88, 1969, p. 291-304.

١٦- اقرأ (خر ١٩: ٣-٦)، المترجم.

١٧- لمعرفة المزيد عن خاصية التوازي يمكن للقارئ الرجوع للفصل الأول، تحت عنوان "خاصية التوازي"، المترجم.

بالعهد. وعادة ما يتم ترجمته إلى الفعل العربي "عَرَفَ". ويبين الفحص الدقيق للنصوص الكتابية أن له دلالة عهديه، إذ يتعلق استخدامه الفني بالعلاقة الرسمية المتبادلة بين السيد والعبد كطرفي عهد. وفي أحد النصوص الحثية، يقول الملك سوبليمانس، *Suppiliumas*، لعبده هوجاماناس، *Huqqamanas*، في غرب آسيا الصغرى: "وأنت .. تعرف الشمس فقط .."^(١٨). وعند استخدام الجذر "عرف" منفياً في سياق نص عهدي، فإنه يشير إما إلى شخص ليس له علاقة رسمية مع طرف آخر، أو غير ملزم بالقيام بما تتطلبه أية علاقة عهديّة بين طرفين. وتشير الرسالة إلى إزارهادين، *Esarhadden*، إلى هذا الاستخدام بالقول عن السّميريّانز، *Cimmerians*: "هم بدو لا يعرفون قسماً بواسطة الآلهة ولا معاهدة موثقة بقسم"^(١٩)، وتفضل أحدث الترجمات التعبير: "لا يبالون أو لا يحترمون"، وإن كان معنى العبارة تحديداً "لا يقدرّون عهداً موثقاً بقسم كشيء ملزم". وفي الأسفار الكتابية، تم توظيف الفعل "عرف"، *Yada*، בָּיַד، لوصف العلاقة الحميمة الخاصة في الزواج، كقول الكتاب: "وَعَرَفَ آدَمُ حَوَاءَ امْرَأَتَهُ فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ قَايِينَ"، (تك ٤ : ١؛ اقرأ أيضاً تك ٤ : ١٧؛ قض ١١ : ٣٩؛ ١ مل ١ : ٤).

أدرك هوشع معنى اللفظ "عرف" واستخدمه بالارتباط مع اختيار الله لإسرائيل وذلك بقوله عن فم الرب: "إِلَها سُوَايَ لَسْتُ تَعْرِفُ، وَلَا مُخَلِّصَ غَيْرِي. أَنَا عَرَفْتُكَ فِي الْبَرِّيَّةِ فِي أَرْضِ الْعَطَشِ"، (هو ١٣ : ٤-٥). ويشبه هذا النص ما ورد بنبوة عاموس: "إِيَّاكُمْ فَقَطْ عَرَفْتُ مِنْ جَمِيعِ قَبَائِلِ الْأَرْضِ .."، (عا ٣ : ٢). من الواضح أن الفعل "عرف"، בָּיַד، لا يعنى المعرفة العقلية لمعلومات عن إسرائيل، والتي يعلمها الله بالطبع، بقدر ما يعنى أنه من بين جميع الشعوب، دخل الله فقط مع إسرائيل في عهد. وعندما قال النبي هوشع: "لَا أَمَانَةٌ وَلَا إِحْسَانٌ وَلَا مَعْرِفَةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ"، كان يؤكد بأنه ليس من يحفظ العهد.

18- Herbert B. Huffman, "The Treaty Background of Hebrew YADA," *Bulletin of American School of Oriental Research*, 181: 31, 1966.

19- Ibid., p. 32

تحدث ميخا النبي عن إخفاق الشعب الجسيم، والذي تمثل في افتقار رجاله ونسائه لكمال الاستقامة في الحياة مع الله والناس. أظهر ميخا لشعبه ما يريده الله منهم بقوله لهم: "قَدْ أَخْبَرَكُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا هُوَ صَالِحٌ، وَمَاذَا يَطْلُبُهُ مِنْكَ الرَّبُّ، إِلَّا أَنْ تَصْنَعَ الْحَقَّ وَتُحِبَّ الرَّحْمَةَ، وَتَسْلُكَ مُتَوَاضِعًا مَعَ إِلَهِكَ"، (مي ٦: ٨). وما كتبه النبي هنا ليس إلا إعادة صياغة لما ورد في سفر التثنية، (تث ١٠: ١٢-١٣). استعاد ميخا نفس المفاهيم مع إضافة قليلة نسبياً، وعلى إسرائيل ألا يسيء الفهم. لقد وضّحت كلمات النبي إخفاقه المخزي الذي تمثل في انهياره الأخلاقي، وخاصة عدم حفظه للعهد كأسلوب حياة.

إن لفظة "عدل، *Justice*"^(٢٠) هي صيغة الاسم من الجذر العبري الذي جاءت منه لفظة "قضاء أو دينونة، *Judgment*". ويتمثل "العدل" في تنفيذ أحكام الله المعلنة في الناموس؛ أي فعل ما قاله الله بالضبط! (تث ٣٣: ٢١ ب). لم يكن العدل مجرد حفظ لفريضة بإرادة مريضة، بل كان نمطاً لحياة الكمال. على الرغم من أنه، بعيداً عن الناموس، لا يوجد عدل سواء في إسرائيل أو أي مكان آخر على الأرض. وتعني اللفظة "رحمة، *Mercy*" مساندة شريك العهد بقلب مخلص حتى النهاية. ولا تعني ببساطة مجرد شعور بالشفقة؛ فهي ليست مشاعر، وقد وضع جلوك، *Gleuck*، بشكل حاسم أنها "موقف الفرد من حفظ العهد عن حب"^(٢١). وبالنسبة للعبرانيين، يرتبط العدل والرحمة معاً في حزمة واحدة^(٢٢). وقد افتقر إسرائيل لتلك النية الصالحة في الالتزام بالعهد.

أما عبارة "وَتَسْلُكَ مُتَوَاضِعًا مَعَ إِلَهِكَ"، (مي ٦: ٨)، فبدون ناموس موسى لا تعني شيئاً، ولا يجب أن نجزم بأنها تشير إلى اتصال روحي معين أو إلى حياة صلاة عميقة. فليس لدينا أي تعريف أو فكرة عما كانت تعنيه هذه العبارة في زمن موسى، إلا من خلال استعمالها بالتوازي، ليصبح معناها مرادفاً لحفظ ناموس موسى، (تث ٣٠: ١٦-١٧). لم يكن النبي ميخا متخصصاً عالمياً في علم الأخلاق، بل كان محامياً عن العهد، وقد نجح في أن يبرهن لإسرائيل

٢٠ - ترجمت اللفظة "عدل" إلى المرادف "حق" في الترجمة العربية سميث وفاندايك، المترجم.

٢١ - راجع الفصل الأول من الكتاب، تحت ثالثاً: "حب، *Hesed*"، المترجم.

٢٢ - ليت القارئ العزيز يقرأ (مز ٨٥: ١٠)، ويعيد النظر في فهمه لهذا النص، المترجم.

فساده الأخلاقي إذ أخفق تمامًا في الالتزام بالسلوك المتفق عليه، فالأخلاق بالنسبة للعبرانيين، كانت تتمثل في حفظ ناموس الله.

أكد ميخا في ساحة القضاء أن الله قرر تطبيق عقوبة حرق العهد الموسوي المقطوع في سيناء. كما أظهر أن الله كإله حافظ للعهد، قد وضع في خطئته أن يسترد إسرائيل من السبي، إلا أن استردادهم كان متوقعًا على عودتهم إلى العهد، (لا ٢٦: ٤٠). وعندما يرجع إسرائيل إلى الرب سيكون الله أمينًا معه، ويسبح ميخا النبي الرب على أمانته: "مَنْ هُوَ إِلَهٌ مِثْلَكَ غَافِرُ الْإِثْمِ وَصَافِحُ عَنِ الذَّنْبِ لِبَقِيَّةِ مِيرَاثِهِ! لَا يَحْفَظُ إِلَى الْأَبَدِ غَضَبَهُ، فَإِنَّهُ يُسَرُّ بِالرَّأْفَةِ. يَعُودُ يَرْحَمُنَا، يَدُوسُ آثَامَنَا، وَتُطْرَحُ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ جَمِيعُ خَطَايَاهُمْ. تَصْنَعُ الْأَمَانَةَ لِيَعْقُوبَ وَالرَّأْفَةَ لِإِبْرَاهِيمَ، اللَّتَيْنِ حَلَفْتَ لآبَائِنَا مِنْذُ أَيَّامِ الْقَدَمِ"، (مي ٧: ١٨-٢٠).

ويمكن فهم معنى التعبير "تَصْنَعُ الْأَمَانَةَ"، من خلال ما يوازيه، فإن أراد أحد أن يكون مخلصًا لشيء أو لشخص لا بد أن يكون لديه التزام، ويعني هذا الالتزام التقيد بما تم التعهد به أو القسم عليه. وكما نعلم لم يستخدم الأنبياء على الدوام لفظة "عهد" بحصر اللفظ، إلا أن مصطلحاتهم ارتبطت بكل المفردات المرتبطة بحفظه. إن التهمة الموجهة ضد إسرائيل الآن في ساحة القضاء وبشهادة الخليقة جمعاء هي أنه كسر عهد إلهه، ومن ثم يستحق العقاب.

بدأ إشعياء النبي سفره أيضًا بمشهد المحاكمة كفكرة رئيسية، وذلك باستدعاء شهود العهد قائلًا: "اسْمَعِي أَيَّتُهَا السَّمَاوَاتُ وَأَصْغِي أَيَّتُهَا الْأَرْضُ، لِأَنَّ الرَّبَّ يَتَكَلَّمُ، رَبِّيتُ بَنِينَ وَنَشَأْتُهُمْ، أَمَّا هُمْ فَعَصَوْا عَلَيَّ. الثَّوَرُ يَعْرِفُ قَانِيَهُ وَالْحِمَارُ مَعْلَفَ صَاحِبِهِ، أَمَّا إِسْرَائِيلُ فَلَا يَعْرِفُ .."، (إش ١: ٢-١٠). وعندما تساءل: "كَيْفَ صَارَتِ الْقَرْيَةُ الْأَمِينَةُ زَانِيَةً! مَلَانَةٌ حَقًّا. كَانَ الْعَدْلُ يَبِيتُ فِيهَا، وَأَمَّا الْآنَ فَالْقَاتِلُونَ"، (إش ١: ٢١)، استعمل نفس الكلمات المرتبطة بالعهد. كانت لفظة "الأمانة" المرادف الكامل لحفظ العهد في الأدب العبري النبوي. أما لفظة "الحق، Justice"، فهي بالعبرية "משפט، Mishpat"، وتعني صيغة الجمع منها "משפטים، Mishpatim"، وأوامر الرب

التي تم الاشتراط عليها. ويدل التعبير "كَانَ الْعَدْلُ يَبِيتُ فِيهَا" على أنه ليس هناك من يلتزم بناموس العهد.

أصبح إرميا النبي الذي بدأ خدمته النبوية متفائلاً بعض الشيء، المتحدث الرئيس في وصف مشهد انحراف إسرائيل صوب دماره الشامل. وعظ إرميا برسالاته في أيام خلعت أحاديثها من أية إشارة للمصالحة بين الله وشعبه. وكم من المرات يشير النبي إرميا خلال سفره إلي المحاولات التي سعى فيها الرب للتفاوض مع شعبه من أجل المصالحة ولكن دون جدوى. ولولا يوشيا الذي ظهر في المشهد، وقام بجهود عظيمة من أجل إصلاح الأرض، لخلت بهم الكارثة. عاصر إرميا سبي المملكة الشمالية إسرائيل التي اختفت من الوجود إذ صارت تاريخاً في طي النسيان، كما لم تعد عاصمتها السامرة عاصمة لأي دولة فيما بعد.

كان عرض النبي إرميا لقضية الرب ضد مملكة يهوذا مشابهاً لأنبياء آخرين في ذلك العصر، لاستخدامه نفس الأسلوب اللغوي في الدعوة للمحاكمة أمام شهود العهد، فقد خاطب شعبه عن فم الرب: "أُخَاصِمُكُمْ بَعْدُ، يَقُولُ الرَّبُّ .. ابْهَيْتِي أَيْتَهَا السَّمَاوَاتُ مِنْ هَذَا، وَأَقْشَعِرِّي وَتَحْيِرِي جِدًّا .. لِأَنَّ شَعْبِي عَمِلَ شَرًّا .."، (إر ٩: ١٣). وربما يتساءل أحد المحامين الموكلين عن الشعب: "لماذا كل هذه التهم الموجهة إلينا؟" فيجيبه إرميا بالجواب الإلهي مقدماً: كُلُّكُمْ عَصَيْتُمُونِي، (إر ٢: ٢٩). ومثلما دافع النبي ميخا عن أمانة الله بسؤاله للمدعى عليه: "يَا شَعْبِي، مَاذَا صَنَعْتُ بِكَ وَبِمَاذَا أَضْجَرْتُكَ؟ اشْهَدْ عَلَيَّ!"، (مي ٦: ٣)، قدم إرميا نفس الدفاع، "مَاذَا وَجَدَ فِي آبَائِكُمْ مِنْ جَوْرٍ حَتَّى ابْتَعَدُوا عَنِّي؟"، (إر ٢: ٥). ويردد إرميا مفردات العهد المتعلقة بعدم تنفيذ شروطه بقوله: "مَلْعُونُ الْإِنْسَانِ الَّذِي لَا يَسْمَعُ كَلَامَ هَذَا الْعَهْدِ .."، (إر ١١: ٣؛ مع ١١: ٧-٨).

اللعنات والنبوات

لم يكن الأنبياء وعاظًا بكبريت ونار جهنم، بقدر ما كانوا يمثلون هيئة الدفاع المتحدثة بالنيابة عن الله في قضيته مع شعبه. لقد اقتبسوا أمام شهود العهد اشتراطاته التي قام إسرائيل ويهوذا بخرقها. وما وصفوه من أحداث مأساوية عديدة أن تحل على إسرائيل صاغوه آنذاك في إطار مصطلحات ومفردات حصلوا عليها من نص العهد ذاته. "فلم يكن الأنبياء خياليين، مستغرقين في نشوى الرؤى وبحران التصوف، بل كانوا مدافعين عن العهد، واقفين على أرض الواقع، كانت نبوءاتهم عن الولايات العديدة تردد صدى اللعنات المرتبطة بكسر العهد^(٢٣)". واعتمادًا على ناموس العهد، استطاع أنبياء ما قبل السبي رسم صورة رهيبة عن الدينونة التي تنتظر الأمة الخائنة. لم تكن رسائلهم إلا تذكيرًا بكل لعنات العهد التي اتفق إسرائيل بأنها عقوبات عادلة على من يخونه. "لم يتنق الأنبياء اعتباطيًا تفاصيل تلك الصور البغيضة التي صوروا فيها الغضب العتيد أن يحل بالشعب. لم يكن الأنبياء أسرى خيال مريض، بل كانوا في الأساس محامين ارتكزت أدلتهم على ما ورد بنص العهد^(٢٤)". ويعرض الجدول التالي بعضًا من أوجه الارتباط الوثيق بين الرسائل النبوية والعهد في سيناء:

الشاهد النبوي	بعض نصوص من الأنبياء الكبار	صداه بالناموس
(إش ٢٩: ٣)	• "وَأُحِيطُ بِكَ كَالدَّائِرَةِ، وَأُضَاقُ عَلَيْكَ بِحِصْنٍ، وَأَقِيمُ عَلَيْكَ مَتَارِسَ"	(تث ٢٨: ٥٣)
(إش ٢٩: ٩)	• "... تَلَذُّذُوا وَاعْمُوا. قَدْ سَكِرُوا وَلَيْسَ مِنَ الْخَمْرِ..."	(تث ٢٨: ٢٩)
(إر ٥: ٦)	• "... يَضْرِبُهُمُ الْأَسَدُ .. يَكْمُنُ النَّمِرُ حَوْلَ مُدْنِهِمْ .."	(لا ٢٦: ٢٢)

23- Brinsmead, "covenant," *Present Truth*, November 1976, p. 33.

24- Delbert Hillars, *Covenant: The History of a Biblical Idea*, p. 134.

(إبر: ٨: ١٧)	• "لَأَجَلَ ذَلِكَ تَأْكُلُ الْآبَاءُ الْآبَاءَ فِي وَسْطِكَ، وَالْأَبْنَاءُ يَأْكُلُونَ آبَاءَهُمْ .."	(لا: ٢٦٦: ٢٩)
(حز: ٥: ١٠)	• " .. أَنِّي هَانَذَا مُرْسِلٌ عَلَيْكُمْ حَيَاتٍ، أَفَاعِي لَا تَرْقَى، فَتَلْدُغَكُمْ .."	(لا: ٢٦٦: ١٥)
أولاً: النص بحسب نبوة هوشع النبي		
(هو: ٢: ٨)	• " .. أَنِّي أَنَا أَعْطَيْتُهَا الْقَمْحَ .. جَعَلُوهُ لِبْعَلٍ"	(خر: ٢٠: ١)
(هو: ٤: ٦)	• "قَدْ هَلَكَ شَعْبِي مِنْ عَدَمِ الْمَعْرِفَةِ .. نَسِيتُ شَرِيعَةَ إِيْلَهِكَ أَنْسَى .. بَنِيكَ"	(تث: ٣٠: ١-١٠)
(هو: ٤: ١١)	• "الزَّيْنَى وَالْخَمْرُ وَالسَّلَافَةُ تَحْلِبُ الْقَلْبَ"	(تث: ٥: ١٨)
(هو: ٤: ١٧)	• "أَفْرَايِمُ مُوثِقٌ بِالْأَصْنَامِ .. زَنَوْا زَيْنَى .. خَجِلُوا مِنْ ذَبَائِحِهِمْ"	(تث: ١٧: ١٤)
(هو: ٥: ٤)	• "أَفْعَالُهُمْ لَا تَدْعُهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَى إِيْلِهِمْ، لِأَنَّ رُوحَ الزَّيْنَى فِي بَاطِنِهِمْ .."	(خر: ٢٠: ١٤)
(هو: ٩: ٧-٨)	• " .. النَّبِيُّ أَحْمَقُ. إِنْسَانُ الرُّوحِ مَجْنُونٌ مِنْ كَثْرَةِ إِثْمِكَ وَكَثْرَةِ الْحَقْدِ .."	(تث: ١٨: ١٤)
(هو: ١٠: ٤-٥)	• "يَتَكَلَّمُونَ كَلَامًا بِأَقْسَامٍ بَاطِلَةٍ .. فَيَنْبُتُ الْقَضَاءُ عَلَيْهِمْ كَالْعَلَقَمِ .."	(تث: ٣٢: ٢١)
(هو: ١٢: ٧-٨)	• "مِثْلُ الْكَنْعَانِيِّ فِي يَدِهِ مَوَازِينُ الْغِشِّ. يُحِبُّ أَنْ يَظْلِمَ .."	(تث: ٢٥: ١٥)
(هو: ١٣: ١-٣)	• " .. وَلَمَّا أَنْتُمْ بَيْعَلُ مَاتَ .. يَزْدَادُونَ خَطِيئَةً، .. ذَايَحُوا النَّاسَ .."	(تث: ١٨: ٩)

ثانيًا: النص بحسب نبوة ميخا النبي		
(مي ١: ٧)	• "وَجَمِيعُ تَمَائِلِهَا الْمُنْحَوْتَةُ تُحْطَمُ .. وَجَمِيعُ أَصْنَامِهَا أَجْعَلُهَا خَرَابًا .."	(خر ٢٠: ١ - ٢٠)
(مي ١: ١٥)	• "آتِي إِلَيْكَ أَيْضًا بِالْوَارِثِ .."	(ث ٢٨: ٤٩)
(مي ٢: ٢)	"فَإِنَّهُمْ يَسْتَهْوُونَ الْحُقُولَ .. وَيَظْلِمُونَ الرَّجُلَ وَبَيْتَهُ وَالْإِنْسَانَ وَمِيرَاثَهُ"	(ث ٢٠: ١٧ ؛ ث ١٥: ١٧)
(مي ٢: ٦)	• "يَتَّبِعُونَ قَائِلِينَ، لَا تَتَّبِعُوا. لَا يَتَّبِعُونَ عَنْ هَذِهِ الْأُمُورِ .."	(ث ٢٨: ١٥)
(مي ٣: ٧)	• "فَيَخْزِي الرَّاوُونَ، وَيَخْجَلُ الْعَرَّافُونَ .. لَأَنَّهُ لَيْسَ جَوَابٌ مِنَ اللَّهِ"	(ث ١٨: ١٠ - ١١)
(مي ٣: ١١)	• "رُؤْسَاؤُهَا يَقْضُونَ بِالرِّشْوَةِ .. وَكَهَنَتُهَا يُعَلِّمُونَ بِالْأُجْرَةِ .."	(ث ١٦: ١ - ١٨ ؛ ٢٤: ١٧)
(مي ٦: ١٦ ب)	• "لِيَكُنِّي أَسْلَمَكَ لِلْخَرَابِ، وَسُكَّانَهَا لِلصَّفِيرِ .."	(ث ٢٨: ٣٧)
ثالثًا: النص بحسب نبوة عاموس النبي		
(عا ٦-٧)	• "يَتَهَمُّونَ .. رُؤُوسَ الْمَسَاكِينِ، وَيَصُدُّونَ .. الْبَائِسِينَ .."	(ث ١٥: ١ ؛ ٢٤: ١٠)
(عا ٧-٨)	• "إِلَى صَبِيَّةٍ وَاحِدَةٍ .. يُدْنِسُوا اسْمَ قُدْسِي .. فِي بَيْتِ آلِهَتِهِمْ."	(خر ٢٠: ١ - ١٥)
(عا ١٢)	• "لَكِنِّكُمْ سَقَيْتُمُ النَّذِيرِينَ خَمْرًا .."	(عد ٦: ٨-١)

(٤: ٤٤)	• "هَلُمَّ إِلَى بَيْتِ إِبِلَ، وَأَذِنُوا إِلَى الْجَلْجَالِ .." (تث ١٢: ٢)
(١٣: ٥٤)	• "لِذَلِكَ يَصُمْتُ الْعَاقِلُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ لَأَنَّهُ زَمَانٌ رَدِيءٌ"
(٢٦: ٥٤)	• "بَلْ حَمَلْتُمْ خِيَمَةَ مَلِكُومِكُمْ، وَتِمَثَالُ أَصْنَامِكُمْ .."
(٦٤: ٥-٧)	• "الْهَازِرُونَ .. الْمُخْتَرِعُونَ .. الشَّارِبُونَ .. يُسَبِّحُونَ فِي أَوَّلِ الْمَسْبِيِّينَ .."
(٤: ٨٤)	• " .. أَيُّهَا الْمُتَهَمُّونَ الْمَسَاكِينِ لِكَيْ تُبِيدُوا بِأَيْسَى الْأَرْضِ"

كانت الخطايا والجرائم التي سجلها الأنبياء الأخيرين ضد الشعب هي نفسها التي منعها ناموس موسى، ومن ثم تمثلت إخفاقات الشعب في عدم الوفاء بمتطلبات ناموس العهد. ولأن الخطية في المملكة الثيوقراطية تعد جريمة ضد المملكة، نتكلم عن الخطايا والجرائم بنفس الطريقة. إلا أن فرض العقوبات التي تكلم عنها إرميا وغيره من الأنبياء كانت نموذجاً آخر لرحمة الله للأجيال القادمة، إذ يمكن لها أن تتيقن من جدية الله بخصوص ما يعلنه عن الخطية والأمانة. ولم يفت هذا الدرس دانيال النبي عندما قال: "كُلُّ إِسْرَائِيلَ قَدْ تَعَدَّى عَلَى شَرِيعَتِكَ .. فَسَكَبْتَ عَلَيْنَا اللَّعْنَةَ وَالْحَلْفَ .. كَمَا كُتِبَ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى .. جَاءَ عَلَيْنَا كُلُّ هَذَا الشَّرِّ .. لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهُنَا بَارٌّ .." (د ٩: ١١-١٤). قدم دانيال نفس الفكر اللاهوتي المرتبط بعهد سيناء، وقيّم سلوك إسرائيل، ليكتشف أن كل الأحداث المأساوية التي تم التنبؤ بها على إسرائيل قد تحققت بسبب خرقه للعهد. وفي صلاته الشفاعية، اعترف دانيال بهذا الأمر بوضوح قوي أمام الرب قائلاً: " .. أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُهُ .. حَافِظَ الْعَهْدِ وَالرَّحْمَةِ لِمُحِبِّهِ .. أَخْطَأْنَا .. وَحَدَّنَا عَنْ وَصَايَاكَ .. فَسَكَبْتَ عَلَيْنَا اللَّعْنَةَ وَالْحَلْفَ الْمَكْتُوبَ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى .. فَاسْمَعْ الْآنَ يَا إِلَهُنَا .. لِأَنَّهُ لَا لِأَجْلِ بَرِّنَا نَطْرَحُ تَضَرُّعَاتِنَا .. بَلْ لِأَجْلِ مَرَامِكَ الْعَظِيمَةِ .." (د ٩: ٤-١٩).

النعمة والناموس

لماذا استطاع الأنبياء أن ينادوا بنعمة الرب يهوه وطول أناته أثناء النطق بهذه النبوات الرهيبة؟ وأين كانت نعمة الله؟ ولماذا التركيز على ناموس الله وليس على نعمته؟ وكيف استطاع كاتب المزامير أن يرثم مرارًا كثيرة عن إحسانات الله؟ إن قلاعًا كاملة من نظم الفكر اللاهوتي قد بنيت على أساس إخفاق الناموس ذاته مقابل انتصار النعمة. ولعدم وضوح هذا الأمر حقيقة، يجب على المرء أن يتبنى فكرًا لاهوتيًا عن الناموس والنعمة ينسجم مع التفسير الكتابي لكليهما. فلا يفوتنا أن الناموس كان نعمةً، في حين سُمي إنجيل النعمة ناموسًا، (رو ٨: ٢).

ارتبطت كل نبوات العهد القديم بطريقة أساسية محددة بالعهد، فكانت أسفار الأنبياء الأولين سجلات تاريخية عن إله العهد وشعبه، سواء في نجاحه أو إخفاقه في علاقته العهدية مع الله. أما الأنبياء الأخيرون الذين تنبأوا قبل السبي في القرنين ٧-٨ ق.م فقد قاموا بكل وضوح باستدعاء شهود العهد، علامة علي نفاذ صبر الله إزاء إخفاق إسرائيل المتواصل في علاقته العهدية. وهناك نوعان من الإخفاق في العهد: التام وهو الإخفاق الذي يجعل الطرف الآخر حرًا من أية التزامات، وغير التام، والذي لا يُعد مبررًا كافيًا لنقض العهد، مثل الخطايا الفردية التي تمثل إخفاقًا بسيطًا في حفظ شروط العهد تفصيلًا. لقد حتمت أمانة ورحمة أحد الطرفين مساعدة الشريك المتعثر في هذا النوع من الإخفاق، فمن المستحيل أن يتخلى الله عن شعبه من أجل خطايا فردية لقلّة منه. وقد أدرك الكثيرون هذا الأمر وسلكوا بموجبه. ولعل تدبير النظام الذبائحي كجزء من العهد كان يشير إلى التوقع الإلهي في التعامل مع مثل هذه الإخفاقات. أما إخفاق جيل كامل فكان هجرًا كاملاً للعهد، إلا أنه لم يكن مبررًا كافيًا للإله الأبدي كي ينقض عهده، لأن الله ألزم نفسه بتقديم العون لإسرائيل حتى وإن هجر العهد. وتوضح محبة الله ونعمته لشعبه من خلال خمس طرق هامة:

جاءَ الله علي شعبه بالناموس، ودخل معهم في عهد، الأمر الذي يمثل في حد

ذاته نعمة الله الجوهريّة. فمن خلال العهد وناموسه منح الله للإنسان أساساً من أجل الثقة فيه، إذ حدّد من غضبه ليهب للإنسان وعوداً ثابتة ليقطع عليه أية فرصة للتخمين من جهته، ويعلق وليم ديرنس، *William Dyrness*، على هذا الأمر بالقول: "دخل الله التاريخ وربط نفسه بأحداث معينة قَصْدَ بأن يكون لها نتائج أبدية .. فهناك أمان جديد للحياة، فالعهد وناموسه يعين الإنسان ليعرف أين هو. ولذا يمكنه الاعتماد على هذه الأمور لأن عنصراً ثابتاً قد أضيف إلى حياته وإلى التاريخ، فالثقة ممكنة إذ صارت تقلبات ونزوات آلهة الشرق الأدنى القديم مستبعدة تماماً^(٢٥)". استطاع الإنسان أخيراً أن يتحرك في العالم بدرجة معينة من الثقة، فلديه الآن مرساة، وقد أعلن التزامه بالعهد كما قام الله بالتوقيع القانوني عليه كأمر ملزم، ولا يمكن لله أن يسلك بغير ما التزم به. لقد أتاح العهد للإنسان إمكانية التنبؤ بأعمال الله! فلا يمكن لعلاقة أن تدوم إن لم يتم تحديد المتوقع من كل طرف تجاه الآخر. إن العهد هو نعمة الله العاملة.

أظهر الله نعمته للإنسان بطريقة أخرى، وذلك عندما علّم الله إسرائيل من خلال الاختبار عبر مئات السنين بأن الطاعة تجلب البركات أما خيانة العهد فتزلّ اللعنات. أظهر الله لشعبه ثبات طبيعته واهتماماته ومطالبه، كما منحه أساساً تاريخياً ثابتاً فيما يتعلق بتقييم السلوك. كان على إسرائيل أن يضع في اعتباره ثبات أمانة الله الذي لا يتغير؛ ليعرف أن يقين بركات الأمانة للعهد وعقوبات كسره كانا نعمةً من الله.

تجلّت نعمة الله من خلال تدخّله المستمر عبر التاريخ في مناسبات عديدة، فكم من المرات عضّد الله قادة إسرائيل والجيش والأفراد والشعب. ولا يمكننا أن ننكر أن التوازن بين الاعتماد على النفس والاعتماد على الله أمر مرغوب، إلا أن تدخّل الله المتواصل في التاريخ معناه تدمير إمكانية الاعتماد على الطبيعة. ومع ذلك، تدخّل الله من أجل شعبه بالدرجة التي تكفي لحفظه، لكنه أحجم عن الإسهاب في صنع المعجزات ليحفظ للمعجزة قيمتها.

25- William Dyrness, *Themes in Old Testament Theology*, Downer's Grove, Illinois: InterVarsity press, 1979, p. 125.

كشف الله أيضًا عن نعمته من خلال الأنبياء الذين أرسلهم إلى بني إسرائيل. امتلاً هؤلاء الأنبياء من روح الرب يهوه فأدركوا مقاصده، وتكلموا بالنيابة عنه. كانت مناداتهم الرئيسة "هكذا قال الرب". كان تقييم الله المنتظم للشعب بواسطة أنبيائه حيويًا من أجل نجاح العلاقة، بل إن إرسال الله لأولئك الأنبياء كان إظهارًا لرحمته، "حيسد، *Hesed*، חֶסֶד"، وتعبيرًا عن ولاءه للعهد. ولم تكن تلك الرحمة عاطفةً أو شعورًا فقط، بل كانت عونًا قدمه رب المجد في حينه. وما صبر الله في تذكير كل جيل بالعهد، وتنصيب الكهنة للمساعدة في العبادة الجماعية، والطقوس، وقراءة الناموس سنويًا لتذكير إسرائيل بمكانته، وبمطالب العهد الأخلاقية السامية من نحو الآخرين، وغيرها الكثير، إلا تعبيرات عن نعمة الله ورعايته لشعبه عبر السنين.

أظهر الله نعمته لإسرائيل عندما رده من السبي بعد أن اعترف أنه شعب شرير فاسد، بل وغير مختون. ولم يكن الله ملتزمًا بالقيام بأي عمل من أعمال الصلاح أو التكريم من أجل إسرائيل، فلقد أعطاه الله من باب نعمته الناموس الذي وصف بطرق عامة ومفصلة ما هو السلوك الذي يتوقعه الله من شعبه. ولا يمكن لحبيب أن ينمو في الروح في علاقته مع حبيبه على حساب كرامته. فلا توجد شركة بدون تواصل. كان الناموس وسيلة الله العظمى في التواصل من البداية، فمن نعمة الله أنه أخبر إسرائيل بما يجب أن يكون عليه كشعب عهد. وإزاء ما تقدم، هل يمكن للمرء أن يتهم الله بأنه تصرف بعجلة عندما عاقب إسرائيل بالسبي بسبب خيانتة للعهد؟ إن ما فعله الله نفذه بصبر وطول أناة، فلم يكن الله سريعًا في الغضب. كما أن خمسمائة سنة ليست وقتًا قصيرًا بالنسبة له كي ينتهي إلى هذه النتيجة، فقد فاض صبره تعاضيدًا للعهد. إنه إله كل نعمة. لكن لا يمكنه أن ينكر نفسه، وقد أثبت الاختبار أنه يمكن أن يمل من خيانة الإنسان؛ فالرب يهوه طويل الأناة، لكن لطول أناته حدودًا.

أزمة الشرطية

أثناء فترة الأنبياء الآخرين، نشأ نوع من التوتر الشديد بخصوص الطريقة التي سيتعامل بها الله مع شعب عهده. وقد عكس جميع أنبياء ما قبل السبي هذا التوتر. فهل سيسمح الله لإسرائيل أن يعاني الهزيمة بواسطة أعدائه، أم أن مكانته كشعب مختار من الله تضمن له أمناً أبدياً؟ وبتعبير آخر، ما هو الشكل الذي ستكون عليه شرطية العهد؟ وبشكل رسمي، تمثلت الفكرة المركزية للأنبياء الآخرين في التذكير بمواعيد العهد بشقيها البركات واللعنات.

شكلت البركات واللعنات بحسب النص الأساسي لشريعة موسى نقيضين، فإما البركات أو اللعنات. إلا أن أنبياء القرنين ٧-٨ ق.م، قد جمعوا بينهما، بمعنى تحقيق اللعنات والبركات. استشهد إشعيا بعهد داود، كمثال لاختيار الله غير المشروط لسلالة داود كابن له، ولأورشليم مدينته المقدسة، بينما استشهد إرميا بعهد سيناء ليؤكد على الشرطية، فلم يعرف إرميا النبي أي عهد غير مشروط. وفي النصوص ذات السياق العهدي بالنسبة له، يعنى اللفظ "أبدي" مستمراً، أو باقياً، إن تعبير "العهد الأبدي" يشير فقط إلى غياب التاريخ المحدد لانهائه، كجزء منصوص عليه في شروط العهد ذاته. وهكذا، يفترض هذا المعنى أن أورشليم هي مدينة داود الأبدية طالما استمر العهد الداودي. وبالمثل كان اختيار إسرائيل أبدياً طالما استمر عهده مع الله.

صوّر الأنبياء الكبار، *Major Prophets*، لعنات العهد ثم استرداد إسرائيل بشكل مبالغ فيه؛ حتى اعتقد بعض اللاهوتيين بأنها نبوات لم تتحقق بعد. وفيما يتعلق بلعنات العهد، وضعت حقيقة السبي، كنهاية لملك داود قيّداً علي الفكر اللاهوتي المنتشر في العهد القديم، والذي لم ينفك إسرائيل منه أبداً. إن الأنبياء الذين أعلنوا أن الله سيتدخل وينقذ إسرائيل من السبي، صُعبوا بمقتل يوشيا عندما ذهب للحرب واثقاً في الله. والأنبياء الكذبة الذين قالوا للشعب، "من المستحيل أن يحدث لنا هذا، نحن مختاري الله"، ذُهلوا عندما سقطت السامرة وذهب ملكها للسبي، في حين لم يندهش إرميا النبي عندما حلت تلك المصائب على إسرائيل، لأنه أدرك أن العهد مشروط. تصور مقاومو إرميا أن

كل شيء سيكون على ما يرام، وما عليهم فقط هو أن يثقوا في الله؛ لأنه لن يسمح لإسرائيل مختاره بأن يهلك. وتشير نصوص كثيرة في سفر إرميا إلى إساءة تقديرهم للموقف:

• "وَقَالُوا .. لَا يَأْتِي عَلَيْنَا شَرٌّ .. الْأَنْبِيَاءُ يَصِيرُونَ رِيحًا، وَالْكَلِمَةُ لَيْسَتْ فِيهِمْ .. هَذَا أَجْلَبُ عَلَيْكُمْ أُمَّةٌ مِنْ بَعْدِ يَاسَئِيلَ .. أُمَّةٌ قَوِيَّةٌ .." (إر ١٢: ١٨).

• "كُلُّ وَاحِدٍ يَعْمَلُ بِالْكَذِبِ. وَيَشْفُونَ كَسْرَ بَنَتِ شَعْبِي عَلَى عَثَمٍ قَائِلِينَ، سَلَامٌ، سَلَامٌ. وَلَا سَلَامٌ" (إر ١٣: ١٤).

• "هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ، لَا تَسْمَعُوا لِكَلَامِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ .. يَتَكَلَّمُونَ بِرُؤْيَا قُلُوبِهِمْ لَا عَنْ فَمِ الرَّبِّ. قَائِلِينَ .. يَكُونُ لَكُمْ سَلَامٌ! وَيَقُولُونَ لِكُلِّ مَنْ يَسِيرُ فِي عِنَادِ قَلْبِهِ، لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ شَرٌّ"، (إر ٢٣: ١٦-١٧).

ببساطة، يتلخّص ما قاله إرميا للشعب في استحالة اتكاله على مكانته كشعب مختار الله، فالعهود مشروطة، وعلي إسرائيل كله أن يحذر. ومن أجل تشجيع الشعب على الرجوع إلى الرب، خاطبهم إرميا عن فم الرب بالقول: "تَارَةً أَتَكَلَّمُ عَلَى أُمَّةٍ وَعَلَى مَمْلَكَةٍ بِالْقُلْعِ وَالْهَدْمِ وَالْإِهْلَاكِ، فَتَرْجِعُ تِلْكَ الْأُمَّةُ .. عَنْ شَرِّهَا، فَأَنْدُمُ عَنِ الشَّرِّ الَّذِي قَصَدْتُ أَنْ أَصْنَعَهُ بِهَا. وَتَارَةً أَتَكَلَّمُ عَلَى أُمَّةٍ وَعَلَى مَمْلَكَةٍ بِالْبِنَاءِ وَالْعَرْسِ، فَتَفْعَلُ الشَّرَّ فِي عَيْنِي .. فَأَنْدُمُ عَنِ الْخَيْرِ الَّذِي قُلْتُ إِنِّي أَحْسِنُ إِلَيْهَا بِهِ"، (إر ١٨: ٧-١٠).

تنبأ النبي إرميا أيضًا برجوع إسرائيل من السبي، وجاءت نبواته من خلال عدة صور لطيفة ومؤثرة. لكن لم يتنبأ برجوع نفس المملكة الشيوقراطية السابقة التي مثلت بالنسبة إخفاقًا كاملاً. ولم يدرك إرميا أن الرب يهوه سيرد شعبه إلى الأرض فقط، بل رأى عهدًا جديدًا، ينتظر شعبه:

"هَآ آيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا. لَيْسَ كَالْعَهْدِ الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُهُمْ بِيَدِهِمْ لِأَخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، حِينَ نَقَضُوا عَهْدِي فَرَفَضْتُهُمْ،

يَقُولُ الرَّبُّ. بَلْ هَذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَقَطَعُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ
تِلْكَ الْأَيَّامِ، يَقُولُ الرَّبُّ، أَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى
قُلُوبِهِمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلَهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا. وَلَا يَعْلَمُونَ بَعْدَ كُلِّ
وَاحِدٍ صَاحِبَهُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ، قَاتِلِينَ، اَعْرِفُوا الرَّبَّ، لِأَنَّهُمْ كُلُّهُمْ
سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ، يَقُولُ الرَّبُّ، لِأَنِّي أَصْفَحُ عَنْ
إِثْمِهِمْ، وَلَا أَذْكُرُ خَطِيئَتَهُمْ بَعْدَ"، (إر ٣١: ٣٤-٣١).

لم يفهم يهود ذلك العصر، ولا يهود ما بعد السبي نوعية هذا العهد الجديد
العتيد! في ذلك التوقيت، بالنسبة لهم، كان هذا العهد أمراً مستقبلياً، كما كان
العهد الأول قيد التنفيذ، مع إنه كان يحتضر وفي حاجة إلي من يحييه؛ إذ مات
إسرائيل بحد وصف حزقيال النبي، فالعهد الموسوي الثيوقراطي لم تقم له قائمة
بعد. ويصور الكتاب ما كان الله مزماً أن يفعله مع إسرائيل بعد توبته: "لَأَنِّي
بَعْدَ رُجُوعِي نَدِمْتُ، وَبَعْدَ تَعْلَمِي صَفَقْتُ عَلَى فَخْذِي .. هَلْ أَفْرَايِمُ ابْنُ
عَزِيزٍ لَدَيَّ، أَوْ وَلَدٌ مُسَرٌّ؟ لِأَنِّي كُلَّمَا تَكَلَّمْتُ بِهِ أَذْكُرُهُ بَعْدَ ذِكْرٍ. مِنْ أَجْلِ
ذَلِكَ حَنَنْتُ أَحْشَائِي إِلَيْهِ. رَحْمَةً أَرْحَمُهُ، يَقُولُ الرَّبُّ"، (إر ٣٤: ١٨-٢٠).

جاءت كل نبوات أنبياء ما قبل السبي في إطار قرينة العهد القديم، فلم
يستطيع الأنبياء رؤية أي شيء بعيداً عن عهد الله مع إسرائيل وداود. اعتقد
الأنبياء أن رجوع إسرائيل هو استرداد لمملكة داود، كما صوّرها حزقيال:
مملكة جديدة مذهلة، بهيكل جديد بهي، في أورشليم الجديدة، وداود جديد
قدير، يجلس على العرش. رأي الأنبياء ذلك وإن كان بغموض، وتطلعوا إلي
التحقيق بطريقة مجيدة تفوق توقعاتهم. إلا أن الله تدخل بطريقة مذهلة وغير
متوقعة، أصابت شعب العهد بإحباط مرير.

العهد في الكتب: المزامير

تحتوي المزامير تاريخاً كاملاً للأمة العبرية؛ ويمكن من خلال فحصها الدقيق
إعادة صياغة تاريخ الفكر الديني واللاهوتي لها^(٢٦). خرجت المزامير إلي الوجود

٢٦- إلا أن هذا الفصل ليس هدفاً لدراستنا الحالية، المؤلف.

وسط جماعة العهد، ولذا فهي شديدة الارتباط بإيمانها واختيارها كشعب الله. كان الغرض منها أن تعين هذا الشعب على البقاء بكل ولاء للعهد، مسبحين إلههم، الذي هو إله كل الأرض.

تغنت المزامير بالعهد مع إبراهيم بالقول: "ذَكَرَ إِلَى الدَّهْرِ عَهْدَهُ .. الَّذِي عَاهَدَ بِهِ إِبْرَاهِيمَ، وَقَسَمَهُ لِإِسْحَاقَ، فَثَبَّتَهُ لِيَعْقُوبَ فَرِيضَةً، وَلِإِسْرَائِيلَ عَهْدًا أَبَدِيًّا .."، (مز ١٠٥: ١-١١). كما يمثل المزمور ١٠٥ سجلًا جيدًا للحوادث التاريخية المبكرة التي اجتازها إسرائيل: رعايته للغنم، وقدم يوسف إلى مصر، والقمع الذي حل بإسرائيل هناك، والضربات العشر، وفداء الله وتحريره لهم من أرض العبودية محملين بخيراتهما من الفضة والذهب، فلم يكن "في أسباطهم عائرٌ .. لِأَنَّهُ ذَكَرَ كَلِمَةَ قُدْسِهِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ عَبْدِهِ، فَأَخْرَجَ شَعْبَهُ بِابْتِهَاجٍ، وَمُخْتَارِيهِ بَتَرْتُمٍ .."، (مز ١٠٥: ٣٧-٤٥).

تغنت المزامير أيضًا بناموس الله؛ أي شروط عهده، وأثنت على الأمانة له بالقول: "طُوبَى لِلْكَامِلِينَ طَرِيقًا، السَّالِكِينَ فِي شَرِيعَةِ الرَّبِّ. طُوبَى لِحَافِظِي شَهَادَاتِهِ"، (مز ١١٩: ١-٨). أيضًا، أنشد الشعب مزامير المدينة المقدسة أورشليم، مسبحين الله من أجل جَبَل صِهْيُون، مَدِينَةُ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ، كي يحفظ سلامها ويثبتها إِلَى الْأَبَدِ، فالرب قد اختار صهيون واشتهاها مَسْكَنًا لَهُ (مز ٤٨: ٨؛ مع مز ١٣٢: ١٣-١٥).

ومن أجل ملكهم العظيم داود، تملل شعب العهد بالمزامير الملوكية، التي فيها سبخوا الرب من أجل اختياره لداود، وتأسيس سلالة ملكية أبدية من نسله في أورشليم. تباهى إسرائيل بعهد الله مع ملكهم داود وبأمانة الله من نحوه: "قَطَعْتُ عَهْدًا مَعَ مُخْتَارِي، حَلَفْتُ لِدَاوُدَ عَبْدِي، إِلَى الدَّهْرِ أُثَبِّتُ نَسْلَكَ، وَأَبْنِي إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ كُرْسِيِّكَ"، (مز ٨٩: ١-٤؛ مع مز ٨٩: ٣٠-٣٧).

تناولت مزامير أخرى مخاوف الشعب الشخصية، تضرعاتهم من أجل عون الرب يهوه، (مز ٦٩). انسحق التائبون أمام الرب، وهم يرنمون مزامير

التوبة من أجل الغفران، (مز ٥١). كما كانت للشعب مزامير أثناء السبي، (مز ١٠٦ : ٤٠)، وأخرى رتلوها بعد الرجوع منه، (مز ١١٦). قدّم شعب العهد ترانيم الحمد للرب من أجل رحمته، كشريك عهد، كما حثوا بعضهم بعضاً: "احمدوا الربّ لأنه صالح .. ليقُل مُتَّقُو الربّ، إِنَّ إِلَى الأبدِ رَحْمَتُهُ .."، (مز ١١٨ : ١-٤ ؛ ٢٤-٢٩).

ولا يفوتنا أن عدداً من المزامير صار له معنى خاص جداً لدى العبرانيين فيما بعد، وخاصة فيما يرتبط مباشرة ببداية العهد الجديد. لقد رأوا المزمور ١١٠ تحديداً بنور جديد، لقول المرنم: "قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي، اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ .. أَقْسَمَ الرَّبُّ وَلَنْ يَنْدَمَ، أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأبدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلِكِي صَادَقَ .."، (مز ١١٠ : ١-٧).

ختم الفصل الرابع

للسرائل النبوية أوجه كثيرة لم يتم دراستها في الفحص الموجز بهذا الفصل. وقد تمثَّلت الرسالة الهامة للأنبياء في ضرورة التعامل مع العهد بجدية. ومع أن كل الديانات الأخرى تهتم بالصلاة وتقديم الذبائح، إلا أن تلك الذبائح مع الصلوات التي صاحبها لم تمثل جوهر ديانة العهد. كان العهد وحفظه جوهر ديانة إسرائيل. ومع أن الناس في كل مكان وزمان يدينون بالولاء إما للمجتمع، أو العائلة، أو حتى لإله زائف، أو لمجموعة من الأقران، أو لأمة ما، أو لرفاهيتهم الشخصية، أو لأهوائهم، إلا أن الأخلاقيات لا تعني ببساطة أن نكون أمناء لهذه جميعها؛ بقدر أمانتنا مع الله إله العهد. وكل الناس يحبون شيئاً ما: عائلاتهم، زوجاتهم، عشيرتهم، آلهتهم، إلا أن هذه المحبة تصبح فضيلة أخلاقية بلا معنى بدون عهد؛ فالمحبة بدون عهد عاطفة جوفاء. وبالمثل ليس الإيمان بفضيلة أخلاقية حقيقية لأن الناس أجمعين يؤمنون بشيء ما، كثقتهم في غيرهم من البشر، أو آلهتهم، أو أسلحتهم، أو عقولهم، أو مديري أعمالهم. إن الإيمان بدون عهد تدين فارغ وبلا معنى. إن ما يفسح الطريق لحياة المرء لتكون ذات معنى هو موضوع ولائه، ومحبه، وإيمانه. ولا بد من تحديد ما هو الصواب، وقد أعلنه الله بشكل نهائي. وبالإيجاز، لا بد من وجود معيار، أو مبدأ، أو نقطة مرجعية ثابتة، لتكون لنا أخلاقيات فاضلة وديانة حقة. وبالنسبة لله في علاقته العهدية مع شعبه، كان الناموس هو المعيار الإلهي.

كتب الأنبياء الأولون الأسفار التاريخية بانتقائهم لأحداث تاريخية محددة وضَّحت جوهر العهد وطبيعته، والطريقة التي سار بها، والنتائج التي ترتبت عليه. كما خلَّدوا في تلك الأسفار كل من أثر على نجاح مواعيد العهد؛ إذ حسبوا مقاوميه أشراراً أما مؤيديه فكانوا أبطالاً. واجه أنبياء ما قبل السبي صعوبة كبيرة في التعامل مع ديانة عُرِفَتْ باسم ديانة البعل. والكثير من النصوص الكتابية الخاصة هؤلاء الأنبياء كانت موجهة في الأساس لمحو تأثير تلك الديانة لما انطوت عليه من ممارسات سحرية. وكانت المعركة بين ديانة العهد وعبادة البعل طويلة وصعبة جداً، ولاختلاف الأساس الفكري الذي

اعتمدت عليه عبادة البعل عن ديانة العهد، كان التفاهم بينهما مستحيلاً. كما كان التزال بينهما صراعاً حتى الموت.

يطلق علي أنبياء القرنين ٧-٨ ق.م اسم الأنبياء الآخرين الذين اهتموا بشكل رئيس بتحذير إسرائيل من الدينونة الوشيكة. كان العهد هو أساس ومصدر العقاب بالسبي من الأرض. وبسبب الخيانة الكاملة، استدعى الله من خلال هؤلاء الأنبياء شهود العهد: داعياً إسرائيل للمحاكمة، ومعلنًا للجميع بأن إسرائيل قد أخفقت تماماً في الالتزام بما تعهد به في سيناء. وبالفعل تمت المصادقة علي عقابه بواسطة هؤلاء الأنبياء الذين أعلنوا أيضاً عن عودة بقية منه إلي أرض كنعان بعد انتهاء فترة السبي. صور الأنبياء استرداد إسرائيل كشعب جديد، يدخل مع الرب في عهد جديد، متمتعاً بسماوات وأرض جديدة، وعابداً الرب في هيكله الجديد في مدينة أورشليم الجديدة على جبل صهيون، لتتقاطع عليها كل الأمم، لأنه من أورشليم تخرج شريعة الرب التي تنتظرها كل جزر البحر البعيدة. وقد برهنت تلك العودة على إخلاص الله وأمانته لمواعيد عهده.

الله طويل الأناة لكن لطول أناته حدوداً، وقد أظهر الله لإسرائيل نعمة عظيمة: منحهم الناموس كي يزودهم بأساس ثابت للإيمان به، وليبين لهم الصواب من الخطأ. كما أعانهم عبر التاريخ مرة تلو الأخرى، وأرشدهم بواسطة أنبيائه في الأوقات الحرجة. ومع أن الله كان طويل الروح مع شعبه، دفعهم إلي السبي بسبب خيانتهم له بحسب شروط العهد.

ارتبطت المزامير بالعهد أيضاً. ومع أن القليل منها لا يعكس الشعور بأن إسرائيل كان شعب الله المختار، إلا أن أغلبها يؤكد على تاريخ إسرائيل وفلسفته. وتكشف لنا هذه المزامير ردود أفعال البشر تجاه الحقائق الخاصة بهذا التاريخ، كما تشير إلي العهود مرات كثيرة، وخاصة مفردات حفظها. وبإيجاز، يمكننا القول بأن كل أسفار العهد القديم جاءت إلي الوجود بسبب العهد. تشير الأسفار العبرية إلي مفهوم العهد ضمناً، وتسلم بالقيود التي يضعها ذلك المفهوم على فكر كاتبها. ولا يعني هذا قصور كتبة الأسفار في

استقبال الإعلان الإلهي، بقدر ما يعني استقبالهم لهذا الإعلان في قالب مرتبط
ومتناغم مع العهد الذي في إضارده، وعظ الأنبياء برسائلهم، وكتب الكتاب
الملهمون كتاباتهم.

الفصل الخامس

نهاية العهد القديم

وقع شعب العهد في السبي البابلي، وبحسب لعنات كسر العهد التي تنبأ بها الأنبياء تشتتوا بين جميع الشعوب من أقصاء الأرض إلى أقصائها، (مت ٢٨: ٦٤)؛ بدءاً من أوروبا غرباً إلى جنوب الهند والصين شرقاً^(١). وفي كل ربوع الإمبراطورية البابلية والفارسية، صار البعض منهم موظفين حكوميين ذوي رتب عالية، بينما واجه البعض الآخر تهديدات من مصادر كثيرة؛ فبيع منهم من بيع للعبودية، وولدت سبايا نسائهم اليهوديات أطفالاً لرجال من جنسيات كثيرة. تغير النسب اليهودي من الذكر إلى الأنثى، فإن كانت أم الطفل يهودية، أصبح الطفل يهودياً^(٢). وبمرور الوقت، حصل الكثير منهم على حريته، وصار من المواطنين المنتجين في البلد المضيف؛ تجاراً وباعة.

سمحت الإمبراطورية الفارسية أخيراً لمجموعة صغيرة ذات عزم ثابت من شعب العهد بالعودة إلى أورشليم، لبدءوا إعادة بناء مصيرهم. وبالفعل عادت ثلاث مجموعات على ثلاث مراحل، آلت قيادة الأخيرة منها إلى نحميا، الموظف اليهودي الرسمي في الإمبراطورية الفارسية. عمل وتعاون الشعب مع بعضه البعض. ومن خلال التوسل، والطلب، والتهديد، نجح نحميا في تثبيتهم وتقويتهم معاً حتى أعادوا بناء أورشليم: شيدوا الهيكل، واختفت عبادة البعل إلى الأبد، إذ قامت بمحوها سلسلة من غزوات ومعارك الإمبراطوريات العظمى، لينتصر أخيراً إيمان عابدي الرب يهوه على الديانة الطبيعية المرتبطة

1- W. C. White, *The Chinese Jews*, Toronto: Toronto University Press, 1966.

٢- كما كان الحال مع تيموثاوس تلميذ الرسول بولس، (أع ١٦: ١)، المترجم.

بالعمل. صمّم العائدون من السبي على القيام بأي شيء يريده الرب، فقد استحوذ الرب يهوذا وناموسه المقدس على انتباههم. وجددوا عهدهم في احتفال مؤثر ومثير للمشاعر تُوجّ بصلاة اعترافية طويلة أمام الله حَافِظَ الْعَهْدِ وَالرَّحْمَةِ، (نح: ٩: ٣٢)، والتي فيها قيّم الشعب كله علاقته العهدية السابقة مع الله، وأقرّ بتحديد العهد:

"وَالَّذِينَ خَتَمُوا هُمْ .. بَاقِيَ الشَّعْبِ .. وَكُلِّ الَّذِينَ انْفَصَلُوا مِنْ شُعُوبِ الْأَرْضِ إِلَى شَرِيعَةِ اللَّهِ، وَنِسَائِهِمْ وَبَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ، كُلُّ أَصْحَابِ الْمَعْرِفَةِ وَالْفَهْمِ، .. دَخَلُوا فِي قِسْمٍ وَحَلَفَ أَنْ يَسِيرُوا فِي شَرِيعَةِ اللَّهِ الَّتِي أُعْطِيتْ عَنْ يَدِ مُوسَى عَبْدِ اللَّهِ، وَأَنْ يَحْفَظُوا وَيَعْمَلُوا جَمِيعَ وَصَايَا الرَّبِّ سَيِّدِنَا، وَأَحْكَامِهِ وَفَرَائِضِهِ، وَأَنْ لَا نُعْطِيَ بَنَاتِنَا لَشُعُوبِ الْأَرْضِ .. وَشُعُوبِ الْأَرْضِ الَّذِينَ يَأْتُونَ بِالْبَضَائِعِ .. لَا نَأْخُذُ مِنْهُمْ فِي سَبْتٍ وَلَا فِي يَوْمٍ مُقَدَّسٍ، وَأَنْ نَتْرُكَ السَّنَةَ السَّابِعَةَ، وَالْمُطَالَبَةَ بِكُلِّ دَيْنٍ .. أَنْ نَجْعَلَ عَلَى أَنْفُسِنَا ثُلْثَ شَاقِلٍ كُلِّ سَنَةٍ لَخِدْمَةِ بَيْتِ إِلَهِنَا .."، (نح: ١٠: ١-٣٩).

ظهر في هذه الصلاة عنصر آخر، أصبح قضية فاصلة في لاهوت العهد الجديد بدءاً من يوحنا المعمدان والمسيح، وحتى زمن الرسل، كما امتد تأثيره ليصبح عاملاً من عوامل انقسام الكنائس فيما بعد. تم القسّم على العهد والتوقيع عليه بواسطة كُلِّ أَصْحَابِ الْمَعْرِفَةِ وَالْفَهْمِ من أهل السبي. تضمنت الفكرة تصفية كل شخص مولود من إبراهيم بحسب الجسد بغض النظر عن إيمانه الشخصي وحفظه للعهد كعضو لائق في إسرائيل.

وبينما اختار بعض اليهود العودة إلى الوطن، فضل البعض الآخر البقاء بأرض سبيهم حيث امتلكوا أراضٍ وأسسوا بيوتاً. ولأن اختيارهم كان له علاقة بحفظ العهد أكثر من الدم، أخذ يضعف التأكيد على الانتساب لليهودية بالدم. مما أدى في النهاية لتدمير العهد القديم تماماً. كما كان رجوع قلة من المسيبيين إلى أرضهم الموعودة من العوامل الأخرى التي ساهمت في تبديد حلم استرداد مملكة داود. والآن، ما هو وضع اليهود الذين كان بإمكانهم العودة

ولم يريدوا؟ هل كانت مواعيد العهد مقطوعة للساكين في أرض ميراثهم فقط؟ وماذا عن اللغة العبرية؟ وهل يمكن أن يكون هناك إنسان يهودي ولا يتكلم لغة الناموس العبرية؟ وكيف يمكن للشخص اليهودي أن يكفر عن خطيته بعيداً عن الهيكل بدون الذبائح التي تصفها الشريعة؟

كان عزرا صارماً للغاية في التشديد على الهوية اليهودية للمرء. ولم يعتبر كل الراجعين من السبي يهوداً إلا إذا استطاعوا إثبات نسبهم بدليل وثائقي، (نح ٧: ٦٤)، حتى وإن كانوا مخلصين لشريعة موسى، أو ضحوا بالكثير من أجل العودة. كما طالب عزرا القادة بتطليق زوجاتهم من النساء الأجنبية، (عز ١٠: ١٩). وقد أدى احتساب يهودية المرء بناءً على المعيار الصارم لنقاوة الدم إلى عزل الكثيرين خارج الهيكل السلطوي المركزي لليهودية الناشئة، بالرغم من أن الدم الغريب لأولئك الناس لم يكن ذنبهم. ولأسباب أخرى، أصبحت الأمور مربكة جداً، فمع تمتعهم بمدينة أورشليم، والهيكل، والكهنة اللاويين، لم تكن لديهم القدرة على تنويع ملك من نسل داود، يجلس علي عرشه.

ومن أجل جمع المال من الجاليات اليهودية الغنية في الشتات وإحضاره إلى الهيكل، قام عزرا ونحميا بإرسال المبعوثين الذي لم يقتصر عملهم على ذلك فقط بل حاولوا إقناع يهود الشتات بالعودة. وتعني لفظة "مبعوث" باللغة اليونانية، أبوستولوس، أي رسول، وتشير إلى الشخص الذي لديه سلطان رسمي للتحدث نيابة عن القيادة المركزية في أورشليم. وسوف نسمع كثيراً عن هذه الفئة من الناس فيما بعد.

تعرض إيمان أهل السبي للخطر، وكف الكثيرون منهم عن أن يكون إسرائيلياً؛ كان بعضهم يتذكر، وبشكل مشوش أعمامه يتحدثون عن مكان يدعى كنعان، وأحياناً كانوا يتساءلون: "أليست كنعان من الزمن البعيد، زمن أجدادنا، وأجداد أجدادنا؟" قام رسل أورشليم بتنظيم عائلات يهود الشتات، التي لم تستطع العودة إلى أورشليم برغم ارتباطها بالعهد عن طريق الدم أو الإيمان. وقد أنجز رسل أورشليم مهمتهم من خلال ما عُرف باسم المجامع الرسمية، التي كان يتطلب تأسيس الواحد منها آنذاك وجود عشرة عائلات

يهودية على الأقل. وبمرور الوقت، صارت هذه المراكز يهودية صغيرة تمت فيها دراسة الناموس، وأقيمت فيها شعائر الصلاة، وجمعت منها التبرعات المالية من أجل أورشليم والفقراء. كما اهتمت تلك المراكز باستضافة اليهود المسافرين، وتحرير العبيد منهم إن سمعت عنهم. ولا يفوتنا أن الرسول بولس عاصر مجمعاً يدعى مجمع الليبرتينيين، أي المحرّرين، وقد كان جميع أعضائه عبيداً من قبل، (أع ٦: ٩). أصبح المجمع هيكلاً محلياً بالنسبة لليهود الشتات خارج أورشليم^(٣)، الذين لعبوا دوراً هاماً له مغزاه في قصة العهد منذ ذلك الحين حتى ما بعد صعود المسيح بكثير.

الأحداث في كنعان الجديدة

لم يحقق الشعب العائد من السبي نجاحاً يُذكر مقارنةً بالتوقعات والرؤى النبوية عن الجموع الغفيرة الراجعة إلى أورشليم. ومع أنهم رجعوا فعلاً بالفرح والابتهاج، امتزج بكاءهم بفرحهم. وما أن بدأوا في إحكام سيطرتهم على الأمور حتى غزا الإسكندر الأكبر بلاد الشرق الأدنى بما في ذلك أرض كنعان^(٤). وبعد موت الإسكندر، قُسمت إمبراطوريته على ثلاثة من لواءاته، فحكمت إمبراطورية اليونان الوسطى أراضي فلسطين، وحاولت صبغها بالحضارة اليونانية بفرض اللغة، والنظم، والديانة اليونانية عليها. والأسوأ من ذلك قلّد الحكام الجدد لهذه الإمبراطورية الإسكندر مصرحين بأنهم آلهة^(٥). شعر اليهود بالمرارة وذلك لخضوعهم لمملكة استعمارية أخرى: أصبحت مكانتهم كشعب الله المختار مهددة، وتدنسّت أرضهم بآلهة غريبة شريرة تشبه البعل، وأطاحت الألعاب اليونانية بمفاهيم عبرية نبيلة كالاتضاع والحشمة، كما هدد الحكم اليوناني أي حلم بعودة مملكة داود. ومع أن عبادات اليونان كانت أرقى من عبادة البعل، إلا أنها لم تخل من المذهب الطبيعي الذي سادها أيضاً. تمتع اليهود بفترة سياسية عظيمة بعد السبي تحت حكم عائلة كهنوتية،

3- Isaac Levi, *The Synagogue: Its History and Functions*, London: Vallentine, 1964, p. 1

4 - William H. McNeil, *History of Western Civilization*, Chicago: University of Chicago Press, 1969, p. 567ff.

5- William W. Tarn, *Hellenistic Civilization*, Chicago: Meridian Books, 1961, p. 60.

عُرِفَت في التاريخ باسم المكابيين، أي "المطارق". حرّر المكابيون اليهود من نير اليونان، وجعلوا دولتهم دولة مستقلة لفترة دامت مئة عام، تقلد فيها النسل المكابي مناصب رئاسة الكهنوت والملك، واستمروا هكذا حتى زمن هيرودس الكبير. ولم يكن نسلهم أفضل بكثير من نسل الملك داود. اعتقد اليهود أثناء الحكم المكابي أنهم حققوا استقلالهم بقيام دولتهم المستقلة التي تنبأ عنها أنبياء ما قبل السبي، وأنذاك كان لديهم هيكل خاص بهم. كما استمر الرسل المفوضون في الإشراف على حركة التدفق المستمر من العائدين إلى أورشليم، الذين جلبوا معهم ثروة الأمم، وفي الفصح كانت المدينة تعج بأعدادهم. ومما لا شك فيه أن اليهود، ذوي الدماء النقية الذين اعتمدتهم عزرا ونحميا، قد افتخروا بالكثير مما فعله أبناؤهم كشركاء عهد^(٦).

العهد القديم اليوناني

كان لليهود في فترة ما بعد السبي جالية كبيرة في الإسكندرية، تلك المدينة التي بُنيت بأوامر من الإسكندر الأكبر، لتحمل اسمه كما كان الحال مع مدن أخرى كثيرة. شيد اليونانيون بالإسكندرية مُتَحَفًا رائعًا ومكتبةً شهيرةً حوت ما يربو على نصف مليون مجلد^(٧). وهناك تمت ترجمة أسفار العهد القديم العبرية إلى اللغة اليونانية، وهي الترجمة المعروفة باسم الترجمة السبعينية. مثلت هذه الترجمة فائدةً وخطرًا بالنسبة لليهود الشتات. فمن جهة، سمحت لهم باستعمال أسفارهم المقدسة بلغة غير لغتهم الأم، لكنها أضعفت مفهوم العهد من جهة أخرى، لأنها استبدلت المفردات المرتبطة بالعهد بمصطلحات يونانية ذات طابع أخلاقي فردي. ولا يزال التوتر الناجم بين الفكرين اليوناني والعبري بسبب تصادمهما في تلك الترجمة منعكسًا إلى اليوم في النظم اللاهوتية، ويساهم بشكل متواصل في الانقسام داخل المسيحية.

تنحصر المشكلة في فهم اليونانيين للألفاظ والمفردات بطريقة تنسجم مع الأفكار الفلسفية الأفلاطونية، أي مع نظرهم الكلية للواقع بشقيه المرئي

6- Moshe Pearlman, The Maccabees, London: Weidenfeld and Nicolson, 1973, p. 55ff.

7- McNeil, op cit. p. 115.

وغير المرئي، في حين كانت مفاهيم الألفاظ العبرية عهدية. بالنسبة للقائمين على الترجمة، كان الخيار المنضروح مدمهم إما تقديم تعريفات يونانية للألفاظ العبرية أثناء الترجمة، أو تحديد التعريفات العبرية للألفاظ اليونانية المستخدمة في الترجمة. وإن لم يكن هذا هو الحال، ويبدو أنه لم يكن هكذا، لم تكن الترجمة مجرد ترجمة بل إعادة تعريف للمفاهيم العبرية السابقة بألفاظ يونانية، على سبيل المثال: عندما استخدمت الترجمة لفظة "ذبيحة" كان لابد من استخدام التعريف العبري المحدد للفظه وليس تعريف أثينا. وبالمثل الفعل "سمع، hear"، فبينما يعنى عند اليونانيين "الإصغاء إلي، listening to"، كان يعنى "السمع والطاعة"، عند العبرانيين، (مت ٧: ٢٤). أيضًا يشير الاستعمال الفلسفي اليوناني للفظه "جسد، flesh" إلى الجزء الأرضي الخاطئ المتدني من طبيعة الإنسان، أما العبرانيون فكانوا يفهمونها بحسب تعريف الرسول بولس: الأسلوب الشرير الخاطئ في الحياة، (غل ٥: ١٩)، أو أسلوب الحياة الذي تهيمن عليه إشباع الذات، (غل ٦: ٧). ولم يقبل العبرانيون أبدًا أن جسد الإنسان خاطئ بالطبيعة في ذاته أو لذاته.

بالحق، قد غابت الفكرة العبرية عن العهد في ديانة وأساطير اليونان. ولذا لم تلق فكرة العهد أي انسجام مع الفكر الديني اليوناني. استخدمت آلهة اليونان السيادة وليس الشركة من أجل تحقيق الغايات. كما كانت الفكرة اليونانية النمطية عن العهد تتمثل فقط في الوصية، Will، التي يقدم بمقتضاها طرف ما فائدة معينة لطرف آخر، وقد وردت هذه الفكرة مرة واحدة فقط في أسفار العهد الجديد، (عب ٩: ١٦).

العهد أثناء حكم المكابيين

تقدم الكتابات الأدبية التي تصف لنا عصر المكابيين لفظتين يونانيتين تم استخدامها لتوضيح مفاهيم الكلمة العبرية "عهد، בְּרִית، b'rith": الأولي "سِنْثِكِيه، συνθήκη، Suntheke"، وكانت تعبر عن معاهدات التفاوض، واستخدمت بهذا المعنى لكثرة مفاوضات المكابيين مع السلطات

اليونانية السورية بغرض إبرام المعاهدات. وقد تمثلت نتائج توقيع مثل هذه المعاهدات في تحقيق "إيريني،" *εἰρήνη*، أي السلام، و"فيليا،" *φιλία*، أي الصداقة، و"أدلفوتيس،" *ἀδελφότης*، أي الأخوة، وجميعها مفردات يزخر بها لاهوت العهد الجديد. أما اللفظة الثانية فهي "دياثيكيه،" *Diatheke*، *διαθήκη*، وكانت تستعمل فقط عند الإشارة إلى عهود الوعد الكتابية، (أف ٢: ١٢)، والاستثناء الوحيد لهذا الاستعمال موجود في (١ مك ١٠: ٢٦؛ ٢ مك ١٣: ٢٥، ١٤: ٢٦)، والذي يدل على أن المقصود باللفظتين معاهدة من نوع ما. ولم يستخدم كتاب العهد الجديد مطلقاً اللفظ، "سنثيكيه"، كعهد يتم الوصول إليه بالتفاوض، بل استعملوا فقط لفظة دياثيكيه بمعنى "العهد المسلّم"، للإشارة إلى العلاقة مع الله.

كان التألق الأول لنجاح المكابيين رائعاً، فبعد موت الأب مَثَّياس، *Mattathias*، تولى كل ابن بدوره قيادة حركة التحرير. فقد بدأوا كمتبردين هاريين من غضب السلوقيين اليونانيين الذين كان مقرهم في أورشليم، وعلى أراضى الهيكل تحديداً! وبعد ذلك أصبحوا قوة في حرب العصابات، استطاعت انتزاع السيادة الفعلية على المناطق الريفية بأسرها. ومع تزايد صفوفهم العسكرية، ومن خلال كمائنهم الفعالة، تمكنوا في النهاية من هزيمة الجيش اليوناني شر هزيمة. وكثيراً ما هزم المكابيون الجيوش اليونانية المنظمة الآتية من دمشق لإخضاع أورشليم كإقليم ثوري مثير للقلق. وبعد عدد من المعارك تم التوقيع على معاهدة، "سنثيكيه،" *Suntheke*^(٨)، من أجل السلام، إلا أن الحلم بحياة الأمن والاستقرار، بددته الطوائف اليهودية المتصارعة من أجل الوصول إلى السلطة. ولفض التزاغات بينها، لجأت تلك الطوائف في النهاية إلى روما طلباً للمساعدة والحماية من مصر وآسيا الصغرى. في تلك الفترة، تمت الإطاحة بسلالة المكابيين المعروفة باسم بيت الحشمونيين، لتحل محلها سلالة جديدة. وما يدعو للسخرية أن اليهود الذين غزوا قبلاً أرض أدوم وحولوا سكانها بالقوة إلى اليهودية، أصبح أنتيباس الأدومي، أحد أبنائهم ملكاً

8- Pearlman, op. cit., p. 234.

عليهم. وقد عُرفَ في التاريخ باسم هيرودس الكبير، الذي قام بإعادة بناء الهيكل الثالث والأخير في أورشليم^(٩). وقد كان هذا الهيكل صرحاً ضخماً شاهده كل من المسيح والرسل.

طوائف مختلفة تبدد الحلم

أصبح الحلم في استعادة المملكة بعيداً عن التحقيق. تضاعفت الطوائف اليهودية التي لام بعضها البعض بسبب عدم الكمال. كما كان لكل طائفة برنامجها، ونظامها الخاص: حمل "الغيورون، Zealots" علي عاتقهم تراث المكابيين، وحلموا بإعادة تأسيس مملكة بيت داود. فقد حاول رجال هذه الطائفة قيادة ثورات التمرد علي أوضاعهم الراهنة في مرات عديدة إلا أنهم لم ينجحوا. أما "الفريسيون، Pharisees"، فهم الورثة الروحيون لعزرا ونحميا، الذين نادوا بالاعتراف فقط بأصحاب الدماء اليهودية النقية. وبمرور الوقت تضاعف اهتمامهم بالوضع السياسي، وتركز جهدهم على الديانة الطقسية الشخصية، وليس على استعادة الأمة. وبخلاف الفريسيين، كان "الصدوقيون، Sadducees"، أصحاب توجهات سياسية سعت إلى الاحتفاظ باستقلال مملكة يهوذا مهما كلف الأمر، فلم يهتموا بشكل كبير بالمظاهر الدينية الطقسية في الدولة اليهودية الجديدة. تمسك "السامريون، Samaritans"، بأسفار موسى الخمسة فقط، كما عانوا من كراهية يهود الجليل واليهودية ذوي الدم النقي^(١٠). وعندما منعهم عزرا ونحميا من المجيء إلى أورشليم، عبدوا الرب في الجبل الخاص بهم، (يو ٤ : ٢٤).

وبشكل جزئي، تم الكشف مؤخراً عن جماعة أخرى تُعرف باسم الأسينيين، "Essenes"، ويُعتقد أنها طائفة متفرعة من جماعة مخطوطات البحر الميت، Dead Sea Scroll people، إن لم تكن بالفعل هكذا. استخدم الأسينيون لفظة "العهد" بشكل متكرر، كما نظروا إلى أنفسهم باعتبار أنهم شعب العهد

٩ - وُلِدَ المسيح في أواخر أيام الملك هيرودس الذي تقلد منصبه عام ٣٧ ق.م، ومات ٤ ق.م، ومن أجل كسب رضا اليهود، أعاد تجديد وترميم الهيكل عام ٢٠ ق.م، وقد استمرت العمل به حتى عام ٦٤م، ودُمِّرَ عام ٧٠م على يد نيطس الروماني، المترجم

10- Hasanein W. Kahan, *The Samaritans: Their History, Religion, and Customs*, 1974, p. 70ff

الجديد الذي تنبأ عنه إرميا، كما عُرف أعضاء هذه الجماعة باسم الحاسيديم، أي المخلصين، أو المتعاهدين. ومع أنهم، كفوا تماماً عن الرجاء في استعادة المملكة الثيوقراطية لإسرائيل^(١١). تطلعوا فقط إلى مجيء ساحق للمسيا، يقضي من خلاله على كل مظاهر الشر في أورشليم، ويضع حداً للعبادة المزيفة في هيكلها. في ذلك الوقت، ويتدخل إلهي علي، يتم استرداد مملكة داود القديرة، وعندها تتحقق نبوءات إشعياء وباقي الأنبياء. تطلع الأسينيون إلى استرداد فعلي حربي لعرش داود، يواكبه إعلان من السماء يهز الأرض إيداناً ببدايته، وعندها يمكن للمرء أن يقول: ها هي السماوات الجديدة والأرض الجديدة، (إش ٦٥: ١٧).

تكشف الطوائف الإسرائيلية عن الصدمة التي شعر بها اليهود في الأرض لعدم تحقق النبوات كما فهموها، فلم يزل معظمهم مشتتاً في الأرض، كما لم يكن هناك عرش لداود، بل كان الموجود عرش أدومي. اختفى تابوت العهد أيضاً، فلم يعرف أحد مكان لوحى الحجر بعد. وفي بعض الأحيان، ترأس الكهنوت اثنان من دم غير يهودي. وهكذا عاش الشعب حالة من الفوضى تشكلت فيها مجموعات طائفية اعتقدت كل واحدة منها أن فكرها الخاص هو السبيل الوحيد إلى حل مشاكل كنعان.

الحلم المسياني

شكلت نبوءات ما قبل السبي مصدرًا لكثير من المفاهيم اللاهوتية الصعبة، كالمفهوم المتعلق بالرجاء المسياني، والذي تطور من اندماج عدد من الأفكار؛ وقد نسجت وتر هذا الرجاء أربعة خيوط: أولها أنه الملك الآتي، (د ٧١: ١٣)، الذي يسترد إسرائيل بحكم أنه ابن لداود، (صم ١٦: ١٣؛ إش ١١: ١-١٢). وثانيها أنه النبي، (تث ١٨: ١٥-١٨)، المتألم كعبد الرب، (إش ٥٣)، يتكلم من الله، ويقود شعبه كموسى وإيليا، ويكون رسولاً، وعهداً للأمم، (إش ٤٢: ١-٦)، كما يمثل كل شيء، كان يجب على إسرائيل أن يكونه كشعب لله، (إش ٤٩: ١-٩). ومثلما مسح إيليا أليشع، ليصنع منه نبياً حقيقياً، (١ مل ١٩: ١٩).

(١٦)، بالمثل يكون النبي الآتي ممسوحاً من الله نفسه، (إش ٦١ : ١-٦). وثالثها أنه الكاهن شفيح الكثيرين، (إش ٥٣ : ١٢)، وكما مُسح هارون بواسطة موسى ليتقلد وظيفته السامية ليكون كاهناً وشفيحاً، (خر ٩ : ٢٧)، يُدعى الكاهن الآتي مسيح الرب وَعَلَى رُتَبَةِ مَلِكِي صَادَقَ، (مز ١١٠ : ٤). ورابع الخيوط في وتر الرجاء المسياني أنه الفادي ابن الإنسان، (مز ٨ : ٤ ؛ دا ٧ : ١٣)، التعبير الفريد الذي به خاطب الله النبي حزقيال كقريب على بيت إسرائيل، يحذره متى اقترب العدو، (حز ٣٣ : ٧). لكثرة تكرار التعبير، قد يبدو أنه يشير إلى صورة المسيح ذاتها، إلا أنه يتضمن فكرة أخرى نجدها في سفر دانيال، حيث رأي النبي "ابن الإنسان" كفادٍ أخروي، رجل مستقبلي آت من السماء بدينونة من الله، ليعلن عن بداية دهر جديد بعد اكتمال أزمنة الأمم. ويقرر دانيال ذلك بقوله، "كُنْتُ أَرَى .. وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الْآيَّامِ .. فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لَتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ .. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكُوتُهُ مَا لَا يَنْقَرِضُ"، (دا ٧ : ١٣-١٤).

برغم وجود الكثير من الأفكار المرتبطة بما يمكن أن يعنيه (دا ٧ : ١٣-١٤)، إلا أننا متأكدون من شيء واحد: أن البعض في عصر الرسل قد فهموا أن النص يشير إلى شخص فائق للطبيعة، آت من السماء لتأسيس الملكوت الأبدي. ويعلق جورج لاد، Ladd، على هذا الأمر بالقول: "... نعلم من بعض المصادر المعاصرة أن دوائر يهودية محددة فسرت هذه الشخصية بمصطلحات فردية. إلا أن تعبير ابن الإنسان، أصبح شخصاً أزلياً سماوياً فائقاً للطبيعة، وكائناً في حضرة الله، وسيأتي في الموعد المحدد من الله إلى الأرض ليقيم الموتى، ويدين الأشرار، ويفدي شعب الله ويجمعهم إلى ملكوته الأبدي المجيد^(١٢)".

كان صعباً آنذاك كما هو الحال اليوم، أن يمسك المرء بكل خيوط الرؤى النبوية في العهد القديم لينسجها معاً في نسيج واحد بشكل تام ومتناغم. فالخيوط الأربعة التي ذكرناها من قبل نسجتها الطوائف اليهودية المتعددة

بطرق متنوعة، قامت فيها بإزالة تناقضات الصور المجازية لهذه الخيوط لتخرج بنسج واحد بحسب رؤيتها الخاصة. ولما بلغت الآمال المسيانية أوج قوتها ظهر المسيح على المشهد. وما يهمنا هنا بالنسبة لدراسة العهد بغض النظر عما يمكن أن يجلبه المستقبل، يجب أن يتحلى المسيا الآتي بالسلطان الكامل، ليضع الأمور في نصابها؛ جامعاً في ذاته سلطان النبي، والملك، والكاهن، والفادي الأخرى، فهو المسيا الذي تنتهي بمجيئه كل مشاكل إسرائيل.

الوعد الأخير لإبراهيم

ماذا عن الوعد الأخير الذي أعطى لإبراهيم: "... وَتَبَارَكَ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ"، (تك ١٢: ١-٣)؟ تكلم الأنبياء الأخيرون مثل يوشع وإشعيا وإرميا عن الأمم. وتأتي لفظة الأمم، *gentiles*، في اليونانية في صيغة الجمع، "ἔθνη" *ethni*، والمفرد منها، "ἔθνος" *ethnos*، وقد وردت في نصوص كثيرة بالتوازي مع الألفاظ: "شعوب"، "ناس"، "السنة". والسؤال المنطقي الذي يطرح نفسه الآن: كيف تبارك جميع أمم الأرض في نسل إبراهيم؟ كيف يمكن للأمم أن يتباركوا بالفعل مثلهم مثل اليهود؟ كيف يمكنهم أن يصيروا ورثة للمواعد الإبراهيمية ساكني أرض إسرائيل؟ ومع أن أرض كنعان لن تكفي كل الأمم المتوقع رجوعهم في زمن رد إسرائيل، إلا أن لهم مكانة كبيرة واضحة في نبوءات الأنبياء الأخيرين "هُوَذَا عَبْدِي .. وَصَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ الْحَقَّ لِلْأُمَمِ .. وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ"، (إش ٤٢: ١-٤؛ مع إش ١١: ١٠، ٤٩: ٢٢؛ عا ٩: ١١؛ اقرأ أع ١٥: ١٦-١٧؛ مز ١٨: ٤٩)

أُمست بركة الأمم في "نسل" إبراهيم وشيكة. تمثلت خطة الله في خلق شعب أمين من العبرانيين. وعندما ترى جميع الأمم أنهم شعب عظيم وطاهر ومجيد، تقول: "هَذَا الشَّعْبُ الْعَظِيمُ إِنَّمَا هُوَ شَعْبٌ حَكِيمٌ وَفَطِنٌ"، (تث ٤: ٦). لقد قصد الله أن ينمي له شعباً شديداً الولاء بطيع أوامره، إلي أن يأتي يوم الانطلاق الكبير إلي كل الأمم، (مت ٢٨: ١٨-٢٠؛ مر ١٦: ١٥).

تلميحات نهاية العهد القديم

في أسفار العهد القديم، عدد من الأفكار تشير إلى وقت ينتهي فيه العهد الموسوي القديم:

تشير العبارة التي قالها الله للحية في جنة عدن: "وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكَ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ"، (تك ٣: ١٥)، إلى شخص مستقبلي يسحق رأس الحية من أجل الجنس البشري. ومن الواضح أن الحية سُحقت في الصليب لكنها سَحَقَتْ نسل المرأة الذي مات هناك، وقد رأت مريم العذراء كلا الأمرين. ويقول الرسول بولس إن إله السَّلام سَيَسْحَقُ الشَّيْطَانَ تَحْتَ أَقْدَامِ الْكَنِيسَةِ سَرِيعًا، (رو ١٦: ٢٠)، وهي تفعل ذلك بالفعل من خلال رسالة الإنجيل الذي تركز به. أما تقرير الرسول بولس بأن الإنجيل هو قوة الله للخلاص لكل من اليهودي واليوناني فيعني بكل يقين انتهاء العهد الموسوي، إذ صار ممكناً لليونانيين أن يشتركوا مع اليهود فيه؛ بعد أن كان ناموس موسى يقف حائلاً مانعاً كليهما من أن يصبحوا شعباً واحداً كما كانت البشرية في عدن من قبل.

يقتضي الوعد المعطى لإبراهيم نهاية العهد الأول الذي تم التأكيد عليه في جبل سيناء. ومع الاعتبار بأن مفهوم البركة باق كما هو سواء كانت روحية أو مادية، فلا بد من مراجعة العهد القديم الموسوي إن كان يجب، بحسب العهد الإبراهيمي أن تتبارك في نسل إبراهيم كل أمم العالم. كما يقتضي الوعد تعديل أطراف العهد القديم، ليضم كل الشعوب عن طريق عهد جديد أكثر شمولاً ينطبق على كل أمم الأرض. ولا يعني هذا نهاية العهد القديم فقط بل نهاية العبادة المركزية في أورشليم أيضاً؛ لأنه من غير الممكن لكل البشر أن يسكنوا كنعان أو يأتوا لأورشليم لتقديم ذبائح للرب. وإن اتسعت المواعيد لتشمل كل البشرية، فما الشيء الفريد الذي يمكن أن يتميز به ناموس اليهود؟ هل من المعقول أن يحصل كل الجنس البشري على بركات الناموس بدون حمل أثقاله بينما يبقى إسرائيل مكبلاً بها؟ وبطريقة أو بأخرى، على اليهود أن يفهموا أن الوعد الأخير لأبينا إبراهيم كان يشير إلى زمن مستقبلي قادم ستم

فيه مراجعة وتقييم العهد القديم.

تمثل نبوة موسى عن النبي الآتي، (تث ١٨: ١٥-١٨)، دليلاً آخر، كان على اليهود أن يتوقعوا بموجبه عهداً جديداً. ويذكر الرسول بطرس سامعيه من اليهود بتلك النبوة التي خاطب بها موسى الآباء قائلًا: "... إِنَّ نَبِيًّا مِثْلِي سَيَقِيمُ لَكُمْ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ مِنْ إِخْوَتُكُمْ. لَهُ تَسْمَعُونَ فِي كُلِّ مَا يُكَلِّمُكُمْ بِهِ. وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَا تَسْمَعُ لِذَلِكَ النَّبِيِّ تُبَادُ مِنَ الشَّعْبِ"، (أع ٣: ٢٢-٢٣). وتعني هذه النبوة مجيء قائد جديد بشريعة جديدة مقابل موسى كأول مُشرع إسرائيلي عظيم. وتصبح هذه النبوة بلا معنى، إن اقتصر عمل النبي الآتي على مناشدة الشعب بحفظ ناموس العهد القديم كما فعل سائر الأنبياء الذين جاءوا بعده. إن تعبير موسى، "نبيًا مثلي" إعلاء من شأن ذلك النبي الآتي، الذي سيجلب معه عهداً جديداً بشريعة جديدة.

ويقدم النص النبوي الوارد في سفر إرميا ٣١، دليلاً آخر، يشير إلى أن العهد القديم ستمت إعادة صياغته يوماً ما، وذلك عندما يقطع الرب "... مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا. لَيْسَ كَالْعَهْدِ ..." الأول الذي قطعه مع آبائهم، (إر ٣١: ٣١-٣٤). وسيكون العهد الجديد مكتوباً داخل قلوب لحمية، وليس على ألواح حجرية، ولن يحتاج الأطفال والغرباء والأخوة في هذا العهد إلي من يحثهم على معرفة الرب، فليس من أحد فيه إلا ويكون قد أقسم بالولاء للملك الجديد. لأن قسم الولاء للمسيا سيكون بالفعل الطريق الوحيد الذي به يصبح الفرد عضواً في شعب عهد الله الجديد. وقد حسَم كاتب الرسالة إلى العبرانيين جدل انتهاء العهد القديم بأسلوب بارع:

"فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ ذَلِكَ الْأَوَّلُ بَلَ عَيْبٍ لَمَا طُلِبَ مَوْضِعٌ لثَانٍ. لِأَنَّهُ يَقُولُ لَهُمْ لَأَتِمَّا: هُوَذَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، حِينَ أَكْمَلُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا. لَا كَالْعَهْدِ الَّذِي عَمَلْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُ بِيَدِهِمْ لِأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَثْبُتُوا فِي عَهْدِي، وَأَنَا أَهْمَلْتُهُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ. لِأَنَّ هَذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَعَاهَدُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ تِلْكَ الْأَيَّامِ، يَقُولُ الرَّبُّ: أَجْعَلُ نَوَامِيسِي فِي

أَذْهَانَهُمْ، وَأَكْتُبَهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ. وَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلَهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا. وَلَا يَعْلَمُونَ كُلِّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ قَائِلًا: أَعْرِفِ الرَّبَّ، لِأَنَّ الْجَمِيعَ سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ. لِأَنِّي أَكُونُ صَفُوحًا عَنْ آثَامِهِمْ. وَلَا أَذْكَرُ خَطَايَاهُمْ وَتَعْدِيَاتِهِمْ فِي مَا بَعْدَ. فَإِذَا قَالَ: جَدِيدًا، عَتَقَ الْأَوَّلَ. وَأَمَّا مَا عَتَقَ وَشَاخَ فَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ الْاضْمِحَالِ"، (عب ٨: ٧-١٣).

الانضمام للعهد القديم

لم يكن في شريعة موسى تدبير مسبق يسمح بانضمام الأمم إلى شعب إسرائيل. كانت السلطة القضائية في أورشليم ممثلة في عزرا ونحميا صارمة جدًا في هذا الأمر، إلا أن هذا الوضع بدأ ينهار بين المسيبين الذين بقوا بعيداً عن نطاقها. شعر أهل السبي بأن لديهم العذر في البقاء خارج أورشليم ربما لسببين: قدرة الأثرياء منهم على استخدام أعمالهم لمضاعفة الدخل المادي اللازم لتدعيم أورشليم، والتذرع بكلام الرب عن فم النبي إرميا، (إر ٢٩: ٤-٧)، التي تفترض عيشهم بسلام في أرض سبيهم، مع أن كلام هذا النص لا يشير إلى عدم عودتهم لليهودية بقدر مناشدتهم الاستقرار والإثمار حسب استطاعتهم.

وبعدما اكتملت الترجمة السبعينية وصارت وثيقة مشهورة جديدة بالاحترام، (أع ١٥: ٢١)، استطاع اليهود من خلالها إقناع الكثيرين من الأمم بزيغ المذهب الطبيعي، *naturalism*، ومحاكاة الآلهة. كما كشفوا الطبيعة البدائية للوثنية، إذ كانت لديانتهم معايير أخلاقية سامية، أثارت رغبة الأمم في اعتناق اليهودية والانضمام إلى مجتمعتها. وصار كل من يتهود باعتناق الدين اليهودي يُعرف باسم بروسلايت، *Proselytes*، وهي لفظة من أصل يوناني تعني "الشخص الذي يتقدم إلى الأمام". في تلك الفترة، تخلى الكثير من يهود الشتات عن عبادة البعل، والتزموا بالزواج من ذويهم فقط، فكانت الجنسية اليهودية للشخص المؤمن بالرب يهوه أمرًا ممكنًا بالولادة. ولأن المواليد منهم

لم يقوموا بأية ممارسات دينية احتاجوا هم أيضاً للتهويد من خلال تعليمات محددة انشغلت بها المجامع بمساعدة الرسل الوافدين عليها من اورشليم.

أما الأممي المتهود حديثاً، فكان من الصعب عليه أن يصبح يهودياً بشكل كامل. بالنسبة له كانت المظاهر الطقسية اليهودية لا تبعث على الارتياح، إذ قد بدت له بلا أساس أو دعم فلسفي، وأقل مما للناموس من معايير أخلاقية. لفتت الشرائع الطقسية الانتباه إلى حقيقة أن اليهود كانوا شعباً منفزراً لقصد إلهي معين من ناحية، ولكن تاق يهود الشتات إلى قبول المتهودين من ناحية أخرى^(١٣).

ويمكن للأممي أن يصبح يهودياً بالإيمان الصالح الخالي من الدوافع الخفية، فالأممي الذي يسعى للتهود بغرض الزواج من امرأة يهودية لم يكن يهودياً حقيقياً^(١٤). أما الذي يأتي إلى الله مؤمناً به وراغباً في التمتع بعلاقة عهدية معه، فيمكنه أن يتهود من خلال ثلاثة أفعال: أولاً الختان، وقد قيل إن قطرات قليلة من دم العهد يجب أن تسيل منه^(١٥). ثانياً المعمودية، فالمرء لا يصبح متهوداً إلا بعد ختانه ومعموديته، فإن لم يعتمد يبقى أممياً^(١٦). وفي هذا الشأن يقول إبكتيتس، *Epictetus*: عندما نرى إنساناً منقسم القلب، اعتدنا وصفه بأنه ليس يهودياً لكنه يلعب دور اليهودي، ولكن عندما يحظى فقط باختبار المعمدين والمختارين فإنه يدعى بالحق يهودياً^(١٧). كما أن المتهودين غير المعمدين، وأطفالهم يدنسون الأشياء طقسياً حتى وإن كانوا محتونين^(١٨)، و"يشبه الشخص المتهود الطفل المولود حديثاً"^(١٩). ويشير الاقتباس الطويل من الأب والباحث اليهودي ميمونيدس، *Maimonides*، إلى أهمية ممارسة الختان مع المعمودية بالنسبة للمتهودين من الأمم: "من خلال ثلاثة أشياء دخل

13- Richard R. DeRitter, *Disciplining the Nation*, Grand Rapids: Baker 1971, P.93

14- Yeb. 147-8.

15- Shab. 367.

16- Ber. 288.

17- Dissertations of Epictetus, II.9:19:20 (Also F. Derwacter, *Preparing the Way of Paul*, New York: Macmillan, 1930, P 28.

18- A.Z. 287.

19- San. 562, (See also DeRitter, op. cit., P. 90)

إسرائيل العهد بالفعل: الختان، والمعمودية، والذبيحة .. فإن لم تكن هناك ذبيحة فلا بد من أن يُختَنُوا ويُعمَّدُوا. وعندما بُنِيَ الهيكل، عليهم أن يأتوا بالذبيحة. فالأُمِّي المختون بدون معمودية، أو المعمد بدون ختان ليس متهوداً حتى يقبل الاثنين معاً، ويجب أن يعتمد في حضور ثلاثة شهود .. ويشبه الأُمِّي المتهود والعبد المحرر الطفل المولود حديثاً^(٢٠). ولا يفوتنا "أن الدخول في جماعة إسرائيل كان أكثر من مجرد تطبيع، إذ كان في الأساس اعترافاً وقبولاً بمكانة العهد الكاملة"^(٢١)، و"عندما يخرج الأُمِّي من ماء المعمودية يدخل العهد"^(٢٢). أما ثالث الأفعال فكان يتمثل في تقديم الذبيحة، إذ كان لازماً على الشخص المبتدئ أن يقدم ذبيحة حيوانية صغيرة أو يمامة. وإن أمكن يجب عليه أن يقدمها في أورشليم. ولا يعتبر بعض الرِّبَّين اليهود الأُمِّي مُخلِصاً في قهوده إن لم يذهب إلي أورشليم لحضور عيد الفصح^(٢٣).

كانت الضغوط على شعب العهد القديم أكثر مما يُحتمَل، ففي كنعان نفسها ضعفت فكرة استعادة مملكة داود الديمقراطية من خلال جهود الأمناء. كما أفسدت موجات التهؤِّد مظهرًا من مظاهر ناموس العهد بين يهود الشتات، فلم تتم مراعاة الممارسات الناموسية الطقسية، والسجود في جبل أورشليم بتقاليدها الموروثة. كان الأمر أشبه بصنع يهودية جديدة تمت فيها روحنة العهد القديم بواسطة تفسيرات التلمود له. وباختصار، أصبحت نهاية ناموس العهد وشيكة. وإن افترضنا وجود سلطة إلهية مسئولة عن تلك النهاية، لما سادت حالة الاستياء معظم اليهود لزواله. إلا أن مثل هذا الافتراض كان مستحيلاً، لما وُصِف به ناموس العهد القديم في الكثير من النصوص الكتابية بأنه عهد أبدي.

وإلى عهد قريب، تبنت الدراسات وجهة نظر مغايرة فيما يتعلق بأصل

20 -Maimonides, *Isure Biah*, XIII and XIV, (See also T. F. Torrence, "Proselyte Baptism." *New Testament Studies*, 1945. P. 150-154.

21- DeRitter, op. cit., P. 104.

22 - T.M. Taylor, "The Beginnings of Jewish Proselyte Baptism," in *New Testament Studies*, Feb., 1956, P.193-198.

23- 21Joachim Jeremias, *Jerusalem in the Time of Jesus*, London: SCM Press, 1969, P. 320.

معمودية المتهودين من الأمم، فنادي البعض بأنها نشأت بعد المعمودية يوحنا المعمدان، إذ كانت ممارسة معروفة بين يهود القرن الثاني الميلادي. وقد تمسك بهذا الرأي يوسف كريهان، *Joseph Crehan* ^(٢٤). في حين ساند أ. أوبك، *A. Oepke*، والباحث ه. ه. رولي ^(٢٥)، *H. H. Rowley*، بوجود هذه الممارسة قبل المسيحية ^(٢٦). وبعد فحص ومراجعة البيانات يقتبس الباحث الهولندي الرائع ريتشارد دي ريتير، *Richard DeRitter*، من أوبك الآتي مؤيداً نفس الفكرة: "من الصعب التصور بأن اليهودية تبنت طقس المعمودية الديني بعدما أصبح فريضة راسخة في المسيحية. أيضاً، اشتدت مقاومة اليهودية للمسيحية بعد عام ٧٠ بدرجة كبيرة لا تسمح بظهور عادة مسيحية فيها. ومن ثم، لا بد وأن معمودية المتهودين كانت سابقة على المعمودية المسيحية ^(٢٧)".

يوحنا المعمدان

اقتربت النهاية؛ فقد جاء آخر الأنبياء العبرانيين: يوحنا المعمدان. وكني معتر حقاً في الشعب اليهودي، تمثلت رسالته في إعداد الطريق للمسيا الملك، ابن داود الحقيقي الذي قرب زمان مجيئه. وما أن طالب المعمدان شعب العهد بالتوبة استعداداً لإتباع المسيا الآتي حتى توافدت عليه الجموع لتعتمد منه. وربما كان بعضهم من المتهودين الذين سعوا وراء تأكيد أقوى بأنهم قد دخلوا اليهودية بطريقة صحيحة. كان يهود الشتات والمتهودون محل تقدير من يوحنا أكثر من يهود أورشليم أنفسهم. وعندما جاءوا ليعتمدوا منه باغتهم برسالة نبوية قوية، وضح فيها حاجتهم للتوبة والانضمام إلى إسرائيل ليس بالجد فقط بل بالقلب أيضاً، ومن المحتمل أن رسالته لهم كانت شيئاً من هذا القبيل:

"يا نبلاء أورشليم، يا من تفتخرون بأصالة نسبكم من إبراهيم أتم

24- Joseph Crehan, *Early Christian Baptism and Creed*, London, 1650, P.2-4.

25- A. Oepke, "Jewish Proselyte Baptism," *Theological Dictionary of the New Testament*, 1, Grand Rapids: Eerdmans, 1964, P.535.

26- H. H. Rowley, "Jewish Proselyte Baptism and John's Baptism," *Hebrew Union College Annual*, 1940, P.313-334

27- DeRitter, op. cit., P. 150

في حاجة إلى التوبة، بل إلى التهود أيضًا. لا تصرخوا متباهين: عندنا إبراهيم وموسى، كما نسكن في أورشليم. لأن يهودية إخوانكم في الشتات أفضل من يهوديتكم؛ على الأقل، أخذوا الأمر بجدية وتابوا إلى الله، واختاروا علاقتهم العهدية معه، فلم يرثوها مثلكم. أيها المنافقون! من حذركم؟ من أهضكم من مقاعدكم المريحة لتأتوا إلى النهر؟ هل تطنون أنكم لستم محتاجين؟ لا. أنتم أكثر احتياجًا من غيركم، انتبهوا! لا يمكن لإبراهيم أن يخلصكم!! بالتوبة فقط تخلصون. ينقصكم قرار بالدخول في العهد كما فعل إبراهيم! أنتم في حاجة إلى ختان القلب والذهن، والعماد كمهتدين من جديد. فالمتهودون يهود أفضل منكم! لأنهم اختاروا أن يكونوا يهودًا وسيسبقونكم إلى الملكوت الآتي. لا تتصايحوا على قائلين: موسى موسى عندنا موسى، أيها الثعابين أولاد الأفاعي، ارجعوا إلى مدنكم، فأنتم تفضلون الموت! من أمركم أن تأتوا إلي هنا بأي حال؟ إن الذين يأتون إلي هنا قد اختاروا الله مخلصًا لهم، وبمقدوركم أن تختاروا ذلك أيضًا! وها المسيا آت فانتهزوا فرصتكم واستعدوا لمجيئه. من منكم عساه أن يقبل خلاص الله لحياته، ليتبع المسيا حين يأتي؟"

عمد يوحنا كآخر نبي في العهد القديم الذين أتوا إليه في نهر الأردن. وتركزت وظيفته الرئيسية في الشهادة عن المسيح وإظهار هويته لإسرائيل، وإعداد مجموعة مخلص من التلاميذ يمكن للمسيا أن يستخدمها. ومن كلماته الشهيرة فيما يرتبط بسمو المسيح قوله: "يَنْبَغِي أَنْ ذَلِكَ يَزِيدُ وَأَنِّي أَنَا أَنْقُصُ"، (يو ٣: ٣٠). أنجز المعمدان مهمته بنجاح إذ شهد له المسيح: "الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النَّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ .."، (مت ١١: ١١). لم تكن معموديته انضمامًا للعهد القديم بالميلاد، بل كانت انضمامًا للبالغين. كانت أشبه بالقسم الوارد في (نح ١٠: ٢٨-٢٩)، وكل من سمع المعمدان واعتمد منه، اختار الانضمام إلى كل من تعهد بإتباع المسيا الآتي. أتى المسيح إلى نهر الأردن ليعتمد من يوحنا ولما صعد من الماء، استقر عليه

الروح القدس بهيئة مرئية في شكل حمامة، كما شهد له صوت من السماء: "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ"، (مر ١٠: ١١). لماذا قبل المسيح المعمودية؟ كان يشير إلى اختياره الشخصي، قائلاً للشعب: "حتى إن لم أكن ابن الله، مع كوني ابنه، لا اخترت أن أكون ابنه مع جميعكم. أريد أن أكون جزءاً من الملكوت. وإن كنت الأصغر في إسرائيل لا اخترت الله وعهده الجديد". وما أن تعرّف بعض تلاميذ المعمدان المقرين على المسيح تبعوه، وبحسب قصد الله دعا المسيح معظم تابعيه الأوائل من جموع التلاميذ التي سبق يوحنا وأعدّها له، الذين برهنوا على أهمّ الأكثر إثارةً بقدر ما تكشف لنا السجلات المكتوبة عنهم.

المسيح ونهاية الناموس

جاء المسيح. فإن كان مجيئه مجرد جزء من الطبيعة لسقطت النجوم، وأطلقت البراكين ناراها، وأظلمت الشمس، وتحول القمر إلى دم، وانبطحت التلال، واستوت الوديان، لتمهد طريقه، واجتمعت السحب لتنسج ثيابه، والبروق المضيفة تاجه، وقفزت من الفرح مياه الأنهار وأزهرت كجنة كل القفار، لتذيع البشرى السارة: جاء المسيح. كان مجيء المسيح حدثاً كونياً مدوياً وحاسماً، يشير إلى نهاية عصر قديم وبداية آخر جديد. إن المسيح أعظم إنسان في التاريخ، مع كونه أكثر من إنسان، إذ يسمو فوق الجميع من حيث المكان والزمان.

كانت للمسيح عدة مهام مرتبطة بناموس العهد، تركزت في تسديد الاحتياجات، وإن بدت متصارعة مع بعضها البعض أحياناً، فتحقيق مهمة ما بدت وكأنها عائق لمهمة أخرى:

أظهر المسيح ما يريده الله من الإنسان. وعاش الحياة التي قصدها الله عند خلق آدم، فهو آدم الثاني، (١ كو ١٥: ٢٢)، وصورة الله التي خلُق عليها الإنسان الأول، (عب ١: ٣-١). كان المسيح الإنسان الذي أراده الله بحسب ناموس موسى، (رو ٨: ٣-١)، فهو الإنسان الوحيد الذي تمم الناموس

وأكمّله، (مت ٥: ١٧). وما أراد الله من البقية اليهودية أظهره في المسيح، عبد الرب الحقيقي المتألم، (مت ١٢: ١٧). وهو أيضًا نفس ما أراد الله لكنيسته العتيد أن يؤسسها، (أف ٤: ١٢-١٦). هو المثال للبشرية الجديدة التي قصد الله أن يخلقها فيه، (أف ٢: ١٥). وبإيجاز، تكون البشرية بامتلاكها سمة وشخصية المسيح عين ما قصده الله من أجل الإنسان منذ البدء (رو ٨: ٢٩). وبسبب هذا وضح المسيح بر الناموس وعدله وأنه يمكن للإنسان أن يحفظه كما كان عليه أن يحفظه. وقد حفظ المسيح هذا الناموس بحسب قصد الله.

أعاد المسيح تفسير الناموس للناس ليضع الأمور في إطارها الصحيح. فلم يكن القصد من كل الفرائض الناموسية أن تكون قانونًا لكل البشر بقدر ما كان شريعة محددة لشعب إسرائيل. ولأن هذا الناموس بكل فرائضه المرتبطة بهيكل أورشليم لا يمكنه أن يناسب كل البشرية، كان ضروريًا أن يعيد المسيح وبكل سلطان صياغة الشكل الذي يجب أن تكون عليه الأخلاقيات في ملكوته العتيد. وهكذا قدم المسيح تعاليمًا تبدو متباينة مع ما اعتاد الناس قراءته أو سماعه: " .. سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقَدَمَاءِ: لَا تَزْنِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ .."، (مت ٥: ١٧-٤٨).

اهتم المسيح في الكثير من تعاليمه باستخلاص المبادئ من وراء تفاصيل فرائض ناموس، التي احتاجها إسرائيل كمؤدب ليواصل أمانته في العهد عندما كان غلامًا، (هو ١: ١). لكن بعد أن صار بالغًا لم تعد لهذا المؤدب حاجة بعد، إذ انتهى عمله بمجيء المسيح، (غل ٤: ١-٢). وهناك مبدءان شكلا الأساس لروح وجوهر ناموس العهد القديم، أحدهما مأخوذ من العقيدة العبرية القديمة "شماع" في (تش ٦: ٥)، وقد أقر المسيح هذين المبدئين: " .. تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى وَالْعَظْمَى. وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالْأَنْبِيَاءُ"، (مت ٢٢: ٣٥-٤٠).

كان مبدأ الأولوية في أمور الإيمان والنظام حاضرًا في ذهن المسيح. ومع أن كل الوصايا الإلهية لها ما يقابلها من قيم، فكثيرًا ما ينشأ صراع مع الناموس

بل ومع القيم. وقد تمثل السبب الأساسي وراء رفض المسيح لأفكار الفريسيين في تمسكهم بنظام غير منطقي في ترتيب أولويات الناموس. والأسوأ: كلما صادفهم صراع مع وصية ما كانوا يتحايلون لاختيار ما يحسن صورتهم للأفضل، وفي مقابل التشويه لصورة الآخر، (مت ٧: ١).

جاء المسيح ليضع نهاية للنظام الموسوي كله: كان المسيح ذبيحة الناموس النهائية (عب ١: ٣)، لأن الناموس يبقى فعالاً حتى يتحقق كل ما فيه، (مت ٥: ١٨). وقد حُكِمَ على المسيح بالموت ككاسر للناموس، فبينما تصوره أعداؤه أنه إنسان، أخبرهم أنه ابن الله جاعلاً نفسه معادلاً لله، (يو ٥: ١٨). فاعتبروه مجدفًا كاسرًا للناموس، وطالبوا بموته، (مت ٢٦: ٦٥) ^(٢٨). وبالفعل حُكِمَ عليه بالموت بواسطة الناموس مع أنه فعل كل ما هو صالح بحسب الناموس، (غل ٥: ٢٢)، فأفقدوا الناموس صلاحيته واستخدموه ليصلبوا ابن الله ^(٢٩)، ولم يسمّر المسيح على الصليب فقط بل صار لعنة بحسب الناموس، (تث ٢١: ٢٢-٢٣). وكما قلنا سابقاً كل من يحاول عرقلة عمل الله، أو نجح عهده مع شعبه يُنظر له بعين الازدراء. ومن وقتها للآن يُنظر للناموس كعدو لشعب الله الجديد. إلا أن المسيح والناموس كانا خادمين لله، سَمَرًا معاً في الصليب، لأن المسيح وهو بلا خطية مات من أجل الخطايا التي أداها الناموس، فأكمل بموته ذبيحة الناموس النهائية معلناً نهايته، إذ جاء إلى العالم من أجل هذا السبب، (يو ١٢: ٢٧-٢٨). وفي اللحظة التي قال فيها المسيح قَدْ أُكْمِلَ، (يو ١٩: ٢٨-٣٠)، انشَقَّ حِجَابُ الْهَيْكَلِ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلٍ، (مت ٢٧: ٥١). وقد علق الرسول بولس على هذا الحدث بالقول: "مَحَا الصِّكُّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَايِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسْطِ مُسَمَّرًا إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ .."، (كو ٢: ١٤-١٥).

ارتبط المسيح بالناموس بطريقة أخرى خاصة: كان المسيح هو يهوه الظاهر في الجسد، (يو ١: ١، ١٤)، وهو الذي أعطى إبراهيم العهد مخبراً إياه بالأمر

٢٨- ولأن الصواب جانبهم وفقاً لوجهة نظرهم البشرية والشرعية، صرح المسيح بأن كل ما يصدر عن البشر من إهانة وتجديف عليه يغفر لهم، لعلهم يؤمنون بعد أن يعاينوا قيامته. أما كل من يجدف على الروح القدس، ناسباً ما يعلنه الروح للشيطان فلن يغفر له، المؤلف

٢٩- اقرأ يو ١٩: ٧، المترجم.

العظيمة والعتيقة أن تتحقق معه ومع نسله، (يو: ٨: ٥٦). وكان الطرف الأول في العهد الموسوي، ومع ذلك رفضه سامعوه من اليهود فسألوه: مَنْ تَجْعَلُ نَفْسَكَ؟ (يو: ٨: ٥٣). وعندما قالوا له: أَبُونَا هُوَ إِبْرَاهِيمُ، أَجَاهِم، لَوْ كُنْتُمْ أَوْلَادَ إِبْرَاهِيمَ، لَكُنْتُمْ تَؤْمِنُونَ بِي كَمَا آمَنَ هُوَ. وعندما أخبروه، "لنا أب واحد وهو الله". أَجَاهِم مستخدماً الفعل "يعرف"، بالقول: "أنا أعرف الآب الذي تدعون أنه إلهكم مع أنكم لستم تعرفونه". ونعلم أن الفعل "عرف" أو مشتقاته يمثل مصطلحاً عهدياً يعبر عن العلاقة الحميمة. ولأن المعرفة الحقيقية في أسفار الأنبياء تمثلت في حفظ كلمة الله، طالبهم المسيح بحفظ كلامه، ليحيوا إلى الأبد، وبعبارة قوية قال لهم: "أبوكم إبراهيم تهلل حين عرفني قبلكم"، ولما أدرك اليهود مضمون هذه الكلمات، قَالَ لَهُمْ: "... قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ"، (يو: ٨: ٥٨). ويزكرنا التعبير "أنا كائن" بالصوت الذي كلم موسى من العليقة المشتعلة: "أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهُ، *I am that I am*"، فاللفظ "يهوه" هو المقابل للتعبير (*I am*)؛^(٣٠) الذي يعني "أنا كائن". وقد خلع المسيح هذا الاسم على نفسه في مرات كثيرة عندما قال "أنا هو الباب، أنا هو الراعي الصالح، أنا هو خبز الحياة"، الأمر الذي أثار حفيظة اليهود.

في الواقع، كان المسيح الطرف الأول في العهود. ومع أنه السيد الذي قطع العهد مع إبراهيم وإسرائيل ودادود، لم يعرفه نسل هؤلاء الآباء عندما قابلوه. لذا قضى المسيح وقتاً كبيراً ليؤصل سلطانه كرب العهد: سَكَنَ الْبَحْرَ الْهَائِجَ، (مت: ٨: ٢٧؛ مر: ٤: ٤١)، ليبرهن على أنه رب الطبيعة المتحكم فيها بصفته ابن الله، وحول الماء خمرًا، (يو: ٢: ٦-١٠)، وأقام الموتى، (مر: ٥: ٤١-٤٢؛ لو: ٧: ١٤-١٦)، وانتهر الشياطين التي اعترفت بسلطانه، (مر: ١: ٢٤) وشفى الأبرص والمشلول، (لو: ٥: ١٢-١٨). وصرح بأقوال صادمة عن نفسه: نادى بأن لديه القدرة على غفران الخطايا، (مر: ٢: ١٠)، وإقامة الموتى، (يو: ٢١)، وأنه ابن الله، (يو: ١٧)، ورب السبت، (مر: ٢: ٢٨)، وديان البشر، (يو: ٥: ٢٢) وصورة الله ذاته، (يو: ١٤: ٦-٩)، والمصدر الوحيد للخلاص،

٣٠- يشير الاسم إلى الله ذاتي الوجود؛ الكائن بذاته، الذي لا يعتمد في وجوده على غيره من الأشياء التي تستمد وجودها منه، (يو: ٨: ٢٤؛ ١٣: ١٩؛ ١٨: ٦)، المترجم.

(يو ١٤: ٦)، والمرسل من الآب إلى العالم، (يو ١٧: ١٧)، والناطق بكلمات الله الحقيقية، (يو ٨: ٢٣) وأنه سيأتي ثانية (يو ١٤: ١-٤). لكن بسبب حفظ الناموس الذي تأصل في اليهود بعمق، لم يصدقوا سيدهم حين أتهم بشخصه. قصّ عليهم المسيح مثل الابن الضال الذي أظهر من خلاله أن الله هو الأب لكلا الابنين: الابن الأكبر عابس يمثل الأمة اليهودية، والأصغر يشير إلى الأمم آكلي لحوم الخنازير، (لو ١٥: ١١-٣٢). بين المسيح لهم في مثل صاحب الكرّم، أنه أجره لكرامين، ثم أرسل رجلاً ليطلب أثماره، فعاملهم الكرامون بطريقة وحشية. فأرسل لهم ابنه، فقتلوه. فسأل المسيح اليهود: ماذا يفعل صاحب الكرّم مع هؤلاء الكرامين؟ أجابوه: "أولئك الأردياء يهلكهم هلاكاً ردياً، ويسلم الكرّم إلى كرامين آخرين يُعطونه الأثمار في أوقاتها". فكان تعليقه: "... إِنَّ مَلَكُوتَ اللَّهِ يُنَزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لِأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ ...!" (مت ٢١: ٣٣-٤٤). ويشير تعليق المسيح في هذا المثل إلى نهاية النظام الموسوي كله. ولفظة "أمة" هي نفس الكلمة التي استخدمها الله في الوعد الثالث الذي قطعه لإبراهيم: "... يَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الْأَرْضِ"، (تك ١٢: ٣؛ ٢٢: ١٨)، وهي نفس اللفظة الموجودة في النص الخاص بالتكليف العظيم: "... تَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ .."، (مت ٢٨: ١٩).

ذات مرة، أرسل قائد مئة، وهو ضابط عسكري ذو رتبة كبيرة في الجيش الروماني، يطلب من المسيح أن يشفي خادمه الذي كان مشرفاً على الموت. وبينما المسيح أت، بادره قائد المئة: "يَا سَيِّدُ، لَسْتُ مُسْتَحَقًّا .. لَكِنْ قُلْ كَلِمَةً فَقَطْ فَيَبْرَأَ غُلَامِي .. فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ تَعَجَّبَ، وَقَالَ .. لَمْ أَجِدْ وَلَا فِي إِسْرَائِيلَ إِمَانًا بِمَقْدَارِ هَذَا! .. إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ وَيَتَكُونُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، وَأَمَّا بَنُو الْمَلَكُوتِ فَيُطْرَحُونَ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ .."، (مت ٨: ٨-١٣).

كان المسيح يعلم أن قائد المئة يمثل الأمم العتيدة أن تقبل سلطانه لتخدمه بقلب طاهر. أما السابقون من الأمناء المخلصين للرب يهوه، ومن ثم للمسيح، والذين يمثلهم كل من إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، سيكون لهم بكل يقين

مكان في هذا الحفل العظيم. كان المسيح واحداً مع يهوه العهد القديم، ذلك العهد الذي تدهور حاله في فوضى عارمة، تطلبت تدخل الرب يهوه لإنقاذه. وقد حقق ذلك في المسيح، الذي أبطل ذلك العهد معلناً النعمة لكل من سبق وأداهم الناموس. أما الذين أحبوا العهد أكثر من رب العهد فتم استبعادهم من الزمن الجديد.

وفي حوارهِ مع المرأة السامرية، أعلن المسيح أنه لم يكن مجرد نبي آخر بقوله لها: "لَوْ كُنْتُ تَعْلَمِينَ عَطِيَّةَ اللَّهِ، وَمَنْ هُوَ الَّذِي يَقُولُ لَكَ أَعْطِينِي لِأَشْرَبَ، لَطَلَبْتِ أَنْتِ مِنْهُ فَأَعْطَاكَ مَاءً حَيًّا، (يو: ٤: ١٠). لم يكن المسيح صديق العريس، *the best man*، في العرس بل العريس نفسه. سأله اليهود مرة: "لِمَاذَا نَصُومُ نَحْنُ وَالْفَرِيسِيُّونَ كَثِيرًا، وَأَمَّا تَلَامِيذُكَ فَلَا يَصُومُونَ؟" أجابهم:

".. هَلْ يَسْتَطِيعُ بَنُو الْعُرْسِ أَنْ يَنْوُحُوا مَا دَامَ الْعَرِيسُ مَعَهُمْ؟ وَلَكِنْ سَتَأْتِي أَيَّامٌ حِينَ يُرْفَعُ الْعَرِيسُ عَنْهُمْ، فَحِينَئِذٍ يَصُومُونَ. لَيْسَ أَحَدٌ يَجْعَلُ رُقْعَةً مِنْ قِطْعَةٍ جَدِيدَةٍ عَلَى ثَوْبٍ عَتِيقٍ، لِأَنَّ الْمِلَّةَ يَأْخُذُ مِنَ الثَّوْبِ، فَيَصِيرُ الْخَرَقُ أَرْدَأً. وَلَا يَجْعَلُونَ خَمْرًا جَدِيدَةً فِي زِقَاقِ عَتِيقَةٍ، لئَلَّا تَنْشَقَّ الزَّقَاقُ، فَالْخَمْرُ تَنْصَبُ وَالزَّقَاقُ تَتَلَفُ. بَلْ يَجْعَلُونَ خَمْرًا جَدِيدَةً فِي زِقَاقِ جَدِيدَةٍ فَتُحْفَظُ جَمِيعًا"، (مت ٩: ١٤-١٧).

ويمكن فهم الكلام هنا بعدد من الطرق، إلا أنه في إطار قرينة النص، يشير المعنى مباشرة لممارسة دينية يقدرها الفريسيون كحفظه للعهد القديم بشكل كبير. ولم يقصد المسيح أبداً كباقي الأنبياء ترقية ثوب العهد القديم بل المجيء بعهد جديد في ثوب جديد؛ كما أن زق العهد القديم لا يمكنه استيعاب خمر ملكوت المسيح الجديد.

اعترض معلمو الناموس على سلطان المسيح متذرعين بضرورة مجيء إيليا النبي قبل مجيء ابن الإنسان بحسب النبوة، إلا أن المسيح حدد تحقيق هذه النبوة بمجيء يوحنا المعمدان ليؤكد لهم أنه ابن الإنسان، (مت ١٧: ١٠-١٣). أشار المسيح أيضاً إلى نهاية العهد القديم صراحة بقوله: "كَانَ النَّامُوسُ وَالْأَنْبِيَاءُ إِلَى يُوْحَنَّا. وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ يُبَشِّرُ بِمَلَكُوتِ اللَّهِ .."، (لو ١٦: ١٦).

كانت التجلي أعظم دليل على سمو سلطان المسيح الثابت مقابل سلطان العهد القديم. في تلك الحادثة ابيضَّت ثياب المسيح كالثلج، وتغيرت هيئة جسده بالكامل، فلم يلمع جلد وجهه فقط كموسى من قبل، بل صار وجهه كالشمس. وإلى جانب المسيح ظهر موسى المشرَّع ممثلاً للعهد القديم وإيليا أعظم الأنبياء الأولين. وبينما وقف ثلاثهم يتحدثون على جبل التجلي أمام الرسل، ظللتهم سحابة نيرة جاء منها صوت يقول: "... هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ. لَهُ اسْمَعُوا"، (مت ١٧: ٥). ويدون البشير ردة فعل التلاميذ بالقول: "وَلَمَّا سَمِعَ التَّلَامِيذُ سَقَطُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ وَخَافُوا جَدًّا. فَجَاءَ يَسُوعُ وَلَمَسَهُمْ وَقَالَ، قُومُوا، وَلَا تَخَافُوا. فَرَفَعُوا أَعْيُنَهُمْ وَلَمْ يَرَوْا أَحَدًا إِلَّا يَسُوعَ وَحْدَهُ"، (مت ١٧: ٦-٨).

كان المعنى واضحاً، فقد أمرهم الله بالإصغاء إلى المسيح وحده، إذ ليسوا في حاجة بعد إلى الاستماع لموسى أو إيليا. فالمسيح هو ابن الله الذي يفعل كل ما يريده لأنه صاحب كل سلطان. ومن العجيب أن يربط النبي إرميا العهد الجديد بغفران الله للخطية، (إر ٣١: ٣١-٣٤) وقد أظهر المسيح نفس السلطان عندما قال للمفلوج: "... ثِقْ يَا بُنَيَّ. مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ. ولكي يبرهن المسيح حقيقة سلطانه على غفران الخطايا قال للمشلول: "... قُمْ أَحْمِلْ فِرَاشَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ! فَقَامَ وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ"، (مت ٩: ١-٧).

وهكذا دارت كل مواجهات المسيح مع سامعيه من اليهود حول حقيقة وأصالة سلطانه مقابل سلطان العهد القديم. ولو لم يمثل المسيح تهديداً لسلطان ونظام العهد القديم كله لما لقي من معارضيهِ مثل هذه المقاومة الشرسة.

المسيح والعهد: تعديل مسار

يرر الإدراك المسبق لمفهوم "العهد" السبب في عدم تكرار اللفظة في الأناجيل الأربعة. اتفق كلا الجانبين، المسيح وسامعوه أن العهد هو الإطار المرجعي لأي نقاش ديني. نشأ التوتر بسبب قصد المسيح في إحداث تغييرات جذرية جديدة في العهد، ولهذا قضى جُلَّ وقته، يرسخ حقيقة سلطانه على فعل

كل ما يريد بشأن العهد أو بأي شيء آخر، حتى أن كل فكر أعلنه أو حديث قاله، أو طلب قدمه، ارتبط إما بأطراف العهد، أو شروطه أو مواعيده.

أولاً: فيما يرتبط بأطراف العهد الجديد، لم يعد الطرف الثاني له مقتصرًا على كل مواليد إبراهيم بحسب الجسد. وقد قال المسيح لنيقوديموس: "إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ"، (يو: ٣: ٥). ويعكس الكثير من أقوال الرسل هذا الأمر، وخاصة ما قاله البشير يوحنا: "إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ. وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللَّهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ. الَّذِينَ وَلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ، بَلْ مِنَ اللَّهِ"، (يو: ١١-١٣). أظهر المسيح ضرورة ارتباط الطرف الثاني به من خلال التلمذة. وقد أدرك اليهود ما تعنيه لفظة "تلميذ"، وهو الأمر الذي يتضح من حوار المولود أعمى مع الفريسيين عندما قال لهم: "لَمَآذَا تُرِيدُونَ أَنْ تَسْمَعُوا أَيْضًا؟ أَلَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَصِيرُوا لَهُ تَلَامِيذٌ؟ فَشْتَمُوهُ وَقَالُوا: أَنْتَ تَلْمِيزُ ذَاكَ، وَأَمَّا نَحْنُ فَإِنَّا تَلَامِيذُ مُوسَى .."، (يو: ٩: ٢٧-٢٩). التلمذة هي علاقة عهدية متبادلة بين طرفين، يكون فيها التلميذ مسئولاً أمام معلمه، منفتح القلب على كلمة الله التي تحييه بالروح، (يو: ٦: ٦٣؛ تث: ٣٠: ١٩-٢٠). أما التلميذ الذين لا يؤمن، ويرفض كلمات المعلم المحيية، يسعى إلى مديح أقرانه من الناس دون أن يتمم مشيئة الله.

ثانيًا: غير المسيح من شروط العهد، لا من جهة فرائضه بل من جهة طبيعته أيضًا. خاطب ناموس المسيح روح الإنسان، إيجابيًا، ليجذب انتباهنا إلى مقاصد العهد لا إلى عقوباته. كان شروط العهد الأول تبدأ بالقول: "ملعون"، أما عهد المسيح الجديد فيتلامس مع النفوس البشرية بقوله: "طوبى لكم". إذاً فالتباين بين العهدين صارخ:

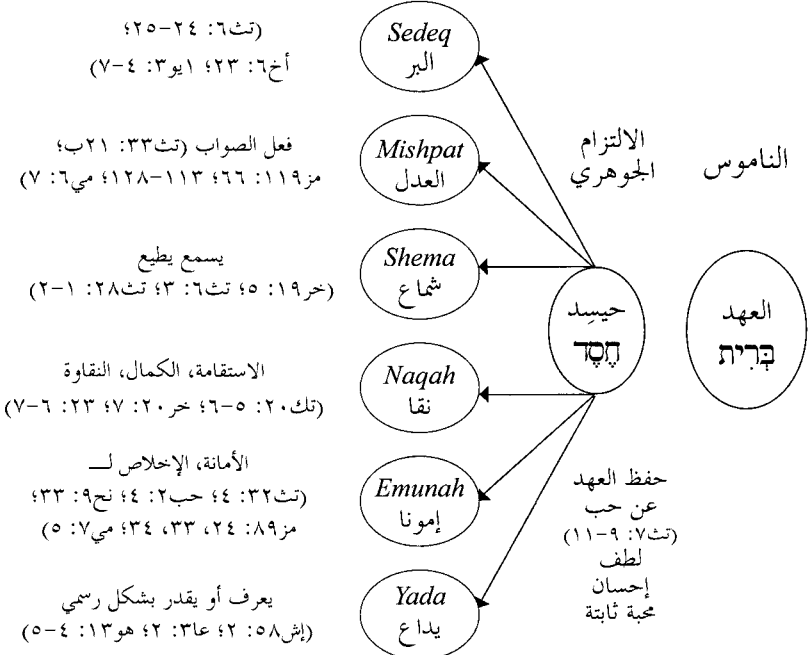
الناموس الموسوي (تث ٢٧: ١٥-٢٦)	ناموس المسيح الجديد (مت ٥: ١-١١)
• مَلْعُونُ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَصْنَعُ تِمَثَالًا مَنْحُوتًا أَوْ مَسْبُوكًا.	• طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لِأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ.
• مَلْعُونٌ مَنْ يَنْقُلُ تَحِمَّ صَاحِبِهِ.	• طُوبَى لِلدُّعَاءِ، لِأَنَّهُمْ يَرْتُونَ الْأَرْضَ.
• مَلْعُونٌ مَنْ يَسْتَحِفُّ بِأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ.	• طُوبَى لِلرَّحَمَاءِ، لِأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ.
• مَلْعُونٌ مَنْ يَوَّجُ حَقَّ الْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ وَالْأَرْمَلَةِ.	• طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعَطَاشِ إِلَى الْبِرِّ، لِأَنَّهُمْ يُشْبِعُونَ.
• مَلْعُونٌ مَنْ يَأْخُذُ رَشْوَةً لِكَيْ يَقْتُلَ نَفْسَ دَمٍ بَرِيءٍ.	• طُوبَى لِصَانِعِي السَّلَامِ، لِأَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ يُدْعَوْنَ.
• مَلْعُونٌ مَنْ لَا يَقِيمُ كَلِمَاتِ هَذَا النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهَا.	• طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ ..

وتتلخّص أخلاق العهد الجديد في الاقتداء بالمسيح الذي قال: "فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ"، (مت ٥: ٤٨). وقد رأي الرسل أن المسيح هو المثال لكل عمل صالح حتى صارت عبارة: "كُونُوا قَدِيسِينَ لِأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ" هي "لا بد أن تكونوا مثل المسيح". فلا قيمة حقيقية للوصية بدون وصف دقيق لطبيعة الله وأعماله. جسّد المسيح فكر الآب، ومشاعره، وصناعته للقرار، وتصرفاته؛ فهو الواحد مع الآب، (يو ١٠: ٣٠). أن تصير مشابهاً للمسيح يعني أن تكون مشابهاً لله، فالتشبه بالمسيح هو تشبه بالله: "لَيْسَ التَّلْمِيزُ أَفْضَلُ مِنْ مُعَلِّمِهِ، بَلْ كُلُّ مَنْ صَارَ كَامِلًا يَكُونُ مِثْلَ مُعَلِّمِهِ"، (لو ٦: ٤٠). وقد شبه المسيح الله بأب أرضي يحب أولاده، ويفعل الصالح من أجلهم، (مت ٧: ٧)، ويسمح لهم باختيار طريقهم الخاص، (لو ١٥: ١١)، كي يتعلموا من التجربة. ويرتضي التنازل عن هيئته ومكانته ليجري باكيًا من الفرحة لرجوع ابنه الضال إلى البيت، معانقًا إياه، ليضمه في حضنه، ابنًا من جديد، ويسترده إلى أسرته وسط أجواء من الاحتفال والفرح.

• الاقتداء بالمسيح أخلاق عهد

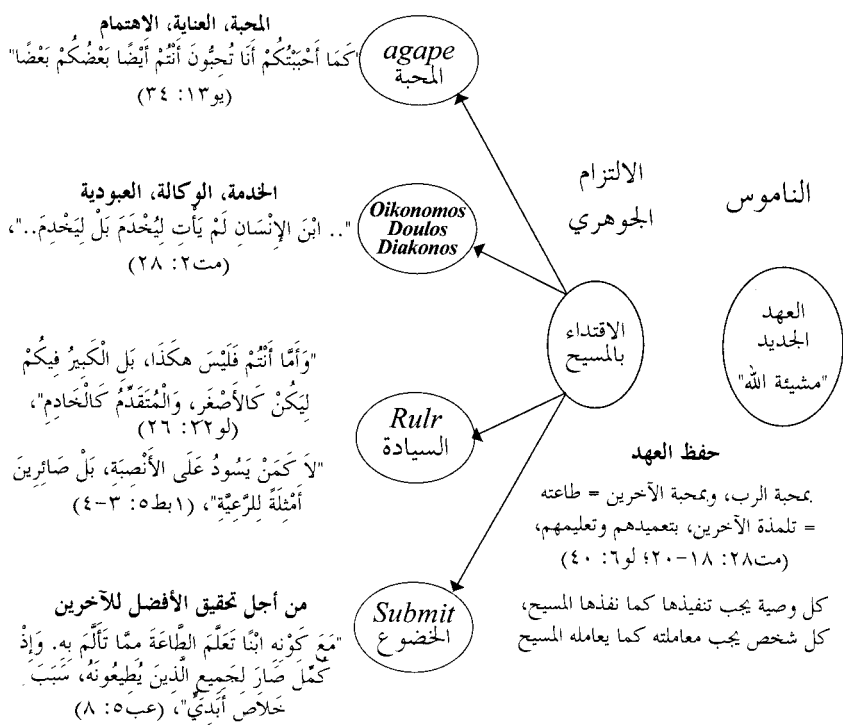
ارتبطت أخلاقيات العهد القديم بتنفيذ شروط الناموس. ويوضح الرسم التخطيطي التالي العلاقة الأساسية والأولويات بإظهار المصطلحات الأخلاقية الرئيسية المستخدمة في الناموس والأنبياء، فتعبر الدائرة الأكبر بالرسم عن علاقة العهد التي بين الله وإسرائيل، في حين تشير الدائرة الأصغر إلى حيسد، חסד؛ أي الأمانة، أي موقف مساندة العهد بقلب خالص. وقد تمت ترجمة هذا المصطلح بشكل ضعيف إلى الإنجليزية بمعنى رحمة، *Mercy*، أو إحسان أو لطف، *Loving kindness*، أو محبة ثابتة، *Steadfast love*. أما الأخلاقيات الأخرى والمحددة تفصيلاً في الدوائر البضاوية، فهي متأصلة في العهد، إذ تستمد معناها منه ومن حيسد ذاتها. وليس لهذه الأخلاقيات أي معنى أو قيمة بدون العهد. في الواقع، تقف كل الصفات الأخلاقية ضد المرء إن كان متعاهداً مع أي طرف آخر غير إله إسرائيل.

المبادئ الأخلاقية العامة



نادي المسيح بأن كلماته هي الناموس الجديد، عندما قال: وَصِيَّةٌ جَدِيدَةٌ أَنَا أُعْطِيكُمْ، كما أصبحت تعاليمه وكلماته المعيار للدينونة المستقبلية: "إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ كَلَامِي وَلَمْ يُؤْمِنْ فَأَنَا لَا أَدِينُهُ، لِأَنِّي لَمْ آتْ لِأَدِينِ الْعَالَمَ بَلْ لِأُخَلِّصَ الْعَالَمَ. مَنْ رَدَّلَنِي وَلَمْ يَقْبَلْ كَلَامِي فَلَهُ مِنْ يَدِينُهُ. الْكَلَامُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ هُوَ يَدِينُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ"، (يو ١٢: ٤٧-٤٨). وهكذا تُعد كلمات المسيح ناموس العهد الجديد. ويوضح الرسم التخطيطي الكلمات المفتاحية المعبرة عن أخلاقيات العهد الجديد كما عرّفها المسيح؛ فالافتداء بالمسيح هو المطلوب الأخلاقي للملكوت العتيق. لم تكن وصايا المسيح، وهو الكلمة المتجسد، ناموس البر الجديد فقط، بل ومثاله أيضاً.

المبادئ الأخلاقية العامة



• أَلْفَبَاءُ الْاِقْتِدَاءِ بِالْمَسِيحِ

للاقتداء الروحي الحقيقي بالمسيح ثلاثة مستويات، يشير أولها إلى محاكاة حياة وأسلوب وأخلاقيات المسيح بكل أمانة، (١ كو ١١ : ١). كان المسيح روحياً، أميناً، حنوناً، صريحاً، صافي الذهن، هادفاً، تقياً، عالماً بكل شيء، ثابتاً، ومعلماً صالحاً .. الخ. وتمثل هذه الصفات المستوى الأول الذي يجب على كل من الرجال والنساء محاكاته.

ويشير المستوى الثاني إلى الغاية من تجسده؛ القصد الذي جاء من أجله: "لَأَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ"، (لو ١٩ : ١٠). والإنسان الذي لا يشارك المسيح هذا القصد في حياته من جهة الهالكين، ويغيب عنه هذا الالتزام الأخلاقي الوجداني بنفس أشواق المسيح من نحوهم، هو إنسان بعيد كل البعد عن الاقتداء بالمسيح الذي قال: " .. كَمَا أَرْسَلَنِي الْآبُ أَرْسَلُكُمْ أَنَا"، (يو ٢٠ : ٢١).

أما المستوى الثالث فهو محاكاة طريقته في تجهيز وإعداد الآخرين للمواصلة معنا وبعدها. علّم المسيح تلاميذه، ثم طالبهم أن يعلموا آخرين أيضاً. وقبل أن يعمضى إلى السماء، أوصاهم بتلمذة كل الخليقة بعد أن درّبهم علي ذلك. إن كنا نهمّل في خدمتنا تدريب وإعداد من نرسلهم إلى الخدمة؛ فنحن أبعد ما نكون عن الاقتداء بالمسيح الذي يتمثل في أعلى مستوياته، كأخلاقيات كتابية سامية، في يقين نجاح الإرسالية بعد رحيلنا، (٢ تي ٢ : ٢):

ثالثاً: غيّر المسيح أيضاً مواعيد العهد القديم بشكل جذري. وبخلاف مواعيد العهد القديم المادية التي أثارت اهتمام الناس، وإن وعدَ المسيح ببعضها؛ يعد العهد الجديد بالحياة الأبدية، (يو ٤ : ١٣-١٤؛ ١ يو ٢ : ٢٥)، وتنبع هذه الحياة من المسيح ذاته، فمن يأكل من الخبز الذي يعطيه لن يموت، (يو ٦ : ٣٠-٣٢)، والخراف التي تطيع صوته تدخل وتخرج، (يو ١٠ : ٩). ومن يسمع صوته يحيا إلى الأبد، قال المسيح: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا"، (يو ١١ : ٢٥).

كانت مواعيد العهد السابق مادية وقومية وآنية؛ تقتصر على البركات الأرضية فقط، وتفتقر إلى الكمال؛ فاليهودي، حتى وإن عاش وحفظ كل الناموس بكل تدقيق ونال كل بركاته الأرضية، يشعر بأن هناك شيء ما ينقصه. أما المسيح فهو وسيطُ عهدٍ أعظم تثبتت على مواعيد أفضل، (عب ٨: ٦)، وإن كانت مشروطة أيضاً: "لأنَّ مَنْ اسْتَحَى بِي وَبِكَلَامِي فِي هَذَا الْجِيلِ الْفَاسِقِ الْخَاطِئِ فَإِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ يَسْتَحِي بِهِ مَتَى جَاءَ بِمَجْدِ أَبِيهِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ الْقَدِيسِينَ"، (مر ٨: ٣٨).

• موت وقيامة المسيح

ترتبط قضايا العهد الجديد الأساسية التي أكد عليها الرسل، بموت المسيح وقيامته. أعلن المسيح موته كتصديق رسمي على علاقة عهد: "هَذِهِ الْكَاسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُسْفِكُ عَنْكُمْ"، (لو ٢٢: ٢٠)، ويؤكد البشير متى نفس الشيء، (مت ٢٦: ٢٨). ويشير التعبير "دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ" رسمياً إلى الإدلاء بقسم العهد، (خر ٢٤: ٨). لقد وعد الله بقسم أن يزيل خطايا البشرية بموت المسيح؛ فوقع بالدم على هذا العهد الجديد في الجلجثة. إن الله الذي تعهد أن يخلص جنسنا البشري، لم يرض علينا ببذل ابنه الوحيد. ولأن دم المسيح قد سُفِكَ يقيناً على الصليب، يخلص الله إلى التمام كل من يتقدم إليه مؤمناً بالمسيح، (عب ١٠: ١٩-٢٣).

ولأن الإنسان ميال للشك، وفي عناده قد ينسى سريعاً الأمور الصالحة التي يعملها الله من أجله، كان القصد من الصليب إقناع الإنسان بمحبة الله وجذبه للنعمة. وربما كان هذا هو المعنى من قول المسيح: "وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الْأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ"، (يو ١٢: ٣٢)^(٣١). وفي هذا الصدد يكتب الرسول بولس أيضاً متسائلاً: "إِنْ كَانَ اللَّهُ مَعَنَا فَمَنْ عَلَيْنَا؟ الَّذِي لَمْ يُسْفِكْ عَلَى ابْنِهِ بَلْ بَذَلَهُ لِأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ كَيْفَ لَا يَهْبِنَا أَيْضاً مَعَهُ كُلُّ شَيْءٍ؟"، (رو ٨: ٣١)^(٣٢).

٣١- يعنى الفعل "رفع" في إنجيل يوحنا على وجه التحديد صلب المسيح، في النصوص (يو ١: ٢٩؛ ٣: ١٤؛ ٨: ٢٨)، المترجم.

٣٢- يأتي الفعل "يسفك" في الأصل اليوناني، "φειδομαι"، ويعني "يضمن"، أو "يمنع أو يحجز"، "abstain"، وفي القاموس اليوناني العربي تأليف محمد عبد الرحمن الفقي، وفيليب غليتنس، بمعنى "يدخر، يقتصد، يوفر"، (المترجم).

ومن أجل تحذير المستحقين بعمل الله يقول: "أَمْ تَسْتَهينُ بِنِعْمِي لُطْفِهِ وَإِمَهَالِهِ وَطُولِ أُنَاتِهِ غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّ لُطْفَ اللَّهِ إِنَّمَا يَقْتَادُكَ إِلَى التَّوْبَةِ؟" (رو ٢: ٤).

انتصرت محبة الله على الصليب، فحيث كثرت الخطية زادت النعمة جداً. وكلما استمر الإنسان في الابتعاد أصر الله على الاقتراب. وما لم تستطع تحقيقه مواعيد الناموس المادية من أراض، وبيوت، ومواش، ونفوذ قومي، حققه الله في الصليب الذي فيه أذاب قلب الإنسان حزناً ليربح ولاءه، وخاطب صورته فيه! لقد أكد الله على قصده الصالح من أجلنا في الصليب: "وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيَّنَّ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا"، (رو ٥: ٨). ولم يقف الأمر عند هذا الحد، إذ أقام الله مسيحه من بين الأموات، ليكون باكورة الراقيدين. حفظ الله التزامه من جهة مسيحه عندما صرخ: "لَأَنْتَ لَنْ تَتْرَكَ نَفْسِي فِي الْهََاوِيَةِ. لَنْ تَدَعَ تَقِيَّتَكَ يَرَى فَسَادًا. تُعَرِّفْنِي سَبِيلَ الْحَيَاةِ .."، (مز ١٦: ١٠-١١). زوّدت ذبائح وأعياد العهد القديم الرسول بولس بإطار مرجعي عن الموت والقيامة، فاعتبر قيامة المسيح تقدمة باكورة، *Guarantee offering*، (١ كو ١٥: ٢٠). وينسجم هذا الاعتبار مع قوله للأثينيين: "فَاللَّهُ الْآنَ يَأْمُرُ جَمِيعَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَنْ يَتَوْبُوا، مُتَعَاْضِيًا عَنْ أَزْمَنَةِ الْجَهْلِ. لِأَنَّهُ أَقَامَ يَوْمًا هُوَ فِيهِ مَزْمِعُ أَنْ يَدِينَ الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ، بَرِّجُلٍ قَدْ عَيْنُهُ، مُقَدِّمًا لِلْجَمِيعِ إِيمَانًا إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ"، (أع ١٧: ٣٠-٣١) (٣٣).

مات إبراهيم ولم ير المواعيد العظيمة، ودُفِنَ عظامه في القبر الذي اشتراه، ودُفِنَ موسى في أرض موآب، وتحللت عظام هارون في أرض كنعان، كما كان قبر داود معروفاً في زمن الرسول بطرس. أما النبي الآتي، رئيس الكهنة الأعظم، والملك الظافر ابن داود، ونسل إبراهيم، فقد انتصر على القبر: "إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ .." (عب ٧: ٢٥). صادقت القيامة على المواعيد التي قطعها المسيح بدمه على الصليب، ولولاها، لاعتبر الناس الميالون للشك هبات الصليب مواعيداً فارغة، ورجاءه أحلاماً خاوية: "وَتَعَيَّنَ ابْنُ اللَّهِ بِقُوَّةٍ مِنْ جِهَةِ رُوحِ الْقُدَّاسَةِ، بِالْقِيَامَةِ مِنَ الْأَمْوَاتِ؛ يَسُوعَ الْمَسِيحَ رَبَّنَا"، (رو ١: ٤-٤).

٣٣- تأتي اللفظة "إيمان" بمعنى "برهان، *proof*" في الترجمة اليسوعية، وفي أغلب الترجمات الإنجليزية GW, LITV, GNB, RV, ASV, ESV, Darby, Murdoch, Webster, KJV، بمعنى "يقين، *assurance*"، المترجم.

التكليف العظيم

عندما مات المسيح، أصاب التلاميذ الارتباك واليأس. وفي فجر يوم القيامة اكتشف بعض النساء أن القبر فارغ، فاعتقدن في بادئ الأمر أن شخصاً ما أخذ جسد المسيح، وسألن رجلاً ظنن أنه البستاني: "أين وضعوا الجسد؟"، لكنه كان المسيح الذي أعلن نفسه لهن، وأوصاهن بالذهاب، ليخبرن باقي تلاميذه بما رأين. وفيما كان التلاميذ مجتمعين والأبواب مغلقة بسبب الخوف من اليهود، ظهر لهم المسيح. ارتعب بعضهم، بينما شك البعض الآخر، فحياهم: "سَلَامٌ لَكُمْ". ظهر المسيح لهم مرة أخرى بعد أسبوع ومعهم توما الذي لشكه، طلب منه المسيح أن يضع يده ليلمس أثر جراحاته: يديه وجنبه. وما أن رأى آمن وقال: "رَبِّي وَإِلَهِي!" فأجابه المسيح: "..لَأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا تَوْمًا آمَنْتَ! طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا"، (يو ٢٠: ٢٨-٢٩).

ظهر المسيح للكثيرين خلال الأربعين يوماً التي تلت قيامته، (١كو ١٥: ٣-١٥). وهي فترة ذات مغزى؛ فقبل أن يدخل إسرائيل أرض كنعان بعد خلاصهم من عبودية المصريين قضوا أربعين سنة في البرية. وكما كانت حادثة الخروج الأساس لناмос موسى، أصبح موت المسيح وقيامته الأساس للحياة المسيحية كلها. تحررت البشرية من قيد الخطية في الجلجثة، وبعد أربعين يوماً من القيامة، وتحديدًا في يوم الخمسين تم الإعلان عن العهد الجديد. في ذلك التوقيت دخل أول أعضاء الخليفة الجديدة إلى كنعان الجديدة؛ الكنيسة، (عب ١٢: ١٨-٢٣).

وكما تلقى موسى الناموس على جبل حوريب، جمع المسيح تلاميذه على جبل الزيتون، عندما حان وقت صعوده إلى السماء ليجلس عن يمين الآب، (أع ٢: ٢٥). وهناك كلفهم، هم والأجيال القادمة من بعدهم، بالتكليف العظيم. ونحن هنا بصدد صيغة مُحْكَمَة من صيغ العهد الجديد المنتشرة في كتابات الكنيسة الأولى:

".. دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ، فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا

جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمَدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلَّمُوهُمْ
أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَآ أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى
انْقِضَاءِ الدَّهْرِ. آمِينَ"، (مت ٢٨ : ١٨ - ٢٠).

وعندما يصرِّح شخصٌ ما بسلطانه أولاً، فإنه يشير على الفور إلى الأهمية الفائقة لما هو مزعم أن يقوله. قال المسيح لرسله فعلياً: "ما أقوله لكم لا يمكن لأحد أن يناقضه، لذا يجب أن تثقوا فيه كلية. أنا أملك السلطان على قول ذلك سلطاناً كاملاً في السماء وعلى الأرض". هل يتذكر القارئ كيف استدعى الله السموات والأرض لتسمع كلمته: "انصتِي أَيُّهَا السَّمَاوَاتُ فَاتَكَلَّمِي، وَلَتَسْمَعَ الْأَرْضُ أَقْوَالَ فَمِي"، (تث ٣٢ : ١ ؛ إش ١ : ٢). لم يستدع المسيح شهوداً لتكليفه، لأن فيه كل الكفاية. ويأتي هذا التكليف في الترجمة العربية معبراً عن بأربعة أفعال رئيسة: "اذهبوا"، و"تلمذوا"، و"عمدوا"، و"علموا"، أما في النص اليوناني فهناك فعل رئيس واحد في صيغة الأمر: "تلمذوا"، في حين وردت باقي الأفعال في صيغة اسم الفاعل، *Participles*، لتخبرنا بزمان وطريقة تحقيق الفعل الرئيس. إن ما قاله المسيح هو: "بذهابكم تلمذوا جميع الأمم معمدين ومعلمين إياهم". مما يعني أن قياس نجاح الرسل في طاعة هذا التكليف ليس بالذهاب وحده، ولا بالتعميد وحده، ولا بالتعليم وحده بل بصنع تائبين. ويمكن إعادة صياغة هذا التكليف بالقول: "اذهبوا في كل مكان، نفذوا التزام عهدكم بأن تتلمذوا لي تائبين جدد، ليقسِّموا بالولاء لي، واشرحوا أن عليهم طاعة كل ما أمرتكم به، أما وعد عهدي لكم فهو معي معكم في الآلام والأعجاد، وإن تتطلب الأمر موتكم سأموت معكم، فلن أترككم قط:

أطراف العهد: • المسيح وتلاميذه

الشروط: • التلمذة بالذهاب، والتعميد، والتعليم

الوعد: • معية المسيح

إعادة تفسير أسفار العهد القديم

لا شك في أن الرسل استخدموا أسفار العهد القديم بطريقة جديدة تماماً، وإن كانت تبدو للوهلة الأولى غير قانونية؛ إذ تظهر الاقتباسات الكثيرة من هذه الأسفار كما لو أنها انتزعت من سياقها. وليس لدينا أي مصدر يبرر لنا ابتعادهم عن الاستعمال العادي لتلك الأسفار. لكنني اعتقد أنهم تعلموا هذا المبدأ الرئيس في الاقتباس والتفسير من المسيح ذاته، ومن المحتمل بشكل كبير أن المسيح بعد قيامته، وضح لتلاميذه كيف تنطبق نبوات العهد القديم عليه، (لو ٢٤: ٤٤-٤٥)، كما علمهم استخدام مبدأ التوازي الذي كان مألوفاً كأسلوب في الأدب العبري، خاصة في الشعر. ويعتمد مبدأ التوازي على تكرار المفهوم في بيت الشعر، وعلى حد تعبير مولتون، Moulton: "ليس من الضروري أن تكون الشطرة الثانية في البيت الشعري بياناً أو فكرة مختلفة عما ورد في الشطرة الأولى، ففي ضوء التوازي يتم تكرار ما قيل من قبل (٣٤)".

والآن، أليس ممكناً أن يقول المسيح: طبقوا نفس المبدأ في التفسير: فما ينطبق على إسرائيل كابن لله ينطبق على أنا كابن الله: مولود في العهد، هرب إلى مصر، مجرب أربعين يوماً، أتي إلى كنعان، أسس جماعة التلاميذ الاثني عشر، أعطى الوصايا الجديدة من على الجبل، عاش وعمل بين الناس معلماً إياهم أن يكونوا خداماً صالحين لله، تألم حتى الموت، وقام ثانية ليعلن بدء عهد جديد، باعتبار أنه المسيا ابن داود الجديد. ومن المؤكد أن ما سبق يساعدنا في شرح الاقتباسات التي قد تبدو غريبة، وخاصة قول النبي هوشع: "... مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي"، (هو ١١: ١)، الذي ورد في سياق مختلف تماماً عن استخدام البشير متى له.

باستبعاد فكرة التوازي يصبح النص المقتبس خارج السياق، ومع أن النص الذي كتبه هوشع لم يكن المقصود منه أن يكون نبوة مباشرة، لكن يمكن توظيفه على المسيح كنبوة موازية. فأى شيء في حياة إسرائيل أو داود يوازي شيئاً ما في حياة المسيح أصبح مفهوماً على أنه نوع من النبوة. وعلى نفس

القياس أدرك الرسل أن عصر ملكوت الله، أو ملكوت السماوات^(٣٥) هو عصر ملكوت المسيا. بالنسبة لهم كانت الكنيسة تحقيقاً لكل النصوص التي تصف أجماع عودة البقية الأمانة التي تنبأ عنها الأنبياء، والتي دخلت العهد الجديد. كما رأوا الكنيسة أيضاً إسرائيل الله الوحيد، (غل ٦: ١٤-١٦). وبالرغم من محدودية الدراسات المتاحة، يبدو أن الفكر الأخروي^(٣٦) الرئيس الخاص بالرسل قد تأصل في التوازي الممتد ما بين إسرائيل والمسيح. وها هي الكنيسة تحظى بالدخول إلى الراحة، والكراسة بالمسيا وناموسه، وبصليبيها الصادم وقيامتها المجيدة، ومُلك الله الأبدي عليها. ومع أن ضبط إيقاع تفاصيل عمل الكنيسة مع حياة المسيح لأصعب من التوفيق بين حياته وإسرائيل، إلا أن الآباء الرسل قد أدركوا فكرة التوازي وتمسكوا بها.

بمجيء المسيا الذي أشرق شمسُه بالدفء والخلاص لكل البشرية، انتهى العهد الموسوي الذي أشرق على ظلمة الأرض كنور القمر. وفي مقطع من عظات آشلي جونسون نقرأ عن التباين الصارخ بين العهدين:

"لست أقلل من شأن موسى الأمين في عصره وسط جيله؛ فلم يُكرِّم إنسان فإن في حياته أو مماته مثلما كُرِّم هو. من على رأس جبل الفسحة، رأى الأرض التي وعد بها الله إبراهيم، واسحق، ويعقوب. مات ليدفنه الرب صانع وضابط الكل، وتركه هناك. وأقول: استرح يا رجل الله الكريم، الكادح النبيل، الباذل ذاته، ناسياً حياته، يا خادم الله استرح! فعملك اكتمل، وها قد ظفرت بأكاليل النصر. لكن هذا الرجل، موسى المستحق هذا الثناء أخبر يوماً شعبه عن نبي آت مثله، (تث ١٨: ١٥-١٨). وقد أتى، فترلت ملائكة من أجناد السماء رنمت فوق مزوده أجمل كلمات عرفتها كتب الزمان. عاش وعلم ومشى بين البشر حتى خيم الموت على طريقه. صار قائدنا إلى أرض الموعد، أخلى نفسه، ومن أجل الآخرين، بكل حب تعب، ونزل لأحقر مكان يمكن

٣٥- حيث أن كلا التعبيرين واحد، المؤلف.

٣٦- والمقصود بالفكر الأخروي هو كل ما يخص الأيام الأخيرة التي بدأت بمجيء المسيح الأول، وتكتمل بمجيئه الثاني، (مت ٤: ١٧)؛ المترجم

للشعر أن يعيشوا فيه. مات من أجلهم، إذ كسر حزن العالم قلبه الرقيق. حجب الشمس نورها واهتزت الأرض التي صنعها بقدرته كسفينة تقذفها الريح، وكسكران يترنح. لكنه قام ليكون مع الله: دخل السماء بدم نفسه، فارقد يا موسى! واملِك يا مسيا! على جبينك يا موسى أنقش إكليلاً بأن سعيك أكملت وبأمانة رجحت. املك يا مسيا لأضع على هامتك الكريمة كل الأكاليل والتيجان! تيجان رؤساء وملوك وأباطرة الأرض، املك يا مسيا! حتى تنشد كل السماء والأرض لتسبحك، املك يا مسيا! حتى يسود ملكوتك ممالك العالم، املك يا مسيا! حتى تسجد كل ركبة ويعترف كل لسان، املك يا مسيا! حتى ترتفع أرضنا إليك وتزل سماؤك إلينا، فنعاين وجهك وسط مجدك، حتى نرث مع كل القديسين من كل الدهور ترنيمة موسى والحمل، املك يا مسيا! حتى ينتهي التمرد، والخطية، املك يا مسيا! وتختفي الأحزان مع القبور. حتى يكون الملك لك، والمجد لك، وحين تزل أورشليم الجديدة، نرى مجدك دون أن نبرح محضرك^(٣٧).

37- Ashley Johnson, Sermons on the tow Covenants, Delight, Arkansas: Gospel light publishing company, reprint 1899, P. 165-166.

ختام الفصل الخامس

يواصل هذا الفصل قصة شعب العهد بدءاً من السبي وحتى قيامة المسيح. وقد وجدنا في دراستنا أن السبي قسّم إسرائيل لقسمين: يهود الشتات، والبقية التي رجعت إلى أرض يهوذا بقيادة عزرا ونحميا، وقد أعادت تلك البقية بناء أمة إسرائيل. انتعش الشعب من جديد تحت قيادة صارمة شديدة التمسك بالعهد، وإن كان في ظل سيادة الحضارتين الفارسية واليونانية. نجح المكابيون في الإطاحة بنير اليونانيين ليتمتع إسرائيل بمائة عام من الحكم الذاتي. لكن مجيء الرومان عام ٦٤ ق.م، مات حلم إسرائيل في استعادة مملكة داود الشيوقراطية. وزادت الصراعات بين الطوائف اليهودية التي انتشرت آنذاك، حتى وضعت انقساماتها حملاً ثقيلاً على أي إجماع بشأن ما ينبغي على العهد تحقيقه.

احتاج يهود الشتات إلى التهويد مرة أخرى، فتولت القيادة اليهودية المركزية في أورشليم هذا الأمر بإرسال مبعوثيها الذين أطلقت عليهم اسم "رسل، *Apostoloi*". في تلك الفترة تأسست الكثير من المجمع التي صاحبها ظهور ونمو يهودية جديدة عرفت باسم "يهودية التلمود". قبل يهود الشتات بين صفوفهم المتهودين من الأمم تحت شرط الإيمان بيهوه وقبول الختان والمعمودية وتقديم ذبيحة. إن هذا التساهل وما صاحبه من اتساع في الفكر الديني اليهودي، هدّد طبيعة العهد القديم ذاته، الذي عاشت كلا المجموعتين في ظله حالة من الفوضى. وباختصار، أضحت فكرة العهد، كما أدارها الإسرائيليون تحت ضغط أكثر مما يُحتمل.

وُلد الرب يسوع المسيح وعاش في تلك الفترة من التاريخ. قصد المسيح أن يحدد بشكل جذري العهد مع إسرائيل، وذلك بتجديد عناصره: الأطراف والشروط والمواعيد. ومن أجل القيام بهذا الأمر، رسّخ سلطانه كابن الله، فقاومته السلطة اليهودية التي أحكمت قبضتها على ناموس موسى بدرجة لم تستوعب معها أن المسيح هو نفسه الرب يهوه. ومع كل هذه المقاومة قدّم المسيح فكرة واضحة عما سيكون عليه شكل العهد الجديد.

وَقَعَ اللهُ الْعَهْدَ الْجَدِيدَ فِي الْجُلُثَةِ بِدَمِ الْمَسِيحِ، وَبَرَهَنَ عَلَى سُلْطَانِ ابْنِهِ
بِالْقِيَامَةِ مِنَ الْأَمْوَاتِ. وَهَكَذَا أَظْهَرَ الْآبَ مَشِيئَتَهُ الصَّالِحَةَ مِنْ نَحْوِ الْإِنْسَانِ فِي
الصَّلِيبِ، إِذْ بَيَّنَّ قُدْرَتَهُ عَلَى تَحْقِيقِ مَا وَعَدَ بِهِ بِالْقِيَامَةِ. وَقَبْلَ أَنْ يَصْعَدَ الْمَسِيحُ
بِجَسَدِهِ إِلَى السَّمَاءِ أَوْصَى تَلَامِيذَهُ بِأَنْ يَتَلَمَذُوا آخَرِينَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ انْطِلَاقًا
مِنْ سُلْطَانِهِ الْأَبَدِيِّ.

الفصل السادس

الفكر الرسولي عن العمهين

أصدر المسيح أمراً بانطلاق الكنيسة، (مت ٢٨ : ١٨-٢٠)، فالوعد الأخير الذي قطعه الله لأبينا إبراهيم على وشك أن يتحقق، ليعلن الله بشكل كامل قصد الدهور، (رو ١٦ : ٢٦). انتظر الرسل في أورشليم كما أوصاهم المسيح حتى ينالوا قوة من الأعالي، فما أراده الله بكل وضوح هو أن يتكلم الرسل نيابة عنه، فإذا تكلموا، كان المسيح نفسه هو المتكلم:

"أَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمْ كَلَامَكَ .. قَدْ سَمِعُوا فِي حَقِّكَ. كَلَامُكَ هُوَ حَقٌّ. كَمَا أَرْسَلْتَنِي إِلَى الْعَالَمِ أَرْسَلْتُهُمْ أَنَا إِلَى الْعَالَمِ .. وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هَؤُلَاءِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلَامِهِمْ"، (يو ١٧ : ١٤-٢٠).

أدرك جميع الرسل أن لهم السلطان للتحدث باسم المسيح، فمن يكذب عليهم، يكذب على الروح القدس، ومن يعص كلامهم، يعصي الروح القدس، ومن يسمع إليهم يسمع لما يقوله الروح، ويتضح الأمر من قصة حنانيا وسفيرة. باع هذا الرجل حقلاً واختلس من ثمنه، وأتى بالجزء الباقي من المال، ليضعه عند أرجل الرسل، إلا أن الرسول بطرس فاجأه بالقول: "يَا حَنَانِيَا، لِمَاذَا مَلَأَ الشَّيْطَانُ قَلْبَكَ لِتَكْذِبَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ وَتَخْتَلِسَ مِنْ ثَمَنِ الْحَقْلِ؟ .. أَنْتَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّاسِ بَلْ عَلَى اللَّهِ. فَلَمَّا سَمِعَ حَنَانِيَا هَذَا الْكَلَامَ وَقَعَ وَمَاتَ .."، (أع ٥ : ١-٥)^(١).

١- يمكن للقارئ أن يطالع هذه النصوص، (٢كو ١٢-١٣، ١٣ : ٢، ١٣ : ٤، ٨ : ٢٢، ٢ : ١٥، يع ١٨-٢٥، ١ يو ٤ : ٦-١)، التي تؤكد سلطان الرسل، المؤلف.

كان سلطان الرسل في التحدث باسم المسيح من مسلمات العهد الجديد الأساسية. وقد أدركت الكنيسة الأولى أن الرسل فهموا إرادة المسيح، وأنهم كانوا أمناءً في تنفيذها. والتسليم بهذا الحق، يجعلنا نفهم غاية رسالتهم: التكليف العظيم والكنيسة. وإذا نظرنا إلى أعمال الرسل ونشاطاتهم، نعرف على الفور ما أراده المسيح منهم. لقد حقق الرسل أمرين رئيسيين: أسسوا كنائس محلية ثم قاموا برعايتها لتمثل بالمسيح، فتبدأ في تأسيس كنائس أخرى. لقد أدرك الرسل هذا التكليف العظيم.

أعمال الرسل وشعب العهد

عاد المسيح إلى السماء لتبدأ "الأيام الأخيرة"، (أع ٢: ١٧)^(١). أنهى الروح مأساة برج بابل فعاد كل الناس من جديد يتحدثون ويسمعون لغة واحدة: الإنجيل أي الأخبار السارة، (أع ٢). نفذ الرسل تكليفهم تحت إرشاد الروح القدس، معلنين "الاختيار" الجديد لله: "وَيَكُونُ كُلُّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ"، (أع ٢: ٢١)، ومجاهرين بأن الرب يسوع المقام من الأموات هو المسيا الذي طال انتظاره. وعندما سمع الحاضرون يوم الخمسين رسالة الإنجيل نخسوا في قلوبهم وسألوا الرسل قائلين: ماذا نصنع أيها الرجال الأخوة، فكان رد الرسل: "تَوُبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ"، (أع ٢: ٣٧-٣٨).

منح المسيح رسله السلطان على تحديد معايير الدخول إلى الملكوت. قال المسيح للرسول بطرس: "أَعْطَيْكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ فَكُلُّ مَا تَرَبِّطُهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولًا فِي السَّمَاوَاتِ"، (مت ١٦: ١٩). وبكل يقين يرتبط هذا النص بالكنيسة، فبعد أن سمع المسيح من رسله إقراراً واضحاً عن شخصه وسلطانه، أعلن بعدها عن قصده في تأسيس كنيسة، ويتضح هذا من قوله للرسول

٢- بدأت الأيام الأخيرة بمجيء المسيح الأول، وتكتمل بمجيئه الثاني للقيامة والدينونة واستعلان السموات الجديدة والأرض الجديدة، (مت ١٧: ١٠؛ ١٢: ٢٨؛ ٢٤: ١٤؛ ١٥: ١؛ ١٥: ١٠؛ ١١: ٢٢؛ ٣: ١؛ عب ١: ٩؛ ٢: ٦؛ ٣: ٥؛ ٢٣: ٣؛ ٢٤: ١٥؛ ٢٤: ٢٤؛ ٢: ٧)، المترجم

بطرس: "أَنْتَ بُطْرُسُ وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا". كان "الملكوت"، و"الكنيسة" في فكر المسيح يعينان نفس الشيء، (مت ١٦: ١٨-١٩)، وقد استخدمهما بالتبادل كما فعل كتاب العهد الجديد الآخرون، (عب ١٢: ٢٢-٢٨)

نظم الرسل إسرائيل الجديد في اجتماعات تشبه المجمع، واطبعت على تعليم الرسل، والشركة، وكسر الخبز، والصلاة، (أع ٢: ٤٢)، و"كَانَ الرَّبُّ كُلُّ يَوْمٍ يَضُمُّ إِلَى الْكَنِيسَةِ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ"، (أع ٢: ٤٧)

طريقان في الخدمة

في سفر الأعمال، طريقتان لتنفيذ التكليف العظيم، كانت لكليهما معان إلهية بعيدة المدى. كان الرسل يمثلون الطريقة الأولى، بينما مثل الرسول بولس الثانية. ولم يكن بين الطريقتين أي تصارع. وإن كانت لكل طريقة منها مضمون يميزها عن الأخرى.

١- الخدمة للداخل

مكث الرسل في أورشليم كما أوصاهم الرب. وبحسب سفر أعمال الرسل، لم يغادر الرسل أورشليم إلا لأسباب خاصة. وقد مضت سنوات كثيرة دون أن تنخرط الكنيسة في أي خدمة واسعة النطاق من أجل الأمم حتى انطلقت بأمر مباشر من الروح القدس بتكليف الرسول بطرس، (أع ١٠: ١٩)، الذي استجوبته كنيسة أورشليم، مطالبة إياه بتبرير ما فعله، (أع ١١: ٤-١). وقد أثّرت هذه المشكلة بسبب فهم الرسل للخدمة كقوة جاذبة مركزية^(٣): "وَيَكُونُ فِي آخِرِ الْأَيَّامِ أَنَّ جَبَلَ بَيْتِ الرَّبِّ يَكُونُ ثَابِتًا .. وَتَخْرِي إِلَيْهِ كُلُّ الْأُمَمِ .. لِأَنَّهُ مِنْ صِهْيُونَ تَخْرُجُ الشَّرِيعَةُ وَمِنْ أورشليم كَلِمَةُ الرَّبِّ"، (إش ٢: ٢-٣؛ مع مي ٤: ١-٤). وبعد سقوط أورشليم، ومعها إسرائيل

3-David W. Wead, "The Centripetal Philosophy of Mission," *Scripture, Tradition, and Interpretation*, W. Ward Gasque and William Sanford LaSor, ed., Grand Rapids: Eerdmans, 1978, P. 176-189

القومي عام ٧٠م، اختفى هذا الفكر تمامًا ليحل محله الفكر الثاني، ليستمر مدى الأزمان، والذي يمثلُه الرسول بولس.

كان الرسل يذهبون إلى الهيكل يوميًا معلمين يهود الشتات والمتهودين الوافدين إلى أورشليم من كل أمة. ويدون سفر الأعمال، (أع ٢) ما يربو عن اثني عشر أمة أرسلت ممثلينها إلى أورشليم. وقد قبل أغلبهم تعاليم رب العهد الجديد بفهم الرسل. إن مشيئة الله هي ما قاله إشعياء عن فم الرب: "جَمَعَ كُلُّ الْأُمَمِ وَالْأَلْسِنَةِ، فَيَأْتُونَ وَيَرْوُّونَ مَجْدِي. وَأَجْعَلُ فِيهِمْ آيَةً، وَأُرْسِلُ مِنْهُمْ نَاجِينَ إِلَى الْأُمَمِ .."، (إش ٦٦: ١٨-١٩). وتأق لفظه "ناجين" في الترجمة السبعينية اليونانية، "سيسوسمينوس، σεσωσμένους" بمعنى "الذين خلصوا". وقد أدرك الرسل أنهم سفراء الملك، ورؤساؤه في أورشليم الذين يعلمون الوافدين من كل البلاد، القادمين إلى أورشليم والهيكل طريق الخلاص. ولم تضم كنيسة أورشليم التائبين الجدد إليها، لأنهم عادوا إلى بلادهم حاملين أخبار الإنجيل السارة لعائلاتهم، وأصدقائهم.

وفيما يرتبط بنص (إش ٦٦: ١٨-١٩)، يعلق ويسترمان، C. Westerman: "يمثل هذا النص أول إشارة أكيدة عن الخدمة بحسب المعنى المقصود منها عند استعمالها اليوم لتشير إلى إرسال الأفراد إلى الأمم البعيدة لإعلان مجد الله بينهم. وينظر هذا الأمر خدمة الرسل عندما بدأت الكنيسة. ويندهش المرء حيال هذا الأمر هنا، فبينما يقترب العهد من نهايته، يقود الله رسله من الحدود الضيقة للشعب المختار متوجهًا إلى أقصى الأرض، ولم يقتصر الأمر على قدومهم إلى أورشليم لاندماجهم مع الشعب الموجود هناك، بل أن يحمل خدام الكلمة مجد المسيح إلى شعوب ليست من إسرائيل^(٤)".

بذل البشير لوقا جهدًا عظيمًا ليسجل لنا متوازيات محددة بين الصورة المجيدة للمكوث المسيا التي وردت بأسفار الأنبياء وما كان يحدث في الكنيسة، إسرائيل الله الجديد:

4- C. Westerman, *Isaiah 40-66*, 1969, p. 356.

(إش ٢ : ٤)	"فَيَقْضِي بَيْنَ الْأُمَمِ وَيُنْصِفُ لَشُعُوبٍ كَثِيرِينَ.." (أع ١٥ : ١-٨)
(إش ٢ : ١٧)	".. وَتُوضَعُ رَفْعَةُ النَّاسِ، وَيَسْمُو الرَّبُّ وَحْدَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ"
(إش ٤٢ : ١)	".. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ الْحَقَّ لِلْأُمَمِ" (أع ٧ : ٥٥)
(إش ٤٢ : ٦)	".. وَأَجْعَلُكَ عَهْدًا لِلشَّعْبِ وَنُورًا لِلْأُمَمِ" (أع ٣ : ٢٥)
(إش ٤٢ : ٧)	"لَتَفْتَحَ عُيُونُ الْعُمَى .." (أع ٩ : ١٨ ؛ ١٣ : ٤٧)
(إش ٤٣ : ١٨)	"لَا تَذْكُرُوا الْأَوَّلِيَّاتِ، وَالْقَدِيمَاتُ لَا تَتَأَمَّلُوا بِهَا" (أع ١٧ : ٣٠)
(إش ٤٣ : ٢٥)	"أَنَا أَنَا هُوَ الْمَاحِي ذُنُوبَكَ لِأَجْلِ نَفْسِي، وَخَطَايَاكَ لَا أَذْكُرُهَا" (أع ٣ : ١٩-٢٠)
(إش ٤٩ : ٦ ب)	".. جَعَلْتُكَ نُورًا لِلْأُمَمِ لِتَكُونَ خَلَاصِي إِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ" (أع ١٠-١١ ؛ ١٣ : ٤٧)
(إش ٥٦ : ٤)	".. قَالَ الرَّبُّ لِلْخِصْيَانِ الَّذِينَ يَحْفَظُونَ سُبُوتِي .." (أع ٨ : ٣٨)
(إش ٦٥ : ٢٥)	"الذِّئْبُ وَالْحَمَلُ يِرْعَبَانِ مَعًا وَالْأَسَدُ .." (أع ٦ : ١-٧)
(إش ٦٦ : ١٢)	"هَنَذَا أُدِيرُ عَلَيْهَا سَلَامًا كَنَهْرٍ .." (أع ٩ : ٣١)
(إش ٦٦ : ١٢)	".. وَمَجْدَ (ثَرْوَةِ) الْأُمَمِ كَسِيلِ جَارِفٍ .." (أع ١٦ كو ١-٤)
(إر ٣٠ : ١٩)	".. وَأَكْثَرُهُمْ وَلَا يَقْلُونَ وَأَعْظَمُهُمْ وَلَا يَصْغُرُونَ" (أع ٢ : ٤٧)
(إر ٣٣ : ١٧)	".. لَا يَنْقَطِعُ لِدَاوُدَ إِنْسَانٌ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ" (أع ٧ : ٥٦ ؛ لو ١ : ٣٣-٣٢)

(ع ٩١ : ١٠ - ١١)	".. وَجَمِيعَ الْأُمَمِ الَّذِينَ دُعِيَ اسْمِي عَلَيْهِمْ .."	(أع ١١ : ٢٦)
(ع ٩١ : ١٠ - ١١)	".. أَقِيمُ مِثْلَةَ دَاوُدَ السَّاقِطَةِ .. وَأَقِيمُ رَدْمَهَا .."	(أع ١٥ : ١٤ - ١٦)

وهناك أمثلة أخرى لا حصر لها من نصوص كتابية متنوعة إلا أن ما أوردناه كاف لترسيخ الفكر الرسولي، فقد تدفقت الشعوب إلى أورشليم، حاملة معها ثروة الأمم، لتضعها تحت أقدام الرسل. وخرجت شريعة الروح من الهيكل إلى أقصى الأرض، ليحملها إلي بلادهم أسرى ناموس العهد القديم. وما تنبأ عنه إشعياء النبي قد تحقق. ولكن بسبب عقولهم المظلمة، وأفكارهم الجسدية، اعتقد اليهود أن مجد داود أو بابل أو روما يفوق مجد أمير السماء المتواضع الراكب على جحش ابن أتان، فقد تباهاوا بولادتهم من دم إبراهيم، لكنهم أحفقوا في إكرام سيده. ومن يعتقد بأن الكنيسة، وهي جسد المسيح أقل مجداً من مملكة سليمان، هو جسدي الذهن، ونسل حقيقي لهؤلاء العميان.

٢- الخدمة للخارج

ويتمثل هذا الفكر في انطلاق الخدمة من أورشليم إلى أقصى الأرض. وقد بدأت أولى هذه الانطلاقات عندما حدث اضطهاد عظيم على كنيسة أورشليم، "فَتَشَتَّتَ الْجَمِيعُ فِي كُورِ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ .. فَالَّذِينَ تَشَتَّتُوا جَالُوا مُبَشِّرِينَ بِالْكَلِمَةِ"، (أع ٨ : ١، ٤)، أما من قاد الخدمة خارج فلسطين بشكل فعال فكان الرسول بولس، ومعه برنابا، وذلك بأمر مباشر من الروح القدس إذ قال: ".. أَفْرِزُوا لِي بَرَنَابَا وَشَاوُلَ لِلْعَمَلِ الَّذِي دَعَوْتُهُمَا إِلَيْهِ"، (أع ١٣ : ٢). كما شارك في هذه الانطلاقة أيضاً البشيران مرقس ولوقا، وتيموثاوس، وتيطس، وأرسترخس، وبرسكيلا، وأكيلا. وسواء كان الوقت مناسباً أو غير مناسب، انتشرت الكنيسة لتغطي كل ربوع الأرض كما تغطي المياه البحر، (إش ١١ : ٩ ب).

تكليف شاول

كان شاول الطرسوسي، أكثر الأعداء شراسة في مقاومته للخدمة المسيحية الأولى، فهو أحد فريسي يهود الشتات ذوي الدماء النقية، (في ٥-٦). حظي شاول بثقة السلطات الدينية اليهودية في أورشليم، (أع ٩: ١)، التي استخدمته لاقتلاع الكنيسة الوليدة من جذورها. نجح في بث الخوف في قلوب أعضاء الكنيسة. وفي طريقه إلى دمشق، ظهر له المسيح وقال له: ".. شَاوُل، شَاوُل! لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟ فَقَالَ، مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟ فَقَالَ الرَّبُّ، أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ. صَعَبَ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاحِسَ"، (أع ٩: ٤-٥). على الفور، صار شاول أعمى لا يبصر. وبعدها، أرسل الرب حنانيا بعد أن أعلن له أن بولس إناء مختار، وبالفعل ذهب إليه وقال:

".. أَيُّهَا الْأَخُ شَاوُلُ، أَبْصِرْ! .. إِلَهُ آبَائِنَا انْتَحَبَكَ لِتَعْلَمَ مَشِيئَتَهُ، وَتُبْصِرَ الْبَارَّ، وَتَسْمَعَ صَوْتًا مِنْ فَمِهِ. لِأَنَّكَ سَتَكُونُ لَهُ شَاهِدًا لِجَمِيعِ النَّاسِ بِمَا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ. وَالْآنَ لِمَاذَا تَتَوَانَى؟ قُمْ وَاعْتَمِدْ وَاغْسِلْ خَطَايَاكَ دَاعِيًا بِاسْمِ الرَّبِّ"، (أع ٢٢: ١٣-١٦).

صار شاول خادماً عظيماً في الكنيسة، كما أصبح رفقاؤه قادة في كنائس كثيرة، أيضاً كتب أكثر من أي كاتب آخر الكثير من أسفار العهد الجديد. لقد أدرك شاول مهمته: رُبُّعُ الأُمَمِ للمسيح، (١كو ٩: ١٦-٢٣). ويتناول النصف الأول من سفر أعمال الرسل طريقة الخدمة كقوة جاذبة مركزها أورشليم بقيادة الرسول بطرس، في حين يشير النصف الأخير من السفر إلى اتساع نطاق الخدمة كقوة دافعة لمن هم خارج أورشليم بقيادة الرسول بولس، الذي حمل رسالة الإنجيل برفقة معاونيه إلى أقصى الأرض، مواصلاً خدمة ربه بأمانة حتى الموت.

صراع عهدين: مجمع أورشليم الأول

مع أن كرنيليوس لم يكن متهوداً، تحلى بسمعة طيبة بين اليهود لكونه تقياً خائف الله، فهو رجل عسكري كفء، قائد مائة في الكتبية الإيطالية، كريم، دمث الخلق، كان قد آمن بالرب يهوه إله إسرائيل. وفي رؤية سماوية، أمره ملاك من الله أن يرسل إلي يافا ويستدعي الرسول بطرس الذي يكلمه كلاماً به يخلص، (أع ١١: ١٣-١٤). أطاع كرنيليوس على الفور. وبالرغم من كونه رجلاً صالحاً، مزكياً من الله، ومعتبراً من الجميع، ومطيعاً للملاك، لكنه لم يكن قد خلص بعد. وتعني لفظة "مخلص" أن يكون للمرء علاقة عهدية مع الله. وهنا نرى انعكاساً لشرطية العهد الجديد الجوهرية، فإن لم يكن المرء في علاقة مع المسيح لن يخلص، مهما كانت أخلاقياته، بكل ثقة أقول إن أطراف العهد الجديد هم فقط الذين في المسيح، (رو ٨: ١).

لم يكن بطرس الكارز سهل الانقياد مثل كرنيليوس الأممي التائب. ولكي يعده الله لهذا الحدث، أراه إناءً مثل ملاءة نازلة من السماء عليها من جميع دواب ووحوش وزحافات الأرض النجسة بحسب الناموس، وأمره: "... قُمْ يَا بَطْرُسُ، اذْبَحْ وَكُلْ"، فاعترض: "... كَلَّا يَا رَبُّ! لِأَنِّي لَمْ أَكُلْ قَطُّ شَيْئًا دَنَسًا أَوْ نَجِسًا"، وبالرغم من انتهاء فعالية ناموس العهد القديم بموت الصليب، احتاج الرسول بطرس للتعليم من جديد: "... فَصَارَ إِلَيْهِ أَيْضًا صَوْتُ ثَانِيَّةٍ، مَا طَهَّرَهُ اللَّهُ لَا تُدَنِّسُهُ أَنْتَ! وَكَانَ هَذَا عَلَى ثَلَاثِ مَرَّاتٍ، ثُمَّ ارْتَفَعَ الْإِنَاءُ أَيْضًا إِلَى السَّمَاءِ"، (أع ١٠: ٩-١٦). فذهب بطرس مع رجال كرنيليوس، ولكي يؤمن نفسه أخذ ستة رجال إخوة كشهود من يافا، (أع ١٠: ٢٣). ويشير اللفظ "إخوة" الذي يتكرر كثيراً في سفر الأعمال إلى المؤمنين بالمسيح من اليهود، أهل الختان، (أع ١٠: ٤٥؛ ١١: ١٢). وقد شهد هؤلاء الإخوة للرسول بطرس عندما احتاجهم في مجمع أورشليم الأول.

كرز الرسول بطرس لكرنيليوس، وللمجتمعين في بيته، وتركزت رسالته على موت وقيامة وسلطان المسيح، وصادق الروح القدس على صحة عظمته، معلناً إمكانية الأمم في أن يصيروا بالفعل أعضاء المسيح دون حاجةٍ للتهود:

"فَأَنْدَهَشَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ مِنْ أَهْلِ الْخِتَانِ، كُلُّ مَنْ جَاءَ مَعَ بَطْرُسَ، لِأَنَّ مَوْهَبَةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ قَدْ انْسَكَبَتْ عَلَى الْأُمَمِ أَيْضًا"، (أع ١٠: ٤٥). عندئذٍ أمر الرسول أن يعتمدوا، ولم يعترض كرنيليوس الذي برهن على استعدادده بتنفيذ كل ما يريده الله منه. لكن ماذا عن المؤمنين من أهل الختان؟ لقد اندهشوا مما رأوه، فتحذاهم الرسول بطرس: "أَتَرَى يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَ الْمَاءَ حَتَّى لَا يَعْتَمِدَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَبِلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ كَمَا نَحْنُ أَيْضًا؟"، (أع ١٠: ٤٧). وهكذا انضم كرنيليوس للكنيسة كما انضم اليهود من قبل.

شكل حدث انضمام الأمم صعوبة كبيرة على كنيسة الختان في أورشليم: "لَمَّا صَعِدَ بَطْرُسُ إِلَى أُورُشَلِيمَ، خَاصَمَهُ الَّذِينَ مِنْ أَهْلِ الْخِتَانِ، قَائِلِينَ، إِنَّكَ دَخَلْتَ إِلَى رِجَالِ ذَوِي غُلْفَةٍ وَأَكَلْتَ مَعَهُمْ"، (أع ١١: ٢-٣). والقضية واضحة إذ كان اعتراضهم الحقيقي متمثلاً في رفضهم لمعمودية الأمم التي تعني الانضمام إليهم، دون أن يتهودوا أولاً. فهل كان العهد الجديد هو القالب الروحي للعهد القديم؟ وهل كان العهد الجديد مجرد إضافة إلى القديم؟ وهل يجب على المسيحي أن يتهود أولاً ليصبح عضواً في الكنيسة؟ لقد وضَّح الرسول بطرس بأن الرب هو الذي طلب منه تحديداً أن يفعل ما فعله، وانتهى الأمر عند هذه اللحظة. وما نراه ما هو إلا صراع بين عهدين وتحديد طبيعة القَسَمِ المسيحي؛ فهل المسيحي يتعهد بولائه للمسيح أم لناموس موسى والمسيح؟ أو بمعنى آخر، إلى أي مدى يلتزم المسيحي بناموس موسى؟

صراع عهدين: مجمع أورشليم الثاني

لم يتم حسم القضية بعد! حقق برنابا والرسول بولس تقدماً ملموساً في منطقة شرق المتوسط، انطلاقاً من مدينة أنطاكية، التي كانت مركزاً هاماً تنطلق منه رسالة الإنجيل إلى مجامع يهود الشتات ومدن الأمم. كان برنابا رسولاً رسمياً من كنيسة أورشليم إلى كنيسة أنطاكية التي أحسنت استقباله قبل أن يبدأ عمله مع الرسول بولس، (أع ١١: ٢٢-٢٥)، لكن ما أن وصلت أخبار نجاحهما إلى مسامع كنيسة أورشليم حتى انحدر قوم من اليهودية إلى

أنطاكية، معلمين المؤمنين الجدد من الأمم أنه إن لم يختنوا حسب عادة موسى لا يمكنهم أن يخلصوا، (أع ١٥: ١). وبعد مناقشة حامية للرسول بولس ويرانابا معهم حول هذا الأمر، قرروا أن يذهب عدد من مؤمني كنيسة أنطاكية برفقة الرسولين إلى أورشليم لعرض القضية على الرسل، الذين استقبلوهم استقبالا حاراً كما فرحوا لسماعهم التقارير المبهجة عن الخدمة الناجحة في آسيا الصغرى، (أع ١٣: ٤-١٤: ٢٦).

ما قرره المسيح عن الفريسيين كان صحيحاً، فبعد قيامته آمن الكثير منهم بصحة كل ما أعلنه عن نفسه. صار بعضهم جزءاً من كنيسة أورشليم، لكن مع مرور الوقت انكشفت معتقداتهم، إذ استمروا في تأييد ناموس موسى كناموس مسيحي مع التأكيد على المسيح كرب، وبحسب فكرهم كان المسيح رباً لإسرائيل القومي.

استهل الرسول بطرس الحديث في بداية الجلسة بمراجعة ما حدث يوم الخمسين، لافتاً الانتباه إلى كرنيليوس فقال إن: "الله العارف القلوب، شهد لهم مُعْطِياً لَهُمُ الرُّوحَ الْقُدُسَ كَمَا لَنَا أَيْضاً. وَلَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ شَيْءً، إِذْ طَهَّرَ بِالْإِيمَانِ قُلُوبَهُمْ. فَالآنَ لِمَاذَا تُجَرَّبُونَ اللهُ بِوَضْعِ نِيرٍ عَلَى عُنُقِ التَّلَامِيذِ لَمْ يَسْتَطِعْ آبَاؤُنَا وَلَا نَحْنُ أَنْ نَحْمِلَهُ؟ لَكِنْ بِنِعْمَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ نُؤْمِنُ أَنْ نَخْلُصَ كَمَا أَوْلَيْكَ أَيْضاً"، (أع ١٥: ٨-١١).

كانت القضية: هل يحتاج الأمم إلى حفظ ناموس موسى، أم حفظه إلى المدى الذي التزم به المسيح؟ أم مراعاة فرائضه حسب قدراتهم؟ وربما اقترح المؤمنون الفريسيون أن الاقتداء بالمسيح يعني حفظ الناموس، لأن المسيح قد حفظه. كانت المشكلة أعمق مما يبدو على السطح: إن انفك المسيحي تماماً من ناموس العهد القديم، فماذا يبقى من الفكر العبري عن الإنسان ومستقبله، والحياة بعد الموت، والملائكة، والسماء، والأخلاقيات وغيرها من الأشياء؟ وبالإيجاز، ربما خافوا من ضياع أهمية أسفار العهد القديم المقدسة بالنسبة للكنيسة.

لم يجد الرسول بطرس عن القضية، بل ذهب لما هو أبعد من ذلك عندما قال إن الأمم يخلصون بالإيمان بالمسيح بدون الناموس، كما يخلص اليهود

أيضاً! ولم يقدم الرسول بطرس توبة كرنيليوس في هذا المجمع إلا كنموذج رسمي لكل من ينضم إلى الكنيسة سواء من اليهود أو الأمم! كانت تصريحات الرسول بطرس تمثل فكراً ثورياً في عصره، لأن القرار الذي انتهى إليه الرسل لم يقبل به كل المسيحيين من أصول يهودية، الذين طاردوا الرسول بولس، من وقتها حتى موته، لإفساد فكرة الخلاص بالإيمان فقط بالمسيح بدون الناموس.

ختم معلمنا يعقوب الجلسة مرحباً بالأمم كجزء من الكنيسة وعلى قدم المساواة مع المؤمنين من اليهود، وذلك وفقاً لأقوال الأنبياء عن فم الرب: "سَأَرْجِعْ بَعْدَ هَذَا وَأَبْنِي أَيْضاً خَيْمَةَ دَاوُدَ السَّاقِطَةَ .. لَكِنِّي يَطْلُبُ الْبَاقُونَ مِنَ النَّاسِ الرَّبِّ، وَجَمِيعُ الْأُمَمِ الَّذِينَ دُعِيَ اسْمِي عَلَيْهِمْ، يَقُولُ الرَّبُّ الصَّانِعُ هَذَا كُلُّهُ .."، (أع ١٥: ١٦-١٨). يؤكد يعقوب الشيخ أن الكنيسة هي بيت داود الساقط، الذي يستعيد الرب بنائه، ويقر بانضمام الأمم إلى ليهود في هذا البيت الذي له رب واحد، وإيمان واحد، ومعمودية واحدة للجميع، (أف ٤: ٥). وبقوله: "لِذَلِكَ أَنَا أَرَى أَنَّ لَا يُثْقَلُ عَلَى الرَّاجِعِينَ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْأُمَمِ"، أظهر أن الناموس، أو العهد الموسوي يشكل حجر عثرة في طريق الأمم، وإن أدرك أن هذا الأمر قد يتسبب في إحداث مشكلة كبيرة بين يهود الشتات.

كان كثير من الأمم قد درسوا الناموس ويقدرونه بدرجة كبيرة، ففسر التكوين يحوي بين جنباته فلسفة جوهرية عن الله والطبيعة والإنسان. وليس من الإنصاف اتهام الكنيسة بأنها تنكر ناموس موسى. وتعبير آخر لا ينبغي القيام بأي شيء يستبعد اليهودي أو الشخص المتهود المخلص لموسى، والذي يمكنه أن يحفظ الأعياد المقدسة كمواطن يهودي، ويمتنع عن تناول لحوم الحيوانات النجسة، ويواظب على قراءة ناموس العهد القديم، الذي لا يملك سلطاناً يناقض ما حكم به رسل المسيح. وبالمثل، ليس من المفترض على الأممي أن يحفظ ناموس موسى أو يقبل بأي شيء فيه، إذا آمن برسالة إنجيل المسيح. لكي يخلص جميع الناس عليهم أن يعلنوا ولاءهم للمسيح، وللمسيح وحده فقط. تمت صياغة قرارات هذا المجمع في رسالة، قام شيوخ ورسل المسيح في أورشليم بالتوقيع عليها، ثم بعثوا بها إلى جميع الكنائس. أنهت تلك

القرارات بشكل فعّال مقاومة الإنجيل باستثناء قلة عاندت الرسول بولس حتى مماته. حتى وإن عرف اليهودي نظرياً أن تناول لحم الخنزير ليس مشكلة على الإطلاق، فالنسبة له، كان الأمر صعباً جداً أن يجلس على مائدة ليتناول هذا الطعام مع من اعتادوا عليه، وذلك لأن فرائض ناموس العهد القديم كانت متغلغلة بعمق في قلبه، (غل ٢: ١١-١٣).

عهدان

أدرك رسل المسيح طبيعة ارتباط أسفار العهد القديم بالناموس ... ولهذا، ميّز الرسل بشكل منظم بين العهود المعلنة في أسفار العهد القديم وعهد المسيح، وتعاملوا مع ديانة العهد القديم على أنها عهد مختلف تماماً عنه. كان للرسول فكر لاهوتي بسيط وواضح عن العهدين. والنصوص الكتابية التي تشير إلى اتجاههم للتمييز بين بالعهدين مدونة أدناه، ويسهل على القارئ الرجوع إليها، وهي تتضمن أيضاً بعض الأفكار من الرسالة إلى العبرانيين والتي يمكن قراءة تحليل لها في موضع لاحق بهذا الفصل:

رومية (٧)

يحاول الرسول بولس في هذا الفصل إظهار نهاية الناموس، ولتحقيق ذلك استخدم الصورة المجازية عن الزواج. فبموت الرجل، أي الناموس تصبح زوجته حرة إن تزوجت من رجل آخر، فهي ليست حرة مادام زوجها حياً. ويقرر الرسول بولس انتهاء العلاقة التي تربط إنسان المسيح بالناموس: "إِذَا يَا إِخْوَتِي أَنْتُمْ أَيْضًا قَدْ مُتُّمْ لِلنَّامُوسِ بِجَسَدِ الْمَسِيحِ، لِكَيْ تَصِيرُوا لآخر، لِلَّذِي قَدْ أَقِيمَ مِنَ الْأَمْوَاتِ لِنُثْمَرِ اللَّهِ .. وَأَمَّا الْآنَ فَقَدْ تَحَرَّرْنَا مِنَ النَّامُوسِ، إِذْ مَاتَ الَّذِي كُنَّا مُمَسَكِينَ فِيهِ، حَتَّى نَعْبُدَ بِجَدَّةِ الرُّوحِ لَا بَعْتِقِ الْحَرْفِ"، (رو ٧: ٤-٦).^٥ لكن ما الذي يعنيه الرسول بولس بكلمة ناموس هنا؟ وفقاً لاستخدامه المعتاد لهذه اللفظة فهي تعني أسفار موسى الخمسة، أو العهد القديم، إلا أنه حدد معناها بحسب قرينة هذا النص لتشير إلى الوصايا العشر: "... فَإِنِّي لَمْ

^٥ -لم يقرر الرسول بولس موت الناموس كزوج، بل موت الزوجة، بجسد المسيح، فمتنا معه وقمنا معه، ومن ثم وُفّي حكم الموت الذي كان الناموس يطالبنا به، المترجم.

أَعْرِفِ الشَّهَوَةَ لَوْ لَمْ يَقُلِ النَّامُوسُ، لَا تَشْتَهَ"، (رو ٧: ٧؛ تث ٥: ٢١).

رومية (١٠)

في هذا الفصل يؤكد الرسول بولس أن اليهودي يواجه مشكلة صعبة إن عاش تحت الناموس، فهو مجبرٌ على الالتزام بحفظه تمامًا وإلا تعرّض للعنات كسر العهد. حاول الرسول بولس أن يكون بارًا عن طريق سلوكه الخاص، إلا أنه انتهى إلى الاعتقاد بأن الاتحاد بالمسيح والوجود فيه، يتيح للمرء الشركة في كل ما للمسيح. ومن ناحية أخرى، إن انتهى ناموس العهد القديم، لا يعود معيارًا للبر بعد. قد أتى الله بمعيار مختلف وأسمى يحدد لنا ما تعنيه لفظة "بار"؛ كان المسيح هو المعيار الإلهي للبر، كما أن الاقتداء به، أي كون المرء على صورته هو ناموس الروح: "...لأنَّ غَايَةَ النَّامُوسِ هِيَ، الْمَسِيحُ لِلْبَرِّ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ"، (رو ١٠: ٣-٤).

الرسالة إلى أهل كورنثوس، (٢كو ٣)

يقدم الرسول بولس مقابلة بين العهدين:

"العهد القديم"	"العهد الجديد"
• أَلَوَاحٍ حَجَرِيَّةٌ	• أَلَوَاحٍ قَلْبٍ لَحْمِيَّةٍ
• الْحَرْفُ يَقْتُلُ	• الرُّوحُ يُحْيِي
• خِدْمَةُ الْمَوْتِ	• خِدْمَةُ الرُّوحِ
• الزَّائِلُ	• الدَّائِمُ
• خِدْمَةُ الدَّيْنُونَةِ	• خِدْمَةُ الْبَرِّ
• الْبَرْقُوعُ بَاقٍ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْعَهْدِ الْعَتِيقِ	• نَاطِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهِ مَكْشُوفٍ
• أَذْهَانُ غَلِيظَةٌ	• نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا

يبدو أنه لا وجود لأرضية وسط بين العهدين، فثبات أحدهما يعني زوال الآخر، كما أن قيمة موسى كوسيط عهد قديم تتضاءل مقابل مجد المسيح، وسيط العهد الأفضل. إن صادق رسل المسيح على حفظ أي من الوصايا العشر المنتشرة بين سطور العهد القديم، لأصبح من الضروري حفظها، وليس لأنها وردت في العهد القديم بل لأن المسيح العهد الجديد صدّق عليها.

الرسالة إلي الغلاطيين (غل ٢)

".. نَعْلَمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، آمَنَّا نَحْنُ أَيْضًا بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، لِنَتَبَرَّرَ بِإِيمَانِ يَسُوعَ لَا بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ.."، (غل ٢: ١٥-١٦). في إطار ناموس العهد القديم، تعني لفظة "نتبرر" إيفاء المطالب. ولا يمكن لأحد أن يتبرر بحسب هذا المعيار فيما بعد، إن استطاع بالحق أن يتبرر، لأن هذا المعيار قد انتهى بعمل الصليب. أما معيارنا الجديد للتبرير فهو الاتحاد بالمسيح، أن يصبح المرء عضوًا في جسده الكنيسة، مقتنيًا الروح القدس، ومشاركًا المسيح في كل ما له.

الرسالة إلي الغلاطيين (غل ٣)

من أقوى براهين الرسول بولس على سمو إنجيل العهد الجديد مقابل ناموس العهد القديم، حقيقة أن المسيح هو "نسل إبراهيم": "وَالْكِتَابُ إِذْ سَبَقَ فَرَأَى أَنَّ اللَّهَ بِالْإِيمَانِ يُبَرِّرُ الْأُمَّمَ، سَبَقَ فَبَشَّرَ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ فِيكَ تَبَارَكَ جَمِيعُ الْأُمَمِ"، (غل ٣: ٨). ويذكرنا الرسول بولس بأن إبراهيم كان له أبناء كثيرون من زوجاته الثلاث، إلا أن الابن الوحيد الذي وُهب له بطريقة تفوق الطبيعة كان إسحاق: فهو ابن الموعد الذي فيه فقط انتقلت بركات العهد ومواعيده: "وَأَمَّا الْمَوَاعِيدُ فَقِيلَتْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ. لَا يَقُولُ، وَفِي الْأَنْسَالِ، كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ، بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ وَاحِدٍ، وَفِي نَسْلِكَ الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ"، (غل ٣: ١٦). ويقف المسيح حيث يقف إسحاق: تتدفق فيه بركات العهد. ولكي يكون المرء وارثًا للمواعيد، يجب أن يكون مولودًا من دم إسحاق. وهكذا أصبحت ولادة المرء من دم المسيح هي الأساس لنوال المواعيد. كان الأساس سابقًا هو

دم إسحق، أما الآن فنتنقل بركة العهد بدم المسيح. ويتلامس المرء مع هذا الدم عندما يعلن ولائه للمسيح كما فعل إبراهيم من قبل. وقد دخل إبراهيم العهد من أجل نفسه عندما آمن شخصيًا بالله، فحُسِبَ له ذلك الإيمان براءً. إن ما يريده الله من الإنسان هو الإيمان. ولا بد أن يتشبه جميع الناس بإبراهيم، فيؤمنون بالله أيضًا، في المسيح. يجب أن يؤمنوا أن المواعيد المقطوعة في المسيح صالحة مثل تلك المواعيد التي قطعها الله لإبراهيم. فليس من سبيل آخر. خاطر إبراهيم بكل شيء من أجل إيمانه بمجد الله، وعلى جميع الناس أن يؤمنوا شخصيًا بمواعيد الله التي قطعها في الجلجثة.

وفي بيانه القوي من جهة هذا الأمر، قطع الرسول بولس أي أمل في العودة إلى الناموس، وذلك عندما قال: "لَأَنْتُمْ جَمِيعًا أَبْنَاءُ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ. أَنْ كُلُّكُمْ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبَسْتُمْ الْمَسِيحَ، لَيْسَ يَهُودِيٍّ وَلَا يُونَانِيٍّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلَا حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لَأَنْتُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. فَإِنْ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ، فَأَنْتُمْ إِذَا نَسَلُ إِبْرَاهِيمَ، وَحَسَبَ الْمَوْعِدِ وَرَثَةٌ"، (غل ٣: ٢٦-٢٩).

في هذا النص، يواصل الرسول بولس حديث الرسول بطرس في مجمع أورشليم الثاني، ولكن بشكل معكوس. فقد أكد الرسول بطرس أن اليهود خلصوا عن طريق الإيمان بالمسيح بدون الناموس مثلما خلص الأمم! أما الرسول بولس فيقطع الطريق على كل من يفتخر بأنه مولود من إبراهيم بحسب الجسد عندما يقول "إِنْ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ، فَأَنْتُمْ إِذَا نَسَلُ إِبْرَاهِيمَ، وَحَسَبَ الْمَوْعِدِ وَرَثَةٌ"، (غل ٣: ٢٩). وما هو أكثر من ذلك، أعلن الرسول بولس أن اليهودي الذي ليس في المسيح ليس من شعب الله، (رو ٩: ٢٥)، أما الأممي الذي في المسيح فهو عضو في "جميع إسرائيل"، (رو ١١: ٢٦)، المرتبطين بعهد مع المنقذ الذي خرج من صهيون ليرد الفجور عن يعقوب ويترع خطاياهم، (رو ١١: ٢٦-٢٧). ولا يمكن أن يحدث ذلك بدون دم إسحق الثاني.

الرسالة إلي الغلاطيين (غل ٤)

بحسب النص الوارد في (غل ٤ : ٢١-٣١)، كان لإبراهيم ابنان: الأكبر هو إسماعيل ابن هاجر الجارية، والأصغر هو إسحاق ابن الموعد الذي ولدته سارة الحرة. وبطريقة مجازية يربط الرسول بولس بين العهدين الإبراهيمي والموسوي، مؤكِّدًا أن الأخير قد أضيف إلي الأول إلي أن يأتي النسل الموعد بالميراث. وتمثل هاجر وابنها العهد الموسوي القديم، مدينةً وشعبًا، أما سارة وابنها فكانت تمثل العهد الجديد بمدينته الجديدة، أورشليم العليا، فأورشليم اسم آخر مرادف للكنيسة، (عب ١٢ : ٢٣). ويذكرنا التعبير "اطرد الجارية وابنها"، بفم الرسول بولس بصدى ما قاله المسيح عن بني الملكوت الذي يُطرحون خارجًا، (مت ٨ : ١٣-١٤ ؛ ٢١ : ٣٣-٤٤). ويمثل ابن الجارية كل الذين يريدون الحياة تحت ناموس العهد القديم، لكنه يضطهد ابن الحرة الذي يشير إلي كل مؤمني العهد الجديد الذين خلصوا بالإيمان بدون أعمال الناموس سواء من اليهود أو الأمم، (غل ٤ : ٢٩). ولذا فالمعنى الحقيقي الذي قصده الرسول بولس واضح ويمكننا التعبير عنه بالقول: "اطردوا يا أهل غلاطية أي محاولة للسلام مع الله اعتمادًا على الحياة بناموس العهد القديم. وفي كنيستكم، أورشليم العليا التي يملك عليها داود الجديد، لا تسمحوا بأن يوجد بينكم المستعبدون تحت ناموس العهد القديم المولودون بالجسد نظير إسماعيل". بالنسبة للرسول بولس لم تكن هناك أي إمكانية لتعايش العهدين معًا جنبًا إلي جنب عبر التاريخ: أحدهما لليهود بحسب الجسد، والآخر للمسيحيين مؤمني العهد الجديد. كان هناك عهدان، إلا أن أحدهما حل محل الآخر، "فلنطرد الجارية وابنها".

الرسالة إلي أهل أفسس (أف ٢)

عالج الرسول بولس نفس المشكلة في الرسالة إلي أهل أفسس. فقد عاش على الأرض نوعان من البشر: اليهود والأمم، فصلهما ناموس العهد القديم محدثًا عداوة بينهما، (أف ٢ : ١٥). إلا أن الله في المسيح أباد هذه العداوة مبطلًا في جسد ابنه فرائض الناموس، وخالقًا بشرية جديدة محررة من الناموس من الذين كانوا أعداءً من قبل، (أف ٢ : ١٤-١٨).

بعد أن انتهى العهد القديم، الذي كان الرسول بولس يشير إليه عادة بلفظة "الناموس"، أصبح هناك شعب جديد لله، ورابطة جديدة، وبيت جديد يجمع كل البشر على حد سواء، فلم يعد للناموس وجود بعد، فقد انتهى، وما على المؤمنين من الختان أو الأمم إلا أن يجاهروا بالنعمة، فهم ليسوا "... بَعْدُ غُرَبَاءَ وَنُزُلًا، بَلْ رَعِيَّةٌ مَعَ الْقَدِيسِينَ وَأَهْلِ بَيْتِ اللَّهِ، مَبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَّائِيَةِ"، (أف ٢: ١٩-٢٠).

كان للرسول سلطان على تحديد شكل العلاقة بين العهدين: القديم والجديد بنفس الطريقة التي تعلموها من المسيح. وتعكس النصوص الكتابية المختارة اتجاههم الفكري. وبحسب فكرهم، ينتهي العهد القديم بينما يستمر شعب الله في المسيح، ليستمر معه تاريخ الفداء، ورجوع البشر إلى الله؛ فتاريخ عهد الله متواصل بدون انقطاع. إنه أمر أساسي أن نسمح للرسول بأن يعلنوا لنا ما هو المستمر وما الذي انتهى، لأن ما أقروه من أمور متعلقة بالعهد يمثل معيارًا ثابتًا لكل المؤمنين عبر كل العصور

الرسالة إلى العبرانيين، (عب ٧)

دبر ناموس موسى كهنوتًا لشعب العهد القديم باختيار سبط بني لاوي، وبالأخص بيت هارون وبنيه. وفيما يتعلق بفرائض الناموس، وتعليمه للشعب، كان اللاويون بمثابة الإداريين المعنيين بهذه الأمور. ولم يشر ناموس العهد السابق إلى أي كهنوت آخر، فالكهنة اللاويون من بني هارون يمثلون الكهنوت الشرعي. إلا أن كاتب الرسالة إلى العبرانيين وبحسب النبوة الكتابية، يقرر أن المسيح كاهن إلى الأبد وعلى رتبة ملكي صادق، (عب ٧: ١٧؛ مز ١١٠: ٤). وبحسب الناموس هو كهنوت غير شرعي إذ لم يكن المسيح من سبط لاوي بل من يهوذا الذي لم يتكلم عنه موسى بشيء من جهة الكهنوت، (عب ٧: ١٤). ومن المؤكد أن العبرانيين ناقشوا هذا الأمر: هل يمكن للمرء أن يتمسك بالكهنوت اللاوي، أم بكهنوت آخر غير شرعي؟! كان الاختيار المطروح أمام المسيحيين العبرانيين هو: العهد القديم بكهنوته الهاروني أو العهد

الجديد بكهنته الملوكي: إما الناموس أو المسيح. لكن الكاتب يؤكد انتهاء العهد القديم ليقينه من سمو كهنوت المسيح على كهنوت هارون: "لأنَّه إِنْ تَغَيَّرَ الْكَهَنُوتُ، فَبِالضَّرُورَةِ يَصِيرُ تَغَيُّرٌ لِلنَّامُوسِ أَيْضًا"، (عب ٧: ١٢).

سجد إبراهيم للملكي صادق، ودفع له العشور: وهكذا فعل لاوي وبنو هارون إذ كانا بعد في صلب أبيهما إبراهيم، وهو الأمر الذي يعني سمو ملكي صادق على إبراهيم، ولاوي، وهارون، فإن كان المسيح كاهناً إلى الأبد على رتبة ملكي صادق، فهو يسمو على إسرائيل ويتفوق على كهنته. ومثلما سجد إبراهيم ودفع العشور للملكي صادق، هكذا، على بنيه أن يسجدوا للمسيح مقدمين له ما يتوجب عليهم من خضوع وولاء، (عب ٧: ١-١٠).

لأي مدى انتهى العهد القديم؟

استخدم الرسول بولس ومعه باقي الرسل أسفار العهد القديم ليرهنوا على ربوبية المسيح. كما أن الكُتُبَ الْمُقَدَّسَةَ، قَادِرَةٌ عَلَى أَنْ تَقُودَ الْإِنْسَانَ .. لِلتَّخْلَاصِ، بِالْإِيمَانِ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ .."، (٢ تي ٣: ١٥). وفي الكلام عن انتهاء الناموس أو انتهاء العهد القديم يجب أن نميز بين التعبيرين: "العهد القديم"، و"أسفار العهد القديم"، فالعلاقة التي تربطهما معاً يجب أن نتمسك بها وفقاً لما حدده لنا الرسل. وبإيجاز يمكن القول بأن مبادئ العلاقات العهدية مع الله لا تتغير بتغير العهد: فالأمانة للعهد لا تتغير، حتى وإن تغيرت التزاماته. وبالمثل دعم شريك العهد، حتى وإن تغير مضمون هذا الدعم بتغير العهد.

وبحسب الفكر الرسولي، دخل ناموس العهد التاريخ مثلما دخله المسيح، ولأنه ناموس إلهي صار التاريخ إلهياً. ويمدنا هذا التاريخ بخلفية تساعدنا على فهم معاملات الله مع الشعوب في الماضي. ومع ذلك فإن لم يجعل الرسل أيّاً من وصايا هذا الناموس ملزماً على إسرائيل الجديد، الكنيسة، فإنها تكون ملزمة فقط على إسرائيل القديم. ويبدو أن فهم الأمر بهذه الطريقة حقيقي، ويتضح أكثر بما ورد في عظة لآشلي جونسون: "لا يمكن للناموس الذي نادى الرسل بأنه قد انتهى أن يكون ببساطة الناموس الطقسي، أو فرائض

إسرائيل، أو حتى الوصايا العشر، لأن الرسول بولس يقول إن الإنسان المُخْتَنِ مُلتَزِمٌ أَنْ يَعْمَلَ بِكُلِّ النَّامُوسِ. ويتعبّر آخر، يعنى أنه ملتزم بكل شعائر الناموس الطقسي، والوصايا العشر، وباقي الفرائض والأحكام التي لا مهرب منها، فالعمل بالناموس يعنى الالتزام به كله: كل نقطة، كل كلمة، كل عبارة، كل جملة، كل وصية. ومنذ يوم الخمسين، قبل الرسل أن العهد القديم ليس جزءاً من الجديد، فهل يمكننا أن نجد رجلاً له سلطان كسلطان الرسول بطرس، الذي منحه الرب مفاتيح الملكوت، أو رجلاً له سلطان كسلطان الرسول بولس، آخر من رأي وسمع المسيح^(٦).

ويتضح من دراسة العهد القديم ذاتها أنه لا يحوي في داخله أنواعاً مختلفة من النواميس. للحضارات الغربية مجموعات ضخمة من القوانين التشريعية المقسمة، لتيسير الاستخدام: قانون إداري، وقضائي، وعقاري، وجنائي وغيره. ويصبح خطأنا فادحاً إن طبقنا الطريقة الغربية في التقسيم على الناموس العبري الذي يجب فهمه أولاً بالشكل الذي أعطي به للشعب، وبالشكل الذي فهمه الرسل عن الناموس من شخص المسيح نفسه. لأن تقسيم ناموس العهد القديم إلى ناموس طقسي، وأخلاقي، وقضائي، وإداري، هو تقسيم مفروض على النص، ولا يعكس فكر الأنبياء أو الرسل. كما يسمح للدارسين بانتقاء واختيار عناصر محددة في الناموس من أجل فرضها على الآخرين، فيعلنون أن هذه القائمة من الوصايا تشير إلى الناموس الأدبي، أما تلك فتشير إلى الناموس الطقسي، إلا أن تقسيمهم غير آمن إذ يفرض على النص ما ليس فيه. إن الأخذ بهذا النظام الجديد في التقسيم يقودنا إلى نتائج ومعان لم تكن مألوفة في زمن الرسل، أو ينتهي بنا للتأكيد على أمور لم يقررها العهد الجديد.

ضعف العهد القديم

اعتماداً على سلطان رب العهد، أعلن رسل المسيح نهاية ناموس العهد القديم. وبرغم أهدافه الصالحة، سادت عليه الكثير من نقاط الضعف التي تمنعه من أن يكون ناموساً عاماً لكل البشر:

6- Ashley Johnson, *Sermons on the Two Covenants*, Delight, Arkansas: Gospel Light. 1899 (reprinted), P. 118.

١ - اهتمامه بالإنسان خارجياً

وثمة نصوص كتابية كثيرة تشير إلى أن وصايا الناموس: "... مَوْضُوعَةٌ إِلَى وَقْتِ الإِصْلَاحِ"، (عب ٩: ٩-١٠). قال الرسول بولس لأهل كولوسي: "... لَا يَحْكُمُ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ فِي أَكْلٍ أَوْ شَرْبٍ، أَوْ مِنْ جِهَةِ عِيدٍ أَوْ هِلَالٍ أَوْ سَبْتٍ، الَّتِي هِيَ ظِلُّ الْأُمُورِ الْعَتِيدَةِ، وَأَمَّا الْجَسَدُ فَلِلْمَسِيحِ .."، (كو ٢: ١٦-١٨). انشغل الناموس بالإنسان من الخارج، أما المسيح فقد ركز على الداخل عندما قال: "لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ خَارِجِ الْإِنْسَانِ إِذَا دَخَلَ فِيهِ يَقْدِرُ أَنْ يُنَجِّسَهُ، لَكِنَّ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْهُ .. لِأَنَّهُ مِنَ الدَّاخِلِ، مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ، تَخْرُجُ الْأَفْكَارُ الشَّرِيرَةُ .."، (مر ٧: ١٤-٢٣).

٢ - مملوء باللعنات والموت

"لَأَنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَعْمَالِ النَّامُوسِ هُمْ تَحْتَ لَعْنَةٍ، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ، مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لَا يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ"، (غل ٣: ١٠). "الَّذِي جَعَلَنَا كُفَاءً لِأَن نَكُونَ خُدَامَ عَهْدٍ جَدِيدٍ. لَا الْحَرْفِ بَلِ الرُّوحِ. لِأَنَّ الْحَرْفَ يَقْتُلُ وَلَكِنَّ الرُّوحَ يُحْيِي"، (٢ كو ٣: ٦).

٣ - يخلو من المسيح

ويؤكد الرسول بولس هذا الأمر في رسالته لأهل غلاطية: "وَلَكِنْ قَبْلَمَا جَاءَ الْإِيمَانُ كُنَّا مَحْرُوسِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، مُغْلَقًا عَلَيْنَا إِلَى الْإِيمَانِ الْعَتِيدِ أَنْ يُعْلَنَ"، (غل ٣: ٢٣). أما المسيح فهو مركز العهد الجديد، إذ قال عن نفسه إنه الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. وَلَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الْآبِ إِلَّا بِهِ، (يو ١٤: ٦). والكلمات الثلاث التي استعملها المسيح تستمد معناها من العهد القديم، فالناموس الذي كان قبلاً طريقاً أصبح الآن شخصاً. والحق الذي يعنى قديماً السلوك بحسب الناموس، يعنى الآن الالتزام بناموس المسيح، فهو المصدر الوحيد للحياة التي كانت تتمثل في حفظ الناموس من قبل، (تث ٣٠: ٢٠).

٤- علّم الخطايا التي منعها

"فإنني لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس، لا تشته"، (رو ٧: ٧). يميل الإنسان أن يكون بحسب ما يفكر فيه عقله: "لأنه كما شعر في نفسه هكذا هو.."، (أم ٢٣: ٧؛ مت ١٢: ٣٤). وعندما يفكر المرء في الخطايا المدونة في الناموس، يمتلأ ذهنه بالأفكار الشريرة. لكن بعد أن جاءنا المثال العظيم، وصاغ لنا شكل الحياة الكاملة، فكلما فكر فيه الناس أكثر كلما تشبهوا به أكثر، (٢ كو ٣: ١٨).

٥- يخلو من الروح القدس

تنبأ يوشع النبي عن انسكاب للروح القدس في الأيام الأخيرة على كل بشر، (يو ٢٨: ٢٩). وقد سأل الرسول بولس موبخاً أهل غلاطية: "أيها الغلاطيون الأغبياء.. أريد أن أتعلم منكم هذا فقط: أباعمال الناموس أخذتم الروح أم بخبر الإيمان؟"، (غل ٣: ١-٢). في العهد السابق حل الروح القدس على عدد قليل من الناس، خاصة الملوك والأنبياء، ليتمكنهم من القيام بأمور عظيمة من أجل شعب الله. أما الآن في عهد المسيح، يسكن الروح القدس في قلب كل متعاهد، حتى أن الرسول بولس أطلق على العهد الجديد اسم عهد الروح، (٢ كو ٣: ٦). وربما تختلف إظهارات الروح من شخص لآخر، (١ كو ١٢: ٧)، إلا أن كل واحد اعتمد في المسيح (أع ٢: ٣٨)، قبل الروح القدس، (١ كو ١٢: ١٣). ويمكن الروح القدس الجميع لخدمة الكنيسة كما خدم الأنبياء إسرائيل، (١ كو ١٤: ٤-٥). إن أفضل خدمة في الكنيسة هي السلوك بحسب مثال المسيح، فالؤمن الأكثر اقتداءً وتشبهًا به، هو الذي يحب، ويخدم، ويظهر الروح في أسمى طرقه، (١ كو ١٣: ١).

٦- يخلو من وسيط حي

يذكر كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن "..لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات، يسوع ابن الله، فلنتمسك بالإقرار"، (عب ٤: ١٤-١٦). وفي الإصحاح السابع من نفس الرسالة، يضيف قائلاً: "على قدر ذلك قد صار

يَسُوعُ ضَامِنًا لِعَهْدٍ أَفْضَلَ"، بحكم ما له من كَهَنُوتٍ لَا يَزُولُ، ولذا " .. يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضًا إِلَى التَّمَامِ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ"، (عب ٧: ٢٢-٢٥).

٧- لا يرفع الخطية

لا يرفع العهد القديم الخطية. الأمر الذي يقتصر على العهد الجديد وفقاً لما قاله إرميا النبي عن فم الرب: " .. أَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا .. وَأَكُونُ لَهُمْ إِلَهاً وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا .. لِأَنِّي أَصْفَحُ عَنْ إِثْمِهِمْ، وَلَا أَذْكُرُ خَطِيئَتَهُمْ بَعْدَ"، (إر ٣١: ٣١-٣٤). لقد منح العهد الأول تكفيراً عن الخطايا بطريقة أَلْقَتْ بظلالها على الغفران التام في العهد الجديد. كان التكفير بدم الثيران والطيوس سنوياً، لذا لم يكن الغفران تاماً، إذ قدّم الناس تلك الذبائح كل سنة. لم يفعل طقس الكفارة بحسب العهد القديم شيئاً سوى إزاحة الخطايا للأمام لتتراكم عاماً بعد عام، حتى رفعها المسيح حمل الله الكامل. ويؤكد كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن دم الثيران والطيوس لا يَرْفَعُ الخطايا، ويردد لنا ما يقوله المسيح عن دخوله إلى العالم: "ذَبِيحَةٌ وَقُرْبَانًا لَمْ تُرَدْ، وَلَكِنْ هَيَأَتْ لِي جَسَدًا .. ذَبَائِحَ لِلْخَطِيئَةِ لَمْ تُرَدْ .. الَّتِي تُقَدَّمُ حَسَبَ النَّامُوسِ .. هَانَذَا أَجِيءُ لِأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا اللَّهُ. يَنْزِعُ الْأَوَّلَ لِكَيْ يُثَبَّتَ الثَّانِي. فِيهِذِهِ الْمَشِيئَةِ نَحْنُ مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً"، (عب ١٠: ٤-١٠؛ مز ٤: ٦-٨).

لم تكن الذبائح من الثيران والطيوس إلا ظلاً للذبيحة الحقيقية العتيدة. لقد زودت العبرانيين بمفهوم أساسي عن الذبيحة. وتأتي اللفظة "مشيئتكَ"، في اللغة اليونانية "θέλημα"، من الجذر، "θίλω"، الذي يعني "مشيئة"، إرادة، نية، قصد". وقد استُخدمت لفظة مشيئة في هذا النص كمرادف للفظه دياثيكيه، *Diatheke*، التي تعني عهداً. من أجل هذا السبب فإن الألفاظ: "عهد، *Testament*، وعهد، *Covenant*، ومشيئة، *Will*، يمكن استخدامها بالتبادل. على أي حال، لم يمنح العهد السابق، *the former will*، غفراناً كاملاً، في حين حقق الثاني غفراناً تاماً ومطلقاً للخطية.

٨- لا يمنح برًا

يقول الرسول بولس في رسالته إلي أهل غلاطية: "لَسْتُ أُبْطِلُ نِعْمَةَ اللَّهِ. لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِالنَّامُوسِ بَرٌّ، فَالْمَسِيحُ إِذَا مَاتَ بِلَا سَبَبٍ!"، (غل ٢: ٢١)، ويضيف: "... لِأَنَّهُ لَوْ أُعْطِيَ نَامُوسٌ قَادِرٌ أَنْ يُحْيِيَ، لَكَانَ بِالْحَقِيقَةِ الْبَرُّ بِالنَّامُوسِ"، (غل ٣: ٢١). يناقش الرسول بولس "البر، *Righteousness*"، أو "التبرير، *Justification*"، بطريقتين، إلا أن الكلمتين واحد في اللغة العبرية: "צדקה، *sedeqa*"، ولهما نفس المعنى أيضًا في اليونانية والإنجليزية. كان البر في العهد القديم ممكنًا بحفظ الناموس، (تث ٦: ٢٥). ولكن ما من أحد استطاع أن يتمتع بالبر الكامل في ظل الناموس، إذ كسره الجميع، فمن يخطئ في وصية واحدة منه يصير مجرمًا في الكل: فلم يكن هناك بار أو مبرّر تحت الناموس.

استخدم الرسول بولس نفس المصطلح في العهد الجديد ليشير إلى المعيار الجديد للبر: السلوك بحسب مثال المسيح، (في ٣: ٧-١٣). كما عرّف الرسول يوحنا البر على أنه سلوك واتجاه الإنسان في الاقتداء به: "أَيُّهَا الْأَوْلَادُ، لَا يُضِلُّكُمْ أَحَدٌ، مَنْ يَفْعَلُ الْبِرَّ فَهُوَ بَارٌّ، كَمَا أَنَّ ذَاكَ بَارٌّ"، (١ يو ٣: ٧). عندما يستخدم المرء معيار المسيح ليسلك بموجبه فهو مبرّر، فالفعل أو السلوك كثمرة شركة هو فعل بار، ومبرّر أيضًا.

استخدم الرسول بولس المصطلح بمعنى سري، وعهدي، فعندما يتحد المرء بالمسيح، يشاركه طبيعته، ويكون فيه. وحين ينظر الله إلي الرسول بولس، يرى فقط المسيح، فيكون مبررًا بالإيمان فيه. ولا نعى بالإيمان السري، إيمانًا بعيدًا عن جسد المسيح، أو خلواً من الطاعة له، بل نقصد به إيمانًا عهديًا في المسيح. وقد قبلَ الله كطرف عهد أن يرى المسيح عندما ينظر إلي أي شخص فيه، ولذا استطاع الرسول بولس أن يقول إنه مبرر فقط بدم المسيح؛ وإنه مبرر بالكامل؛ لأنه يشارك المسيح كماله. وفي الكنيسة فقط، التي هي جسد المسيح، يمكن للمرء أن يشارك ملء الذي يملأ الكل في الكل، (أف ١: ٢٣). ونحن لا نكاد نجد فرقًا بين استخدام الرسولين بولس أو يوحنا لمفهوم البر، فبدون بر المسيح يكون تبرير الإنسان مستحيلًا. لأن الإنسان يكون بارًا إن

كان مغفور الخطايا: " .. هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفِكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا"، (مت ٢٦ : ٢٩)؛ " .. هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ"، (يو ١ : ٢٩).

ودم المسيح المبرر كان متاحاً للمؤمنين العهد القديم، لأن المسيح كان ذبيحته النهائية؛ فالذين قدموا ذبائحهم بإيمان صالح تحت الناموس، أو الآباء الذين ساروا مع الله بحسب النور الذي أعلن لهم قبل الناموس، يتمتعون الآن بالغفران التام، بناءً على تلك الذبيحة: "وَلَأَجْلِ هَذَا هُوَ وَسِيطُ عَهْدٍ جَدِيدٍ، لِكَيْ يَكُونَ الْمَدْعُوْنَ، إِذْ صَارَ مَوْتُ لِفِدَاءِ التَّعْدِيَّاتِ الَّتِي فِي الْعَهْدِ الْأَوَّلِ، يَنَالُونَ وَعَدَ الْمِيرَاثِ الْأَبَدِيِّ"، (عب ٩ : ١٥).

٩- لا يمنح الحياة الأبدية

قال المسيح: "فَتَشُوا الْكُتُبَ لِأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً. وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي. وَلَا تُرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ لِتَكُونَ لَكُمْ حَيَاةٌ"، (يو ٥ : ٣٩-٤٠). كان آدم الأول مثلاً، *type*، للمسيح، ولكن بخلاف آدم الذي بخطيته وعصيانته جلب الموت، جلبت طاعة آدم الأخير الحياة لجميع البشر، "لأنه كما فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ، هَكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيَحْيَا الْجَمِيعُ"، (١ كو ١٥ : ٢٢؛ مع في ٢ : ٨). جميع البشر خالدون، ولكن لن يخلد جميعهم مع الله إذ سيتم استبعاد بعض منهم بعد دينونة اليوم الأخير، فلن يدخل السماء الجديدة شيء " .. دَنَسٌ وَلَا مَا يَصْنَعُ رَجِسًا وَكَذِبًا، إِلَّا الْمَكْتُوبِينَ فِي سِفْرِ حَيَاةِ الْخُرُوفِ"، (رؤ ٢١ : ٢٧).

خلاصة موجزة

كانت وجهة نظر رسل المسيح عن ناموس موسى تحديداً سلبية، ومع ذلك ارتبط ذلك الناموس بطريقة جوهرية برسالة المسيح، فالإطار المرجعي الشامل للعهد القديم كان مقبولاً لدى الرسل. ولكنهم لم يعتبروا الشروط المحددة للعهد الموسوي شروطاً ملزمة على المؤمن في المسيح. فكان هناك مطلب صريح وأحياناً عدائي وغير متوقع للفصل بين العهدين. ويمكننا تلخيص

العبارات والمصطلحات السلبية التي استخدمها رسل العهد الجديد في التعبير عن وجهة نظرهم في العهد القديم:

• " .. حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ "	(مت ٥ : ١٨)
• " وَأَمَّا بَنُو الْمَلَكُوتِ فَيَطْرَحُونَ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ .. "	(مت ٨ : ١٢)
• " .. ابْنِي الْحَبِيبِ .. لَهُ اسْمَعُوا .. وَلَمْ يَرَوْا أَحَدًا إِلَّا يَسُوعَ وَحْدَهُ "	(مت ١٧ : ٥ - ٨)
• " .. إِنْ مَلَكَوتَ اللَّهِ يَنْزِعُ مِنْكُمْ وَيُعْطِي لَأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ "	(مت ٢١ : ٤٢)
• " كَانَ النَّامُوسُ وَالْأَنْبِيَاءُ إِلَى يَوْحَنَّا .. "	(لو ١٦ : ١٦)
• " .. نِيرٍ عَلَى عُنُقٍ .. "	(أع ١٥ : ١٠)
• " .. لَمْ يَسْتَطِعْ آبَاؤُنَا وَلَا نَحْنُ أَنْ نَحْمِلَهُ .. "	(أع ١٥ : ١٠)
• " .. قَدْ مَتَّمِ النَّامُوسُ بِجَسَدِ الْمَسِيحِ .. "	(رو ٧ : ٤)
• " .. أَعْتَقَنِي مِنْ نَامُوسِ الْخَطِيئَةِ وَالْمَوْتِ "	(رو ٨ : ١ - ٢)
• " لِأَنَّ غَايَةَ، end، النَّامُوسِ هِيَ: الْمَسِيحُ لِلْبَرِّ "	(رو ١٠ : ٤)
• " .. قَدْ قُطِعَ بَعْضُ الْأَعْصَانِ .. "	(رو ١١ : ١٧)
• " .. خِدْمَةُ الْمَوْتِ .. خِدْمَةُ الدَّيْنُونَةِ .. إِنْ كَانَ الزَّائِلُ فِي مَجْدٍ "	(كو ٣ : ٧ - ١١)
• " .. لَعْنَةُ النَّامُوسِ .. "	(غل ٣ : ١٣)
• " .. الْأَرْكَانِ الضَّعِيفَةِ الْفَقِيرَةِ .. "	(غل ٤ : ٩)
• " .. الْوَارِثُ قَاصِرًا لَا يَفْرُقُ شَيْئًا عَنِ الْعَبْدِ .. "	(غل ٤ : ١)
• " .. اطْرُدِ الْحَارِيَّةَ وَابْنَهَا .. "	(غل ٤ : ٣٠)
• " .. بِنِيرِ عُبُودِيَّةٍ .. "	(غل ٥ : ١ - ٣)
• " .. تَبَطَّلْتُمْ عَنِ الْمَسِيحِ أَيُّهَا الَّذِينَ تَتَبَرَّرُونَ بِالنَّامُوسِ .. "	(غل ٥ : ٤)
• " .. أَيُّهَا الَّذِينَ تَتَبَرَّرُونَ بِالنَّامُوسِ سَقَطْتُمْ مِنَ النِّعْمَةِ "	(غل ٥ : ٤)

".. حَائِطَ السِّيَاحِ الْمُتَوَسِّطَ .."	(أف: ٢: ١٤)
"أَيِ الْعِدَاوَةِ .."	(أف: ٢: ١٥)
"إِذْ مَحَا الصَّلَاةَ الَّتِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّتِي كَانَتْ ضِدًّا لَنَا .."	(كو: ٢: ١٤)
".. لَيْسَ بِقِيَمَةٍ مِمَّا مِنْ جِهَةِ إِشْبَاعِ الْبَشَرِيَّةِ"	(كو: ٢: ٢٣)
".. النَّامُوسُ لَمْ يُوضَعَ لِلنَّارِ، بَلْ لِلْأَثَمَةِ .."	(١ تي: ١: ٩)
".. الْأَصْغَرُ .."	(عب: ٧: ٧)
" فَبِالضَّرُورَةِ يَصِيرُ تَغْيِيرٌ لِلنَّامُوسِ .."	(عب: ٧: ١٢)
".. يَصِيرُ إِبْطَالُ الْوَصِيَّةِ السَّابِقَةِ مِنْ أَجْلِ ضَعْفِهَا وَعَدَمِ نَفْعِهَا"	(عب: ٧: ١٨)
".. النَّامُوسُ لَمْ يُكْمَلْ شَيْئًا .."	(عب: ٧: ١٩)
".. لَوْ كَانَتْ ذَلِكَ الْأَوَّلُ بِلاَ عَيْبٍ لَمَّا طُلِبَ مَوْضِعُ لِنَانٍ"	(عب: ٨: ٧)
"فَإِذْ قَالَ جَدِيدًا عَتَقَ الْأَوَّلَ .. فَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْاضْمِحْلَالِ"	(عب: ٨: ١٣)
".. مَوْضُوعَةٍ إِلَى وَقْتِ الْإِصْلَاحِ"	(عب: ٩: ١٠)
".. الْمَصْنُوعُ بِيَدٍ .. مِنْ هَذِهِ الْخَلِيقَةِ"	(عب: ٩: ١١)
".. يُقَدَّسُ إِلَى طَهَارَةِ الْجَسَدِ"	(عب: ٩: ١٣)
".. لَا يُمَكِّنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتَيْوُسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا"	(عب: ١٠: ٤)
"يَنْزِعُ الْأَوَّلَ لِكَيْ يُثَبَّتَ الثَّانِي"	(عب: ١٠: ٩)
".. حَيْثُ تَكُونُ مَغْفِرَةٌ .. لَا يَكُونُ بَعْدَ قُرْبَانٍ عَنِ الْخَطِيئَةِ"	(١٠: ١٨)

الظل والحقيقة

عَلَّمَ اللهُ بِطَرَقٍ كَثِيرَةٍ، (عب: ١: ١): بالإعلان المباشر، (إش: ٥٥: ٣)، بالقدوة، (١ كو: ١١: ١)، وبالمثال، *type*، (١ كو: ١٠: ٦). وتأتي لفظة "مثال" في اليونانية، "τύπος"، وتعني أثر مسمار، (يو: ٢٠: ٢٥)، أو نموذج لشيء حقيقي، (أع: ٧: ٤٤)، أو قالب، أو شكل، أو صورة، (رو: ٦: ١٧)، أو صورة

مأخوذة عن تصميم أصلي، كصورة حروف الطباعة على الورق. وهناك تواز بين المثال والممثل به بطريقة لها مغزاها. يمكن لبعض العناصر في المثال أن تتكرر أو تتحقق في الممثل به لاحقاً. وهناك أنواع كثيرة من المثل، *Types*، والتي عادة ما يحددها الكاتب عند الاستخدام، فأدم مثال للآتي، (رو ٥: ١٤)، والناموس له ظل الخيرات العتيدة، (عب ١٠: ١)، والأمور التي أصابت الشعب العبري كانت مثلاً، (١ كو ١٠: ٦)، على أن اللفظة هنا تأتي في الاستعمال الظرفي، *Adverbial form*. وعلى نفس المنوال: كان موسى مثلاً للمسيح النبي الآتي، (تث ١٨: ١٨)، وملكي صادق الكاهن، (مز ١١٠: ٤)، والملك داود، (إش ٩: ٦-٧)، كما أن مياه نوح مثال للمعمودية، (١ بط ٣: ٢١).

ثمة نوع آخر للتيبولوجية، *Typology*، يتضمن انتقال الأسماء، إذ ينطبق الاسم السابق على الممثل به مباشرة دون الإشارة للمعنى، أي لا يتم تحديد أوجه التشابه بشكل موسّع بين المثال والممثل به. دُعي المسيا "داود"، (حز ٣٤: ٢٤)، و"فصحنا" أيضاً، (١ كو ٥: ٧)، و"الباكورة"، (١ كو ١٥: ٢٣). ودُعيت الكنيسة "إسرائيل"، (غل ٦: ١٦)، و"أورشليم العليا" أيضاً، (غل ٤: ٢٦). واستُخدم الختان ليعني بتر الحياة الخاطئة غير المقدسة، (رو ٢: ٢٨-٢٩)، كما دُعي موت المسيح على الصليب باسم "ختان المسيح"، (١ كو ٢: ١١).

كان إبراهيم مثلاً لرجال الإيمان، (عب ١٣: ٧-٩؛ رو ٤: ١٤-١٦)، وكان إسحاق مثلاً مسبقاً لكل من يولد نتيجة للوعد، (تك ١٧: ١٦-١٩؛ غل ٤: ٢٨)، فكل المؤمنين المسيحيين مواليد وعد الله المقطوع لإبراهيم في المسيح. كانت مدن الملجأ للقاتل بغير عمد، مثلاً للمسيح كملاذ للهاريين من سخط دينونة الخطية، (عد ٣٥: ٩-٣٤؛ عب ٦: ١٨-٢٠). ورأينا في هذا الفصل أن إسرائيل كان مثلاً للمسيح، (هو ١١: ١؛ مت ٢: ١٥). .. إن فكرة تحقيق خروج جديد ومحدد في المسيح يسوع تظهر كفكرة أساسية لدى أغلب كتّاب العهد الجديد. ويبدو واضحاً أن المسيح أعلن إرساليته في إطار خروجه الجديد^(٧).

ويبدو أن هناك أمثلة أخرى للنبوات كُمُثل للمسيح لم يتم تحديدها في العهد الجديد. ومع أنه أمر شيق أن تكتشف الكثير من المثل أثناء دراستك الخاصة للكتاب، لكن ليس من الحكمة أن نذهب لما هو أبعد مما كتبه وحدده الرسل من مُثل، *Types*. وتمثل خطورة هذا الأمر في استخدام مُثل، *Types*، مزعومة من أجل "تدعيم أفكار لاهوتية بطريقة لم يعرفها أو يصدق عليها الرسل. ولا يعني هذا القول بأن الرسل قد حددوا في العهد الجديد كل أنواع المثل، *Types*. إلا أن تاريخ تفسير الكتاب مليء بالانتقاء غير المنطقي لموضوعات من العهد القديم لتوضيح معان العهد الجديد. هذه الطريقة التفسيرية خاطئة. أيضًا، حدد الرسل الممثل به، *Antitype*، لكل مثال، *Type*، شعروا بأنه مفيد ومناسب. ولذا، يصبح العهد الجديد هو الحكم الفاصل الذي يقرر ما هو معنى القديم، وليس العكس، فلا يجب تحديد مُثل ممكنة أو محتملة بالعهد القديم بعيداً عما حدده الرسل. ولكي يكون للمرء لاهوت كتابي جيد، عليه أن يبدأ دائماً بالعهد الجديد. يجب البحث أولاً على الممثل به، *Antitype*، قبل البحث عن المثال، *Type*. لأن أي إجراء آخر، سيضع دارس الكتاب في نفس مأزق الدارس اليهودي قبل ميلاد المسيح: كان اليهودي يتوقع شيئاً بعيداً كل البعد عما قصده الله. وبتعبير آخر، إن أردنا وصف الشجرة بدقة لا يجب أن ننظر إلى ظلها. وعندما نخيم ظل العهد القديم على المتجول في أسفاره، لا يظن أنه المسيح، إذ عليه أن ينتظر حتى يرى الشجرة التي أَلقت هذا الظل والتي حددها الرسل فقط بحكم سلطاتهم الرسولي. ونحن مطالبون بأن نعلم ما سبق وحدد الرسل أنه الحق الذي أَلقي بظله في العهد القديم. لسنا مجبرين على تعليم مُثل، *Types*، اعتماداً على تخميناتنا الذاتية، فكم من المصائب أضرت بوحدة الكنيسة بسبب تفسير العهد الجديد بواسطة العهد القديم. إن أسفار العهد الجديد تفسّر أسفار العهد القديم. وقد أعلن لنا الرسل كل ما نحتاج أن نعرفه بشأن المثل وبشأن ما هو ممثل به في كل منها ...

وكلما أمضي المرء وقتاً أطول في دراسة الكتاب، كلما اقتنع أكثر بقيمة التوازي بين المثال والممثل به، إذ يزودنا هذا التوازي بالأساس لتحديد مفاهيم

وكلمات العهد القديم، مقدماً لنا وسيلة لفهم إسرائيل والمسيح كعبد الرب المتألم. ويمكننا أن نعرف كيف فهم الرسل مُثل العهد القديم التي كانت ظلالاً للمسيح: حياته وموته وقيامته. ومع أنني لا أُنْفِق مع كل ما كتبه بيرخوف، *Berkhof*، إلا أنه كان محقاً بشأن تقديره لدراسة التيبولوجية، *Typology*: "عندما سجلت خواطري عن التكرار وعلم دراسة المثل، *typology*، في الكتاب المقدس، لم أكن على دراية بالمناقشة التي دارت في ذلك الوقت في الفكر اللاهوتي البروتستانتي بشأن المعنى ... إلا أنها أكدت لي أفكارتي بخصوص الدور الأساسي الذي تلعبه تلك المثل في فهم الكتاب ... إن دراسة العلاقات المتبادلة بين المثل الأخروية، والكنسية، والمسيانية، تعمق فهمنا لوظائفها الأساسية وحدودها"^(٨).

العهد والرسالة إلي العبرانيين

من الواضح تماماً، أن كاتب الرسالة إلي العبرانيين انشغل بفكرة العهد أكثر من أي كاتب آخر في العهد الجديد. وبالنسبة له، لا يمكن التفكير في مسيحية بلا عهد. كما الحال بالنسبة لليهودي الذي يعتقد بأنه ليس هناك فلسفة حقيقية، أو أخلاق، أو هوية قومية، أو رجاء بدون العهد. والسؤال وثيق الصلة بهذه الدراسة: هل خاطب الكاتب برسالته اليهود مستخدماً فكرة العهد لإقناعهم، أم أنه كتب للكنيسة ليقدم لها مسلمات عن المسيح؛ مقدماً الإنجيل بمرجعياته الثقافية السامية الأبدية؟ وثمة سؤال جوهرى آخر: هل أتى الإنجيل بمحتواه ذاتي الوضوح عهداً؟ أو بتعبير آخر، هل كان الكاتب يصرح بما أكد عليه الآخرون، محاولاً إظهار الخلفية الفكرية عن المسيح حتى لا يروه منسجماً مع مرجعيتهم الفلسفية السابقة؟ لكل المجتمعات فكرة ما عن العهد أو الشراكة وما يصاحبها من التزام، فهل العهد هو الإطار الوحيد الحقيقي للمسيح؟ أنا اعتقد ذلك، فالإنجيل الذي يعلن أن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه، يحمل معه مجموعة من المسلمات: تاريخ وفلسفة العهد القديم، (٢ كو ٥: ١٨).

8- Hendrikus Berkhof, *Christ, the Meaning of History*, Richmond: John Knox Press, 1966, P. 212

ناقش كاتب العبرانيين الملامح الثلاثة العادية للعهد موضعاً أطرافه. وعالج هذا الأمر من خلال البنية الأساسية للسفر. أولاً، قام بتأصيل فكرة سمو المسيح على الديانة العبرية من كل الوجوه. وللتعبير عن الأطراف، استخدم الكاتب لفظة "المدعويين"؛ المختارين، (عب ٣: ١). اختار الله مع من سيدخل العهد. وتعني لفظة "المختارين" الأشخاص المختارين من أجل علاقة، أي علاقة السيد مع العبد، أو كما عبر عنها الأنبياء، اختيار لعلاقة زوجية. إن أي شخص يعترف بضمه أن يسوع رب، ويؤمن بقلبه أن الله أقامه من الأموات مختار من الله، (رو ١٠: ٩-١٣). إن الاختيار بالنسبة لكاتب الرسالة إلي العبرانيين هو أن يكون المرء مخلصاً. وفي الفصل العاشر من الرسالة، يحذر الكاتب من تجاهل، أو ازدراء المسيح، المصدر الوحيد للاختيار، (عب ١٠: ٢٨-٢٩). وفي هذا النص يقارن الكاتب بين من اتبعوا موسى كقائد ووسيط لهم ومن يتبعون المسيح كأطراف عهد معه. وعند مناقشته لنبوة إرميا في (إر ٣١: ٣١-٣٤)، حدد أن أطراف العهد القديم كانوا سبباً في أن يقدم الله عهداً جديداً، (عب ٨: ٧-٩). إن المفهوم الكامل عن ميراث بركات المسيح بحسب إيمان الوالدين أو دمه للمولود بحسب الجسد، هو مفهوم قيد المناقشة، فما من أحدٍ لم يتقدس "بدم العهد" يمكنه أن يكون شريكاً في عهد المسيح.

ناقش كاتب الرسالة شروط العهد الجديد مقارنة بشروط العهد القديم، وأقر بتغيرها عندما قال: "لأنه إن تَغَيَّرَ الكَهَنُوتُ، فَبِالضَّرُورَةِ يَصِيرُ تَغَيَّرٌ لِلنَّامُوسِ أَيْضًا"، (عب ٧: ١٢). ويتمثل ناموس العهد الجديد في الاقتداء بالمسيح والتشبه به، فيحث الكاتب أطراف العهد على التقدم نحو الكمال، (عب ٦: ١)، كما يطالبهم بتثبيت عيونهم على رئيس الإيمان ومكملة لئلاً يكلُّوا ويَجُورُوا فِي نَفُوسِهِمْ، (عب ١٢: ٢-٣).

أكَّد كاتب الرسالة أيضاً على أفضلية مواعيد العهد الجديد بالتباين مع مواعيد القديم، بقوله أن المسيح قَدْ حَصَلَ عَلَى خِدْمَةٍ أَفْضَلٍ بِمِقْدَارِ مَا هُوَ وَسِيطٌ أَيْضًا لِعَهْدٍ أَعْظَمَ، قَدْ تَثَبَّتْ عَلَى مَوَاعِيدِ أَفْضَلٍ، (عب ٨: ٦). إن العنصر المتميز في تعريف الإيمان الحقيقي في هذه الرسالة، يتمثل في ارتباطه

بالوعد؛ فالإيمان هو إيمان بوعده الله. وينطبق هذا الأمر بالحق على إيمان إبراهيم الذي بعد أن وعده الرب بكثرة النسل آمَنَ بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بَرًّا، (تك ١٥: ٥-٦؛ عب ١١: ١٢). إن مفهوم تحقيق الوعد أو مكافأته هو أن يؤمن المرء بالله. إن الإيمان هو الثقة بأن الوعد غير المرئي حقيقي ومؤكّد؛ إنه الثَّقةُ بِمَا يُرْجَى وَالْإِيْقَانُ بِأُمُورٍ لَا تُرَى، (عب ١١: ١). وباستعمال لفظة "الوعد" بدلاً من التعبير "ما يرجى"، إذ أنهما واحد من حيث المفهوم، يمكن إعادة صياغة النص السابق: "الإيمان هو ثقة المرء التامة، وبقينه بأن ما وعد به الله سيتحقق. وقد مُدِّح الأبرار القدماء لسلوكهم أمام الله بثقة فيه". هناك تأكيد كبير على حقيقة أن الله يبارك، أو يدين بكل ثبات بالتناغم مع حقيقة أن ما يقوله لا بد أن يصير. ومن ثم يمكن للمرء أن يعتمد على الله كلية ويثق فيما يقوله: "... لِأَنَّ الَّذِي وَعَدَ هُوَ أَمِينٌ"، (عب ١٠: ٢٣).

الشرطية في الرسالة إلى العبرانيين

عند التحدث عن الشرطية يواجه المرء القضية المعروفة عن عقيدة الخلاص قديماً وحديثاً. تتمسك الرسالة إلى العبرانيين بالفكر اللاهوتي للأنبياء. وإن كان لقسم العهد معنى، فإن العلاقة المستمرة مع الله تكون مشروطة. وبتعبير آخر، إن لم يحافظ إنسان المسيح على تعهده الذي يقطعه مع الله ثابتاً حتى النهاية، تصبح مواعيد الله بلا قيمة بالنسبة له، (إر ٣٤: ١٨؛ مع عب ٤: ١١-١٣).

إن الذين استُتبروا مرة، وذاقوا العطية السماوية، وصاروا شركاء الروح القدس، ثم جحدوا هذه الأمور بالارتداد بعيداً عنها، من المحال أن يخلصوا، (عب ٦: ٤-٨؛ مع عب ١٠: ٢٦-٣١)، ولذا يبحث كاتب الرسالة المؤمنين العبرانيين على الثبات وألا يَطْرَحُوا يَتَّقَهُمُ الَّتِي لَهَا مُجَازَاةٌ عَظِيمَةٌ، (عب ١٠: ٣٥). ينطوي العهد بطبيعته على علاقة متبادلة، يقطع فيها الطرفان وعوداً بالتزامات محددة، فالعهد هو الشرطية. ومع ذلك، يجب على إنسان المسيح أن يتذكر أن كل المطلوب منه فقط هو الثقة بثبات فيما وعد به الله: "لَأَنَّا قَدْ صِرْنَا

شُرَكَاءَ الْمَسِيحِ، إِنَّ تَمَسَّكَنَا بِدَءَاةِ الثَّقَةِ ثَابِتَةً إِلَى النِّهَايَةِ"، (عب ٣: ١٤).

ليس على المرء أن يندهش من هذا الفكر لأنه فكر عبري خالص، ويتطابق بالتام ما علّم به المسيح. والتوجه العبري في إنجيل المسيح واضح: "الَّذِي يُؤْمِنُ بِالْإِبْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِالْإِبْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً .."، (يو ٣: ٣٦). وهناك لفظتان في النص اليوناني: "بيستيفو، πιστεῖω" والتي يتم ترجمتها دائماً إلى "آمن"، و"آيشيو، ἀπειθέω". بمعنى "عاند أو عصي"، كما وردت على فم الرسول بولس: ".. لَمْ أَكُنْ مُعَانِدًا، ἀπειθεῖς، لِلرُّؤْيَا السَّمَاوِيَّةِ"، (أع ٢٦: ١٩). وقد فهمت الترجمة القياسية المنقحة، RSV، هذا المعنى بشكل جيد وقرأت النص: "من يؤمن بالابن له حياة، ومن لا يطيع الابن لن يري حياة".

في فكر المسيح، واليهود أيضاً، يحمل اللفظان "آمن"، و"أطاع" نفس الفكرة تماماً، فالفعل الأول لا يقود إلى الآخر كما اعتقد اليونانيون. لأن الأول هو ذاته الآخر. وبالمثل لفظة "شماع، שמע"، كانت تعني لدى العبراني "السمع"، و"الطاعة". وبخلاف النظام اليوناني في تصنيف المفردات، كانت لفظة "شماع" مزيجاً من "السمع"، و"الإيمان"، و"الطاعة"، فالثلاث واحد بحسب الفكر العبري. فالإيمان بالله يعني طاعة ما يقوله، لأن الإيمان والطاعة شيء واحد. كان المسيح عبرانياً، وفي هذا الشأن يقول ريتشاردسون، Richardson: "إن الإيمان بمعناه في العهد الجديد، ليس التصديق أو القبول العقلي ... فإن كان تعريف الإيمان قاصراً على التصديق العقلي فقط، فلا بد من رفض تعبير 'الخلاص بالإيمان وحده' حتماً، (يع ٢: ١٤-٢٦). ويرتبط إيمان العهد الجديد عموماً بالسمع، إذ أن الفعل سَمَعَ في اللغة الكتابية يرادف غالباً الفعل أَطَاعَ^(٩)".

ومع ذلك، إن كان الإيمان يعني أن الطاعة ليس لها معنى في وجوده، فأني دارس كتابي لا بد أن يقبل بعكس ما ورد في الرسالة إلى العبرانيين التي لم يكن المعيار فيها "بالإيمان المعرفي وحده" وإلا صار يحمل شبهة غنوسية^(١٠). وبتعبير آخر، للعهديين ملامح متباينة، ومتماثلة في آن واحد. فتعريف الإيمان

9- Alan Richardson, *An Introduction to new Testament Theology*, New York: Harper-Row. 1958, P.30.

١٠- مذهب يؤمن بأن الخلاص فقط عن طريق المعرفة، المترجم.

لم يتغير، حتى وإن تغيرت المواعيد. وما يحدده الرسل من تماثل أو تباين بين العهدين هو التعليم الصحيح في العهد الجديد. إن القصد الأساسي لكاتب الرسالة إلى العبرانيين ينحصر في التشجيع على حياة الأمانة، والتحذير من تجاهل أو نقض العهد. ولكي يحقق هذا القصد قارن بين عهد المسيح والعهد الموسوي، وانتهي أن المسيح يسمو على كل شيء في العهد القديم: فهو أسمى من الملائكة، (عب ١: ٥)، وموسى، (عب ٣: ٢)، ويشوع، (عب ٤: ٨)، وراحة سبت كنعان، (عب ٤: ٩)، وهارون، (عب ٥: ٤)، والكهنوت اللاوي، (عب ٧: ٦)، وناموس موسى، (عب ٧: ١٢). ويسمو على العهد القديم ذاته، (عب ٨: ٦): مواعيده، (عب ٨: ٦)، ونظام العبادة فيه، (عب ٩: ١٠)، وذبائحه، (عب ٩: ١١-١٢)، ودينوته لخائني العهد، (عب ١٠: ١٦)، وشفاعة كهنوته، (عب ٧: ٢٥؛ ١٠: ١٩)، إذ أن فعالية ذبيحته أعظم بما لا يقاس، (عب ١٠: ٣-٤). ولا يقف الكاتب عند هذا الحد من التشجيع، فعندما يكون المرء أميناً مع المسيح، وكنيسته؛ جبل صهيون الجديد، (عب ١٢: ٢٢)، فإنه ينضم إلى شركة أفضل من عرفهم التاريخ البشري كله؛ رجال الإيمان، (عب ١١). كما يحث الكاتب المؤمنين على التعاون مع قادتهم من أجل المنفعة المشتركة، وخلاص الجميع، (عب ١٣: ٧). وأخيراً يشجعهم على احتمال الآلام، خارج المحلة كما تألم المسيح، ومع أنهم في العالم عليهم أن يطلبوا المدينة الباقية العتيدة: "لأنَّ لَيْسَ لَنَا هُنَا مَدِينَةً بَاقِيَةً، لَكِنَّا نَطْلُبُ الْعَتِيدَةَ"، (عب ١٣: ١٣).

قيمة الناموس

بالنسبة لإنسان المسيح، تخفف قيمة الناموس التي شرحها الرسل من ثقل الصورة السلبية التي رسموها عن نهايته. فكل الكتاب موحى به من الله ونافع للتعليم، والتوبيخ، للتقويم، والتأديب الذي في البر، (٢ تي ٣: ١٦؛ مع ١ تي ١: ٨).

١- مؤدّب

ويقول الرسول بولس في هذا الشأن: "وَلَكِنْ قَبْلَمَا جَاءَ الْإِيمَانُ .. كَانَ النَّامُوسُ مُؤَدِّبَنَا إِلَى الْمَسِيحِ، لِكَيْ نَتَبَرَّرَ بِالْإِيمَانِ .."، (غل ٣: ٢٣-٢٥). ولم يكن الوصي في اللغة العبرية مجرد جليس أطفال، بل كان معلماً، فالوصي على شاب يقوم بتوجيهه، (مز ١١٩: ٩). ونقلت بعض الترجمات اللفظة "مؤدّب" بمعنى "معلم خصوصي"^(١١)، في حين وردت بالترجمة المعتمدة، *Authorized Version*، بمعنى "ناظر مدرسي، *Schoolmaster*". وبصرف النظر عن المعاني هنا، كانت مهمة الوصي، أو المؤدّب أو المكلف بحراسة وحماية الطفل حتى يصبح قادراً على إدارة أملاكه، هي في المقام الأول تعليم هذا الولد. كان الناموس يعني عند العبرانيين "التوراة"، و"أحداث التاريخ". وقد علّمهم الناموس اللغة، وحدد لهم معاني المفردات، فعرفوا معنى "الحب"، و"حسد"؛ الأمانة في العهد، والذبيحة، والفداء، والاختيار، والكهنوت، والطاعة، والنعمة، والدينونة العادلة، والتسبيح الحقيقي، ومحبة القريب، وغيرها الكثير.

ويقول جورج لاد، *George Ladd*: "يستمد العهد الجديد مفرداته من يونانية القرن الأول الميلادي، العامية الدارجة، إلا أن المفردات التي تشرح إعلان العهد الجديد يجب دراستها في ضوء خلفيتها السامية، *Semitic background*، إذ أنها مستخدمة لشرح معنى تاريخ الفداء الذي بدأ مساره بإعلان العهد القديم، حتى وصل لذروته في يسوع المسيح"^(١٢). ويشبه محتوى الاقتباس السابق ما عبر عنه اللاهوتي ألكساندر كامبل، *Alexander Campell*،

11- Revised Challoner-Rheims Version (Roman Catholic) Patterson. N.J.: St. Anthony Press Guild, 1974.

12- George Eldon Ladd, *The New Testament and Criticism*, Grand Rapids: Eerdmans, 1967, P. 103.

قبل مئة وخمسين عاماً: "إن كل مفردات وعبارات العهد الجديد يجب فهمها وشرحها من خلال تاريخ الأمة العبرية وسيادة الله عليها"^(١٣). "كان ناموس العهد القديم معلماً مدرسياً ممتازاً عندما حدد بثبات معاني المفاهيم المختلفة مستخدماً كل الوسائل التعليمية الفعالة: التاريخ، والشريعة، والقدوة، والنبوة، والمثل.

٢- أظهر عجز الإنسان

يقول الرسول بولس: "... وَلَكِنْ أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَتَبَرَّرُ بِالنَّامُوسِ عِنْدَ اللَّهِ .. لِأَنَّهُ لَوْ أُعْطِيَ نَامُوسٌ قَادِرٌ أَنْ يُحْيِيَ، لَكَانَ بِالْحَقِيقَةِ الْبَرُّ بِالنَّامُوسِ"، (غل ٣: ٢١). تاه الإنسان في تركيزه على ذاته، فأسلمه الله ليفعل ما يريد، (روا: ٢٤). صاغ البشر شرائعهم، ثم كسروها، (روا: ٢: ١٤). لم يستطع أحد أن يحيا ليبلغ معيار الكمال أو الصلاح الذي اتفق البشر عليه. الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللَّهِ، (روا: ٣: ٢٣). ويعتبر الله جميع البشر مسئولين أمامه سواء بناموس موسى أو ناموس الضمير، (روا: ٣: ١٩). إن اعتقد أي إنسان أنه قادر على بلوغ الحياة بواسطة الناموس فهو مخطئ. لأن الإنسان الذي يفعلها، أي وصايا الناموس، يحيا بها. والاعتقاد خاطئ أيضاً إن ظن اليهودي أن الناموس يقدم له فرصة كي يمهّد طريقه إلى السماء. لأن الناموس أظهر عجز الإنسان في الحصول على الحياة حتى يقيم نفسه بمعيار الناموس ثم يطالب الله فيما بعد بأن يدفع له الثمن؛ الحياة الأبدية. لقد أدرك جميع البشر أنهم أخفقوا أديباً.

٣- تاريخ الخلاص

هتّم أسفار العهد القديم بمتابعة التطور في مقاصد الله من أجل البشرية. وبدون هذه الأسفار، تصبح قرينة أسفار العهد الجديد غامضة. وللمثال يشير التعبير "لما جاء ملء الزمان" في (غل ٤: ٤) إلى تاريخ ماض لم يكن مناسباً لمحيي المسيح. وما كنا لنعرف شيئاً عن ذلك التاريخ الماضي، وخبرات من عاشوا فيه، والمواعيد التي قطعها الله لهم بدون سجلات العهد القديم. كما يصبح معنى التعبير "تحت الناموس" مجرد تخمين. ويكون الاحتمال كبيراً في

13- Alexander Campbell, *The Christian System*, Cincinnati: Standard Publishing Company, 1835, reprinted, P. 119

الخروج بمعاني ملتوية كثيرة عن الفعل "يَقْتَدِي"، لو لم يحدد الناموس معنى "الفداء"، وسياقه في ناموس العهد القديم.

في رسالته الأولى لأهل كورنثوس، يقدم الرسول بولس تعريفاً عن الإنجيل ينحصر في "... أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكِتَابِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكِتَابِ"، (١ كو ١٥: ١-٤). ويذكر الرسول تعبير "حسب الكتاب" مرتين، مع أنه لم يحدد بالضبط ما هو معناه. وربما قصد "كما تنبأ عنه الأنبياء"، أو "في إطار وعد العهد"، أو "إظهار قوة الله كما تعلنها الكتب". وبغض النظر عما قصده الرسول بولس تحديداً، يزودنا العهد القديم بقرينة هامة تمكننا من فهم تاريخه وأسفاره.

يخبر الرسول بولس تيموثاوس بأن الناموس: "... صَالِحٌ، إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَسْتَعْمِلُهُ نَامُوسِيًّا"، (١ تي ١: ٧-٨). ويقدم فلسفته الأساسية بخصوص ما يجعل تعليم الناموس صالحاً، وكيف يمكن فهمه بطريقة صحيحة. إن أي شيء من العهد القديم يدعم الإنجيل فهو صالح للتعليم، فيقول إن: "... النَّامُوسَ لَمْ يُوضَعْ لِلْبَّارِّ، بَلْ لِلْأَثَمَةِ وَالْمُتَمَرِّدِينَ، لِلْفَجَارِ وَالْخُطَاةِ .. وَإِنْ كَانَ شَيْءٌ آخَرُ يُقَاوِمُ التَّعْلِيمَ الصَّحِيحَ، حَسَبَ إِنْجِيلِ مَجْدِ اللَّهِ الْمُبَارَكِ الَّذِي أَوْثَمْتُ أَنَا عَلَيْهِ"، (١ تي ١: ١١).

٤- كشف طبيعة الخطية

تظهر قيمة الناموس في كشفه عن طبيعة الخطية، وتحديد نتائجها: "وَأَمَّا النَّامُوسُ فَدَخَلَ لِكَيْ تَكْثُرَ الْخَطِيئَةُ .."، (رو ٥: ٢٠-٢١). أضاف الله الناموس ليكشف التعديات الموجودة قبلاً، فالتعبير "لِكَيْ تَكْثُرَ الْخَطِيئَةُ" يعني لكي تصبح أكثر وضوحاً وتحديداً. ويتابع الرسول بولس كلامه بخصوص قيمة الناموس، فيقول: "... هَلِ النَّامُوسُ خَطِيئَةٌ؟ حَاشَا! بَلْ لَمْ أَعْرِفِ الْخَطِيئَةَ إِلَّا بِالنَّامُوسِ. فَإِنِّي لَمْ أَعْرِفِ الشَّهْوَةَ لَوْ لَمْ يَقُلِ النَّامُوسُ، لَا تَشْتَهَ"، (رو ٧: ٧). بالنسبة له كان الناموس مقدساً، والوصية عادلة وصالحة. لكنه تساءل: "... هَلْ صَارَ لِي الصَّالِحُ مَوْتًا؟" فأجاب: "... حَاشَا! بَلِ الْخَطِيئَةُ. لِكَيْ تَظْهَرَ خَطِيئَةُ مُنْشَأَةٍ لِي

بِالصَّالِحِ مَوْتًا، لِكَيْ تَصِيرَ الْخَطِيئَةُ خَاطِئَةً جِدًّا بِالْوَصِيَّةِ"، (رو ٧: ١٣).

في بعض الحالات، يُحَسَّب الإنسان خاطئًا بقتل أخيه الإنسان، فيكون كاسرًا للعهد الشامل الذي قطعه الرب مع نوح. إذًا بناموس موسى أو بدونه، هو خاطئ. وفي حالات أخرى، يكون الإنسان متعديًا على القانون فقط بعد صدور هذا القانون. وهذا ما فعله ناموس موسى بوصاياه، فما أن صدر، كشف على الفور كاسري الناموس، وهو الأمر الذي ينطبق بصفة خاصة على مملكة إسرائيل الثيوقراطية قديمًا.

وعندما أعطى موسى الناموس للشعب، أصبح وسيلة ضرورية نافعة، كان القصد منها خير إسرائيل. أظهر العهد احترام الله لحرية الإنسان^(١٤). أظهر ناموس العهد بكل وضوح ما يريده الله، ليحفظ شعبه مملكة ثيوقراطية حقيقية^(١٥). منع الناموس الإنسان من أن يتبرر بفعل ما يحسن في عينيه، (قض ١٧: ٦). وبرغم الكم الهائل من الفرائض في الناموس، إلا أنه منح الإنسان بدائل بمنتهى الحرية^(١٦).

الناموس وكرازة الرسل

لم يُسْتَخْدَم ناموس العهد القديم كوسيلة من أجل التوبة. لم يَكرز أو يعظ به الرسل. ولا نقرأ عن حالة توبة واحدة تم استخدام الناموس فيها من أجل تبرير الخاطئ على الخطية أو الذنب. لم يكن الناموس جزءًا من بشارة الإنجيل. تحققت الكرازة بالإنجيل اعتمادًا على مؤهلات شهود العيان، (أع ١٠: ٣٩-٤٢)، وإظهارات الروح القدس، (عب ٢: ١-٣). تثير الكرازة بالإنجيل إيمان السامعين، (رو ١٠: ١٧). لم يحاول الرسل خلق شعور بالذنب لدى سامعيهم بقدر ما حاولوا جذبهم إلى المسيح. لم يهتم الرسل كثيرًا بمسألة الإحساس بالذنب، ولم يكن الاعتراف الذي طالبوا به التائبين اعترافًا بالخطايا، بل بالمسيح مخلصًا وربًا، (رو ١٠: ٩؛ أع ٨: ٣٦-٣٨). وبعد التوبة،

14 - D. R. Hillers, *Covenant: The History of a Biblical Idea*, Baltimore: Johns Hopkins, 1969, P. 49, 65

15 - J. M. Myers, *Grace and Torah*, Philadelphia: Fortress Press, 1975, P. 18

16 - Hillers, *ibid.*, P. 95.

احتاج التائبون إلى الثبات، فتعموا على ناموس موسى لأن ما فيه يمكن أن يقوي إيمان الفرد، فهو المؤدّب، انّذي يجب أن يعلم ما أكّد عليه الرسل^(١٧).

ختم الله بوصيته الذهبية على قلب وعقل كل إنسان مخلوق على صورته: "تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ .. وَقَرِيْبَكَ مِثْلَ نَفْسِكَ"، (لو ١٠: ٢٧). ويعتبر الله جميع البشر مسئولين أمامه عن هذه الوصية، (رو ١: ١٨-٢٤). وعندما كرز الرسل بالصليب انفضحت جسامه الخطية، والظلم. وبرؤية أمير السماء مصلوباً من أجل فساد الإنسان، انكشفت عبودية الخطية وقبحها، (غل ٣: ١). ولكن إزاء قوة الصليب المقنعة، ظهر ضعف ناموس موسى بأحكامه المربعة. فقد فَطَرَ الصليب قلب الإنسان دافعاً إياه إلى الرجوع إلى وطنه؛ إله جنة عدن: " .. إِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللَّهِ"، (١ كو ١: ١٨).

الرسول وأبدية العهد القديم

كانت "عولام، لاوايم"، اللفظة الأكثر استخداماً في التعبير عن مفردات: "أبد، أو لا ينتهي"، وعندما تسبقها اللفظة العبرية "عاد" لتصبح "عاد عولام، لاوايم" تعني "إلى الأبد، أو أبدي". ولا نجد دليلاً من كتابات الرسل يشير إلى أية مشاكل حول اللفظة بقدر ما تتعرض له الآن. قيل عن المواعيد التي قطعها الرب لإبراهيم إنها أبدية: "وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ .. كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مِلْكَاً أَبَدِيّاً .."، (تك ١٧: ٨)، بل قيل إن العهد كان أبدياً: " .. فَيَكُونُ عَهْدِي فِي لَحْمِكُمْ عَهْداً أَبَدِيّاً"، (تك ١٧: ١٣). أيضاً كان أطراف العهد أبديين: " .. وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأَقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْداً أَبَدِيّاً لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ"، (تك ١٧: ١٩).

وهناك الكثير في العهد الموسوى مما يصفه الكتاب بأنه أبدي: السبت، (خر ١٢: ٢٤)، وشعب إسرائيل، (إر ١٨: ٩-١٠)، وعرش داود، (٢ صم ٧: ١٢)، ويوم الكفارة العظيم، (لا ١٦: ٢٩)، والفصح، (لا ١٦: ٣١)، والعبد

١٧- أرجو أن يطالع القارئ هذه النصوص (رو ١٥: ٤؛ ٢ تي ٣: ١٥-١٦)، المترجم.

مثقوب الأذن، (خر ٢١ : ٦)، والكهنوت الهاروني، (خر ٤٠ : ١٥)، وبيت لاوي، (١ صم ٢ : ٣٠)، ونصيب الكهنة من لحم الذبائح الحيوانية، (عد ١٨ : ١٩)، وأورشليم، (مز ١٣٢ : ١٣-١٤). لكن ما الذي قاله الرسل بخصوص هذه الأشياء؟ القليل، وبطريقة مباشرة. لماذا؟ لأن التعبير "عاد عولام" لا يعني في سياق العهد شيئاً سوى الاستمرارية طالما كان العهد قائماً. فالعهود نوعان: عهد يستمر لعدد محدد من السنين يتفق عليه الطرفان، أو عهد مفتوح أو دائم، يستمر طالما وافق كلا الطرفين على ذلك. وعندما ينتهي العهد القديم انتهت جميع ملامحه. ولما كانت المواعيد الأبدية للعهد القديم جزءاً منه، فإنها تنتهي بانتهائه. وينطبق نفس الشيء على كل من الأطراف والالتزامات التي كانت أساسية، وقد اعترض العبرانيون على انتهاء ملامح العهد بانتهائه.

ختام الفصل السادس

منح الرب رسله سلطاناً للتحدث نيابة عنه في كل أمور الإيمان والممارسة. وبرهن على سلطانهم بمنحهم الروح القدس. وبعد صعوده، كرز الرسل برسالة الإنجيل الكاملة لجميع الحاضرين في يوم عيد الخمسين. رجحوا تائبين جدد برسالة موت وقيامة المسيح التي برهنت على ربوبيته. تم تنظيم من قبلوا الرسالة في كنائس قبلت تعاليمها من الرسل أنفسهم.

كان للكنيسة بكل وضوح طريقتان في الخدمة غير متنافرتين: العمل بقوة الجذب المركزي، في الهيكل الموجود آنذاك بمدينة أورشليم المقدسة، حيث قام الرسل بتعليم الوافدين من يهود الشتات والمتهودين. حمل هؤلاء الناس بعد توبتهم رسالة الخلاص في المسيح لأبعد ما يمكن، لأقاصي البحر البعيدة. أما الطريقة الأخرى فكانت العمل بقوة الطرد المركزي، حيث انطلقت خارج أورشليم وبأمر مباشر من الروح القدس لإرسال الكارزين بحثاً عن الهالكين كما أمر المسيح. أي لم ينتظروا حتى يأتي الخطاة إليهم.

حدث نوع من الخلاف اللاهوتي بشأن مكانة وكيفية استخدام ناموس موسى في الكنيسة الأولى، حتى أن الأمر تطلب عقد مجمعين لحل هذه المسألة. كان المجمع الأول محلياً اقتصر على مساءلة الرسول بطرس بشأن ضمه غير اليهود للكنيسة وقبوله لهم. وقد تمت تبرئة أعماله في هذا المجمع. أما الثاني فكان بحضور كل من برنابا والرسول بولس الذين تم اتهامهما بنفس الشيء. برأت الكنيسة عمل وخدمة الرسل وانتهى بالمجمع بأنه ليس من الضروري للأُممي، من غير اليهود، أن يتهود لكي يصير مسيحياً.

كان للرسل فكر لاهوتي، يميز بين العهدين القديم والجديد. بالنسبة لهم انتهى ناموس موسى، أو العهد السينائي تحديداً. أما الفكر الفلسفي للعهد فهو أمر ثابت، لم يتخل عنه الرسل؛ فالعهد يتضمن علاقة متبادلة على طرفيها التزامات محددة. كما لم يتخل الرسل عن الأسفار المقدسة التي تدعى "العهد القديم" لما لها من دور تعليمي بناء يساهم في تقديم مثال، وفلسفة، وتاريخ

حقيقي، ولكن ليس كشرعية أو ناموس. لأن ناموس العهد الجديد بحسب ما عبر عنه الرسل هو ناموس المسيح.

أيضاً، شدّدنا في هذا الفصل على أهمية التوازي في الفكر الرسولي، الذي يزودنا بمفتاح لحل الكثير من المشاكل الصعبة المتعلقة بالربط اللائق بين أسفار العهدين. ومع أن طريقة استخدام الرسل للعهدين شددت على الفصل بينهما؛ يبقى التواصل أحياناً هو المعيار بالنسبة للشعب المسيحي اليوم!!

الفصل السابع

العهد الجديد

تنبأ النبي إرميا عن ذلك العهد بقوله عن فم الرب: "هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا..."، (إر ٣١: ٣٤). وبحسب تكليف المسيح، بشر الرسل وقادة الكنيسة الأولى اليهود أولاً ثم الأمم، (رو ١: ١٦). وعندما بشروا اليهود، كان اتجاههم الجديد من نحو العهد أمراً جوهرياً. ولم تتركز رسالة الرسل حول العهد ذاته، بل على الاعتراف الحسن: "يسوع رب"، (رو ١٠: ٩)، فهو المسيا الذي جلب معه العهد الجديد. وكانت لفظة "الإنجيل" أي "الأخبار السارة"، هي التعبير المفضل عن العهد في مفردات الرسل. أعلن إنجيل الأخبار السارة أن الله مستعد أن يهب الخلاص لجميع الناس، بصرف النظر عن ماضيهم، أو جنسيتهم سواء كانوا يهوداً أو يونانيين، عبيداً أو أحراراً، ذكوراً أو إناثاً، ملوكاً أو فلاحين. أتى المسيا بشريعة جديدة نصها: "فعل الأفضل لجميع الناس في كل الأحوال، (مر ١٠: ٤٤). والأفضل للجميع ليس إلا أن يتصالخوا مع الله، ومع بعضهم البعض. وقد قصد الله أن يوحد الجميع في المسيح، وأن يحقق السلام بين السماء والأرض فيه، (أف ١: ٩-١٠). كان موت المسيح وقيامته هو قلب رسالة الإنجيل، وقد ارتبط محتوى العهد الجديد بالأساس بموت المسيح وقيامته. كانت الرسالة بسيطة جداً حتى أن العامة استطاعوا التعبير عنها بدقة. وتنحصر التعبيرات التي تلخصها في سياق العهد في ثلاثة: "في المسيح"، و"مثل المسيح"، و"مع المسيح"؛ فإن أطراف الملكوت الجديد هم الذين "في المسيح"، في حين تتلخص شروط العهد الأساسية في "الافتداء بالمسيح"، أما مواعيده

فتعلن بكل بساطة أن الأمناء من شعب الله، يشاركون المسيح كل ما له. وقد وُحِّدَت هذه الصيغة البسيطة الكنيسة الأولى مثلما وُحِّد العهد القديم أسباط إسرائيل. والآن يمكننا أن نتتبع أسفار العهد الجديد، لنرى كيف تشكَّلت الحركة الجديدة حول المسيح كعهد جديد.

من بيريث، Berith، בְּרִיתָה إلى دياثيكيه، διαθήκη، *Diatheke*

تستمد كلمات العهد الجديد معانيها من العهد القديم، وحتى الآن ليس هناك أي دليل واضح يثبت ما هو عكس ذلك. ويُعد هذا الأمر من البديهيات الأساسية عند قراءة الكتاب المقدس ككل، فكنيسة القرن الأول كانت يهودية الطابع، أدرك أعضاؤها أنهم امتداد لشعب الله القديم؛ فهم يهود العصر المسياني. وكانت أسفار العهد القديم أول كتبهم المقدسة، وخاصة الترجمة اليونانية السبعينية التي استخدمت لفظة "دياثيكيه" للتعبير عن لفظة عهد. ويعلق جوتفريد، *Gottfried*: "تشير الترجمة السبعينية، LXX، إلى أن دياثيكيه هي اللفظة المعبرة بشكل أساسي عن محتوى لفظة بيريث .. وفي ترجمات أخرى قليلة نجدها سنثيكيه، *Suntheke*، (٤ مك)، واندوليه، *entole*، *ἐντολή*، بمعنى "وصية"، (٣ مك ١١ : ١١). ومن ثم يمكن الاستدلال بأن استعمال الترجمة السبعينية، LXX، للفظه دياثيكيه، كان القصد منه توصيل معنى بيريث^(١).

كانت "دياثيكيه" اللفظة المستعملة في أقدم النصوص اليونانية، وتعني "الوصول إلى اتفاق، أو تنظيم الأمور مع الآخرين"^(٢). وقد استخدم المسيح صيغ الفعل من هذه اللفظة بمعنى "يعيّن، *to appoint*" (لو ٢٢ : ٢٩)، و"يحدد، *to determine*". ولم يعن المقطع "ديا، *dia*"، في أول لفظة "*Diatheke*" "تماماً"، أو "بثبات" كما في بعض الحالات، وإنما الترتيب أو التنظيم من قبل طرف معزول عن الطرف الثاني^(٣). وبتعبير آخر، تعني دياثيكيه عهداً مقدّماً، أكثر من كونه اتفاقاً أو معاهدةً بالتفاوض. وبقدر ما تعنيه اللفظة، فهي

1- Gottfried Quell, "diatheke," Theological Dictionary of the New Testament, Vol. II, ed. Gerhard Kittel,, Grand Rapids: Eerdmans, 1964, P. 107

2- Johannes Behm, "diatheke," TDNT, Vol. II, p. 105

3- A Debrunner, as quoted by Johannes Behm, TDNT, Vol. II, p. 105

"ترتيب صنعه الله"، قبلاً من خلال موسى، أما الآن فهو عهد بواسطة المسيح. ولأن الترتيب الذي قدمه الله لم يكن شيئاً يكتسبه الإنسان أو يستحقه، سُمي نظام العهد الجديد كله "نعمة"، (تي ٢: ١١).

وهناك استعمال في خاص جداً للفظـة "دياثيكيه" في سفر العبرانيين. وفي السياق القانوني لكتابة العهود والمواثيق في العالم اليوناني كان يتم التعبير عن العهد باللفظة اللاتينية "*Testamentum*"، بمعنى "التصرف في عقار"، أو وثيقة الوصية الأخيرة". وقد استخدمت الكلمة بهذه الطريقة مرة واحدة فقط في كل أسفار العهد الجديد، وتحديدًا قول الكاتب: "لأنَّهُ حَيْثُ تَوَجَدُ وَصِيَّةٌ يَلْزَمُ بَيَانُ مَوْتِ الْمُوصِي"، (عب ٩: ١٦). واستعمال هذا المعنى هنا له ما يبرره، لذا لا ينبغي تعميمه؛ فاللفظة "دياثيكيه، *Diatheke*"، لا تعني التصرف في الملكية بواسطة الله بعد موته، فإن فهمنا اللفظة فهماً صحيحاً تصبح مقبولة كما أدركتها الكنيسة الأولى.

من العهد إلى القصد

هل يختلف معنى وتعريف لفظـة "عهد" في زمن إبراهيم، وموسى عن زمن المسيح ورساله؟ للإجابة على هذا السؤال نقول بكل الثقة: نعم. لم يكن التغير في الجوهر، أو الصياغة، أو المعنى، بل كان على ما تشدد عليه اللفظة في الزمـين بشكل جذري؛ فالتأكيد قد تغير من الشكل، *Form*، إلى القصد، *Purpose*. لأن المسيح عندما دخل إلى العالم قال: "ذَبِيحَةٌ وَقُرْبَانًا لَمْ تُرَدِّ، وَلَكِنْ هِيَآتَ لِي جَسَدًا .. هَآنَذَا أَجِيءُ. فِي دَرَجِ الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي، لِأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا إِلَهَ .. يَنْزِعُ الْأَوَّلَ لَكِي يُثَبَّتَ الثَّانِي. فَبِهَذِهِ الْمَشِيئَةِ نَحْنُ مُقَدِّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً"، (عب ١٠: ٥-١٠).

يستخدم كاتب العبرانيين لفظـة مشيئة، *Will*، في العدد (١٠) كمترادف للفظـة "العهد"، المشار إليه بالألفاظ: "الأول"، و"الثاني" في العدد (٩)، والألفاظ "مشيئة، أو "إرادة"، أو "نية"، و"قصد"، مشتقة جميعها من جذر الفعل اليوناني "ثيلو، *thélō*". وهكذا نجد أن مفهوم "مشيئة الله" في أسفار

العهد الجديد، يوازي "التزام العهد". فقد تغيّر التأكيد من حفظ الوصية بتفاصيلها الدقيقة إلى تحقيق مشيئة الله. والتركيز الآن، ليس على ما يجب أن أفعله بل على سبب دخول الله في عهد سلام معي. وبتعبير آخر، لا ينشغل طرف العهد الجديد بمكانته بقدر اهتمامه بتحقيق مشيئة الله في العالم. ولا يحاول طيلة حياته الفوز بجياة صالحة عن طريق حفظ وصايا لا نهاية لها، لكن يهتم برؤية نجاح برنامج مصالحة العالم مع الله. كما لا يقيس هذا النجاح بمدى مطابقته للمعايير الناموسية الطقسية، ولكن بالمدى الذي يساهم به في إنجاح قصد الله ومشيئته.

مسميات جديدة

بعيداً عن الإطار المرجعي للعهد، من الصعب أن نتبع الفكر الأساسي الذي قدمه المسيح لرسله. على سبيل المثال، من أجل تنظيم وربط أفكار تعاليمه المتنوعة، استخدم المسيح تعبير "الملكوت"، في حين سلك الرسل مسلكاً آخر باستعمال تعبيرات أخرى، لذا لم يبدلوا جهداً في توظيفها لتوحيد تعاليمهم. استعمل المسيح مصطلح "تلميذ" بشكل متكرر، في حين يندر استعماله في سفر الأعمال والرسائل. كما لم تكن "التلمذة" هي الفكرة اللاهوتية المتكاملة في الكنيسة الأولى. أيضاً، كانت "النعمة" لسنوات عدة، العنصر الأساسي لللاهوت الكتابي واستخدمها الرسول بولس مع مشتقاتها بشكل متكرر، بينما لم ينطق المسيح ذاته بها؛ لم تُذكر لفظة "نعمة" بالأناجيل سوى أربع مرات فقط، منها ثلاث في بشارة يوحنا، ودائماً عن المسيح. بالمثل لم تأت لفظة "عهد" بصريح اللفظ كثيراً بقدر ما ورد مرادفها، فقد استخدم الرسل الاسم "Θέλημα، ثيليما". بمعنى "إرادة"، و"مشيئة"، من الفعل "Θέλω، ثيلو" للتعبير عن كل الأفكار المرتبطة بالعهد. كان العهد مفهوماً بسماع لفظة "ثيليما": "لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ .."، ويشير الخبير الدولي المعتبر في المفردات الكتابية، كتل، Kittle، إلى أن الفعل "ثيلو، Θέλω" المستخدم في نص، (مت ٦: ١٠) له نفس محتوى لفظة "عهد". ويعرّف قاموس شرنك، Schrenk، الفعل "ثيلو" كمشيئة امرأة: أ- فهو يعبر بوضوح عن الله

ومقاصده وحكمه. وفي الترجمة السبعينية يستعمل للتعبير عن سيادة الله المطلقة في الخلق والتاريخ .. ب- كما أن الأقوال التي تعبر عن سلطان مشيئة الله لها ما يناظرها عند البشر في حكم الأمراء والمديرين، وتوجيهات الملوك، ورغبات الموظفين الرسميين والرؤساء العسكريين وعند الإعلان عن شريعة ما^(٤).

بالنسبة لشعب الله في الأزمنة الغابرة، لم يكن التعبير عن مقاصد الله في صيغة عهدية محددة واضحاً. لذا، عند استخدام مصطلح "مشيئة الله" أو "قصد الله" في العهد الجديد، فإنه يشير إلى مشيئته الله المعلنة للبشرية، والمرتبطة دائماً بالمصالحة. وبحسب آشلي جونسون، *Ashley Johnson*، "قد تقابلنا لفظة، *Covenant*، في نص (عب ٨: ١٣)، بينما ترد في نصوص أخرى لفظة، *testament*، كما نقرأ أيضاً تعبير العهد الأبدي *everlasting covenant*، وقد تم ترجمتهم بالفعل من نفس الكلمة اليونانية .. وعندما أنطق اللفظ: *covenant*، أعني عهداً، مثلما أنطق اللفظ، *Testament*، والعكس صحيح، وعندما استخدم اللفظتين، أعني بهما في كل استخدام يومي مشيئة؛ فعهد الله هو مشيئة الله من جهتها^(٥)".

المسيح والعهد

وُصِفَ المسيح نفسه كعهد بقول إشعياء: "أَجْعَلُكَ عَهْداً لِلشَّعْبِ وَنُوراً لِلْأُمَمِ"، (إش ٤٢: ٦). وقد اقتبس البشير متى هذا النص في (مت ١٢: ١٤-٢١)؛ فالمسيح هو العهد الذي يتوسط بين الله والإنسان كما كان العهد الموسوي قديماً، كما إنه يمثل البشرية العاجزة أمام الله الذي يقبل مصالحتها فيه؛ فالمسيح هو الطريق الوحيد إلى الآب، (يو ١٤: ٦-٧).

وبسبب هذا الإعلان، هناك نوعان من البشر: الذين هم "في المسيح"، ومن هم "ليسوا في المسيح"، الذين يصفهم الكتاب بأنهم غرباء، وأعداء وأموات بالذنوب والخطايا بغض النظر عن سلوكهم الأخلاقي، (أع ١٤: ١٤). وفي

4- Gottlab Schrenk, "thelo," TDNT, Vol. III, 1965, p. 47

5- Ashley Johnson, *Sermons on the Two Covenants*, Delight, Arkansas: Gospel Light (reprint), 1899, P. 8.

رسالته لأهل أفسس، يصفهم الرسول بولس بأنهم أموات، مسوقون بالثقافة، والفلسفة، والشيطان، عصاة، غرباء، بعيدون، بلا إله، بلا رجاء، وأعداء، (أف ٢: ١-١٢). أما من هم "في المسيح"، فهم مُقامون، مخلصون، مخلوقون من جديد، قرييون، متمتعون بالسلام مع الله، وبشركة القديسين وأهل بيت الله، (أف ٢: ١٤-٢٢). كانت كنيسة الله امتداداً لشعب العهد مع الله. ويصبح الشخص "مختاراً" في المسيح، (أف ١: ٤)، بعد أن ينال التبنّي، والفداء، وغفران الخطايا بالدم. وبلا ريب، كان توجه الرسول بولس توجّهاً عهدياً، إذ أنه استعمل كل المفردات المرتبطة بالعهد في رسائله.

الميلاد الثاني

قديمًا، يصبح المرء عضوًا في مملكة إسرائيل الأولى (تث ١٩: ٥) بالميلاد الجسدي في شعب العهد. بينما يدخل المرء الملكوت الجديد، ملكوت المسيا بالميلاد الثاني. ومع أن تعبير الرسول بولس، "أحيانًا مع المسيح" في (أف ٢: ٥)، يشير إلى القيامة من الموت، إلا أن الاستعارة في التعبير توازي مبدأ الولادة الثانية، (يو ٣: ٣). فقد اتبع الرسول بولس لغة المسيح في حديثه عن الولادة الجديدة (فل ١٠)، وبالمثل، الرسول بطرس، (١ بط ١: ٢١-٢٣)، والرسول يوحنا، (١ يو ٢: ٢٩)، الذي كانت مفرداته عهدية عند الإشارة إلى أطراف العهد، (يو ٣: ١-١٣).

تبدأ الولادة الجديدة للمرء، عندما ينغرس الإنجيل في فكره، وهو ما يؤكّد عليه معلمنا يعقوب بقوله: "شَاءَ فَوَلَدْنَا بِكَلِمَةِ الْحَقِّ لِكَيْ نَكُونَ بَاكُورَةً مِنْ خَلَائِقِهِ .."، (يع ١: ١٨-٢٢). بالنسبة للرسول بطرس كانت رسالة المسيح البذرة، *the seed*، التي نولد منها: "مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً، لَا مِنْ زَرْعٍ يَفْنَى، بَلْ مِنْ مِمَّا لَا يَفْنَى، بِكَلِمَةِ اللَّهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الْأَبَدِ"، (١ بط ١: ٢١). ويُخلق جنين هذه البذرة، بتقديم يقين موت المسيح وقيامته، ومن ثم يبدأ الإيمان، (١ كو ٤: ١٥). أما المدة التي يخرج بعدها هذا الجنين فقد تقصر أو تطول، اعتمادًا على التائب الذي يعود إلى نفسه، (لو ١٥: ١٧)، لأن الحزن الذي بحسب مشيئة

الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة، (٢ كو ٧: ١٠). ويتحقق الميلاد الفعلي في الماء، (تي ٣: ٥)، فالمعمودية هي تعهد الولاء لله بضمير صالح، (١ بط ٣: ٢١). ويصبح العهد ملزماً بعد الميلاد الثاني أو بعد الإدلاء بالقسم، (عب ٩: ١٨). ولا نجد في كتابات القرون الأربعة الأولى للكنيسة الأولى أية وجهة نظر أخرى بديلة^(٦). ومن نشروا رأياً مخالفاً لذلك، هم قلة صغيرة فقط من الباحثين المسيحيين، إلا أن الدراسات الأكاديمية المتخصصة أجمعت على أن المعمودية هي ماء التجديد، أو ماء الميلاد الثاني.

والرعوية^(٧) للمؤمن، (غل ٣: ٢٧)، وغفران الخطايا، (أع ٢: ٣٨)، وعطية الروح القدس، (أع ٢: ٣٨)، والمشاركة في كل المواعيد المستقبلية العتيدة، (رو ٨: ١٧-١٩)، جميعها يسبق المعمودية كشرط فريد للعهد الجديد. ويمكنني أن أقول بشكل صائب إنه ما من مسيحي تُغفر خطاياها بأي شرط أو عمل في العهد الجديد، غير أنه يقبل نعمة الغفران كعطية من الله عند الخضوع والتعهد بالولاء له.

كما أن عملية الولادة الجديدة بكاملها تتم تحت إشراف الروح القدس: يعلن روح المسيح الرسالة، (١ كو ٢: ١٣)، ويرسل الكارزين، (أع ١٣: ١-٣)، ويجد المنتظرين، (أع ١٦: ٩)، ويوحد البعدين، (أع ٨)، وينتصر في بعض الأحيان على عوائق اللغة، (أع ٢: ٤)، ويؤيد الكلام بالآيات والعجائب، (عب ٢: ٢). ونتيجة لذلك، فإن كل تائب يكون مولوداً من الروح، (يو ٣: ٥). ويمكننا القول بأن الروح هو العلة الأولى، (يو ٣: ٥)، والكارز المرسل بالروح هو الفاعل، (١ كو ٤: ١٥)، ورسالة الروح هي المبدأ الفوري، (يع ١: ١٨)، أما جوهر الإيمان فهو مبدأ خضوع، (أع ٢: ٤٠). ومع أن الله هو صاحب المبادرة في الولادة الجديدة لكنها تتحقق من خلال الشركة المتبادلة، وعلى أي حال، يتطلب ميلاد أي مولود جديد كائنين. وقد ناقش الرسول

6 -Alexander Campbell, Christian System, 1835, Cincinnati: Standard Publishing Co., Reprinted, P. 189

٧- الرعوية، *citizenship*، تعني جنسية، وتشير هنا إلى المواطنة في الملكوت الجديد، لا تعارض مع وطنيتنا الشديدة في البلد الذي نولد، نعيش فيه، المترجم.

بولس نفس الموضوع في (رو ١٠)، ولكن بشكل معكوس عندما قال: "لأنَّ كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ. فَكَيْفَ يَدْعُونَ بِمَنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ؟ وَكَيْفَ يُؤْمِنُونَ بِمَنْ لَمْ يَسْمَعُوا بِهِ؟ وَكَيْفَ يَسْمَعُونَ بَلَا كَارِزٍ؟ وَكَيْفَ يَكْرِزُونَ إِنْ لَمْ يُرْسَلُوا؟.."، (رو ١٠: ١٣-١٥). والوصف الوحيد الذي يشرح معنى الدعاء باسم الرب يأتي في سفر أعمال الرسل مرتبطاً بالرسول بولس، إذ كان يصلي لعدة أيام جاءه حنانيا وقال له: "لِمَاذَا تَتَوَانَى؟ قُمْ وَاعْتَمِدْ وَاغْسِلْ خَطَايَاكَ دَاعِيًا بِاسْمِ الرَّبِّ"، (أع ٢٢: ١٦).

المعمودية قَسَمَ العهد

جَلَبَتْ مياه نوح موتاً للعصاة في أيامه، مع أنها نفس المياه التي أنقذته بنعمة الله، وقد فصلت مياه الدينونة الأحياء عن الأموات. وبالمثل تكون مياه المسيح نوعاً من الدينونة^(٨). هي حكم بالدينونة على الخطية لكل من الله والتائب؛ فطبيعة حياة الإنسان القديمة خاطئة، وقد قبل كل من الله والتائب الحكم عليها: "لَا النَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ"، (حز ١٨: ٤). كانت المياه أيضاً تعهداً من قِبَلِ الله والتائب: يتعهد الخاطئ بقَسَمِ أمام الله بحياته ويتعهد الله بقبول هذا الخاطئ إلى شركة العهد:

".. إِذْ كَانَ الْفُلُّكُ يُنْبَى، الَّذِي فِيهِ خَلَصَ قَلِيلُونَ، أَيْ ثَمَانِي أَنْفُسَ بِالْمَاءِ. الَّذِي مِثَالُهُ يُخْلَصُنَا نَحْنُ الْآنَ، أَيْ الْمَعْمُودِيَّةُ. لَا إِزَالَةً وَسَخِ الْجَسَدِ، بَلْ سُؤَالَ ضَمِيرٍ صَالِحٍ عَنِ اللَّهِ، بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ"، (١بط ٣: ٢٠-٢١).

وقد استعمل بعض المترجمين القدامى لفظة "جواب، answer" عند ترجمتهم لللفظة "سؤال". بالنسبة لهم، يقدم الإنجيل تطهيراً للضمير في مجتمع إنساني مريض بالخطية. ويتمتع الخاطئ بيقين الغفران الإلهي، إن استحباب فقط بلفظة "نعم". وبذلك تكون المعمودية جواب الإنسان من نحو الله. إلا إن نهاية اللفظة "سؤال، ἐπερωτήματα" في اللغة اليونانية تسمح لنا بترجمتها

بمعنى يفيد أن المعمد شخص مبادر أو مستجيب. وبالفعل، يفضل بعض المترجمين ترجمة اللفظة إلى تعهد أو سؤال، أو طلب في صيغة المبادرة، بينما يفضل آخرون ترجمتها بصيغة الاستجابة من قبل الإنسان لتعني "جواباً":

"صلاة من أجل ضمير نقي أمام الله، *the prayer for a clear conscience before God*، ترجمة موفات، Moffat
"جواب ضمير صالح، *the answer of a good conscience*، ترجمة الملك جيمس، KJV.

"اشتياقاً لضمير نقي، *the craving for a clear conscience*، ترجمة وليامز، Williams.

"التماساً مقدم لله، *the appeal made to God*، ترجمة الإنجليزية الجديدة، NEB.

"طلباً إلى الله من أجل، *the request to God for*، ترجمة شونفيلد، Schonfield.

"استنطاقاً لضمير صالح، *the interrogation of good conscience*، الترجمة الأمريكية القياسية، ASV.

"سؤال الله من أجل ضمير نقي، *the asking God for a clear conscience*، ترجمة بك، Beck.

"لأننا عندما نعتمد نتوجه إلى الله طالبين إليه أن يطهر قلوبنا من الخطية، *because in being baptized we are turning to God and asking him to cleanse our hearts from sin*، ترجمة الكتاب الحي، Living Bible.

"التعهد بضمير صالح، *a pledge of a good conscience*، الترجمة الدولية الجديدة، NIV.

وعندما يقبل المرء المعمودية فإنه يشهد عن إيمانه بالموت والقيامة. وفي الحقيقة، يشهد عن ثلاث ميتات وثلاث قيامات: أولاً، يقول، "أؤمن أن المسيح يسوع مات وقام من الموت، هكذا أنا أيضاً أنزل إلى الماء، لأموت عن الحياة، وأقوم"، وثانياً: "مثلما مات المسيح، هكذا تموت حياتي القديمة وتُدْفَن، ومثلما قام من الموت ثانية، أكون إنساناً جديداً، أحيأ كيفما يقودني"، وثالثاً:

"إن كنت يوماً ما أموت وأُدفن في هذه الأرض، أؤمن أنه كما قام المسيح بكل يقين من الموت، أنني كما أقوم من الماء سأقوم من القبر يوماً ما بسبب قيامته"، (رو ٤: ٦-٩).^٩

ويرى الشهود الشخص المقبل على المعمودية حياً أمام عيونهم، مثلما رأى الناس المسيح من قبل، ليغوص بعد ذلك في الماء مختفياً عن أنظارهم مثلما دُفِنَ المسيح في القبر، ليروه مرة أخرى كما رأى الناس المسيح بعد قيامته. ومن منظور المتقدم للمعمودية، يعتبر نفسه أنه كان حياً يتنفس من قبل، لكنه يموت الآن تحت الماء منقطعاً عن كل سبل الحياة، كما مات المسيح، وإن جاز التعبير، إن لم يخرج من يقوم بتعميده من الماء، يبقى هناك ويموت. ولكن الله من خلال الكنيسة، يعيده إلى الحياة، كما قام المسيح ليحيا إلى الأبد. وبالإضافة للصورة الجميلة التي ترسمها المعمودية عن الموت والقيامة، فهي اعتراف من طالب المعمودية يقدمه إلى الله. إنها التعهد الذي يقدمه كل معمد لله بالقول:

"تترل قدماي إلى الماء، إلى الموت، كي لا تسلكا في طريق الشر بعد. تموت أعضائي عن الخطية، كي لا تخدم الشر بعد. ويغمر الماء يدي لتعهدا للمسيح كي لا يسرقا أو يمتددا بالسوء، ويسحقا المساكين، أو يتسلطا على الضعفاء فيما بعد. تندفن الآن أفكاري، وطموحاتي، وقدراتي، وتصوراتي، ليكف فكري عن المقاصد الرديئة، والربح القبيح، والتصورات الجامحة. فكري، وقلبي، وروحي تتعهد كلها بأن تكون لله، فالإنسان الذي كنته قبلاً، مات ودفن. أتعهد بذلك. أما الإنسان العتيد أن يكون فهو حي كي يستخدمه المسيح. أتعهد بذلك. أنا ملكٌ للمسيح، فاستجابتي يا رب هي "نعم"، أقدم لك هذا العمل كأعلى قَسَم".

وإن كانت الصلاة بالفكر تعبر عن تسليم الإنسان ذهنه لله، فالمعمودية هي تسليم كلي لله، نفساً وفكراً، وجسداً. فالصلاة بالفكر يغيب عنها عنصر

٩ - بتعبير آخر تشير المعمودية التائب إلى حدث موت وقيامة المسيح في الماضي، وإلى اتحاد التائب بهذا الحدث موتاً وقيامة في الحاضر، (رو ٦: ٤-١)، وإلى رجاء استعلان هذا الحدث في المستقبل، وربما لهذا السبب يتم تغطيس المعمد ثلاث مرات في الماء، كما تمارسه بعض الطوائف، المترجم.

الإماتة، كشرط للقسم، كما ينقصها حركة الجسد كتعبير عن الشخص في الفكر اليهودي. وجسد المرء يخطئ، وبحسب فكرهم يمثل هذا الجسد "جسد الخطية المحتاج إلى التطهير، وما المعمودية إلا فعل إماتة لهذا الجسد الميت الذي يثقل كاهل الإنسان عبر سنوات النجاسة.

ويرتبط الماء بأخذ القسم منذ زمن موسى، فعند الإدلاء بالقسم في جبل سيناء، مزج موسى الدم بالماء، كي يوسع من استخدامه، وبعد رشه على ستمائة ألف ماش، ربما تبقت منه طبقة رقيقة! كما تطهر نعمان السرياني بغمر نفسه في الماء، وبالمثل المتهودون الذين غمروا أنفسهم في مياه المعمودية، مبادرة واختياراً منهم للانضمام إلى أخوية إسرائيل. وعندما ذبح المسيح، وقت إدلاء الله بالقسم، خرج دم وماء من جنبه. ويربط الرسول بولس بين موت المسيح، أي بين الدم، ومعمودية المؤمن، التي تعيد إلى الذاكرة الالتزام المقدم هناك:

"نَحْنُ الَّذِينَ مُتْنَا عَنْ الْخَطِيئَةِ، كَيْفَ نَعِيشُ بَعْدَ فِيهَا؟ أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلٌّ مَنِ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ، فَدُفْنَا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ، حَتَّى كَمَا أَقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الْآبِ، هَكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضًا فِي جَدَةِ الْحَيَاةِ؟ لِأَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ صِرْنَا مُتَّحِدِينَ مَعَهُ بِشِبْهِ مَوْتِهِ، نَصِيرُ أَيْضًا بِقِيَامَتِهِ. عَالَمِينَ هَذَا: أَنَّ إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُبْتَطَلَ جَسَدُ الْخَطِيئَةِ، كَيْ لَا نَعُودَ نُسْتَعْبِدُ أَيْضًا لِلْخَطِيئَةِ. لِأَنَّ الَّذِي مَاتَ قَدْ تَبَرَّأَ مِنَ الْخَطِيئَةِ"، (رو ٦: ٢-٧).

ويتطهر الضمير في المعمودية فقط، عندما يؤمن المعمد بضمير صالح في قلبه بحقيقتين: أن المسيح قام من الموت. بدون هذا الإيمان تصبح المعمودية مجرد ممارسة طقسية فارغة. ويجب عليه أن يؤمن بأن الله قد وعدَه بغفران خطاياها وبالدخول إلى سلام عهدي. فإن امتلأ قلب المعمد بالإيمان حقاً، لا بد وأن يشعر بالراحة والفرح حين يخرج من ماء المعمودية، (أع ٨: ٣٩). وإذا لم يشعر بالراحة، فإما أنه قد تعلّم بطريقة خاطئة، وبالتالي لم يتمتع بولادة حقيقية، أو أنه لم يؤمن بالمكتوب.

والارتباط بين المعمودية وغفران الخطايا يتضح من خلال هذا التوازي، فكلاهما يتضمن تعهدًا: لقد تعهد الله بغفران الخطايا بطريقة مادية ملموسة في الجلدثة: "لأنَّ هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفِكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا"، (مت ٢٦: ٢٨)، كما يتوقع الله من الإنسان أن يتعهد بعمل ملموس أيضًا: "... تَوْبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لَغُفْرَانِ الْخَطَايَا .."، (أع ٢: ٣٨). ولم يكن الارتباط بين المعمودية وغفران الخطايا أبدًا أو سحريًا، بل يوازي تطهير نعمان السرياني.

لم يكن الماء كوسيلة للمعمودية شيئًا في حد ذاته، يتميز عن الرمل أو نشارة الخشب، أو أي مادة أخرى، فالله يجعل الأشياء ذات قيمة باختياره لها من أجل قصد معين. وقد كان بمقدوره استخدام أي عدد من الطرق ليتجاوز الإنسان معه من خلالها. إلا أنه اختار المعمودية التي تكتسب قيمتها فقط من ارتباطها بالعهد. وإن كانت غير مناسبة للإنسان، لكان الله قد فكر في البديل، مع أنه ليست لدينا أمثلة على ذلك. لم يكن القصد أن تكون المعمودية فريضة ناموسية، أو طقسًا آليًا، بل هي عمل أخلاقي. والأبعد من ذلك، كيف يمكن للمرء أن يقول "نعم" لله، و"لا" للمعمودية؟! أيضًا، ليس من الجيد تصنيف الأعمال الملموسة للإيمان تحت قائمة الأعمال، بينما الأعمال العقلية له تحت قائمة الإيمان. وبحسب فكره اللاهوتي، لم يعتبر الرسول بولس "الأعمال" تنفيذًا لوصية المسيح أو رسله. بالنسبة له، يشير مصطلح "الأعمال" إلى الأعمال التي يتطلبها الناموس، (غل ٣: ٢)، والتي يمكن للإنسان أن يفتخر بها، (أف ٢: ٩). مع أننا إزاء هبة الله المجانية غير مؤهلين، ولا يمكن بأعمالنا أن نفوز بها، أو نستحقها، إلا أنها عطية مشروطة أو متبادلة. لقد أنعم الله على يشوع بأريحا، إلا أنه كان مطالبًا بأن يشارك بعمل الإيمان، وبالمثل وهب الله تطهيرًا مجانيًا لنعمان، لكن كان عليه أن يطيع.

لقد نشأ الفكر الخاطئ عن النظرة الدونية للمعمودية أساسًا، بسبب تبني الأفكار اليونانية عن المادة والروح. بالنسبة لليونانيين، كانت المادة شرًا، أما الروح فهو بلا شكل، أو لون، أو جوهر. وعندما تسرَّب هذا المفهوم للفكر

المسيحي، قيل: "إنه لا يمكن لأي عمل مادي ملموس أن تكون له علاقة بخلاص الإنسان". وهكذا تم توصيف كل ما هو عقلي على أنه "إيمان"، أما المادي فيندرج تحت قائمة "الأعمال". ولهذه الثنائية في الشرح فائدة قليلة عند دراسة الكتاب، لأن الكتاب كتاب عهد. ومن طبيعة العهد أنها تنطوي على شركة متبادلة مشروطة. ولا يقودنا الأخذ بهذا المبدأ اليوناني في النهاية إلا لاستبعاد التجسد، والصليب، والكنيسة، إذ أن جميعها مادي ملموس. كما يمثل الإيمان بمثل هذا الفكر إحياءاً للغنوسية، وإن كان بصورة أخف، وقد تم استعادة هذا الفكر في الكنيسة عن طريق البروتستانتية الأوربية؛ فالإصلاح الذي ساهم في إحيائها، ظهر في عصر النهضة التي هي نتاج إحياء الفلسفات اليونانية القديمة^(١٠). وفي العهد، لم تكن للأشكال المادية أو الطقوس قيمة في ذاتها أو من ذاتها، كماء المعمودية، لأن قيمتها تنبع من ارتباطها بالعهد حال كونها جزءاً منه، (خر ٢٥: ٤٠؛ عب ٨: ٥-٦).

المعمودية والختان

هناك فرق بين قَسَم العهد وعلامة العهد. واللفظة العبرية المستعملة من أجل القَسَم هي "آلاه، אלה، Alah"، وقد اسْتُعْمِلَتْ أيضاً للتعبير عن "لعنة العهد"، فقد كان القَسَم التزاماً ولعنة في ذاته. أما علامة العهد فكانت تعبر عنها لفظة "أوث، אוֹת، oth". ويتمثل الإدلاء بالقَسَم في المرور بين أنصاف الحيوانات المذبوحة، ولمس "دم العهد"، أما العلامة فكانت تمثيلاً أو تذكّاراً مرئياً لطقس القَسَم، وتعدد العلامات، لتكون كومة من الحجارة، (تك ٣١: ٤٤-٤٦)، أو قوس قرح، (تك ٩: ١٣)، وغيرها الكثير من الأشياء. أقَسَم الله وإبراهيم على العهد بالمرور بين أنصاف حيوانات الذبائح، (تك ١٥: ١٧-١٨)، في حين كان الختان علامة العهد، (تك ١٧: ١١). وكان السبت علامة العهد الموسوي، (خر ٣١: ١٣)، أما علامة العهد الجديد فهي اقتناء عطية الروح القدس، أو السلوك في الحياة كما سلك المسيح، (أف ١: ١٣).

10- Edward M. Hulme, *Renaissance and Reformation*, New York: Century Publishing Co., 1917, p. 88-91.

وهناك نص في رسالة الرسول بولس لأهل كولوسي تأتي فيه التعبيرات: "ختان"، و"الطبيعة الخاطئة"، و"ختان المسيح"، و"دفن المعمودية". ولم يضع الرسول بولس المعمودية والختان في هذه القرينة على قدم المساواة، كما لم يستخدم مبدأ التوازي بينهما كمثال، *type*، وممثل به، *antitype*. إن الختان غير المصنوع بيد هو "ختان المسيح"، أي موته، فالمسيح قُطِع من أرض الأحياء، واختُتِن جسده كله على الصليب. وفي المعمودية، يتحد المرء بالمسيح في شركة موته وقيامته. ويعلق بول جُورْت، *Paul Jewett*: "لم يكن ما حدث في الجلجثة لعنة قَسَمَ رمزية بل تنفيذ فعلي للعنة في ختان الله لابنه الوحيد في الصليب، الذي فيه قد تم بالفعل خلع، (كو ٢: ١١)، جسم بشرية المسيح بموته، (كو ١: ٢٢)، حتى يمكننا، يهوداً أو أمماً، أن نكون مقدمة مقدسة بلا لوم أو شكوى أمامه، نحن الذين كنا قبلاً أجنبيين وأعداء في الفكر، والأعمال الشريرة، (كو ١: ٢١-٢٢) ... وقد استعمل الرسول بولس لفظة "آبكدسيس، ἀπένδυσις"، اليونانية والمترجمة إلى "خلع" في العربية .. لكن لكي نفهم معناها من الأفضل ترجمتها إلى "إزالة"، لتعبر عن استبعاد أية إمكانية للرجوع للحالة السابقة مرة أخرى. إن ما يعنيه الرسول بولس بختان المسيح هو موته^(١١)."

ويبادر المسيحي بالقَسَمَ بموته وقيامته شخصياً في المعمودية، التي لم يعن بها الرسول بولس ختناً. إن موت المسيح، برفعه للعنات العهد، والمصور بأنه قطع في الختان، كان إزالةً للنظام القديم كله، وعلى اليهودي ألا يخشى أي استبعاد من الله لأنه هجر عهده القديم، لأنه يعلم أن غير المختون ملعون من الله، إلا أن الرسول بولس أكد أن الجميع قد اختُتِنوا بالفعل عندما تألم المسيح، و"قُطِع" من أجل كل البشرية، وأضاف أن الكل لهم نصيب في بركات الصليب عندما يعتمدون لموت المسيح. "إن الفعل اليوناني الماضي المبني للمجهول في صيغة الأورست، *aorist*، يوضح أنه لكي تختبر ختان المسيح بخلع جسم البشرية هو نفس الشيء عندما تختبر الدفن والقيامة معه في المعمودية بالإيمان^(١٢). ومع

11 Paul Jewett, *Infant Baptism and the Covenant of Grace*, Grand Rapids: Eerdmans, 1978, P. 89.

12- Jewett, *ibid.*, P. 89.

ذلك، فهذا لا يعني أن المعمودية والختان هما نفس الشيء كعلامات:

العهد الجديد	العهد اليهودي القديم	
• بالاختيار أي بالروح، من المسيح	• في جسد إبراهيم	أساس العهد
• بالميلاد الثاني وذروته في المعمودية	• بالميلاد من نسل إبراهيم	الدخول إليه
• السلوك بالروح	• ختان الطفل في اليوم الثامن	العلامة

إن خطورة مساواة العلامات، يجعل المعمودية والختان "ختمين" يؤديان نفس الغرض، تثير تناقضاً في خبرة ولاهوت الرسول بولس. فالفرق طفيف بين قوله: "لَا الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئًا وَلَا الْغُرْلَةُ"، وقوله: "لا المعمودية تنفع شيئاً أو عدمها". وهو ما يناقض بالطبع، تعليم المسيح، (مر ١٦: ١٥-١٦). وقد كان ممكناً للرسول بولس أن يقول بأن الختان لا ينفع شيئاً، فهذا حق، لأن الختان أصبح عملاً من الأعمال الميتة. لأن ناموس العهد القديم الذي كان الختان جزءاً منه قد انتهى، (رو ٧: ١-٦). ولم يكن ممكناً له أن يقول هذا إن كان الناموس لا يزال مطبقاً وفعالاً. والشيء الواضح هو أن الماء، بدون تعهد المعمد وإيمانه بالإنجيل يمثل عملاً بلا معنى من أعمال البر؛ فالإيمان هو ما يجعل المعمودية فعالة، إذ فيها يقدم المعمد تعهداً لا يمكن أن يُنسى، معلناً أمام الله عن إرادته واستعداده على المجيء بجسد الخطية إليه كي يطهره. وكما أعلن الله عن مقاصده في الجلجثة بطريقة مادية وملموسة، شَرَّفَ الإنسانَ بإحساناته عندما سَمَحَ له أن يرد الجميل كشريك عهد.

وبما أن خطايا الإنسان أخلاقية، لم يتم اعتبار الأطفال خطاة، (إش ٧: ١٥-١٦). وقد استعمل المسيح براءة الأطفال كمثال للبراءة التي نختبرها في الملكوت الجديد، (مت ١٩: ١٤). وعندما يصير "البيت" كله مسيحياً، (أع ١١: ١٤)، لا يجب الافتراض بأن هذا يشمل الأطفال. لأن ما يتم في المعمودية هو إدلاء بالقسم، ولذا فإن الدخول إلى العهد الجديد ممكنٌ للقادرين على استيعاب الالتزام الأخلاقي المقدم فيه، (نح ١٠: ٢٨-٢٩). يلقي العهد

الضوء على أدوار طرفيه: دور الله في خلاص البشر، ودور الإنسان في إظهار صورة الله في حياته. لقد بادر الله بالعهد، التي كُتبت بواسطته، وسُلِّمَت للجنس البشري، ويخلص الإنسان بقبوله لها: فالعهد الجديد بأكمله هو عهد نعمة، بل هو قُبلة محبة الله للإنسان الوحيد المتغرب بعيداً عنه، فالمجد لله والله وحده فقط، (أف ١: ١٤).

شروط العهد الجديد

تشير شروط العهد الجديد إلى التزامات مفترضة في قَسَمِهِ، لا إلى مطالب الدخول فيه ... وفي العهد القديم، كانت الشروط متضمنة في مواعيد الله للإنسان، أو الناموس أو بأي التزام يلزم به الإنسان نفسه. فما هو الشيء الذي يلتزم به المؤمن في العهد الجديد؟ في هذه الدراسة، لن نبذل الكثير من الجهد لتحديد تفاصيل شروط العهد الجديد، إذ يكفي الفهم العام لمفرداته.

أسلوب التحليل

في أسفار العهد الجديد، ليس هناك نص يحدد بشكل نهائي قائمة بشروط العهد، كما الحال في الناموس. ومن الواضح تماماً أنه ليس المقصود بكل أسفار العهد الجديد أن تكون شروطاً للعهد. لأن العهد كان فعالاً قبل تدوين تلك الأسفار بوقت كبير. وبتعبير آخر، ليست أسفار العهد الجديد هي العهد ذاته، وإن كانت تمثل السجل المكتوب عنه، الذي يعبر عن محتواه، وكيفية تنفيذه. ومع أنها أسفار موحى بها، لم تكن كتاباً قانونياً تشريعياً؛ فهي ليست دستوراً أو كتاب لوائح بالرغم من أنها أدت نفس الوظائف. وعلى إنجيل الأحبار السارة تأسست الكنيسة التي كتب رسلها وآخرون أسفاراً كثيرة. والكنيسة التي كانت قد سمعت الرسالة ورأت الأسفار هي التي حكمت بقانونية ما يحمل منها رسالة الإنجيل على أفضل ما يكون. وقد جمعت الكنيسة تلك الأسفار عبر فترة طويلة من الزمن واعتمدت عدداً معيناً منها. وأعلن كل جيل من أجيال الكنيسة أن هذه الأسفار القانونية موحى بها من الله، كما كانت تماماً في وقت كتابتها. ومع ذلك لا تمثل أسفار العهد الجديد لائحة قانونية

لشروط العهد. ولكنها تشدد بوضوح على التكليف العظيم، وتحدد الرسالة، وتقدم خطوطاً إرشادية عريضة لتنفيذ هذا التكليف. ولذا كانت أكثر قيمة من العهد ذاته، فلم تكن أسفار العهد الجديد سجلاً يتحدث عن العهد فقط، بل تاريخاً موجزاً يقص لنا طريقة خدمة الرسل والكنيسة الأولى، بالإضافة إلى الرسائل التي شرحت حلولاً لمشاكل الكنائس بالتوافق مع ذلك العهد. وتظهر لنا تلك الأسفار، كيف استخدم الرسل فلسفة جديدة تسخر الوسيلة من أجل غاية خدمة مشيئة الله.

ويمكن للمرء أن يحدد طبيعة العهد ذاته من النصوص التي تناقش موضوعه بوضوح. وكمثال، سيتم استعمال نص من هذه النصوص. والطريقة الأخرى هي بفصل مفردات الرسل إلى شروط مبوبة، وشروط محددة، ليعبرا بشكل طبيعي معاً عن شروط العهد. أما الطريقة الثالثة فهي باستخدام المعطيات المتوازية والمحددة كالالتزام، وتوصيفها بلفظة "شرط". بتعبير آخر، يمكن للمرء أن يصنف كل النصوص في أسفار العهد الجديد التي تتحدث عن أي نوع من الإلزام، وتنظيمها بمفردات رسولية صحيحة، ثم تلخيصها باسم "وسيلة لتحقيق غاية". تنتهي كل الطرق الثلاث إلى نفس النتيجة. ونحن نعلم جيداً ماذا تكون شروط العهد الجديد.

والطرق التي وصفتها، وخاصة طريقة تلخيص المطالب كشروط عهد، استعملها في كتابه، كلاوس بالترز، *Klaus Baltzer*، أستاذ العهد القديم بجامعة ميونخ، *Munich*، بعنوان صيغة العهد، *Covenant Formulary*، وكانت قوائم التحليل: الأطراف، المطالب الأخلاقية، والبركات واللعنات^(١٣)، وتوازي القوائم المستخدمة في هذا الكتاب، لكن بأسماء مختلفة قليلاً. ومع ذلك فالمعطيات التي ترد تحت كل قائمة واحدة.

13- Klaus Baltzer, *The Covenant Formulary*, Philadelphia: Fortress Press, 1971, pp. vi-vii.

قائمة مفردات الشروط

لتلخيص المطلوب من كنيسة العهد الجديد استخدم الرب يسوع لفظة واحدة: "التلمذة". وقد وصف بالتفصيل من هو التلميذ الحقيقي، وطريقة تلمذة التائب، وما هو الهدف التلمذة أو معيارها. كلف المسيح رسله بتلمذة جميع الأمم: "... اذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الْأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ آمِينَ"، (مت ٢٨: ١٩-٢٠). وفي التلمذة نجد كل من الأطراف، والشروط، والمواعيد. ترتبط تلمذة الآخرين بصنع تائبين جدد، الأمر الذي يتضح من أقوال البشير لوقا في سفر أعمال الرسل: "... تَكَثَّرَ التَّلَامِيذُ .."، (أع ٦: ١، ٧؛ ١٢: ٢٤؛ ١٤: ١؛ ١٦: ٥).

وتكميل التلاميذ، أو تجهيزهم للخدمة، أو تعليمهم بشكل متواصل حتى يصبحوا أكثر اقتداءً بسيدهم لم يسمَّ "تلمذة". ويوضح المسيح بشكل أفضل، ماذا يتصف به التلميذ الجيد؛ فهو الذي يتخلى عن كل أهدافه وأولوياته الأخرى، سعيًا وراء الاقتداء بالمسيح، (لو ١٤: ٢٦)، وحفظ كلمته، (يوحنا ١٥: ٧-١٢)، والاستعداد للتألم لنفس الأسباب التي تألم هو من أجلها، (يو ١٥: ٢٠)، والقيام بنفس الأشياء التي قام بها. وهكذا، يصبح كاملاً، مجهزاً، ناضجاً، متعلماً مثل المسيح الذي قال: "لَيْسَ التَّلْمِيذُ أَفْضَلَ مِنْ مُعَلِّمِهِ، بَلْ كُلُّ مَنْ صَارَ كَامِلاً يَكُونُ مِثْلَ مُعَلِّمِهِ"، (لو ٦: ٤٠). ويجب الانتباه إلى أن المسيح قد استخدم كلمة "عبد" أو "خادم" بالتبادل مع لفظة "تلميذ" في قوله: "لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ". واستعمال المفردات بشكل متبادل بين لفظي "تلميذ"، و"عبد"، هو المفتاح لفهم فكر الرسول بولس ومفرداته عن الالتزام بالعهد؛ فلم يستعمل لفظة "تلميذ" مفضلاً لفظة "خادم" أو "وكيل".

كانت التلمذة هي المفهوم الموازي للاختيار، في حين تقابل عملية تكميل التلاميذ الجدد شروط العهد الجديد، أما بلوغهم للكمال فهو ذروة مواعيد العهد، (رو ٨: ٢٨-٣٠): "أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ، الْآنَ نَحْنُ أَوْلَادُ اللَّهِ، وَلَمْ يُظَهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلَكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أَظْهَرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لِأَنَّا سَرَاهُ كَمَا هُوَ"، (١ يو ٣: ٢).

الرسول بولس و "سر" الله

عند استعمال تعبير "سر، *Mystery*" الله في سياق نص يتحدث عن الخدمة فإنه يعني بحسب ما سماه الآخرون عهداً. كان "السر" الذي جاهر به الرسول بولس هو العهد الجديد. كان المسيح نفسه هو "السر" المعلن، (مت ١٢: ٢٨)، وبالمثل انتشار الإنجيل، (مر ٤: ١١). وقد حدد الرسول بولس بوضوح أن "السر" الذي مكتوماً في الأزمنة الأزلية، لم يعد مخفياً فيما بعد لكنه: " .. ظَهَرَ الْآنَ، وَأُعْلِمَ بِهِ جَمِيعُ الْأُمَمِ .. حَسَبَ أَمْرِ الْإِلَهِ الْأَزَلِيِّ، لِإِطَاعَةِ الْإِيمَانِ"، (رو ١٦: ٢٥-٢٦). ويتمثل الإنجيل بحسب أمر الإله الأزلي في الإعلان عن المسيح حتى يؤمن كل الأمم به ويطيعوه. وقد قبل الرسول بولس هذا السر بإعلان من الله، كما قال في رسالته إلي أهل أفسس: "أَنَّهُ بِإِعْلَانٍ عَرَّفَنِي بِالسِّرِّ .. الَّذِي فِي أَحْيَالٍ أُخْرَى لَمْ يُعْرَفْ بِهِ بَنُو الْبَشَرِ، كَمَا قَدْ أُعْلِنَ الْآنَ لِرُسُلِهِ .. أَنَّ الْأُمَمَ شُرَكَاءُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْحَسَدِ وَنَوَالِ مَوْعِدِهِ فِي الْمَسِيحِ بِالْإِنْجِيلِ .. وَأُنِيرَ الْجَمِيعَ فِي مَا هُوَ شَرَكَةُ السِّرِّ الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدَّهْورِ فِي اللَّهِ خَالِقِ الْجَمِيعِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. لِكَيْ يُعْرَفَ الْآنَ عِنْدَ الرُّؤَسَاءِ وَالسَّلَاطِينِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، بِوَاسِطَةِ الْكَنِيسَةِ، بِحِكْمَةِ اللَّهِ الْمُتَنَوِّعَةِ .."، (أف ٣: ٣-١١).

- الأطراف: أعضاء الجسد الواحد الذي يتألف من المؤمنين من أصول يهودية، وأمية.
- الشروط: خدمة هذا السر
- المواعيد: غنى المسيح الذي لا يستقصى

خدمة المصالحة

في واحد من النصوص البناءة، نجد أن مفردات الرسول بولس معلنة بوضوح مذهل، مع أنه لم يستعمل لفظة "عهد" بشكل متكرر. وعند الإشارة إلي العهد القديم، كان الرسول يفضل استعمال لفظة "ناموس"، لعلمه أنه جزء من العهد. وعند مناقشته للعهد الجديد فضل استعمال اسم المسيح، لإدراكه أن المسيح هو التجسيد الشخصي للعهد. وفي النص التالي، يؤصل فكره

بمفردات متوازية، فاستهل كلامه بلفظة "العهد" التي حوّلها إلي لفظة "خدمة"، والتي صارت بدورها "خدمة المصالحة":

- الخدمة هي شرط العهد الجديد، (٢ كو ٣: ٦).
- الخدمة هي خدمة المصالحة، (٢ كو ٥: ١٨، ٢٠).
- خدمة المصالحة هي شرط العهد الجديد.

وفي الإصحاح الثالث من رسالته إلي أهل كورنثوس، يقدّم الرسول بولس مناقشة مطولة عن العهدين. أما في الإصحاح الرابع فيناقش الرسول أسلوب، ومخاطر، وأهداف، وأبعاد خدمة العهد الجديد بقوله: "لأنّنا نحنُ الأحياءُ نُسَلِّمُ دائماً للموتِ .. الموتُ يعملُ فينا، ولكن الحياةُ فيكم .."، (٢ كو ٤: ١١). ويعكس الرسول بولس تعريف المسيح نفسه للخادم: فالخادم هو من يدفع بأولي اهتمامات سيده قدماً إلي الأمام، وقد كان اهتمام المسيح الأول من أجل الجميع هو أن يؤمنوا الإنجيل ويطيعوه ليتصالحوا مع الله، فيحيوا متشبهين بالمسيح:

"ولكنّ الكلّ من الله، الذي صالحنّا لنفسه بيسوع المسيح، وأعطانا خدمة المصالحة، أي إنّ الله كان في المسيح مُصالِحاً العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم، وواضعاً فينا كلمة المصالحة. إذا نسعى كسفراء عن المسيح، كأنّ الله يعظُّ بنا. نطلبُ عن المسيح: تصالحوّا مع الله. لأنّه جعل الذي لم يعرف خطيّة، خطيّةً لأجلنا، لنصير نحنُ برّاً الله فيه"، (٢ كو ٥: ١٨-٢١).

وبمعنى ما، هناك فصل بين المظاهر الأخلاقية، والطقسية لناموس موسى. وإن لم يكن هذا الفصل رسمياً، فأنا لست على دراية بأي عالم أو باحث استطاع التمييز بينهما بشكل مرض اعتماداً على أي مبدأ متفق عليه. إلا أن سمة الحياة، أو ما يسمى بالأخلاقيات تبدو مختلفة عن الواجب المحدد، وإن كان هناك ارتباط ما. إلا أن الالتزام أو الواجب قد يتغير، لكن تبقى الأخلاقيات كما هي. وبحسب الرسول بولس، اكتملت كل أخلاقيات الناموس في المسيح

العهد الجديد، الذي هو عهد الروح، (٢ كو ٣: ١٦). وبعبارة أخرى، يعني الانقياد بالروح الاقتداء بالمسيح، فالروحانية الحقّة هي الاقتداء بشخصه: "وَأَمَّا الرَّبُّ فَهُوَ الرُّوحُ، وَحَيْثُ رُوحُ الرَّبِّ هُنَاكَ حُرِّيَّةٌ وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاطِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهِ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرَاةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ"، (٢ كو ٣: ١٧). إن الاقتداء بالمسيح هو ناموس الحرية، أما تحقيق شروط العهد الجديد فهو كون المرء جزءاً من خدمة المصالحة بأسلوب يشبه المسيح، ويمكن التعبير عن هذين الالتزامين بألفاظ المجاهرة بالحق بمحبة، (أف ٤: ١٥-١٦).

التحليل ذو القائمتين

كانت وساطة المسيح سبباً في ظهور نوعين من البشر: الهالكين، والمفدين. والله قصد من جهتهما، فبالنسبة للهالكين، كان قصد الله من أجلهم هو المصالحة. ويلخص هذا الأمر تقريباً جميع المظاهر الطقسية لحفظ العهد، وفقاً للرسول بولس. أما قصد الله من جهة المخلصين فهو الاقتداء بالمسيح: في نفس الإنسان، (في ٣: ١٢-١٥)، وكجسد المسيح، (أف ٤: ١٢-١٦)، وفي الآلام، (١ بط ١: ٢١)، وفي المجتمع، (أف ٥: ١). وكل ما يساهم في تحقيق هذه الغايات كان يمثل حفظاً للعهد، (١ كو ٤: ١).

وهناك أسماء أخرى عديدة لقائمتي شروط العهد الجديد، فالكراسة موازية لخدمة المصالحة لأنها الوسيلة لتحقيق هذه الغاية. أما النمو في المسيح فهو الشيء الموازي للاقتداء بالمسيح، لأنه الوسيلة لتحقيقه. ويعني "التوجه الداخلي، *Inside Orientation*" الانشغال بخدمة الكنيسة حيث يبني ويخدم المسيحيون بعضهم البعض، بحد تعبير الرسول بولس: "الَّذِي مِنْهُ كُلُّ الْجَسَدِ مُرَكَّبًا مَعًا، وَمُقْتَرَنًا بِمُؤَاوَزَةٍ كُلِّ مَفْصِلٍ، حَسَبَ عَمَلٍ، عَلَى قِيَاسِ كُلِّ جُزْءٍ، يُحْصَلُ نُمُو الْجَسَدِ لِبُيُنْيَانِهِ فِي الْمَحَبَّةِ"، (أف ٤: ١٦). أما "التوجه الخارجي، *Outside Orientation*" فيشير إلى الأنشطة التي تهدف إلى الوصول للهالكين كي يقبلوا المسيح، وذلك لأن الله كان في المسيح "مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ

لَهُمْ خَطَايَاهُمْ، وَوَاضِعًا فِينَا كَلِمَةَ الْمُصَالَحَةِ"، (٢ كو ٥: ١٩). والمرسل هو من يصنع عادة تائبين جدد ليأتي بهم من أرض قديمة إلى ملكوت الله الجديد. ولفظة "خادم" هي اللفظة المستعملة عندما يملك الخادم أو الراعي في وطنه، إلا أن استعمال المفردات بالطريقة السابقة غير صحيح من الناحية الكتابية، لكنه يشير إلى الفهم الصحيح لكل من "الهالكين"، و"المخلصين".

وقد استعمل الرسول بولس في (أف ٤: ١٦) لفظتين مختلفتين: "نمو، growth، αὐξησις" والتي تشير إلى النمو العددي، وهي نفس اللفظة التي وردت في (أع ٧: ١٧). أما اللفظة الثانية فهي "بنيان، upbuild، οἰκοδομέω"، والتي عادة ما تكون مرتبطة بالخدمة في الكنيسة، (١ كو ١٤: ٣-٤). إن النص يقدم مثلاً لقائمتي الشروط التي علمت بها الكنيسة الأولى التي قيل إنها: "... كَانَتْ تُبْنَى وَتَسِيرُ فِي خَوْفِ الرَّبِّ، وَبِعَزِيَّةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ كَانَتْ تَتَكَثَّرُ"، (أع ٩: ٣١)، أو إنها: "كَانَتْ ... تَتَشَدَّدُ فِي الْإِيمَانِ وَتَزْدَادُ فِي الْعَدَدِ كُلَّ يَوْمٍ"، (أع ١٦: ٥).

وعندما نتكلم بمفردات عامة، هناك شرطان للعهد الجديد: يتمثل أولهما في ربح العالم للمسيح، ويطلق عليه خدمة المصالحة. أما الثاني فيتمثل في تغيير العالم بأن يصبح كل مؤمن تائب متشبهًا بالمسيح أكثر فأكثر، ويطلق عليه الاقتداء بالمسيح. وتنعكس نفس الفكرة بطرق كثيرة لتزودنا بمفاتيح ذات قيمة عن فهم الكنيسة الأولى، (١ كو ٥: ٩-١١؛ ١٤: ٢٢).

مفردات الاختيار

يشير مصطلح "الاختيار" إلى أطراف العهد الجديد، فالكنيسة هي عائلة المختارين، (أف ٢: ١٢-٢٢)، كما أن أعضاءها هم كهنوت ملوكي، وأمة مقدسة، وشعب اقتناه الله كما كان إسرائيل القديم، (١ بط ٢: ٩). ومن التعبيرات والمفردات الأخرى التي تشير إلى الأطراف: تلميذ، وكيل، خادم، minister، عبد المسيح، شعب الله، جسد المسيح، الأخوة، القديسون، أورشليم، إسرائيل، الملكوت، صهيون، والكنيسة. وتوصف التوبة بأنها دعوة،

اختيار، (٢بط ١: ١٠)، خلاص، تبرير، ولادة جديدة، فداء، تقديس، استنارة، وتبني وغيرها. وقد أشار كل مصطلح من هذه المصطلحات للعملية كلها؛ فإنسان المسيح لا يفدى أولاً ثم يستنير، ثم يدعى، ثم يولد، ثم يخلص، ثم يتقدس. واستخدمت هذه المفردات بشكل متكرر كمجاز مرسل، باستخدام لفظة تشير إلى جزء يمثل الكل، أو العكس. وقد استفاد العبرانيون تمامًا من هذه الصورة الجمالية، التي تساعد دارس الكتاب المقدس على فهم التعميمات المعبر عنها بألفاظ جزئية مختلفة. على سبيل المثال: السمع يخلص، (غل ٣: ٥)، فبكل وضوح يمثل السمع كل ما يقود المرء كي يصير مسيحيًا. أيضًا، استخدمت لفظة "الإيمان" لتشير لعملية التبرير بكاملها، (يو ٣: ١٦)، وفي أوقات أخرى، كانت التوبة جزءًا يشير إلى الكل، (٢بط ٣: ٩). كما تم توظيف لفظة "الاعتراف"، أو "الإقرار" للتعبير عن كل مظاهر الرجوع إلى الله، (مت ١٠: ٣٢-٣٣)، وبالمثل تم توظيف "المعمودية" كجزء للتعبير عن الكل، (١بط ٣: ٢١).

مفردات الشروط

من التعبيرات والمفردات التي تعبر بإيجاز عن شروط العهد الجديد: "الانقياد بالروح"، (غل ٥: ٢٥)، "الامتلاء بالروح القدس"، (أف ٥: ١٨)، "إتباع خطواته" (١بط ٢: ٢١)، "البناء معًا وفيه"، (أف ٢: ٢٠)، "الحياة لأجله"، (٢كو ٥: ١٥)، "التغير إلى صورته"، (٢كو ٣: ١٨)، "الكراسة بالإنجيل"، (١كو ٩: ١٦-١٨)، "خدمة السر"، (أف ٣: ٩)، "الخدمة والرعاية"، (٢تي ٤: ٥)، "رعاية قطيع الله"، (١بط ٥: ٢)، "التمسك بكلمة الحياة"، (في ٢: ١٦)، و"تقديم القدوة والمثال"، (١بط ٥: ٣)، وغيرها. وفي المعمودية، يقدم المرء التزامًا مدى الحياة بتأييد قضية ربه، فيصير عبدًا للمسيح، باذلاً حياته من أجل القيام بدوره كوكيل له؛ فالواجب المفروض عليه هو ربح البشرية لله بكل وسيلة تُظهر مثال المسيح (١كو ٩: ١٦-٢٧).

مواعيد العهد الجديد

تم التعبير عن مواعيد العهد الجديد بنفس لفظي العهد القديم: البركات، (مت ٥)، والويلات، (مت ٢٣: ١٣-٢٩). المفهوم الثنائي عن البركات والويلات، اللعنات، أمر ثابت عبر الكتاب المقدس. يقول الرسول بولس: "وَيْلٌ لِي إِنْ كُنْتُ لَا أُبَشِّرُ"، (١ كو ٩: ١٦-٢٧).

ومن أجل الفهم الكامل لبركات العهد الجديد، لابد من تقسيمها إلى قائمتين أساسيتين، لخصهما الرسول بولس في تعبير بسيط: "مع المسيح"، (رو ٨: ٣٢). وقد أشار المسيح إلى نوعين من البركات: بركات حاضرة وبركات أبدية. ويتمتع إنسان المسيح في هذا الدهر بمئة ضعف ما تركه من أجل المسيح، وفي الدهر الآتي يتمتع بالحياة الأبدية، (مر ١٠: ٢٩-٣٠).

١- بركات العهد العامة

وهي مواعيد عامة لكل من هم في المسيح. يقبلها إنسان الله سواء أدرك ذلك أو لم يدرك، وذلك لأنه اتحد بالمسيح، ومن البركات العامة: غفران الخطايا، (أع ٢: ٣٨)، وعطية الروح القدس، (١ كو ١٢: ٧)، وشفاعة المسيح، (١ يو ٢: ١-٢)، ونصيب في الخدمة، الأمر الذي تشتهيه الملائكة، (١ بط ١: ١٢). وقد اعتبر الرسول بطرس أن شركة الكنيسة في الطبيعة الإلهية، والتأثير الثابت لتقواها بركة عظيمة، (٢ بط ١: ٤).

أما مواعيد العهد الجديد العتيدة فهي للمؤمنين في المسيح بلا كيل، ومنها: القيامة من الموت، (١ كو ١٥: ٢٠)، والنجاة من الدينونة، (رؤ ٢١: ٢٧)، واعتراف المسيح نفسه بهم كتلاميذ، (مت ١٠: ٣٣-٣٤)، وجسد القيامة الروحاني الجديد، (١ كو ١٥: ٤٩)، والبيت السماوي، (يو ١٤: ١-٤)، والحياة في السماء الجديدة والأرض الجديدة، (٢ بط ٣: ١٠-١٣)، وقد لخص المسيح جميع هذه البركات في التعبير: الحياة الأبدية، (يو ٣: ١٦).

٢- بركات العهد المحتملة

ولا يعني لفظ "محملة"، فرما يكون من الأفضل تسميتها بركات شخصية، أي أنها مواعيد شخصية، أو شرطية. والمقصود بها هو كل البركات الأرضية أو الفوائد التي نحصل عليها مثل: الصلوات المستجابة، والأمور المرتبطة بمرض معين، أو عيب وراثي، والآلام، وامتلاك أو عدم امتلاك أمهات، أو أخوات، أو بيوت، أو أراض، أو زوجة، أو زوج وغيرها. وتأتي هذه البركات على الفرد بدرجات متفاوتة. والشيء الوحيد اليقين، أن المسيح هو المثال، *Model*؛ فلا يتوقع تلميذ المسيح أي شيء مختلف عما قبله المسيح. إلا أن كل تلميذ يمكنه أن يتوقع امتلاك كل ما تركه المسيح: السلام مع الله، (يو ١٤: ٢٧).

العهد الجديد والألم

رفض المسيح أن يكون السبب وراء كل ألم هو الخطايا، سواء خطايا الوالدين أو الفرد، (يو ٩: ١). يتألم البعض لأنه في المكان والزمان الخطأ، (لو ١٣: ٤)، أو بسبب ضعف الإمكانيات، وعدم القدرة على تمييز الأمور، (لو ١٤: ٢٨). أو يتألمون لأن العون لم يصلهم في الوقت المناسب، (يو ٥: ١)، أو بسبب خطيتهم، أو خطايا الآخرين، (مت ٢١: ٣٣-٤١). إن آلام الجسد ليست بالضرورة شيئاً رديئاً. الألم في القدم أفضل من ألم قطعها، أو وجود إصابة ميكروبية فيها. وقد يجلب البعض على نفسه الألم من أجل الخدمة بأمانة، (مت ١٩: ١٢)، في حين يتألم البعض بإهمال واجب مطلوب، (مت ٢٥: ١). ويجلب قليلون الألم لنفوسهم بسبب انتهاك القوانين المدنية، (رو ١٣: ٤-٧)، وهناك الكثيرون ممن يتألمون فقط لأنهم خدام المسيح: "طوبى لكم إذا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ .. مِنْ أَجْلِي، كَاذِبِينَ. اِفْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا، لِأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاوَاتِ .."، (مت ٥: ١١-١٢).

ويتألم بعض المؤمنين عدلاً، في حين يتألم البعض ظلماً، (١ بط ٢: ١٩-٢٠). يتألم العبيد بسبب شر سارقهم، (١ تي ١: ١٠). كما يطالب الإنجيل العبيد من المؤمنين بخدمة سادتهم جيداً حتى وإن كانوا قساة، (١ بط ٢: ١٨). وقد يتألم

الناس من الأعداء، والطبيعة، وبكل أسف، من أخوة كذبة، (٢ كو ١١: ٢٦). لقد طالب الله الناس بأن يموتوا من أجله؛ وقد رأى الصالح يموت بينما يكون الأشرار راضين بموته، (أع ٧: ٥٧-٥٨). لم يشدد رسل المسيح على البركات المادية. فإن فعلوا ذلك، لجردوا إنسان الله من قدرته على مواجهة الأوقات الصعبة، تاركين إياه مقيداً بتعليم خاطئ، بسببه قد يكره الله لعدم تدخله بعد الدعاء والصلاة. طلب الرسول بولس شفاءً من الشوكة التي في جسده، فكانت استجابة المسيح: "تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لَأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تَكْمُلُ"، (٢ كو ١٢: ٩). وببساطة، ليس من الحق أن نقول إن الإيمان النقي يعفي المؤمن من الألم. أمر الله المؤمن أن يصلي في إطار معايير المسيح. ويمكن للصلاة أن تحرك الجبال، فهذا صحيح، لكن الحالة التي يجب أن تتحرك فيها الجبال نادرة. واستجابة كهذه لا تناسب الكثيرين ممن يسيرون ويسكنون فوق تلك الجبال أو يدورون حولها. لم يعف الله تلاميذه المخلصين من الأمور الاجتماعية أو الطبيعية، فالله: "يُشْرِقُ شَمْسُهُ عَلَى الْأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الْأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ"، (مت ٥: ٤٥).

ولا يُنظر للألم أنه نتيجة لنقص الإيمان، أو لخطية بدون توبة، فالحوادث والأمراض كالرياح والأمطار. وفي بعض الأحوال، يتدخل الله ويشفي، (يع ٥: ١٤-١٥)، وفي أحيان أخرى يطالبنا باحتمال المشقات واضعين نصب أعيننا الأنبياء الذين تكلموا باسم الرب، (يع ٥: ١٠). ومع أن الله قادر على التدخل في الطبيعة وقد تدخل فيها بالفعل، لكنه يريد من شعبه أن يوظف قدراته في الطبيعة والمجتمع لخيره، (لو ١٦: ٢). تألم الرسول بولس من أجل سيده من باب ولائه الشديد للعهد. ولم يفترض أحد قط أن آلامه كانت بسبب ضعف إيمانه أو عقوبة على خطايا، كان قد ارتكبها دون أن يتوب عنها، (٢ كو ١١: ٢٣-٢٩).

وهكذا، يجب علينا توظيف جميع الظروف سواء كانت صالحة أو طالحة من أجل المسيح، فالإخفاق يمكن تسخيره كتحذير من أن نقع فيه مرة أخرى. إن كل الأشياء يمكن أن تعمل معاً للخير لمن يسعون وراء تحقيق مقاصد

الله، لأن كل الأمور لا تنتهي إلى الخير صدفة، (رو ٨: ٢٨). ويمنع معلمنا يعقوب المؤمن من أن يقول إن الله يجربه ليمتحنه: "لأن الله غَيْرُ مُجَرَّبٍ بِالشَّرِّ، وَهُوَ لَا يُجَرَّبُ أَحَدًا"، (يع ١: ١٣). ولأن اللفظتين "تجربة، إغواء"، و"محنة" واحد في اللغة اليونانية، من الخطأ القول بأن الله هو من أرسل لي هذه المعضلة. إن كل ما يفعله الله هو أنه يرى طريقة رد فعل المؤمن. ولم يفهم أن الله هو مصدر التجارب لتكون عوامل تقييمية.

ويرتبط اتجاه العهد الجديد نحو الألم بشخص المسيح الذي "مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ"، (عب ٥: ٨). وقد سعى الرسول بولس لتكميل نقائص شذائذ المسيح من أجل الكنيسة في جسده، (كو ١: ٢٤). ولم يكن السبب من وراء مجيء المسيح إلا تحقيق مشيئة الله في احتمال الألم ظلمًا، تاركًا مثالاً من أجل شعب الله، (١ بط ٢: ٢٢). ولا تقارن الآلام الوقتية في الزمن الحاضر بالمجد العتيق، (رو ٨: ١٨). ويمكن لمحاولة تجنب الألم أو الاضطهاد أن تقود المرء إلى خسارة خلاصه، (عب ١٠: ٣٢-٣٩)؛ الأمر الذي قبل به البعض من أهل الختان معرضين لخلاصهم للخطر، (غل ٦: ١٢-١٦). وعلى خدام الله أن يتوقعوا المشقات والآلام، (١ تي ٤: ١٠). وقد قيل للمسيحيين إنهم موضوعون لذلك، (١ تس ٣: ٣-٤). وقد ارتبطت القدرة على الألم، إن كان لأبد منه، بإعلاء مقاصد المسيح الخلاصية: "فَإِنْ كُنَّا أَوْلَادًا فَإِنَّا وَرَثَةُ أَيْضًا، وَرَثَةُ اللَّهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضًا مَعَهُ"، (رو ٨: ١٧).

نص متى ٦

قال الرب يسوع: "اطُّبُّوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّهُ، وَهَذِهِ كُلُّهَا تَرَادُ لَكُمْ"، (مت ٦: ٣٣). ويسيء الكثيرون فهم هذا النص بشكل كبير كما لو أنه يقدم وعدًا بالبركات المادية من أجل البر. ومع أنه يبدو وعدًا غمطيًا مشروطًا، إلا أن سياق النص يزودنا بمفهوم آخر بديل. لم يعن المسيح بتعبير "هذه كلها" تسديد الاحتياج من الطعام والشراب والكساء إن كان المرء

باراً بقدر كافٍ، بل على النقيض، يزودنا الله بكل هذه الأمور في الطبيعة. والدليل على ذلك أن المسيح يذكر سامعيه بزنايق الحقل وطيور السماء، فإن زنايق الحقل تحرقها الشمس، والعصافير يمكن أن تسقط، ويعلم الله ذلك ولا يتدخل، مثلما يسمح بشروق الشمس أو مطر السماء على الأشرار والأبرار. إن الشيء المهم بالنسبة لمواطن ملكوت الله الجديد، هو أن يحيا في الطبيعة دون أن تسوده الطبيعة. إن السعي وراء تحقيق مشيئة الله، وبره كأولوية هو أسلوب حياة مواطن الملكوت. ويمكننا إعادة صياغة كلام المسيح على هذا النحو: "عليكم أولاً بالسعي وراء بناء الكنيسة، ملكوت المسيح، لتكون حياتكم متوافقة مع مثال المسيح كأولوية عظمى، يتمتع الناس منذ البدء بالمأكل والمشرب، والمسكن، جميعها أشياء متاحة لكم كما للآخرين أيضاً، فلا تضعوا قلوبكم عليها".

خيمة الاجتماع والكنيسة

كانت خيمة الاجتماع خيمة كبيرة، ومركزاً للعبادة العبرية. وأشار إليها كاتب الرسالة إلى العبرانيين من حيث ارتباطها بالمسيح، لكنه لم يشرح تفصيلاً ما كانت تشير إليه كل قطعة من أثاثها. وفي تفسيره التيولوجي، *Typology*، أي المثالي، كان تطبيقه الأساسي هو المسيح، الذي كرئيس كهنة دخل بدم نفسه من خلال الحجاب، أي جسده، إلى قدس أقداس السماء، (عب ٩: ١-١٤). وأدرك الكاتب أن المسيح هو المذبح، (عب ١٣: ١٠)، الذي يمكن للمسيحيين فقط أن يأكلوا من ذبيحته. وقد فهم البعض المرحضة كإشارة إلى المعمودية، (قي ٣: ٥). وتعاملوا مع القدس كإشارة إلى الكنيسة، لأن فيه وضعت المنارة التي تشير إلى الروح القدس أو كلمة الله، (مز ١١٩: ١٠٥)، أما مائدة خبز الوجوه فكانت مثلاً لمائدة الرب. ويشير مذبح البخور الذهبي إلى الصلاة، (رؤ ٥: ٩)، بالرغم من أنه ليس من تواز في سياق النصوص. كان التابوت أقدس ما في الخيمة، وقد وُضع بجانبه كتاب العهد، ويمكننا القول إن تاريخ خلاص العالم كان محفوظاً في السماء، موضع سكنى الله^(١٤). ويختلف

14- Victor E. Hoven, *Shadow and Substance*, St. Louis: Bethany, 1934, p. 163ff.

الدارسون حول التابوت، فلم يوضح النص ما كان يمثل، فهو كسائر الأشياء التي "لَيْسَ لَنَا الْآنَ أَنْ نَتَكَلَّمَ عَنْهَا بِالتَّفْصِيلِ"، (عب ٩: ٥). وربما كان قدس الأقداس ذاته هو السماء أو محضر الله، (عب ٩: ٢٤). وكما كان رئيس الكهنة قديماً يرش دم الكفارة على غطاء تابوت العهد سبع مرات، ويخرج ليبارك الشعب معلناً التكفير عن الخطايا، بالمثل دخل المسيح إلي محضر الله بدم نفسه، وسيأتي ثانية ليبارك خاصته، (عب ٩: ٢٨).

شعب العهد الجديد: الكنيسة

ميّز المسيح شعب الله عن أي حكومة أرضية قومية، الأمر الذي يُعد هجرًا جذرياً للعهد القديم. وأشارت الأحداث بين يهود الشتات لهذا التوجه. فقد انتهى عهد المملكة الثيوقراطية القديمة إلي الأبد، وعلى الكنيسة، إسرائيل الجديد، أن تذهب للكراسة بالإنجيل لكل الخليقة، فالكنيسة مملكة ليست من هذا العالم، (يو ١٨: ٣٦). ولا يجب فهم مملكة المسيح بأنها ملكوت ذو طابع فردي، فهي كيان منظم، وجسد مادي، يسوده الوحدة؛ فالكنيسة هي امتداد المسيح عبر التاريخ. والهجوم عليها هجوم على المسيح نفسه، (أع ٩: ٥)، كما دعت المسيح، (١ كو ١٢: ١٢). ومع كونها جسداً واحداً في العالم، إلا أنها معلنة في الاجتماعات المحلية التي تشبه المحامع، (يع ٢: ٢)، التي لها قيادة محلية، (في ١: ١)، بمسميات عديدة: شيوخ، قادة، نُظار، رعاة، وأساقفة، إلي جانب فئة أخرى من العاملين من الخدام، *ministers*، أو الشمامسة، *deacons*، من الرجال والنساء، (١ تي ٣: ١٢). ويجتمع أعضاء الكنيسة بناءً على تعهدهم بالولاء للمسيح، وقد كانت المعمودية هي التعهد الرسمي بالولاء للمسيح والكنيسة: "الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلْءُ الَّذِي يَمْلَأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ"، (أف ١: ٢٣).

وتجتمع الكنيسة في اليوم الأول من كل أسبوع، (أع ٢٠: ٧). وارتبطت هذه الممارسة بالقيامة، إذ صار يوم الأحد معروفاً باسم "يوم الرب"، لأن

جميع أعضاء الكنيسة يحتفلون فيه بعشاء الرب فيه^(١٥). والمسيح نفسه هو أول من أسس هذا العشاء، (مت ٢٦: ٢٦)، كطقس لتناول الخبز والخمر، (١ كو ١١: ٢٠-٢١)، بعد وجبة الشركة. ويساعد هذا العشاء على توحيد الكل في بشرية جديدة بحسب قصد الله، (أف ٢: ١٥). كانت مائدة الرب خدمة تجديد عهد؛ فهي وقت لتذكر موت المسيح وقيامته، (١ كو ١١: ٢٣). وتشير وجبة العشاء فيه إلى حضور المسيح في ملكوته معهم، (مت ٢٦: ٢٩)، وإلى وحدة أعضاء الكنيسة، فهم جسد واحد، (١ كو ١٢: ٢٠)، مثلما كان إسرائيل مملكة واحدة بكل أسباطها. وعند كسر الخبز وترديد عبارة: "هذا هو جسدي"، يعني المؤمن شئئين: تذكره لجسد المسيح المكسور على الصليب، وإعلانه بأن أعضاء الكنيسة جسده، وروحه، لأنهم جسد المسيح.

أطلقت الكنيسة الأولى على المائدة اسم "مائدة الشكر"، أي الإفخارستيا، معتبرة إياها سرًا كنسيًا. ويؤدي عشاء الرب نفس عمل الفصح في إسرائيل قديمًا. كما رآته الكنيسة كذبيحة، ومن هنا جاءت لفظة "سر". وعندما يقترب المرء من مائدة المسيح، عليه أن يعترف بخطايه كما كان الحال في العهد القديم، ليجدد تعهده بالولاء للمسيح، أما كسر الخبز، وشرب الكأس فهما تجديد لقسم العهد، يعلن من خلاهما إنسان المسيح: "أنا جزء من إسرائيل، الكنيسة، أجدد عهدي معكم، أتعهد بأن أخدمكم وأحبكم". وكما كان القسم العبري يتضمن لعنة في ذاته، يسمع الله من المؤمن: "اعتبرني واحدًا من قاتلي السيد الذين يحسبون دم عهده دنسًا، إن لم التزم بحفظ هذا العهد".

"إِذَا أَيُّ مَنْ أَكَلَ هَذَا الْخُبْزَ، أَوْ شَرَبَ كَأْسَ الرَّبِّ، بِدُونِ اسْتَحْقَاقٍ، يَكُونُ مُجْرِمًا فِي جَسَدِ الرَّبِّ وَدَمِهِ. وَلَكِنْ لِيَمْتَحِنِ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ.. لِأَنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ بِدُونِ اسْتَحْقَاقٍ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ دَيْثُونَةً لِنَفْسِهِ، غَيْرَ مُمَيِّزٍ جَسَدَ الرَّبِّ. مِنْ أَجْلِ هَذَا فَيَكُمُ كَثِيرُونَ ضِعْفَاءُ وَمَرَضَى، وَكَثِيرُونَ يَرْقُدُونَ"، (١ كو ١١: ٢٧-٣٠).

إن ما يتم تصويره في السر يحدث بالفعل. على سبيل المثال، صور الحيوان

المذبوح في إسرائيل قديماً الموت، ماثلاً بالفعل في موت الحمل، وفي موت الساجد أيضاً، إن كان آتياً أمام الرب بقلب طاهر. وقد قَبِلَ الله أن يحل الحيوان الذبيح مكانه. ولذا عندما يموت الحيوان، يموت الساجد في نظر الله، وهو ما أصبح ممكناً فقط بسبب اتفاق العهد. وبنفس الطريقة كانت الإفخارستيا سرائية، إذ ما يتم تصويره يحدث بالفعل. لم تكن خدمة المائدة مجرد ذكرى. بل شركة في دم المسيح، واتحاداً به، وتلامساً مع دمه الذي يطهر من كل خطية، (١ يوا: ٧-١٠). مع أن محتويات الكأس لا تتغير إلى دم مادي، إلا أن النتيجة هي كما لو أن الشخص يجعل من دم المسيح الفادي جزءاً من جسده. وفي ذبائح العهد القديم كان لله دور سماوي يقوم به، بينما للإنسان دور أرضي. قدّم الإنسان العبري قديماً ذبيحته السنوية بإيمان صالح، وقد تجاوب الله مع هذا الإيمان بكل صلاح، مكفراً عن خطايا سنة ماضية. وبنفس الطريقة، يتعامل الله معنا في المعمودية، إذ يغفر خطايانا عندما نأتي بتعهدنا إليه بإيمان صالح، فالعهد كان ولا يزال فعالاً. وفي مائدة الرب، يغفر الله من سمائه خطايا المؤمن كمسيحي يشارك المسيح جسده ودمه في تجديد العهد، فمائدة الرب أكثر من مجرد خدمة للذكرى، إنها خدمة تجديد العهد. وقد استخدم المسيح مفردات الإدلاء بالقسم عندما أسس هذه الخدمة، كما أكد الرسول بولس أنها أكثر من مجرد ذكرى عندما قال: "كَأْسُ الْبَرَكَةِ الَّتِي نُبَارِكُهَا، أَلَيْسَتْ هِيَ شَرَكَةً دَمِ الْمَسِيحِ؟ الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ، أَلَيْسَ هُوَ شَرَكَةً جَسَدِ الْمَسِيحِ؟"، (١ كو ١٠: ١٦).

إن التعهد الذي يتم القسم عليه في مائدة الرب هو تعهد بخدمة الكنيسة بأعضائها بحسب قصد المسيح الصالح. ويتضمن هذا التعهد الكثير: عدم القيام بأي شيء يحط من شأن الكنيسة، أو يهينها، (١ كو ١١: ٢٢)، تأديب أعضاء الكنيسة المتمردين بالمحبة، (١ كو ٥: ١٣)، مساندة الضعفاء في الإيمان، (غل ٦: ١)، العناية بالفقراء، والمساكين، (أع ٦: ١)، دعم جهود الكنيسة في خدمة الإنجيل، (في ٤: ١٠)، افتقاد الأرملة والأيتام، (يع ١: ٢٧)، وحفظ وحدانية الروح، (أف ٤: ١-٦). أما ذروة هذا التعهد فهي مواصلة الخدمة:

خدمة المصالحة، والافتداء بالمسيح، (٢ تي ٤: ١-٥). فيجب أن يكون للكنيسة نفس الولاء الذي تعهد به الأمناء من نحو إسرائيل قديماً، بأن تضمن وجود جيل تال من الخدام، وذلك بانتقاء وتكليف الرجال المشهود لهم، (٢ تي ٢: ٢). وبإيجاز، عليها أن تواصل خدمة المسيح للعالم، لأن أعضاءها خدام عهد جديد، (٢ كو ٣: ٦).

نظام بولس الذبائحي

صوّر الرسول بولس الكنيسة وهي تمارس خدمة ذبائحية. ومع أنه لم يستعمل النموذج الرسمي للتفسير المثالي، *Typology*، كان الكهنوت طريقته عند التفكير في خدمة الله في العهد الجديد، رابطاً الخدمة من أجل العالم بكل من الكاهن والذبيحة، مما يشير إلى تركيزه واضح الهدف:

١- كانت الحياة التي يحياها خادم للمسيح هي ذبيحة حية، وعبادة عقلية في ملكوت روح الله الجديد، (رو ١٢: ١-٢). وفي اليونانية ثلاثة ألفاظ للتعبير عن مفهوم العبادة: "بروسكينيو، *proskuneo*، "وسبيوميه، *sebomai*، σέβομαι"، و"لاتريا، *Lateria*، λατρεία". وترد الأخيرة في العربية ليتورجية، وهي نفس اللفظة التي استعملها الرسول بولس في (رو ١٢: ١). وتعني خدمة تكليف أو خدمة محددة بشكل كهنوتي رسمي، فالعبادة المسيحية الحقيقية في العهد الجديد التي تقابل تقديم الذبائح والتقدمات والخدمات في خيمة الاجتماع، تتمثل الآن في الافتداء بالمسيح، والحياة بالتوافق مع مشيئة الله الكاملة الصالحة. وقديماً، انحصرت العبادة في تقديم حمل، أو فرخ يمام لله. يأخذ الكاهن ويدبجه، أما في العهد الجديد فكل مؤمن كاهن، وتقدمته لله هي ذبيحة حية، أي حياة يحياها بحسب نموذج الله الجديد، أي بحسب المسيح. ولا يقتصر اجتماع العبادة في العهد الجديد على مكان العبادة فقط. بل على اجتماع المؤمنين معاً لسماع كلمة الله، والشركة، والصلاة، وبنیان بعضهم البعض، والاشتراك في عشاء الرب. ويعبد الإنسان المسيحي الرب في أي مكان. أما أنشطة الاجتماع فهي مقتصرة على ما يبيّن الجميع:

مثل كلمة الله التي تبني دائماً، مثلما يفعل التسبيح، والعتاء، وتجديد العهد مع الكنيسة، وربما. إن ما يقوم به المرء طوال الأسبوع من أجل تحقيق مشيئة الله، هو عبادة عهد جديد حقيقية.

٢- يمثل التائب الجديد ذبيحة من ذبائح العهد الجديد المقدمة لله: فالألمي الذي يقبل المسيح كمخلص ورب هو مقدمة يطلبها الله في العهد، وقد اعتبر الرسول بولس الأمم الذين ربحهم للمسيح بواسطة كرازته بالإنجيل قُرَبَانًا مَقْبُولًا من الله ومُقَدَّسًا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ، (رو٥: ١٦). قَدَّم كَهَنَةَ الْعَهْدِ السَّابِقِ ذَبَائِحَهُمْ لِلَّهِ بِالشُّكْرِ فِي خُضُوعٍ وَتَعَبٍ، أَمَّا التَّائِبُ الَّذِي يَتِم رِجْهُ فَهُوَ تَقْدِمَةٌ يَأْتِي بِهَا إِلَى اللَّهِ كَهَنَةَ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ. وَالْمُضْمُونُ وَاضِحٌ؛ فَمَنْ لَا يَشَارِكُ فِي رِجْحِ الْأُمَمِ لِلْمَسِيحِ لَا يَقْدَمُ ذَبَائِحَ مَقْبُولَةً لِلَّهِ، وَمَنْ ثُمَّ يَصْبِحُ خَائِنًا لِلْعَهْدِ.

٣- يمثل دعم انتشار رسالة الإنجيل ذبيحة وتقديم يطلبها الله من إسرائيل الجديد. كتب الرسول بولس ليشكر كنيسة فيلي على تقدمتهم، فقال لهم: "قَدْ امْتَلَأْتُ إِذْ قَبَلْتُ مِنْ أَنْفِرُودُسَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي مِنْ عِنْدِكُمْ، نَسِيمَ رَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ، ذَبِيحَةَ مَقْبُولَةٍ مَرْضِيَّةٍ عِنْدَ اللَّهِ"، (في ٤: ١٨)^(١٦). إِنْ الدَّعْمُ الْمَادِي بِالْمَالِ، وَالْمَلِيسَ، وَالْكَتَبَ، أَوْ الْمَعْنَوِي، عَنْ طَرِيقِ أَيِّ شَيْءٍ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ خَادِمُ الْإِنْجِيلِ هُوَ تَقْدِمَةٌ يَطْلُبُهَا اللَّهُ. وَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ لَيْسَ بِبَسَاطَةِ كَأْسِ مَاءٍ بَارِدٍ، إِذْ كَانَتْ تَقْدِمَتُهُمْ بِالنِّسْبَةِ لَهُ تُمَثِّلُ مِشَارَكَةً فِي خِدْمَةِ وَكَالَةِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ^(١٧)، وَثَمَرًا مُتَكَثِّرًا لِحِسَابِهِمْ، (في ٤: ١٧). فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْمُؤْمِنِ دَوْرٌ فَعَالٌ فِي خِدْمَةِ الْمَصَالِحَةِ، فَبَأَيِّ شَيْءٍ يُمْكِنُ أَنْ يَقِفَ أَمَامَ اللَّهِ؟ وَإِلَى أَيِّ مَدَى يَكْرِمُ دَمَ الْعَهْدِ الَّذِي تَقْدَسُ بِهِ؟ وَأَيُّ تَعَهْدٍ يَتَعَهَّدُ بِهِ عَلَى مَائِدَةِ الرَّبِّ؟

٤- الحياة المكرسة من أجل خدمة الله ذبيحة، فحياة التفاني والبذل، التي تُسْتَفْذُ وَتُسْتَهْلَكُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ هِيَ عِبَادَةٌ حَقِيقِيَّةٌ أَمَامَ اللَّهِ: "فَإِنِّي أَنَا الْآنَ أُسْكَبُ سَكِينًا، وَوَقْتُ انْحِلَالِي قَدْ حَضَرَ. قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ.. حَفِظْتُ الْإِيمَانَ"، (٢ تي ٤: ٧-٨).

١٦- بحسب سياق النص يرتبط الوعد المقدم في (في ٤: ١٩) فقط بمن يشاركون في تدعيم خدمة الإنجيل بعبائهم، المترجم.

١٧- اقرأ (في ٥: ٧)، المترجم.

٥- يقرر كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن الاعتراف بيسوع رب ذبيحة تسبيح لله، (عب ١٣: ١٥-١٦). ويسيء الكثيرون فهم هذا النص كما لو أنه يشير إلى التسبيح والترنيم كتقدمة لله، إلا أن الفهم الصحيح والمفضل الذي يتفق مع سياق النص هو أن ذبيحة التسبيح تشير إلى إقرار الإيمان بواسطة المؤمن الجديد، وتمسكه بهذه الإقرار كل حين. وينسجم هذا المعنى الضيق مع النصوص الموازية في باقي الرسالة: "فَلُنَقْدِّمْ بِهِ فِي كُلِّ حِينٍ لِلَّهِ ذَبِيحَةَ التَّسْبِيحِ، أَيَّ ثَمَرِ شِفَاهٍ مُعْتَرِفَةٍ بِاسْمِهِ"، (عب ١٣: ١٥). وربما يرتبط "فِعْلُ الْخَيْرِ وَالتَّوْزِيعِ" في (عب ١٣: ١٦)، بدعم قادة الكنيسة، الذين يذكرهم الكاتب مباشرة في (عب ١٣: ١٧). ولفظة "التوزيع" ^(١٨) هي نفس اللفظة التي استعملها الرسول بولس في رسالته للفيليبيين، والمترجمة إلى "شركة في الضيق"، (في ٤: ١٤)، والتي يصفها الرسول كذبيحة. إن تسديد احتياجات الكارزين والمؤمنين النشطين قبل تسديد احتياجات الجماعة عمومًا، أمر له أهمية كبيرة اليوم، إن لم يكن في كل العصور، فالخلاص الأبدي لجميع الناس مرتبط بالقيادة المسيحية.

وتكشف لنا هذه النظرة فكر القيادة في الكنيسة الأولي، والسياق العهدي لها واضح. إن الكنيسة باعتبارها إسرائيل الله الجديد المرسل إلى العالم، والتي تخدم الله خدمة كهنوتية، كوسيط من أجل المصالحة، عن طريق رسالة الإنجيل، تقدم الدعم للفكر الثابت لكتاب الكنيسة الأولي:

"كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مَبْنِيِّينَ، كَحَجَارَةِ حَيَّةٍ .. كَهَنُوتًا مُقَدَّسًا، لَتَقْدِّمَ ذَبَائِحَ رُوحِيَّةً مَقْبُولَةً عِنْدَ اللَّهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ .. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجَنِّسُ مُخْتَارًا، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبٌ اقْتَنَاءٍ، لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ"، (١ بط ٢: ٤-٩).

١٨- يفيد المعنى اليوناني لهذه اللفظة، الشركة، المساهمة، أو أن يشارك المرء الآخرين بما عنده، ومن الأفضل ترجمتها "المشاركة"، المترجم.

الكنيسة والدولة

على المؤمن أن يكون جزءاً من حكومته المدنية، وأن يطيع بسبب الضمير السلطات الحكومية، كما أطاع إسرائيل مملكته الثيوقراطية. وما الحكام إلا خدام وعبيد لله قد عينهم من أجل حفظ النظام، (رو ١٣: ١-٧). ويمكن للكنيسة أن تهتم بشئونها دون التدخل في القوانين المدنية، لأن واجبها هو خلاص الخطاة الهالكين. وأحياناً، يدخل المؤمن المسيحي في صراع مع السلطات المدنية بسبب حياته بحسب ناموس الروح. وفي مثل هذه الحالات، لا بد من اتخاذ قرار اعتماداً على تأثير هذه السلطات على مقاصد المسيح بعيدة المدى. إن كان الصراع ملموساً، وتنعدم فيه سبل للتفاوض، فلا بد لمشية المسيح أن تسود. وعندما طالبت السلطات الرسولين بطرس ويوحنا بالصمت وعدم الكرازة بالإنجيل، كان جوابهما: "إِنْ كَانَ حَقًّا أَمَامَ اللَّهِ أَنْ نَسْمَعَ لَكُمْ أَكْثَرَ مِنَ اللَّهِ، فَاحْكُمُوا"، (أع ٤: ١٩؛ مع أع ٥: ٢٩).

ليس على الكنيسة أن تكون ضدّاً للحكومة كتتنظيم ديني. كما أنها مدعوة للصلاة من أجل الحكام، والذين هم في منصب، (١ تي ٢: ١-٢). ولقبول الآخر، إذ يجب على الكنيسة أن تحتضن كل الأعراق، واللغات، (١ كو ٧: ١٧-٢٣)، والعادات، والتقاليد طالما كانت متوافقة مع فكر المسيح، (١ كو ٩: ١٩-٢٢). ولا شأن لوحدة الكنيسة بالاتفاقيات السياسية، أو التوافق الاجتماعي، لأنها وحدة في المسيح، وفي خدمته: "جَسَدٌ وَاحِدٌ، وَرُوحٌ وَاحِدٌ، كَمَا دُعِيتُمْ أَيْضًا فِي رَجَاءٍ دَعَوَتِكُمُ الْوَاحِدِ. رَبٌّ وَاحِدٌ، إِيْمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، إِلَهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ لِلْكَلِّ، الَّذِي عَلَى الْكُلِّ وَبِالْكَلِّ وَفِي كُلِّكُمْ"، (أف ٤: ٤-٦).

حرر هذا الفكر الكنيسة من حدودها الضيقة، بين الأردن، والبحر المتوسط، لينطلق بها عبر العالم. وليس على المرء المفاضلة بين مجتمعه الخاص أو مجتمع آخر، ففي مقدوره أن يأتي به إلي المسيح، ليحيا فيه بنفس نمط الحياة التي يحياها المسيح لو وُلِدَ في ذلك المجتمع. وقد تضم الكنيسة جنسيات كثيرة، ولكنها تتحدث لغة واحدة: رسالة الصليب. ولأعضائها طرق مختلفة في الملبس، إلا أن تمييزهم ممكن، إذ يشبه كل منهم المسيح: يتكلمون مثلما تكلم، ويخدمون كما خدم، فالمجتمع المفدي هو عطية رائعة يمكن أن نقدمها للمسيح.

ختام الفصل السابع

تغيرت لفظة "عهد" العبرية "Berith"، إلى اللفظة اليونانية "دياثيكية"، *Diatheke* في أسفار العهد الجديد، إلا أن المعنى لم يتغير، بدليل استخدام الترجمة السبعينية كمقابل لها. وتعني اللفظة "دياثيكية" عهداً أو اتفاقاً بدون تفاوض، أو ترتيباً مقدماً أو مسلفاً، فلم يتفاوض الله مع الإنسان بخصوص شروط العهد الجديد كما فعل قديماً. والخلاص هو مبادرة إلهية شخصية، وبعيداً عن نعمة الله ذاتها ومبادرته في المسيح، ليس هناك خلاص للجنس البشري. كان المسيح نفسه هو العهد. وقد ارتبطت بشخصه كل ملامح العهد: فالأطراف هم من "في المسيح"، والشروط هي "الاقتداء بالمسيح"، أما المواعيد فهي مشاركة كل ما للمسيح، "مع المسيح".

وأطراف العهد الجديد، من نسل إبراهيم أو الأمم، هم المولودون ثانية بكلمة الله الآب وقوة الروح، ولادة جديدة تختلف عن ولادتهم الطبيعية. والكارز أب في الإيمان للتائب الذي يولد بالكلمة التي يركز بها. أما المدة التي يخرج بعدها هذا الوليد فقد تقصر أو تطول، اعتماداً على توبته. وفي هذه الصورة المجازية، يكون الروح والكلمة هما الفعل الأول المبادر بالميلاد الذي ينتهي بالمعمودية. وبكل يقين، يُولد المرء من الماء والروح. وينال التائب ولاءه لله بالإيمان، إلا أن تعهده الفعلي بالولاء الأبدي يتم في المعمودية التي تصوّر موته وقيامته مع المسيح. وبهذا الفعل، يخضع الإنسان كله لله. واعتماداً على قسم المعمد، وقبل الوفاء بأي شرط، يمنحه الله غفران الخطايا، والروح القدس، والقبول في جسد المسيح، إلى جانب مواعيد عديدة أخرى؛ فالتائب يخلص بدون أي عمل من أعمال بره الخاصة؛ يخلص فقط لكونه أصبح في المسيح.

تلخّصت شروط العهد الجديد في الاقتداء بالمسيح، وعادة ما يناقش الرسل بسلطان المسيح، التزام العهد من جهة المؤمنين وغير المؤمنين في قائمتين. تغير تركيز العهد من مجرد حفظ لفرائض ناموسية إلى تحقيق مقاصد الله في المسيح. كانت "المصالحة" أفضل تعبير يُلخص قصد الله من أجل الهالكين، أما النمو في الاقتداء بالمسيح فيمثل قصده من نحو الكنيسة. وقد ارتبطت كل من الكنيسة

والرسالة ووكالة حياة المؤمن بتحقيق هذه المقاصد بخصوص هذين النوعين من البشر.

جاءت مواعيد العهد الجديد أيضًا في قائمتين: المواعيد العامة لمواطني الملكوت الجديد، كغفران الخطايا، وعطية الروح القدس، والخدمة في الكنيسة، ورجاء القيامة، والجسد الجديد، والسماء، والتي يلخصها جميعًا تعبير "الحياة الأبدية". أما المجموعة الثانية من المواعيد فكانت محدودة، مشروطة، فردية، لها طابع دنيوي، ومن أمثلتها مدى الألم الذي يمكن للمرء أن يتوقعه، نوع وكم الطعام، الملابس، المأوى، وغيرها. لم يقدم الله وعدًا بإعفائنا من الألم، أو حتى بتسديد احتياج معين، فالمتوقع من المؤمن أن يتألم من أجل المسيح والكنيسة، مستخدمًا كل الظروف من أجل تحقيق مقاصد الله ومشئته.

الكنيسة هي أداة الله الرئيسة التي اختارها ليخلص العالم. وانفصالها عن الحكومات المدنية يسمح لها بالوصول برسالة الإنجيل إلى كل العالم. ووحدة الجسد، أي الكنيسة أمر ثابت وتعليم رسولي، حتى وإن تعددت فيها الثقافات، فقد قصد الله أن يخلق في الكنيسة بشرية جديدة، مخلوقة بحسب النموذج الأصلي، المسيح. والعهد الجديد هو "سر" الله المعلن، الذي فيه تمثل التقدمات والذبائح الروحية الحقيقية عونًا للخدمة، وريح النفوس للمسيح، وبلوغها كمال الاقتداء بصورته.

الفصل الثامن

حيسر العهد الجدير

هل تذكر لفظة "حيسد"؟ هي أكثر المفردات استعمالاً لوصف الرب يهوه في العهد القديم، فهي لفظة رئيسة لوصف التقوى. وليسألني القارئ، إن كنت أوصل استعمالها كما هي في الأصل العبري، لعدم وجود مقابل لغوي يشمل العنصرين، اللذين تعبر عنهما اللفظة. ولا يمكن أن تلام لغة ما بسبب ذلك؛ فقد تكلم الله إلى الأنبياء باللغة العبرية.

تألف لفظة حيسد من عنصرين: ويتضح معناها باستخدام خاصية التوازي، (مز ٨٩: ٣٣-٣٥). لا تمثل اللفظة دافعاً لفعل ما، ولا اتجاهاً عاطفياً، بل تشير إلى تنفيذ شروط العهد المتفق عليها، وإلى الأمانة للقَسَم أيضاً؛ كانت حيسد تنفيذاً فعلياً للعهد. وهذا هو النصف الأول لمفهوم اللفظة. أما العنصر الثاني فيها فهو السلوك كشريك عهد بطريقة ينتفع منها الطرف الآخر، فدعم العهد ومساندته هو تدعيم لشريك العهد. لأن العهد تم قطعه لسبب، ألا وهو تقديس العون الثابت والأكيد في وقت الاضطراب والحاجة. وتتعدى تلك المعونة الشروط المكتوبة؛ فالعهود ربطت الناس معاً، وكان التركيز فيها على منفعة الأطراف. لذا، كانت حيسد عوناً لمصلحة الآخر. تحمل اللفظة عنصر الاهتمام لخير ورفاهية الآخر، اهتماماً يفوق ما تم الاشتراط عليه، كاهتمام المحب بحبيبه. أوجبت اللفظة على طرفي العهد أن يتعامل كلاهما كأب وابن، أو كإخوة، تربطهما رابطة قوية كرابطة اللحم والدم، فإن تألم طرف، أو أخل بشروط الاتفاق، بادر الآخر بتقديم كل عون ممكن. وبهذه الطريقة، يعمل كلا الطرفين على تحقيق المواعيد. هذا هو النصف الثاني لمفهوم لفظة حيسد. وبضم العنصرين معاً يصبح المعنى: "تحقيق الأفضل للآخر وفقاً للعهد".

حيسد والخدمة

يزخر كلام المسيح بمعنى حيسد، وخاصة الكلمات الأربع: "خدمة، ser-vice"، و"محبة، Love"، و"سيادة، Rule"، و"خضوع، Submit". وفي حين تقدم كل لفظة منهم زاوية مختلفة قليلاً، إلا أن جميعها يعني نفس الشيء: العناية بخير الآخر. والتعبير المفضل للرسول بولس الذي يحمل نفس الفكرة تماماً هو "بعضكم بعضاً"^(١)، فتبادل المنفعة هو حيسد، إذ تعتمد مصلحة الآخر على نفس العلاقة المسماة بالعهد، سواء كان رسمياً أم غير رسمي، بلوغاً إلى التوقعات المشروعة. وهذا هو المفهوم الذي يتضمنه اللفظ حيسد وتعبير "بعضكم بعضاً".

نعرف أن المسيح قص هذا المثل مرات عديدة. ومع أنه نقرأه في شكلين مختلفين، إلا أن بناءه والقصد منه ثابت. أودع رجل ثري لثلاثة من عبيده مبلغاً من المال، كلٌ حسب قدرته. وقبل أن ينطلق في رحلة طويلة، أوصاهم باستثمار هذا المال حتى يرجع. تاجر اثنان من خدامه جيداً حتى تضاعف المال. وبعد عودته، سُرَّ السيد بزيادة ثروته، فكافأهما، واصفاً كل واحد منهما بأنه عبد أمين وصالح وجدير بالثقة. وقد بدا أن العبد الثالث لم يهتم بحياة التجارة الصعبة في سوق العمل، ولم يعبأ بالمسؤولية، كما اعتقد أن سيده سيد قاس، يصعب التعامل معه. وإذ لم يشأ أن يظلمه سيده بعد عودته، ذهب ليحفظ ماله بعناية: لفه في منديل، وطمره في فناء بيته. لكن ما فعله لم يعفه من المساءلة، إذ وصفه سيده بأنه عبد كسول وشرير، كما طالب سيده بقتله، (لو ١٩: ١١-٢٧). كان المضمون واضحاً: العبد الصالح والأمين هو من يهتم بمصالح سيده.

المبادرة والوكالة

قص المسيح مثلاً آخر ليوضح الدور الذي يمكن للمبادرة البشرية أن تلعبه في خدمة الله: ارتاب سيدٌ في أمانة وكيل أعماله، فاستدعاه للمساءلة بعد أن قرر أن يعزله. صُدِمَ الوكيل، إذ أصبح عيشه مهدداً بالخطر، والآن عليه أن يؤمّن

١ - "بِكُلِّ تَوَاضُعٍ، وَوَدَاعَةٍ، وَبِطَوِيلِ أَتَانَةٍ، مُخْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، one another، فِي الْمَحَبَّةِ"، (اف: ١)، المترجم.

مستقبله. وبعد تفكيرٍ، انتهى إلى حل؛ وقد تمثل هذه الحل في مبادرة جيدة: عرف هذا الوكيل السبيل إلى النجاح في عالم لم تسوده منافسات شرسة. استدعى واحداً من مديوني سيده، وسأله بكم يدين له، فأجاب: بمبلغ كبير من المال، فقام الوكيل بتخفيض دينه، وطلب منه تدوين مبلغ أقل، وفعل نفس الشيء مع الباقين الذين سروا بكرم الوكيل، فأحبوه أكثر من ذي قبل. وقد فكر الوكيل جيداً، إذ ربما يذهب ليتناول العشاء مع أحد مديوني سيده، وعندما يطلب أن يسدى له معروفاً يوماً ما، سيكون الرد يقيناً: "نعم، بكل سرور أساعدك، كرمك سابق، ولا يمكنني نسيان ذلك". وبعد أن أمّن الوكيل مستقبله من خلال عدد كاف من الصداقات، سلّم حساباته لسيده ومضى، (لوقا ١٦: ١-١٥).

ويقول المسيح إن السيد مدح وكيل الظلم. وبالطبع، لم يمدح السيد الالتواء، وإنما الطريقة التي استخدمها وكيله، أي مبادرته في العناية بما هو لخير مستقبله. ونفس النوع من المبادرة، باستثناء عدم الأمانة فيه، مطلوب في خدمة المسيح. على الإنسان أن يعي العالم من حوله، ويعرف ماذا يريد منه سيده، مستخدماً قدرته وعقله علي التمييز لتحقيق تلك الإرادة.

وفي مرة أخرى، وثيقة الصلة بموضوعنا، قص المسيح مثلاً عن سيدٍ يعمل مع عبده جنباً إلى جنب في الحقل طوال اليوم. وبعد عشاء أحد الأيام وصلا كلاهما إلى البيت، فجلس السيد إلى مائدته، وأمر العبد بأن يعد له عشاءه كالمتعاد، ويأتي به إليه، ويخدم عليه حتى يفرغ. وقد سأل المسيح: "هل يشكر السيد عبده؟"، وأجاب: لا، لأن العبد يفعل الواجب المقرر عليه، فلا شكر على واجب، وإنما يُشكر العبد إذا فعل ما يتجاوز هذا الواجب، فمن يفعل أكثر مما هو متوقع منه، هو شخص مفيد ونافع. إن عمل العبد المحدد والبسيط لن يجديه شيئاً، بل عليه كما علّم المسيح أن يبادر بعمل ما يفوق حدود الواجب المطلوب منه كي يرضي الله. ولا يمكن للمسيحي أن يوفي فقط مطالب سيده المقررة تحديداً، بل عليه أن يسعى لخير سيده، حتى وإن لم يحدّد له السيد السبيل إلى ذلك. يتضمن المفهوم الأصيل للفضيلة حيسد تقديم الأفضل للسيد بما يفوق متطلبات العهد، (لوقا ١٧: ٧-١٠).

يتوقع الله من الناس مواصلة عمله بإيمان صالح. وببساطة، لا يمكن لرجال الله أن يكونوا حفظة للوائح روتينية بعد، فعليهم تحمل المسؤولية بالمبادرة بطرق تحقق مقاصد الله، فمعيار حساب الله للإنسان يتجاوز مجرد حفظه العقيم للوصايا. ولا بد من تحقيق مقاصد الله، بطريقة مثمرة منتقا، وبخطوات عملية يتم تقييمها في ضوء ترتيب الأولويات، (لو ١٢: ٤٢-٤٨؛ ١٦: ١٠).

لم يهاجم المسيح أمور العالم الدنيوية، ولم يندد بالثراء. ومن خلال أمثاله، يطالبنا بأن نكون أكفء في وكالتنا. ويحدد الرسول بولس الكثر الحقيقي الذي يؤتمن عليه خادم الله كوكيل، (٢ كو ٤: ٧). ويشير الكثر إلى نور معرفة مجد الله في وجه المسيح. وفي المقام الأول، الوكالة الحقيقية هي تحقيق مصالح المسيح. ومن ناحية أخرى، ليست الوكالة دفعاً للعشور لربح السماء، بحسب عقلية العهد القديم، ولا فرضاً لوصايا معينة على مؤمني الكنيسة لاختبار أمانتهم، بل تحقيق مصلحة العالم لله، ومساعدته على الاقتداء بالمسيح. وتشير مناقشة المسيح كلها عن الوكالة إلى المعنى الأصيل للفظه حيسد. إن ما يريده الله منا هو الأمانة في الوكالة، فعلى الخادم أن يكون أميناً صادقاً، يسعى وراء تحقيق الأفضل في خدمة الله.

السيادة والخدمة

كانت القيادة أمراً هاماً بالنسبة لتلاميذ المسيح. وفي يوم ما، أثناء سيرهم معه، يتحدثون عن مستقبل ملكوت الله، ظن كل واحد منهم بأن له مكانة بارزة فيه، وربما أراد أحدهم أن يكون وزيراً للحرية، فيما تمنى آخر أن يصبح وزيراً للتجارة أو للزراعة. بالطبع كان ليهودا امتياز الإشراف على وزارة المالية. أما أعلى منصب، رئيس الوزراء فبقي شاغراً، فأى منهم سيتمتع بهذا المنصب؟ وعندها أعاد المسيح تعريف مفهوم السيادة:

"أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رُؤَسَاءَ الْأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ، وَالْعُظَمَاءُ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ. فَلَا يَكُونُ هَكَذَا فِيكُمْ. بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيماً فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِماً، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ أَوَّلاً فَلْيَكُنْ لَكُمْ عَبْدًا، كَمَا أَنَّ ابْنَ

الْإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيُخْدَمَ، وَلِيُذِلَّ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ" (مت ٢٠: ٢٥-٢٨).

وللسيادة معنيان: أحدهما سلطان الأمر. ويشير هذا التعريف إلى نفوذ المكانة أو المنصب، أو القدرة على جعل الناس يندمون إن لم يطيعوا؛ أي القدرة في التسلُّط على الناس. وفي لغتنا العربية، تأتي لفظة "سيد" و"سيدنا" من جذر لفظة "سيادة". ولم يكن هذا ما يقصده المسيح، الذي أحدث ثورة فيما يرتبط بممارسة السيادة: فالذي يساعد الآخرين على تحقيق أهدافهم هو الأفضل؛ فقد حدد المسيح السيادة كخدمة. والأساس في مفهوم المسيح عن السيادة هو قدرته على سد أعواز من هم في أمس الحاجة إلى العون؛ فالسيادة هي مساعدة الآخرين، أي القيام بنفس ما يقوم به العبيد. ولهذا السبب، جاء المسيح؛ لمساندة البشرية كشريك عهد مع الله. وقد قدم لها المعونة التي تحتاجها بالفعل: موته على الصليب من أجل الخطية، وقيامته. وكل من يريد مكانة من العظمة والكرامة في ملكوت الله، عليه باقتنائها بدعم المسيح ومساندته في اهتماماته: **مصالحة البشرية مع الله.**

أما المعنى الثاني للسيادة فهو يشير إلى المقياس أو النموذج المثالي للسيد^(٢)، وهو ما يؤكد عليه المسيح أيضاً، فالذي يقتدي بالمسيح الخادم هو النموذج الأفضل للسيد القادر على إقناع الآخرين بأن يحيا بحسب قياس المسيح. ويسود المسيحي في ملكوت الله عن طريق الإقناع والقُدوة. ولتحقيق ذلك يحتاج إلى ثلاثة أمور: أن يعرف المقياس، أن يقتدي به، وأخيراً أن يقنع الآخرين بالثبات فيه والافتداء به. وفي رسالته للكنيسة العامة، استعمل الرسول بطرس نفس المفهوم، فلم يستعمل لفظة "قادة" كما فعل غيره، (عب ١٣: ١٧)، بل دعا القائمين على العمل: شيوخاً، ونظاراً، ورعاة:

"أَطْلُبُ إِلَى الشُّيُوخِ الَّذِينَ بَيْنَكُمْ، أَنَا الشَّيْخُ رَفِيقُهُمْ، وَالشَّاهِدَ لآلَامِ الْمَسِيحِ، وَشَرِيكَ الْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُعْلَنَ، ارْعَوْا رَعِيَّةَ اللَّهِ الَّتِي بَيْنَكُمْ نُظَارًا، لَا عَنْ اضْطِرَارٍ بَلْ بِالاخْتِيَارِ، وَلَا لِرُبْحٍ قَبِيحٍ بَلْ بِنَشَاطٍ، وَلَا كَمَنْ يَسُودُ عَلَى الْأَنْصِبَةِ، بَلْ صَائِرِينَ أَمْثِلَةً لِلرَّعِيَّةِ. وَمَتَى ظَهَرَ رَئِيسُ

٢-ومن لفظة، Rule، تأتي لفظة مقياس أو مسطرة، Rule، المستعملة للقياس في المدارس، المؤلف.

الرَّعَاةِ تَنَالُونَ إِكْلِيلَ الْمَجْدِ الَّذِي لَا يَبْلَى"، (١بط ٥: ٤-١).

والتعبيرات "لا كمن يسود على"، "أطلب إليكم"، "رفيق"، و"أمثلة" إنما تشير إلى المسيح كأعظم مثال. والإقناع المسيحي إنما يشير إلى حياة المسيح، والتمثل بخدمته. وبهذه الطريقة قد ساد المسيح في الكنيسة الأولى، متحدياً العالم كله بمفهومه الثوري الجديد عن السيادة. ويريد الله أن يسود هذا المثال العالم كله، (إش ٤٢: ٣).

السيادة والمحبة

حدد المسيح مفهوم الخدمة بأنها قضاء مصالح الآخر، وقد أعاد تعريف مفهوم السيادة ليعني نفس الشيء، (يو ١٤: ١٥). كما حدد مفهوم المحبة بنفس الطريقة، (يو ١٥: ١٢). ويوصينا المسيح بأن نخدم كما يخدم هو، وأن نسود كما يسود، وأن نحب كما يحب؛ فالمحبة، والسيادة، والخدمة تؤدي نفس المعنى. ويربط الرسول بولس بين المحبة والخدمة كما فعل المسيح عندما ناشد الغلاطيين: "... بِالْمَحَبَّةِ اخْدُمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا"، (غل ٥: ١٣). والمحبة في العهد الجديد ليست عاطفة أو انفعالاً بل طريقة سلوك، حتى وإن تضمنت المشاعر؛ فهي فعل استجابة كامل لسد احتياجات الآخر، اقتداءً بالمسيح، الذي أوصانا أن نحب بعضنا بعضاً كما أحبنا هو، (يو ١٣: ٣٤). وقد أكد البشير يوحنا على نفس المفهوم بقوله: "بِهَذَا قَدْ عَرَفْنَا الْمَحَبَّةَ: أَنَّ ذَاكَ وَضَعَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا، فَنَحْنُ نَبْغِي لَنَا أَنْ نَضَعَ نَفُوسَنَا لِأَجْلِ الْإِخْوَةِ"، (١يو ٣: ١٦، مع ١يو ٣: ١٠؛ ٢: ٦). وفي إصحاح المحبة، يجسّد الرسول بولس صفات الخادم الذي يعي جيداً ارتباط السيادة بالمحبة:

"الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. الْمَحَبَّةُ لَا تَحْسُدُ. الْمَحَبَّةُ لَا تَتَفَاخَرُ، وَلَا تَتَنَفَّخُ، وَلَا تُقَبِّحُ، وَلَا تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا، وَلَا تَحْتَدُّ، وَلَا تَظُنُّ الشُّوْءَ، وَلَا تَفْرَحُ بِالْإِثْمِ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ، وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ"، (١كو ١٣: ٤-٦).

المحبة هي فعل كل ما هو صائب من أجل الآخر. والصواب الحقيقي

لجميع الناس هو المصالحة مع الله، والافتداء بالمسيح. المحبة هي مساعدة الآخر على تحقيق أهدافه. وقد حدد المسيح ثلاثة ألفاظ بنفس المعنى الذي تشير إليه لفظة حيسد: "الخدمة"، "السيادة"، و"المحبة" وفي كل حالة منها، يكون المعنى الحقيقي هو حفظ العهد مثل المسيح، أن نخدم كما يخدم هو، وأن نسود كما يسود، وأن نحب كما يحب.

المحبة والخضوع

يقدم المسيح مفهوماً جديداً عن الخضوع أو الطاعة. كانت الطاعة تعني قبلاً تنفيذ الأمر بلا مناقشة. ولم يتغير هذا المعنى باستثناء أن الخضوع يجب أن يكون بطريقة تخدم حقاً مصالح واهتمامات الآخر. وقد انتهى زمن الطاعة العمياء لأي شخص ولأي سبب. وقد طالب الرسول بولس الكنيسة بالخضوع المتبادل، (أف ٥: ٢١). وقد أطاع المسيح حتى الموت، كما قال: "لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذْهَا مِنِّي، بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ أَخْذَهَا أَيْضًا .."، (يو ١٠: ١٨؛ في ٢: ٥-١١). ومثلما تحتاج السيادة إلى الإقناع، هكذا الطاعة أيضاً، وتشمل الطاعة من جانب المسيح في حفظ الأمانة، وأداء الواجب .. حتى الموت. وعلى المسيحي القيام بالأفضل من أجل الآخر، فقد ذهب المسيح طوعاً للصليب، مغلوباً من محبته للبشر، لسد حاجات شريك العهد، وتحقيق الأفضل له.

عندما يخلع المرء منظار الثقافة اليونانية التي ترى السيادة كقوة مطلقة أمرة، يدرك على الفور مفهوم المسيح عن السيادة، كما يشرحه كاتب العبرانيين بقوله: "أَطِيعُوا مُرْشِدِيكُمْ وَأَخْضَعُوا، لِأَنَّهُمْ يَسْهَرُونَ لِأَجْلِ نَفُوسِكُمْ كَأَنَّهُمْ سَوَافُ يُعْطُونَ حِسَابًا، لِكَيْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ بِفَرَحٍ، لَا آثِنِينَ، لِأَنَّ هَذَا غَيْرُ نَافِعٍ لَكُمْ"، (عب ١٣: ١٧). ويمكن إعادة صياغة ما يقوله الكاتب هكذا:

"أعينوا قادتكم على النجاح. أخضعوا إرادتكم لخير الكنيسة والقادة، فهم يحاولون جاهدين أن يتمثلوا بالنموذج الذي يريده المسيح منا جميعاً. وسيعطون حساباً عما قدموه لنا من مثال، فساعدوهم ليكونوا

وكلاءاً صالحين لله، واشتركوا معهم لبنان الكنيسة. ولا تكونوا سبباً في اضطرابهم، اخضعوا لخبراتهم. لا تثقلوا عليهم. خذوا أنتم زمام المبادرة؛ افعلوا ما يحاولون القيام به، اقتدوا بالمسيح. فأى امتياز لكم إن أخفقوا؟ إن نجاحهم هو نجاحكم. فقد أقامهم الله من أجل تعليم الحق، فإن أصابوا، أصبتم أنتم. ساندوا بعضكم بعضاً، فهم يعرفون الحق، وأنتم في حاجة إليه أيضاً، فاخضعوا بعضكم لبعض، وسددوا احتياج بعضكم البعض".

ولا يثبت سلطان الراعي، أو القائد، أو السيد في الكنيسة إلا بقدر العون الذي يناله من الآخرين مقابل العطاء الذي يبذله من أجلهم. ويتلخص مفهوم السيادة في الكنيسة بمعيار "الاقتداء بالمسيح"، فالسيادة والطاعة في العهد الجديد يتمثلان في التعليم، والإقناع، وتقديم المثال، والعون من أجل نجاح وتقدم الآخر. أراد المسيح أن يغلب العالم عن طريق حيسد كمعيار شامل للسلوك. هكذا يتمثل ناموس الروح في العهد الجديد في إعانة الآخرين على الاقتداء بالمسيح: قولاً وفعلًا.

المسيح النموذج الأمثل

يشير تعريف الألفاظ: "وكيل"، و"خادم" عندما يستخدمها الرسل في كتاباتهم، إلى الشخص الذي يقدم عوناً للآخر مثلما يقدمه المسيح، الذي هو النموذج لكل شيء. يتعامل المسيحي بكل لطف مع الآخر كما لو أنه المسيح، كما أوصى الرسول بولس: "كُونُوا .. مُشْفِقِينَ، لُطَفَاءً"، (١بط ٣: ٨). كان المسيح المعيار الحقيقي لكل ما هو بر، *right*: "مَنْ يَفْعَلُ الْبِرَّ فَهُوَ بَارٌّ، كَمَا أَنَّ ذَاكَ بَارٌّ"، (١يو ٣: ٧). إن المسيح هو المثال الأعظم للسلوك في النور، (١يو ١: ٧)، ومعرفة الله، (١يو ٢: ٣)، والحياة فيه، (١يو ٢: ٦)، واقتناء النور الحقيقي، (١يو ٢: ٨)، وما يكون عليه الإنسان عند ظهوره، (١يو ٣: ٢)، والطهارة الشخصية، (١يو ٣: ٣)، والحياة المقدسة بلا خطية، (١يو ٣: ٤-٦)، والمحبة الأخوية، (١يو ٣: ١٦)، والثبات في الله، (١يو ٣: ٣).

(٢٤)، ومحَبته، (١ يو٤ : ٧-١١)، والولادة الجديدة، (١ يو٥ : ١-٥). ويتحدد معيار دينونة الإنسان بتعامله مع الآخر حسب نموذج المسيح: كما لو كان المسيح نفسه، (مت ٢٥ : ٤٠). ترك المسيح مثلاً لنا في الألم أيضاً، (١ بط ٢ : ٢١-٢٣)، والعطاء (٢ كو ٨ : ٩). إن النموذج الأعظم الذي على القادة أن يظهروه هو شخص المسيح: "كُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِي كَمَا أَنَا أَيْضًا بِالْمَسِيحِ"، (١ كو ١١ : ١). وقد كانت حِسَد العهد الأصيل بمثابة أخلاقيات المتمثلة في القيام بالأفضل لجميع الناس، وتحلى في الاقتداء بالمسيح: "فَكُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِاللَّهِ كَأَوْلَادٍ أَحِبَّاءَ .."، (أف ٥ : ١).

مجال الخدمة

في العهد الجديد اليوناني، هناك ألفاظ كثيرة، أفعال وأسماء، تُرجمت إلى خدمة، وخدام. وترفع هذه الحقيقة من الشأن السامي لمفهوم الخدمة، فكل لفظ له خلفية خاصة، كما يحمل ظلالاً مختلفة بشكل طفيف لنفس المعنى. ولكن في قلب كل معنى منها تكمن نفس الفكرة: مساعدة الآخر على النجاح. عبد، *slave*, δοῦλος: استعمل المسيح هذه اللفظة كثيراً ليصف محاسبة الله لعبده ووكلائه، (مت ٢٥ : ١٤). ووُصف المسيح ذاته بأنه عبد، (في ٢ : ٧). كما وُصف الرسول بولس نفسه بها، (في ١ : ١)، وجميع المسيحيين هم عبيد للمسيح، (١ كو ٦ : ٢٠).

خدام، *servant*, διάκονος: وتُرجمت هذه اللفظة إلى شماس في (١ تي ٣ : ٨)، أو شماسة، *deaconess*, διάκονον، (رو ١٦ : ١)، وخدام، *διακόνους*، (٢ كو ٣ : ٦). ويعرّف ثاير، *J. H. Thayer*، هذه اللفظة على أنها تشير إلى الشخص الذي يساهم في تحقيق اهتمامات سيده ولو على حساب نفسه^(٣).

وكيل، *steward*, οἰκονόμος: وهي اللفظة التي استعملها الرسول بولس

3- J. H Thayer, *Greek-English Lexicon*, New York: American Book Company, 1886, P. 138.

عندما أراد الربط بين الامتياز والمسئولية في الخدمة. وترجمت اللفظة في الترجمة الدولية الجديدة، *NIV*، إلى "مدير، *Manager*". وتعني الوكالة هنا الإشراف على شئون السيد كلها، ولذا نجد أن تعبير "مدير الأعمال" مرادف لللفظة وكيل. وقد اعتبر المسيح شعبه وكلاءً، (لوقا ١٦: ١-١٣)، فعلى كل مسيحي أن يدبر الكنيسة بما يحقق مقاصد واهتمامات المسيح، (١ بط ٤: ١٠). الوكالة هي إدارة شئون العهد الجديد الذي هو سر الله المعلن، (أف ٣: ٣، ٩).

ليتورجوس، *leitourgos*: وتأتي منها لفظة ليتورجي، وتعني الكاهن الخادم، والوكيل الرسمي عن آخر^(٤). كما كانت اللفظة تشير إلى أي شخص مكلف بمهمة ملكية، أو واجب مقدس، أو فريضة دينية سامية

بيس، *pais*، *παῖς*: وهي لفظة مرتبطة بإدارة البيت. ومع أنها غير محددة، لكنها تشير إلى الخادم، (أع ١٢: ١٣)، وفي الغالب، أصغر أفراد الأسرة.

خادم، *hyperetes*، *ὑπηρέτης*: وقد استعمل الرسول بطرس الفعل من هذه اللفظة عن الملك داود الذي خدم جيله بمشورة الله، (أع ١٣: ٣٦). وفي أغلب العصور القديمة، تشير اللفظة إلى العبيد الذين يخدمون بالقرب من قاع السفينة في أعمال التجديف، مهمّلين بلا مكانة، ومعرضين للموت أثناء تأدية خدماتهم^(٥). ويصف كاتب سفر الأعمال البشير مرقس بأنه خدام برنابا والرسول بولس بهذا المعنى، (أع ١٣: ٥).

إيكيتيس، *oiketes*، *οἰκέτης*: وتعني خادم البيت، ولها نفس جذر لفظة وكيل، *steward*، الذي يختلف عن خادم البيت بكونه معنيًا بأمر الإشراف على سير شئون البيت، وليس أعمال الخدمة الوضيعة. ويطلق على أي واحد يخدم سيد البيت اسم "خادم البيت".

بإيجاز، تظهر لنا هذه المفردات المختلفة الكثيرة الموظفة من أجل التعبير عن الخدمة أسلوب الحياة الذي عاشت به الكنيسة الأولى.

4- See any Greek Lexicon. *Webster's Seventh New Collegiate Dictionary*, Springfield, Massachusetts: Merriam-Webster, 1976, P. 494.

٥- وتعني بحسب قاموس ثاير، *Thayer*، كل من يخدم بيديه، كخادم مواند ضيوف الملك، المترجم.

الاقتداء بالمسيح:

• الكلمات والإنجيل.

أدت الرسالة التي كرز بها الرسل إلى توبة تركزت على حقيقة ربوبية المسيح، التي كان برهانها الرئيس موته وقيامته. وعندما تاب الكثيرون من الأمم الذين لم تكن لهم خلفية عبرية، ودخلوا الإيمان المسيحي، كان غوهم في الإيمان صعبًا. من الواضح، أنه لم تكن لهم معايير أخلاقية ثابتة، مقابل أخلاقيات المؤمنين من أصول يهودية. وفوق ذلك، لم يكن ممكنًا لشهود العيان من خدام الإنجيل، تقديم وصف كامل عن أسلوب حياة المسيح، وأخلاقياته لكل مؤمن جديد على حدة. لذا، قام الرسل بوصف المسيح عن طريقة الاتجاهات والسلوكيات. وقد أصبح هذا الإجراء أحد التعبيرات الأولى المرتبطة بثقافة المجتمع اللاهوتية. ليس مطلوبًا من التائب الجديد محاكاة أسلوب المسيح الثقافي والاجتماعي، بل مقاصده واتجاهاته. وهكذا، عندما بدأ الإنجيل في الانتشار، أفسحت العموميات مكانًا لأسلوب الحياة الخاص لدي التائبين.

• سلوك ضد المسيح

نُشرت الرسائل التي كتبها الرسل على سلوكيات مضادة للمسيح. ويلخصها الرسول بولس بشكل عام من خلال التعبير: "أعمال الجسد". ولم يكن مقصودًا بهذا التعبير أن الجسد شر في حد ذاته، بل أية حياة شريرة يسودها التركيز على الذات:

"وَأَعْمَالُ الْجَسَدِ ظَاهِرَةٌ، الَّتِي هِيَ: زِنَى عَهَارَةٌ نَجَاسَةٌ دَعَارَةٌ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ سَحَرٌ عَدَاوَةٌ خِصَامٌ غَيْرَةٌ سَخَطٌ تَحَزُّبٌ شِقَاقٌ بَدْعَةٌ حَسَدٌ قَتْلٌ سُكْرٌ بَطَرٌ، وَأَمْثَالُ هَذِهِ الَّتِي أَسْبَقُ فَأَقُولُ لَكُمْ عَنْهَا كَمَا سَبَقْتُ فَقُلْتُ أَيْضًا: إِنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هَذِهِ لَا يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللَّهِ"، (غل ٥: ١٩-٢١).

عندما نهى الرسول بولس أهل غلاطية بالآلا يصيِّروا الحُرِّيَّةَ فُرْصَةً لِلْجَسَدِ، (غل ٥: ١٣)، كان يطلب إليهم ألا يستمروا في مثل هذه السلوكيات الخاطئة التي لا تعكس أبدًا مثال المسيح أو صورته.

• سلوك الاقتداء بالمسيح

وعلى النقيض، هناك مواقف وسلوكيات كثيرة يتجلى فيها الاقتداء بالمسيح دائماً، إذ يحركها دافع صالح. وكان التعبير "السلوك بالروح" هو تعبير الرسول بولس المعتاد عند الإشارة لهذه النوعية من السلوكيات، (أف ٥: ١٨-٢١). ومن أمثلتها: الحنو، الرأفة، التعزية، المحبة، الشركة، وحدة الفكر، الرعاية الباذلة، والخدمة، والتركيز على كل ما هو حق، وَجَلِيلٌ، وَعَادِلٌ، وَطَاهِرٌ، وَمُسِرٌّ، وَكُلُّ مَا صَيِّتُهُ حَسَنٌ، (في ٢: ١-٤؛ مع في ٤: ٨).

السلطان الضمني

يخو أي نظام أخلاقي مفهوم المبدأ والوسيلة. وللمبدأ أعمال على الوسيلة تنفيذها. وعلى هذا الأساس، فالمعرض على جريمة ما هو فاعلها. كان الناموس يأمر بقتل صاحب الثور مع ثوره النطاح. وعلى نفس المبدأ، من يستمع إلي الابن يستمع للآب الذي أرسله، (يو ٨: ٤٢). ويُعرَف التطبيق الممتد لهذا المبدأ باسم السلطان الضمني. عندما يأمرك شخص ما بتأدية عمل معين بدون تعليمات محددة، فهو يمنحك سلطاناً ضمناً بعمل كل ما هو ضروري لتحقيق هذا الأمر؛ إن قيل لأحدهم بأن يذهب إلي مكان ما، فلديه السلطان بشكل ضمني على اختيار طريقة السفر، ووسيلته، والتأمين اللازم له. ويعكس قول الرسول بولس نفس الفكرة: "كُلُّ الْأَشْيَاءِ تَحِلُّ لِي، لَكِنْ لَيْسَ كُلُّ الْأَشْيَاءِ تَوَافِقُ. كُلُّ الْأَشْيَاءِ تَحِلُّ لِي، لَكِنْ لَا يَتَسَلَّطُ عَلَيَّ شَيْءٌ"، (١ كو ٦: ١٢).

واعتماداً على السلطان الضمني، اجتمعت الكنيسة الأولى في البيوت، واستخدمت المجامع اليهودية، والهيكل، وأخيراً شيدت المباني، والمؤسسات الخيرية، ودور الطباعة والنشر، ومحطات الإذاعة الخاصة بها، وغيرها، شريطة أن تكون الوسيلة المتبعة فعّالة، ومفيدة، لا تبطل كلمة الله، (مر ٧: ٨)، أو تقاوم الوصية ذاتها. للكنيسة سلطة كبيرة في حرية التصرف، فهي إسرائيل الله. وعلى أساس السلطان الضمني أقرّت الكنيسة قانونية أسفار العهد الجديد التي بين أيدينا اليوم. وما يهم في كل هذه الأمور، ألا تقاوم النظم التي أسستها

الكنيسة الخدمة ككل، كنظام ولائم المحبة في كنيسة كورنثوس الذي تحول إلى وليمة ضد اهتمام الكنيسة وخيرها. وعلى نفس المبدأ، حد الرسل من بعض الحريات، (١كو٧: ٢٦)، ولأسباب مؤقتة، كضيق الزمن الحاضر آنذاك، أو أسباب اجتماعية، (١كو٨: ٩)، أو إدارية كنسية، (١كو١٤: ٣٤). وإن انتهى هذا الضيق وكل ما يستدعى الحد من تلك الحريات، أو لم ينته، فلا بد أن يسود مبدأ الاقتداء بالمسيح، (كو٢: ١٦-٢٣)، فكل ما يبيّن الكنيسة كلها، يجب عمله، (١كو١٤: ١٢)؛ فالتعبيرات الشخصية الصادقة بالنسبة لإنسان المسيح، تمنعها الكنيسة بحق سلطانها الضمني، (١كو١٤: ٣٢-٣٣). وربما يشبه ما أقوله تعبير: "الغاية تبرر الوسيلة"، إلا أن الواقع في الكنيسة الأولي هو أن الغاية لا تبرر الوسيلة، بل الوسيلة التي لا تحقق أية غاية غير مبررة.

الأفراد والاقتداء بالمسيح

يختلف الناس في درجة الاقتداء بالمسيح حال توبتهم. احتاج كرنيليوس بعد توبته أن يغير ولائه، وربما بضعة أمور أخرى. كان بعض التائبين في كورنثوس منحطين أخلاقياً عندما صاروا مسيحيين، (١كو٦: ١١). بالطبع، كانت لهم احتياجات اختلفت عن تلك التي كانت لكرنيليوس. نما البعض منهم في الاقتداء بالمسيح بنفس المعدّل. كان الحكم على الآخرين من خلال سلوكهم الظاهر عملاً خطيراً، (رو١٤: ١-٥). ينمو الأطفال الرضع بمعدلات مختلفة، وبالمثل ينمو المؤمنون الجدد في مظاهر الاقتداء بالمسيح المتعددة بمعدلات مختلفة، وقد يكون أحدهم مثلاً أكثر اقتداءً بالمسيح في العلاقات الاجتماعية، وأقل تمثلاً به في الأمور المالية. بينما يكون آخر مقتدرًا في المسائل المالية، لكن ضعيف في حياة الصلاة الخاصة، أو على درجة كبيرة من المعرفة، لكن لم ينضج بعد في الاحترام والتوقير المتبادل. ولهذا السبب، ليس على الكنيسة أن تفرض قائمة بالقواعد الأخلاقية على كل عضو فيها، إلا القاعدة الذهبية: "تحب الرب إلهك من كل قلبك، وقريبك مثل نفسك"، (غل٥: ١٤؛ لو١٠: ٢٧).

والأكثر من ذلك، على كل فرد أن يقدم شيئاً ما للكنيسة؛ عطاءً ما لبنيان الجسد. ويتمثل هذا العطاء في قدر معقول من المال، أو التعليم، أو خدمة التدبير، والإدارة، أو الوعظ، والكراسة، أو الترجمة للغات مختلفة، أو الشفاء، أو تقديم العون، أو حسن وكرم الضيافة، أو التشجيع وغيرها، (رو ١٢: ٢٠-٣). ويكون المؤمن طبيعياً في مجتمعه إن عاش فيه مثلما يعيش المسيح لو وُلِدَ في نفس المكان والزمان. أما السلوك غير الطبيعي للمؤمن فهو أي سلوك لا يعكس صورة المسيح. وعلى إنسان المسيح أن يظهر صورته طوال الأسبوع؛ أن يكون ما يكونه المسيح لو شغل وظيفته، فبمساعدة رفقائه في العمل على النجاح، يفعل ما يفعله المسيح لو كان معهم. ويمثل هذا السلوك نوعاً من الأمور الحسنة أمام جميع الناس، (رو ١٢: ١٧). وعندما يكون لله شعب يتمتع بأوضاع حسنة في المجتمع، حكماء كالحيات، وبسطاء كالحمام، (مت ١٠: ١٦)، ينتشر خمير ملكوت الله في المجتمع كله، (مت ١٣: ٣٣).

الكنيسة والاقتراء بالمسيح

الكنيسة غاية في حد ذاتها، فهي ميدان المصالحة الأبدية، والبشرية الجديدة التي خلقها الله من كل الشعوب والألسنة على الأرض في المسيح، (أف ٢: ١٥-١٦). والعلاقات في الكنيسة يجب أن تعكس المسيح كي تكون صورة شركتها المقدمة للمجتمع جاذبة كما لو أن المسيح يعيش فيه، مع أنه بالفعل فيه. الكنيسة هي جسد المسيح بقدر ما أن الجسد المعلق على الصليب كان جسده^(٦).

ويعكس نظام العلاقات في الكنيسة جسد المسيح: على الزوج أن يحب زوجته كما أحب المسيح الكنيسة وأعالمها حتى أنه مات لأجلها لتكون كنيسة مجيدة جليلة، محبوبة ومسنودة. وعلى الزوجة أن تكون خاضعة، تحترم زوجها، وتساند نجاحه كما تساند الكنيسة المسيح وتسعى لتحقيق مقاصده، (أف ٥: ٣٢-٣٣). أيضاً، على الأزواج أن يدركوا أن من واجبهم مساعدة زوجاتهم في الاقتداء بالمسيح. لأن الزوجة التي يتسلط عليها زوجها بالتعامل

معها كأحد موظفيه، مجبراً إياها على قبول أفكاره الحمقاء، لا تعكس صورة الكنيسة من جهة تعامل المسيح معها. يجب أن يسود الأزواج بيوهم كما يسود المسيح بيته: بالمثل، والإقناع. منح المسيح الكنيسة الحق في أن تحدّد مواعيد اجتماعاتها، واختيار خدامها، وجمع المال، وإنفاقه، وتأديب أعضائها في المحبة، وغيرها من الأمور التي تشير إلى سلطانها في التصرف بحرية، وهكذا، يجب على الأزواج القيام بنفس الشيء. ومن حيث القيمة، يتساوى الرجال والنساء في الكنيسة أمام الله^(٧). لذا، على الرجال حماية زوجاتهم، وتكرimenهن، (في ٤: ٢)، كما فعل المسيح^(٨). وفي المقابل، يجب على النساء مساندة رجالهن نحو الأفضل قبل التفكير في أنفسهن كفئة في المجتمع.

أيضاً، على المتزوجين مساندة العذاب، فليس بالضرورة أن يكون الزواج هو الأمر المثالي لجميع الرجال، (١ كو ٧: ٢٧)، فلا يفوتنا، أن المسيح كان بتولاً. ليساعد المتزوجون العذاب على حياة الاقتداء بالمسيح، وفي المقابل، على العذاب مساعدة المتزوجين على حياة الفضيلة. أما الشباب والأحداث فعليهم أن يقدموا العون للشيخوخة بالخضوع لهم، كي يصبحوا أكثر اقتداءً بالمسيح. وليس من اللائق لشباب أن ينهر شيخاً، بل يعامله كأب في الرب، (١ تي ٥: ١). ويوصي الرسول بطرس الشيوخ ألا يكونوا طماعين أو مستبدين بل أمثلة للرعية في حياة التقوى، والتسامح مع الجميع، يخدمون الله بضمير نقي، (١ بط ٥: ٥). وعلى الكنيسة أن تهتم أيضاً بالأرامل العجائز، (١ تي ٥: ٣)، أما الأحداث فيجب أن يتزوجن، (١ تي ٥: ١٤). وبإيجاز، على كل فئة في الكنيسة الاهتمام بما هو الأفضل والأصلح للآخر.

يجب على الأطفال أن يطيعوا آباءهم، (كو ٣: ٢٠)، ساعين وراء ما هو لخيرهم: توقيهم كأولاد مهذبين، منضبطين، أوفياء. والأب غير الموقر في بيته، لا يمكنه أن يكون قائداً في الكنيسة، (١ تي ٣: ٤-٥). وأهم ما يمكن للأب أن يفعله هو الاهتمام بخاصته، بترية أبنائه في الإيمان، متحاشياً القسوة

7- Paul Jewett, Man as Male and Female. Grand Rapids: Eerdmans, 1975, P. 142 ff

8- Dorothy R. Pape, in Search of God's Ideal Woman, Downers Grove, Illinois: Inter Varsity press, 1976, P. 51ff

معهم، آخذًا بيدهم نحو الاقتداء بالمسيح، (كو ٣: ٢١). وينجح الأب إن حقق ابنه في غيابه مشيئة المسيح بملء إرادته. كما أن الأب الصالح الذي يوازن في تعامله مع ابنه أو ابنته بين التوجيه، والحرية يمكن أن يقود الكنيسة جيدًا. وفي المقابل، فإن صمت الابن عن الإساءة إليه لا يصب في مصلحة الأبوين. والأب القاسي الذي يسيء معاملة أولاده يخفق في تقديم صورة حية عن أبوة الله، وعليه أن يقدم حسابًا عن ذلك أمام القانون وأمام الله. إن الفطرة السليمة تحث الأبناء على تقديم العون من أجل إسعاد الحزائى. ولا يفوتنا أن عصيان الأبناء لآبائهم هو إساءة لمقاصد الله من نحو خضوعهم لهم.

على قادة الكنيسة أن يقدموا الأفضل لخير الجسد، أي النمو، (أف ٤: ١٦)، فالكنيسة الكسولة غير النامية ليست إلا إخفاقًا. وفي المقابل، يجب على أعضاء الكنيسة تقديم الأفضل للقادة، فالكنيسة العنيدة، والمليئة بالخصومات لا تشبه المسيح في شيء.

أيضًا، على الأعضاء الأقوياء في الكنيسة الاهتمام بالضعفاء. وفي هذا الشأن يذكر الرسول بولس أمرين يتسقان تمامًا مع فكر العهد: "احْمِلُوا بَعْضُكُمْ أَثْقَالَ بَعْضٍ، وَهَكَذَا تَمُمُوا نَامُوسَ الْمَسِيحِ .. لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ سَيَحْمِلُ حِمْلَ نَفْسِهِ"، (غل ٦: ٢، ٥). كان الضعفاء في الإيمان يمثلون مشكلة صعبة للأقوياء في الكنيسة الأولى، التي أصبحت بها فئتان من البشر. دخلت الأولى الإيمان المسيحي حديثًا، ولكنها ارتبطت عاطفيًا بكثير من أساليب حياتها السابقة، كما كتبت لنفسها الكثير من القواعد المقيدة التي تعينها على تجنب التجارب. وبشكل إجمالي، سلكت بإيمان صالح لما تمتعت به من حكم صائب، فالمؤمن القوى الذي لا ينجذب للوقوع في شرك الخطية، يمكنه أن يأكل ويشرب ويذهب إلى الولائم، دون أن يسمح لشيء بأن يؤثر على إيمانه. ومع أن حريته قد تعثر الآخرين من الضعفاء في الإيمان. وقد علم الرسول بولس عن هذا الأمر بقوله: "وَهَكَذَا إِذْ تُخْطِئُونَ إِلَى الْإِخْوَةِ وَتَجْرَحُونَ ضَمِيرَهُمُ الضَّعِيفَ، تُخْطِئُونَ إِلَى الْمَسِيحِ. لِذَلِكَ إِنْ كَانَ طَعَامٌ يُغْثِرُ أَخِي فَلَنْ أَكُلَ لَحْمًا إِلَى الْأَبَدِ، لِكَلَّا أُعْثِرَ أَخِي"، (١ كو ٨: ١٢-١٣).

كان مؤمن الفئة الثانية ضعيفاً في الإيمان، ومستعبداً بشكل شخصي لبعض الخطايا التي سعى لتجنبها. وفي ضعفه، كان يعمم خطاياه على الجميع محملاً إياهم الفرائض التي ابتكرها بنفسه، فهو مؤمن شفهي، متشدد، مستبد، مدقق: "لا يمس"، و"لا يذوق"، و"لا يجس". وقد ناقش الرسول بولس هذا الأمر كي نتفهم الصعوبة التي كان يعانيها ذلك المؤمن، (رو ١٤: ٢)، الذي لا يجب عليه من ناحية أخرى، أن يدمر الحرية المسيحية بالتسلط على حياة مؤمن آخر، (رو ١٤: ٣)، وإلا صاغ لنا عهداً مغايراً، (غل ٥: ١). الإنسان حر كمسيحي، لأنه ليس شيء نجساً بذاته، إلا من يحسب شيئاً نجساً، فله هو نجس، (رو ١٤: ١٤). ولكن لا تعني الحرية في المسيح تدمير إيمان الضعفاء حقيقة، (١ كو ٨: ٩-١٣).

يعصف معيار المسيح الثوري بأفكار العالم القديم. أخيراً، حظي الناس ببرنامج يعقلونه، له معيار موضوعي، يتمثل في شخص المسيح نفسه. وإن المسيح هو العهد، والاقتران به هو عهد يفيض بالرأفة. وقد غابت تلك الرأفة، أي حيسد عن صلاة الرجل الفريسي التي تقول: "أشكرك لأني لم أولد أمياً، أشكرك لأني لم أولد عبداً، أشكرك لأني لم أولد امرأة"^(٩)، وبالطبع لا يقبل الله شكراً كهذا. ماذا لو ولد الإنسان يونانياً؟ في ضوء العهد، عليه أن يقدم العون لليهودي، أما إن ولد يهودياً، فعليه في المقابل أن يدعم اليوناني على النجاح في طموحاته المشروعة. وما الفارق إن ولد الإنسان سيذاً؟ فإن العهد الجديد يأمره بعمل الصالح من أجل عبده، معيماً إياه ليقتردي بالمسيح أكثر فأكثر. وما الفارق إن ولد الإنسان رجلاً؟ سيكون مسئولاً عن تحقيق كل ما هو خير المرأة. وهكذا يقلب عهد المسيح الجديد المعايير القديمة رأساً على عقب، وقد حق القول من جهة رسله: بأنهم قد فتنوا المسكونة، (أع ١٧: ٦).

أظهرت الكنيسة العبرية مراعاة لمشاعر اليونانيين عند تدميرهم، (أع ٦: ١). في حين كانت التقدّمات التي احتاجتها كنيسة أورشليم، أموالاً جمعها الرسول بولس من كنائس الأمم لأجلهم، (١ كو ١٦: ١). وهكذا، يتعظم

9- Scott Bartchy, Slavery in the First Century, SLB Dissertation Series #11, University of Montana, 1973.

ناموس المسيح وحكمه في كل العلاقات البشرية في الكنيسة، فلم يكن المسيح في علاقته مع كنيسته مثلاً للعلاقة بين الرجل وزوجته فقط، بل مثلاً لكل العلاقات الاجتماعية الأخرى التي جمعت بين السامي، الذي عليه أن يسود بالحب كالمسيح، والداني الذي عليه أن يخضع متذكراً طاعة المسيح للآب. على كليهما أن يسلكا كما يسلك المسيح.

العالم والاقتداء بالمسيح

بالطبع، قضت المسيحية بشكل نهائي على أنواع معينة من العبودية. وعندما تمتعت بنفوذ اجتماعي بدأت تعامل كل المواطنين بحسب القانون الذي يعاملونها به. والسيد في المسيحية، عليه أن يعامل عبده، سواء كانوا مسيحيين أم لا، بنفس الطريقة التي يحب أن يُعاملوه بها إن كان عبداً.

على الدائن أيضاً أن يعمل لخير المدين، حتى لو تطلّب الأمر إسقاط ديونه بالكامل، (مت ١٨: ٢٣-٢٧). وأفضل ما يهتم به الدائن من نحو المدين هو مساعدته على اكتشاف طرق للسداد. وبالطبع، ليس من الجيد أن يتخلف المدين عن سداد دينه، وإلا يعرض مستقبل حياته كله للخطر. على المدين مسئولية من نحو الدائن، والمطلوب منه فقط أن يسدد دينه. وقد أوصى الرسول بولس: "لَا تَكُونُوا مَذْيُونِينَ لِأَحَدٍ شَيْءٍ إِلَّا بِأَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا .."، (رو ١٣: ٨) ..

على الحاكم السياسي، إن كان ملكاً أو رئيساً، أن يعمل من أجل صالح المواطنين، فيكون مرعياً لقوى الشر، وحافظاً للأمن والنظامي الاجتماعي من أجل رفاهية الجميع، (رو ١٣: ٤-٧). وعلى المواطن أن يساند حكومته من أجل النجاح، بدفع الضرائب الواجبة عليه، (رو ١٣: ٦)، والدعاء بالتوفيق من أجل الرؤساء، (١ تي ٢: ١)، وإكرام من تحتهم مناصبهم ذلك، حتى وإن كانوا على المستوى الشخصي لا يستحقون، (أع ٢٦: ٢٥). وعلى مواطني الدولة أن يتكاتفوا من أجل ضمان نجاح حكومتهم. والحاكم الصالح هو من يسمح بوجود مناخ من السلام والنظام يتيح للمواطنين التمتع بحياة هادئة مطمئنة،

(٢: ٢). ولن يجدي الحكومة شيئاً إن تساهلت مع انتهاكاتها الجسيمة للتكليف الممنوح لها من الله رأساً، (رو١٣: ١). لأن التغاضي عن الظلم أمر يدينه كلا العهدين القديم والجديد. ولا ننسى، أن ما يجمع بين الحكومة وشعبها عهد، على كل طرف فيه التزامات بقدر ما له من امتيازات.

جمود الأوضاع الاجتماعية

في التعليم المرتبط بالسلطان الضمني، تكمن الخطورة في تمسك الكنيسة بأوضاع ثابتة فرضتها مواقف اجتماعية حتى بعد انتهائها. وحقيقة تكيف الكنيسة الأولى مع وجود نظام العبودية لأسباب صالحة تخدم الإنجيل، لا يجب استخدامها كمعيار لمواصلة الرق. وبنفس الطريقة، يمكن للكنيسة أن تصر على دور محدد للنساء، أقل من الكمال، للتمسك بنظام صالح. وما أن تنتهي الأسباب الاجتماعية التي كانت وراء ترسيخ الكنيسة لذلك النظام كنوع من التكيف الاجتماعي، عليها إعادة النظر في خدمة النساء.

على سبيل المثال، تشير مكانة المرأة في الكنيسة الأولى أنها قبلت بعض الأوضاع الاجتماعية الخاطئة آنذاك. وفي كنيسة العهد الجديد، كانت خدمات النساء تتراوح من القيام بأدوار قيادية إلى إنجاب الأطفال في صمت. وهناك عدة مستويات تكيفت بها الكنيسة مع القيود الاجتماعية المفروضة عليها بخصوص مكانة المرأة فيها:

- كان لفيليس المبشر أربع بنات عذارى كن يتبنأن، (أع٢١: ٩)، وإن كان للفعل "يتبنأ" نفس المعنى المعروف في العهد القديم، يمكننا القول بأن هؤلاء البنات كن واعظات، (١كو١٤: ١-٢٥).

- كانت أفودية، وستيخي، خادمتين مع الرسول بولس، ووصفهما بنفس الألفاظ التي يوصف بها الخدام من الرجال: "... جَاهِدَتَا مَعِي فِي الْإِنْجِيلِ .."، (في٤: ٢).

- يمدح الرسول بولس فيبي كخادمة ويوصي أهل رومية بحسن استقبالها:

"أَوْصِي إِلَيْكُمْ بِأُخْتِنَا فِيِّي، الَّتِي هِيَ خَادِمَةُ الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي كَنْخَرِيَا، كَيْ تَقْبَلُوهَا فِي الرَّبِّ كَمَا يَحِقُّ لِلْقَدِيسِينَ، وَتَقُومُوا لَهَا فِي أَيِّ شَيْءٍ أَحْتَاجَتْهُ مِنْكُمْ، لِأَنَّهَا صَارَتْ مُسَاعِدَةً لِكَثِيرِينَ وَلِي أَنَا أَيْضًا"، (رو ١٦: ١-٢). وليس من الضرورة، لكونها امرأة الافتراض بأن خدمتها قليلة الشأن أو أنها تختلف عن خدمة المديرين من الرجال، لأن لفظة "خادمة، διάκονος" المستعملة في هذا النص، هي نفسها التي استعملها الرسول بولس كاسم في حديثه عن "خدمة، διακονία"، المصالحة.

في الرسالة الأولى لأهل كورنثوس، سمح الرسول بولس للنساء بالصلاة أو التنبؤ، بشرط تغطية رؤوسهن. كان التكيف الاجتماعي واضحًا. لكن أمرت النساء بأن تصمت في الكنائس، فرمما تطلّب الوسط المحيط هذا الصمت، لأن بعضًا من ممارسات العرافة الوثنية انتقلت إلى كنيسة كورنثوس بسبب التائبين الجدد. ومهما كان السبب وراء هذا الأمر، فمن الواضح أن له تطبيقًا محددًا، لأن الرسول بولس لا يناقض نفسه حتى يطالب النساء بالصمت، والصلاة في وقت واحد، (١ كو ١٤: ٣٣).

وفي رسالتيه إلى تلميذه تيموثاوس، يأمر الرسول بولس بوصايا أكثر تقييدًا للمرأة: عليها أن تصمت، وتسأل زوجها في البيت إن أرادت الاستفهام عن شيء ما، فليس مسموحًا لها بأن تُعلّم الرجل. وبالإيجاز، لا تقدم أي مساهمة عامة من أجل نمو الكنيسة، فكل ما عليها فقط هو الاعتماد على إيمانها بالمسيح، وإنجاب الأولاد لخلاص نفسها، (١ تي ٢: ١٥).

ويمكن لهذا التنوع الكبير أن يتواجد في عالم الكنيسة الأولى، عندما ندرك تكيفها مع الظروف الاجتماعية المحلية. ولسوء الحظ، ليست تفاصيل تلك الظروف بالأمر متاح لنا. إلا أن الشيء الأكيد هو أنه لا يمكن الجمع بين درجات التكيف المختلفة حال تطبيقها على كنيسة واحدة محلية. وبقدر الإمكان، كانت العودة لمعيار الاقتداء الكامل بالمسيح هي ما أصرّ عليه الرسل. فليست مكانة العبد، أو الحكومة، أو النساء، أو اليهودي، أو اليوناني بالمكانة الثابتة في مستوى معين من مستويات التكيف الاجتماعي. فقد كان التقدم

المستمر نحو الاقتداء بالمسيح والتشبه به، هو القانون الرسولي الأساسي للجميع. كان الاقتداء الكامل بالمسيح هو المعيار والحق الذي يسعى الجميع إلى بلوغه. ولا يمثل الإخفاق في بلوغ هذا القانون إلا ارتداداً إلى ناموس موسى. وقد أظهر المسيح أنه لا يمكن فهم أو تطبيق أية وصية بمعزل عن سبب منحها، أو عن الاتجاه الإجمالي للناموس كله. ويتضمن ذلك الوصايا المحددة مثل حفظ السبت، (مر ٢: ٢٧). وعند تطبيق نفس المبدأ على العهد الجديد، فمن غير الممكن تطبيق نص كتابي، أو أمر، أو سابقة كتابية، بشكل يخالف حق كل إنسان في أن يصبح أكثر تُمثُّلاً بالمسيح، مثله مثل أي شخص آخر في الكنيسة، خاضع لنظام جيد، ومؤقت في مجتمعات محلية متغيرة.

"جسد" للأمم

على كل إنسان في المسيح التزام من جهة الأمم، لأن الله وعد بأن يباركهم في نسل إبراهيم، وليس لأي سبب آخر. وعندما يقصد الله أن يبارك شخصاً ما، ثم يطلب من أحد خدامه تقديم هذه البركة له، يصبح هذا الخادم شريكاً مع الله في التزامه. إن كل المؤمنين، أفراداً أو جماعات باعتبارهم جسد المسيح، عليهم التزام من نحو البشرية. وقد شعر الرسول بهذا الالتزام عندما قال: "إِنِّي مَدْيُونٌ، لِلْيُونَانِيِّينَ وَالْبَرَابِرَةِ، لِلْحُكَمَاءِ وَالْجُهَلَاءِ فَهَكَذَا مَا هُوَ لِي مُسْتَعَدٌّ لَتَبَشِيرِكُمْ أَنْتُمْ الَّذِينَ فِي رُومِيَّةٍ أَيْضًا، لِأَنِّي لَسْتُ أَسْتَحِي بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ، لِأَنَّهُ قُوَّةُ اللَّهِ لِلْخَلَاصِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ.." (روا: ١٤-١٧).

والكنيسة التي لا تهتم بخلاص أمم الأرض هي كنيسة شريرة خائنة للعهد. والفرد الذي لا ينتهز فرص الكرازة بالإنجيل المتاحة له في أي بقعة من الأرض، يخون الأمانة من نحو الله. لأن ما تحتاجه البشرية أكثر من أي شيء آخر هو المصالحة مع الله. وللمسيح القدرة على كساء وإطعام كل البشر، كما يعلم أن الحياة الجديدة التي يمنحها للإنسان أهم وأثمن بكثير من حياته العتيقة بكل احتياجاتها. على الكنيسة أن تتمم خدمة المسيح، كما تتممها الرسل، بتأسيس الكنائس في كل مكان. ويمكننا القول بأن أفضل عون للكنيسة الآرامية

اليهودية أن تقدمه للغلاطين هو مساعدتهم على تأسيس كنيستهم الخاصة، والقادرة على العناية بشعبها على طريقته الخاصة، فلم يكن قصد المسيح أن تتم الكرازة بالإنجيل بغرض فرض ثقافة معينة على باقي الشعوب، مهما كان صلاحها. وبعد أن يقبل المجتمع الإنجيل، عليه أن يعيد بناء نفسه بحسب وصية الله، على أن تنبع تلك المبادرة من المسيحيين الجدد في هذا المجتمع. وليس من المفترض لأي كنيسة أن توقف كرازتها للعالم، مكتفية بالبركات المادية المتاحة التي يوفرها لها المسيح. على كل جيل أن يركز بإنجيل التوبة للجيل التالي، فإظهار حيسد للجيل التالي، هو الإيمان الحقيقي بالمسيح. ولا يعني التزامنا من نحو الأمم، حيسد إلا حمل رسالة فداء المسيح الأبدي إليهم.

كسر العهد

بحسب تعاليم المسيح، فإن محبة الله من كل القلب، ومحبة القريب كالنفس، هما جوهر الناموس كله. وكسر هذا الناموس يمثل التعريف الأصلي للخطية. وأثناء العهد الموسوي، حُسِبَت الخطية كذلك بناءً على هذا الأساس، إلا أنها امتدت لتشمل انتهاك ٦١٣ وصية، أو تطبيقها بطريقة تنتهك جوهر الناموس. لكن في العهد المسيحي الجديد، تنحصر خيانة العهد في إخفاق المرء على الاقتداء بالمسيح، ولذلك يُحَسَب خطية، وهي نوعان:

١- خطية ليست للموت

بما أن الله يصوّر الراجعين إلى المسيح كأولاد صغار، (١يو٣: ٧)، فعدم النضوج متوقع، وهو خطية، (١يو١: ٨؛ ٥: ١٦)، ولكنها خطية ليست للموت. ومثل هذه الخطية متوقعة، وإن لم تكن مقبولة. وتتيح لنا مائدة الرب فرصة للتطهير من الخطية وتنقية الضمير. وتشير حقيقة وجود المائدة إلى حاجتنا إليها. ينمو المؤمن في النعمة، وفي الروح، عندما يحرز تقدماً مستمراً في اقتدائه بالمسيح، وهذا النمو في حد ذاته، نوع من الكمال، ومع ذلك، لا يُستبعد المرء من العهد بمجرد كسره، مثل الإسرائيلي الذي لم يتم استبعاده من العهد بمجرد تعدد بسيط، إذ من الممكن التكفير عنه بالذبائح. وبكل يقين، ما

يطلبه الله هو الأمانة في حفظ العهد أكثر، وليس الخطية والتعويض: "إني أريد رَحْمَةً لَا ذَبِيحَةً، وَمَعْرِفَةَ اللَّهِ أَكْثَرَ مِنْ مُحْرِقَاتٍ"، (هو ٦: ٦).

وبناءً على ذلك، لا يكون المرء في العهد صباحاً، ليخرج منه في الظهيرة، ثم يرجع إليه مساءً. وربما بسبب القصد السامي الذي أعلنه لنا الله، احتل أعضاء الكنيسة في كورنثوس، بخطاياهم وعيوبهم، حتى أن الرسول بولس يخاطبهم على أنهم كنيسة الله، والقديسين المكرّسين للمسيح، (١ كو ١: ٢). لقد كانت معاملات الله معهم بغرض إصلاحهم علامة على التوقع الإلهي لتلك الخطايا التي ليست للموت، وعلى عدم بلوغهم لكمال الاقتداء المسيح بعد.

٢ - خطية للموت

تشير الخطية التي للموت إلي من يرفض الرب، وعهده. وفي هذه الحالة، لا رجاء لمن يرفض. لأنه بعيداً عن المسيح، ينقطع كل رجاء. كما تصبح التوبة لمثل هذا الشخص مستحيلة. نعلم أن رسالة الإنجيل هي التي تجلب الإيمان والتوبة، (رو ١٠: ١٧)، فإن اعتبرها الإنسان باطلة، ولم تتحرك مشاعره بالصليب، فكيف يعمل الله فيه؟، (عب ٦: ٤-٨).

وهناك طريقتان يرفض بهما المرء العهد: أولها الحجر الكامل للمسيح وكنيسته، وتشير إليه تعبيرات كثيرة منها على سبيل المثال: "سقوط"، (عب ٦: ٦)، "تَبْطُلُ عَنِ الْمَسِيحِ"، (غل ٥: ٤)، "سقوط من النعمة"، (غل ٥: ٤)، "خطية عن عمد"، (عب ١٠: ٢٦)، و"سقوط من الثبات"، (٢ بط ٣: ١٧)، "زحزحة المنارة"، (رؤ ٢: ٥)، "إنكار اسم المسيح" (رؤ ٣: ٨)، وكل من يفعل هذه الخطايا يخطئ للموت، ويحذرنا الكتاب من الشركة مع مثل هذا الخاطئ: "لأنَّ مَنْ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ يَشْتَرِكُ فِي أَعْمَالِهِ الشَّرِّيرَةِ"، (٢ يو ١١).

ويظهر لنا التاريخ الطويل للاختبار الإلهي والإنساني حفظ بعض الناس لالتزاماتهم مع الله، في حين يخفق البعض الآخر. والذين يحفظون التزاماتهم مع المسيح هم المعينون سابقاً للمجد، (رو ٨: ٢٩-٣٠). أما الذين أقسموا بالولاء لله، ولم يحفظوا ولاءهم، فهم المعينون للاستبعاد الأبدي من محضر الله،

(٢ تس ١: ٨-٩). ويشير التعيين العبري المسبق فقط إلى أن نتائج الاختيار هي المعينة مسبقاً؛ فليس للفظه، *predestination*، أي علاقة بعملية صنع القرار ذاتها، فلم يعين الله مسبقاً من يختار المسيح، لكنه حدّد مسبقاً أن كل من يختاره يخلص.

أما الطريقة الثانية التي يسقط بها المرء فهي الإهمال الكامل لقسم العهد، لأن المؤمن عندما يقبل المعمودية، يفرض على نفسه نوعاً من اللعنة الذاتية بقوله: "لأموت في الماء موت الخطاة في أيام نوح إن خنت رب هذا القسم". وقد قضى الرسل وقتاً كبيراً في كتابة الرسائل التي يحثون فيها خراف رعيّتهم على الأمانة، محذرين إياهم من عواقب الإهمال:

• "وَأَعْرِفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِالْإِنْجِيلِ الَّذِي بَشَّرْتُكُمْ بِهِ، وَقَبَلْتُمُوهُ، وَتَقُومُونَ فِيهِ، وَبِهِ أَيْضًا تَخْلُصُونَ، إِنْ كُنْتُمْ تَذْكُرُونَ أَيَّ كَلَامٍ بَشَّرْتُكُمْ بِهِ. إِلَّا إِذَا كُنْتُمْ قَدْ آمَنْتُمْ عَبَثًا!"، (١ كو ١٥: ١-٢).

• "لِذَلِكَ بِالْأَكْثَرِ اجْتَهِدُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَجْعَلُوا دَعْوَتَكُمْ وَاخْتِيَارَكُمْ ثَابِتِينَ لِأَنْكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ، لَنْ تَزُولُوا أَبَدًا"، (٢ بط ١: ١٠).

• "لَأَنَّهُ إِذَا كَانُوا، بَعْدَمَا هَرَبُوا مِنْ نَجَاسَاتِ الْعَالَمِ، بِمَعْرِفَةِ الرَّبِّ .. يَرْتَبِكُونَ أَيْضًا فِيهَا، فَيَنْغَلِبُونَ، فَقَدْ صَارَتْ لَهُمُ الْأَوَاحِرُ أَشْرَ مِنَ الْأَوَائِلِ لِأَنَّهُ كَانَ خَيْرًا لَهُمْ لَوْ لَمْ يَعْرِفُوا طَرِيقَ الْبِرِّ، مِنْ أَنَّهُمْ بَعْدَمَا عَرَفُوا، يَزْدَدُونَ عَنِ الْوَصِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ الْمُسَلِّمَةِ لَهُمْ قَدْ أَصَابَهُمْ مَا فِي الْمَثَلِ الصَّادِقِ، كَلَّبَ قَدْ عَادَ إِلَى قِيَّتِهِ، وَخَنْزِيرَةٌ مُغْتَسِلَةٌ إِلَى مَرَاغَةِ الْحَمَاءَةِ"، (٢ بط ٢: ٢٠).

• "مَا الْمَنْفَعَةُ .. إِنْ قَالَ أَحَدٌ إِنَّ لَهُ إِيمَانًا وَلَكِنْ لَيْسَ لَهُ أَعْمَالٌ، هَلْ يَقْدِرُ الْإِيمَانُ أَنْ يُخَلِّصَهُ؟ .. تَرَوْنَ إِذَا أَنَّهُ بِالْأَعْمَالِ يَتَبَرَّرُ الْإِنْسَانُ، لَا بِالْإِيمَانِ وَحْدَهُ .. لِأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْحَسَدَ بَدُونِ رُوحٍ مَيِّتٌ، هَكَذَا الْإِيمَانُ أَيْضًا بَدُونِ أَعْمَالٍ مَيِّتٌ"، (يع ٢: ١٤-٢٦).

• "كُنْ أَمِينًا إِلَى الْمَوْتِ فَسَأُعْطِيكَ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ"، (رؤ ٢: ١٠؛ مع رؤ ٢٠: ٤).

• .. يَجِبُ أَنْ تَنْتَبِهَ أَكْثَرَ إِلَى مَا سَمِعْنَا لَفْلًا نَفُوتُهُ، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَتْ الْكَلِمَةُ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا مَلَائِكَةٌ قَدْ صَارَتْ ثَابِتَةً، وَكُلُّ تَعَدٍّ وَمَعْصِيَةٍ نَالٌ مُجَازَاةٌ عَادِلَةٌ، فَكَيْفَ نَنْجُو نَحْنُ إِنْ أَهْمَلْنَا خَلَاصًا هَذَا مِقْدَارُهُ؟" (عب ٢: ١-٢؛ أيضًا عب ٣: ١٢-١٩؛ ١٠: ٣٢-٣٩).

• "اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلَاعِينُ إِلَى النَّارِ الْأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لِلْإِبْلِيسِ وَمَلَائِكَتِهِ، لِأَنِّي جُعْتُ فَلَمْ تَطْعُمُونِي .. حِينَئِذٍ يُجِيبُونَهُ يَا رَبِّ، مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعًا .. فَيُجِيبُهُمْ قَائِلًا .. بِمَا أَنْكُمْ لَمْ تَفْعَلُوهُ بِأَحَدٍ هَؤُلَاءِ الْأَصَاغِرِ، فَبِي لَمْ تَفْعَلُوا .." (مت ٢٥: ٤١-٤٦).

ومن كلام المسيح في (مت ٢٥: ٤١-٤٦)، يبدو أن حكم المسيح يصيب البعض بالذهول ممن اعتقدوا أنهم مخلصون، وأنهم في المسيح بشكل آمن. فقد آمنوا بالمسيح، واعترفوا به ربًّا، إلا أنهم هلكوا. ولا يندعش من يتعرّف على العهد بمثل هذا الحكم. وفي الواقع، يفهم المتعاهد أنه عهد مشروط، فلا يمكن للمرء أن يدعي مثل اليهود بأن مكانته تحميه، فحفظ العهد أمر أساسي تمامًا مثل الدخول فيه. وفي تحليله لرسالة العبرانيين، يدرك شونhoven، *Calvin R. Schoonhoven*، بشكل صحيح، أن موضوع السفر الأساسي هو الثبات كشرط للخلاص. ويعلق قائلًا:

"لكي لا يصبح هذا الأمر المؤكد سخرية لا معنى لها، علينا أن ندرك أن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يتحدث عن قضايا نهائية، فلا يرتبط الأمر بجائزة ما، يمكن للمرء أن يفقدها، بل بحياة الإنسان ذاتها. وقد كتب جون كالفن، *John Calvin*، عن مثابة القديسين^(١٠)، الذي تناقشه الرسالة بكل دقة. وسواء كانت اللفظة تعني المثابة أو الثبات، فإن ما تنطوي عليه هنا هو المصير الأبدي للإنسان. ومن الضروري هنا، ألا نقحم أي مفهوم لاهوتي خارجي على ما يقرره كاتب الرسالة، وسواء علّم الآخرون من كتاب الأسفار نفس ما علّم به الكاتب أو لا، علينا ألا نسخر مبدأ قياس الإيمان، *analogy of faith*، في شرح الرسالة،

١٠- عدم هلاكهم، أو حتى إمكانية ارتدادهم، المترجم.

لجعل كاتبها يقول شيئاً مغايراً لما يقصده بالفعل، ليصبح متوافقاً مع ما نعتقد أنه كان يجب أن يقوله، إذ يمكن عن طريق تطبيق بعض المبادئ الزائفة لعلم التفسير إجهاض ما يفكر فيه الكاتب^(١١).

حفظ العهد ضروري للخلاص. وأعمال الإيمان ليست مصدرًا للخلاص، (عب ٥: ٨)، فمصدر الخلاص هو الله في المسيح، الذي يعد الشرط الأساسي للخلاص. ومع ذلك، نجد أن الإيمان والطاعة ضروريان للوجود في المسيح، والثبات فيه. ويؤكد كاتب العبرانيين أننا بيت الله: "إِنْ تَمَسَّكْنَا بِثِقَةِ الرَّجَاءِ وَافْتِحَارِهِ ثَابِتَةً إِلَى النَّهَايَةِ"، (عب ٣: ٦). يتمثل دور الإنسان في العهد الجديد في الثبات على الإيمان بالمسيح، والرجاء فيه كمصدر وحيد للحياة، وبالنسبة للرسول، لم يكن الخلاص بالإيمان وحده فقط، بل بالإيمان والطاعة، (رو ١٦: ٢٨).

وهناك معياران للدينونة: أولهما "المسيح" لأن كل "مَنْ لَمْ يُوجَدْ مَكْتُوبًا فِي سِفْرِ الْحَيَاةِ طُرِحَ فِي بُحِيرَةِ النَّارِ"، (رؤ ٢٠: ١٥). أما المعيار الثاني فهو التزام المؤمن بالثبات في العهد مع الله: "لأننا جميعاً سوف نقفُ أمامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ .. فَإِذَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا سَيُعْطَى عَنْ نَفْسِهِ حِسَابًا لِلَّهِ"، (رو ١٤: ١٢؛ مع رؤ ٢٠: ٢١).

قدّم الرسل توازناً معقولاً بين الثقة النهائية في المسيح من أجل الخلاص، والأمانة المقبولة. وبحسب حاجة سامعيهم، اتجه الرسل للتشديد على الأمر الأول قبل الثاني. وهناك أمران مؤكدان: أولاً، ليس هناك خلاص بعيداً عن المسيح، ثانياً، لا خلاص بدون الإيمان الشخصي في المسيح، والطاعة له. كان الالتزام المتبادل من أجل الخلاص عهداً، فالمسيح بعد أن أكمل طاعته بالموت من أجل خلاص البشر، "صَارَ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُطِيعُونَهُ، سَبَبَ خَلَاصٍ أَبَدِيٍّ"، (عب ٥: ٩). يركز يقين خلاص المرء على أمانة الله، والتي يجب أن تكملها أمانة مماثلة من الإنسان. وللتعبير عن الأمر بوضوح لتلميذه

11- Calvin R. Schoonhoven, 'The 'Analogy of Faith,' and the Intent of Hebrews,' Scripture, Tradition, and Interpretation, Ed., W. Ward Gasque, Grand Rapids: Eerdmans, 1978, P 97.

تيموثاوس، يقول الرسول بولس: "صَادَقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ أَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ مُتْنَا مَعَهُ فَسَنَحْيَا أَيْضًا مَعَهُ. إِنْ كُنَّا نَصْبِرُ فَسَنَمْلِكُ أَيْضًا مَعَهُ. إِنْ كُنَّا نُنْكِرُهُ فَهُوَ أَيْضًا سَيُنْكِرُنَا. إِنْ كُنَّا غَيْرَ أُمْنَاءَ فَهُوَ يَبْقَى أَمِينًا، لَنْ يَقْدِرَ أَنْ يُنْكِرَ نَفْسَهُ"، (٢ تي ٢: ١١-١٣). وعند شرح توافق المفاهيم بهذه الترنيمة، يصبح المعنى: "إن آمنا بالمسيح، تكون لنا حياته. إن عشنا بأمانة حتى النهاية، نملك معه. إن جحدنا الإيمان، ينكر أننا له. إن كنا لا نواصل التزاماتنا، يديننا وفقًا للعهد المتفق عليه، لأنه لا يبادر أبدًا بخيانة نفسه".

الأمم وشعب الله

كان السبب في اختيار الله لإبراهيم ونسله، هو رغبته في عبيد أُمْنَاءَ للمسيا؛ أراد الله أن يكون له شعب يخدمه. وقد ميّز بني إسرائيل عن باقي الشعوب، ليؤكد لشعبه حاجتهم للانتباه إلي واجبهم، بألا يشاكلوا غيرهم من الأمم. فقد اختار الله شعبه لخدمة وليس لمكانة، فكان عليهم أن يتمسكوا بطبيعتهم في كل الظروف الاجتماعية التي قادهم الله فيها. كانوا أولاً، عشيرة من البدو، رعاة للأغنام. وبعدها، صفوة مكرمة كضيوف غرباء في أرض مصر. وبمرور الوقت، أصبحوا عبيدًا منبوذين، يحاصره نظام اجتماعي وثني. تغيرت مكانتهم الاجتماعية بخروجهم من مصر، فصاروا قوة حربية، تلتقط خبزها على تخوم الأرض الثرية، أرض كنعان. وهناك، كاتحاد فيدرالي يتألف من جماعة من المهاجرين، عاشوا في هدنة مع بعض المدن التي يصعب غزوها. ومع صغر حجمهم، أصبحوا مملكة قوية محايدة جنت الكثير بسبب موقعها الجغرافي الفريد. إلا أنها انقسمت، وسُييت، وتشتّتت في أراض كثيرة. وأخيرًا، بعد عودة عدد صغير منهم إلى أرض كنعان، أصبحوا جزيرة دينية ثقافية في بحر العالم اليوناني المترامي الأطراف. وعبر كل هذه الظروف المتغيرة، كان عليهم الحفاظ على هويتهم كشعب اقتناء، اشتهى الله أن يكون شعبًا أمينًا يخدم المسيا حين يأتي.

وعندما جاء المسيا، اختار تلاميذه الأوائل، ممن بقوا على ولائهم من

هذا الشعب، رجالاً ونساءً. أدرك هؤلاء التلاميذ ما تعنيه هويتهم كشعب الله. وقد تأسست الكنيسة الأولى من مجتمعات يهود الشتات الذين تمسكوا بولائهم الشديد للرب يهوه، وليس ناموس موسى. كان إسرائيل مثالاً نموذجياً للكنيسة التي أصبح واجباً عليها أن تذهب لكل أمة على الأرض، محتفظة بهويتها الأصيلة بين الأمم. على أن هوية الكنيسة الحقيقية هي المسيح نفسه. فقد أمضى الله ألفي عام كي يعد شعباً يمكنه أن يحيا لله في كل الظروف. الآن، وبحسب التكليف العظيم، يرسل الله شعبه لا إلى مصر بل إلى العالم، وليس كعبيد، بل كسادة لهم ولاء ثابت لإله العهد الجديد الواحد.

ختم الفصل الثامن

تمثّلت "حيسد" في الالتزام بحفظ العهد لتحقيق أولى اهتمامات الطرف الآخر. وما كانت تشير إليه اللفظة في العهد القديم، فإنه يعني الاقتداء بالمسيح في العهد الجديد. ويزخر كلام المسيح بنفس المعنى الجوهرى لتلك اللفظة في الكلمات: "محبة"، "خدمة"، "سيادة"، "خضوع". تعني حيسد المساهمة في تحقيق الأفضل الآخر. والأفضل بالنسبة لأي إنسان آخر هو أن يتصالح مع الله ومع القريب، والأفضل بالنسبة لأعضاء المجتمع هو سلامهم مع الله ومع بعضهم البعض. وبالنسبة للأسرة، أن يتكاتف أفرادها على بلوغ النجاح.

والمسيح والكنيسة هما النموذج الأمثل للخدمة الحقيقية. يعين المسيح البشرية بأقصى عون ممكن؛ فقد مات على الصليب من أجلها وقام. وعلى نفس القياس، من يجدون أنفسهم في مراكز اجتماعية سامية، عليهم مساعدة الآخر اقتداءً بحيسد المسيح. وللمثال، على الزوج أن يعامل زوجته كما يعامل المسيح كنيسة؛ فقد أحبها، وفي المقابل عليها أن تحقق مقاصده على الأرض. بنفس الطريقة، على الزوجة أن تسعى من أجل تحقيق أهداف زوجها ورحائه. وهكذا يجب أن تتشكل بحسب مثال المسيح والكنيسة كل العلاقات التي تجمع بين أطرافها خادماً ومخدوماً.

إن وجود الكنيسة في مجتمع خاطئ، قد يسمح لها بأن تحد من حرية أعضائها. والحد من الحرية هو تنازل مؤقت من الكنيسة أمام عادات اجتماعية خاطئة وليس بمثابة قانون يُفرض عليها. والمكانة الاجتماعية لأي إنسان، وخاصة المرأة ليس من المفترض أن تتحدد أو تثبت بحسب أي تكيف اجتماعي. وعندما تفرض الظروف المؤقتة والمحلية ذلك، على كل شخص أن يساهم بأقصى ما يمكن في نمو الكنيسة بطريقة مثمرة. والوكالة الحقيقية هي كل ما يحقق الأفضل للكنيسة في نموها نحو الاقتداء بصورة المسيح.

وحيث أن الاحتياج الأساسي للبشرية هو المصالحة مع الله في المسيح، أصبحت الكرازة أسمى أولوية للكنيسة كحسد المسيح، فهي مديونة لكل أمم

الأرض. على الكنيسة التزام بأن تحمل رسالة خلاص المسيح، وحرية ملكوته
الجديد إلى الجاهل، والمرضى، والمقيدين.

الفصل التاسع

لاهوت العهد

ما أن أوشك العصر الرسولي على الختام، حتى اكتملت أسفار العهد الجديد القانونية. وبحسب التقليد، فإن آخر ما كُتب منها هو سفر الرؤيا للبشير يوحنا الرسول، الذي نظمته بشكل يوازي صياغة العهد. ويشبه السفر كتابات عديدة منتشرة في ذلك الوقت بنفس الأفكار، كانت أغلبها كتابات مسيحية، باستثناء كتابين يهوديين. إلا أن جميعها احتوى أقساماً عن الأطراف، والشروط، والمواعيد، أي ملامح العهد.

صياغات كتابية أخرى عن العهد

كتاب التهذيب، *The Manual Of Discipline*

وهو وثيقة يهودية، تحتوى على ثلاثة أقسام رئيسية: الجزء العقيدي، أو قسم الأطراف، (٣ : ١-٤ : ١)، وقسم الشروط، أو القسم الأخلاقي، (٤ : ٢-٦ ؛ ٥ : ٩-١١)، وقسم المواعيد بدءاً من (٤ : ٦ ب)، حتى نهاية الكتاب. وقد أطلق بالترز، Baltzer على المواعيد اسمين: قسم "البركات واللعنات"، وقسم "الإسختولوجي"^(١٢).

الوثيقة الدمشقية، *The Damascus Document*

تشبه كتاب التهذيب، وقد كانت قانوناً على نمط دستور جماعة الأسينيين. ويبدأ القسم العقيدي في تلك الوثيقة من (١ : ١ ؛ ٦ : ١١)، والقسم الأخلاقي

١٢- العلم الذي يهتم بالبحث في الأيام الأخيرة ونهاية الزمان، المترجم.

من (٦: ١٢-٧: ٤)، بينما يبدأ القسم الأخروي المرتبط بالمواعيد من (٧: ٥) حتى نهاية الوثيقة.

رسالة برنابا، *The Epistle of Barnabas*

تنقسم هذه الرسالة أيضًا إلى ثلاثة أقسام بالتوازي مع ملامح العهد: الجزء العقيدي، (بر ٢ - بر ١٧) الذي يشير إلى الأطراف، والقسم الأخلاقي الذي يشير إلى الشروط، (بر ١٨: ١ - بر ٢٠)، أما قسم البركات واللعنات، فيبدأ من (بر ٢١) حتى نهاية الرسالة، ويلفت الانتباه إلى المواعيد.

الديداخي

ويُعرف باسم تعليم الرسل الاثني عشر، *Didache or Teaching of the Twelve Apostles*، وهو وثيقة صغيرة تعليمية ببناء، انتشرت في فلسطين في أوائل القرن ٢م، إلا أن القسم العقيدي مفقود في النسخة الباقية منها إلى الآن.

رسالة أكليمندس الثانية، *The Second Epistle of Clement*

وبها نفس الأقسام الثلاثة: الأطراف، (٢ك ١-٢)، والشروط، (٢ك ٣: ١-٤: ٢)، والقسم الأخروي المرتبط بالمواعيد، (٢ك ٦: ٧-٧: ٦).

وهناك وثائق أخرى عديدة استعمل كتأبا الفكرة الرئيسة للعهد من أجل صياغتها، ومنها: أعياد اليوبيل، *The Jubilees*، وعهد الآباء الاثني عشر، *The Testament of the Twelve Patriarchs*^(١٣).

وبإيجاز، كانت فكرة العهد تسيطر على مناخ الكنيسة الأولى. كما أن الانتشار الواسع لتلك الوثائق التي تعكس هذا الاتجاه، يحول دون الاعتقاد بأنها رؤى يهودية محضة.

13-Klaus Baltzer, *The Covenant Formulary*, London: Fortress Press, 1971, pp. 79-164.

العهد وسفر الرؤيا

ينقسم سفر الرؤيا بشكل طبيعي إلى ثلاثة أقسام، يناقش كل منها على حدة عدداً من الأمور الموجودة في ملمح ما من ملامح العهد: الأطراف، والشروط، والمواعيد. ويشير السفر إلى الأطراف في إصحاحاته الخمسة الأولى، حيث يبدأ برؤية عرش الله: الآب، والابن، والروح القدس. ويحدد لقارئه أن السبع المناير تشير إلى السبع الكنائس، كأطراف عهد مع الله.

تلقت كل كنيسة رسالة من المسيح، يتبين لنا في نهايتها أن الكاتب هو الروح القدس. ويصور الإصحاح الخامس المسيح بأنه الوحيد المستحق أن يفتح السفر المختوم. وبهذا يعلن السفر أن المسيح هو الضابط لأحداث التاريخ، فعلى كنيسته، كشريك عهد أن تثق فيه. إذ أنه قادر على القيام بدوره في التاريخ.

وفي رسائله إلى الكنائس السبع، لم يمتدح المسيح كل الكنائس على الدوام. كما أنه قوم كل كنيسة بشكل محدد، حسب احتياجاتها، من خلال التوصيات، والإنذارات، أو المطالب. ومديح الكنيسة محال، ما لم تقم بالدور المطلوب منها. وبالمثل، لا يمكن فهم التحذير المقدم للكنيسة بدون فهم الدور الذي لم تقم به. يشير كل من المديح أو التحذير إلى الشروط.

أما المواعيد فقد عبر عنها الكاتب في قائمتين: البركات واللعنات، إذ يتضمن كل وعد إيجابى نقيضه السلبي. ويتوقف المصير الأبدي للمرء على أمانته لتوقعات عهد الله، سيد التاريخ. وبنهاية الرسائل المقدمة للكنائس، ينتهي القسم الأول من سفر الرؤيا.

ويشمل القسم الثاني من السفر: (رؤ ٦ - رؤ ١٨) الختم السبعة، والأبواق السبعة، والويلات الثلاثة الأخيرة، والتنين، والوحش الصاعد من البحر، الوحش الطالع من الأرض، وسبعة جامات غضب الله. وينتهي ذلك القسم بالمدينة، أو المرأة الزانية. وتضمنت شروط العهد هنا كلاً من الاستمرار في الكرازة بالرسالة، والحياة بثقة في الله برغم الضربات التي تصورها الختم،

والأبواق، والويلات. ومن المشكوك فيه، أن الكاتب كان يقصد بتلك الضربات أحداثاً تاريخية محددة، قادتها قوى أرضية سياسية. وسواء أشارت أو لم تشر هذه الضربات إلى ذلك، فإن المضمون ثابت: ستعاني الكنيسة وكل البشرية صعوبات جمة بسبب أنظمة شريرة مقاومة لله؛ فالكنيسة هدف لهجمات خطيرة. لكن مع كل هذه الأهوال، عليها الاحتفاظ بإيمانها ومواصلة خدمتها، لأن الله هو صاحب كل سلطان.

ويصف الثلث الأخير من السفر اكتمال مواعيد العهد، (رؤ ١٨-رؤ ٢٢). والصور الباعثة على اليقين في هذا القسم، قصد بها الكاتب تشجيع الكنيسة على الأمانة وسط الصعاب التي يصورها الجزء الأوسط من السفر. ويقدم الكاتب نظرة سريعة عن كيفية نهاية كل شيء. ولعلنا نتساءل، كيف تكون الأمور عندما ينتهي الزمان، وتولي معه الأحداث؟ ما الذي يحمله المستقبل بعد أن ينتهي كل شيء، ويزول المجتمع البشري البعيد عن الله، مثل مدينة محترقة، بكل ما فيه من أفكار الإنسان وقدراته؟ على كل، قد وعد الرب كنيسته بعدد من الأمور، التي ستحدث كما يصورها لنا البشير يوحنا في السفر، (رؤ ١٨: ١٩-١٠).

ماذا عن المسيح؟ يصوره الرائي كغالب مقتدر، يركب فرساً أبيض، منتصراً، يتبعه عبر السموات ألوف ألوف من المحاربين في ثياب بيض، راكبين على خيول بيض. إن ابن الله الذي كان ذات يوم في تجسده رضيعاً متضعاً، وعاني مرارة السخرية والموت بيد الأشرار، سيكون في انتصاره، أكثر الملوك بهاءً، (رؤ ١٩: ١١-٢١).

ماذا عن الشيطان؟ سيكون مقيداً في الظلام لفترة، وبعدها يُحلّ من قيده ليصنع دماراً عظيماً. وفي النهاية، يقيده الرب ويطرحه في بحيرة النار مع كل تابعيه. وكما ناشد الواعظ سامعه قديماً، "هل تريد أن تشاركه مصيره؟ إن كنت لا تريد، فلا تشاركه حياته! وإن أردت أن تركب الفرس الأبيض، لتسير مع المسيح في موكب الانتصاري، سلّمه حياتك الآن"، (رؤ ٢٠: ١-١٠).

ماذا عن الكنيسة التي أُرهبها التنين، وضُربت، وتركت للموت في كل شارع، واجتازت المحن الكثيرة، وتألّم أفخر أولادها حتى الاستشهاد؟ ما هو مصيرها في النهاية؟ ستكون عروس الملك العظيم، التي حان زفافها عن استحقاق، فهي أورشليم المجيدة، والمدينة المقدسة. وما أروع هذه العروس البهية!! (رؤ ٢١: ١-٢٧).

ماذا عن غير المؤمن؟ كيف ينتهي به الحال؟ سيُلقي غير المؤمنين في بحيرة النار مع سيدهم، (رؤ ٢٠: ١١-١٥). وماذا عن المؤمن نفسه؟ يعود المؤمن مرة أخرى إلى عدن، ليجد هناك شجرة وماء الحياة. وسيفوق جمال عدن الأخيرة جمال عدن الأولي أضعافاً، إذ يسترد الله للبشرية الحياة في كمال ملئها، (رؤ ٢٢: ١-١٦).

يكرر ختام آخر أسفار العهد الجديد التكليف العظيم بهذا النداء: "الرُّوحُ وَالْعُرُوسُ يَقُولَانِ، تَعَالَ! وَمَنْ يَسْمَعُ فَلْيَقُلْ، تَعَالَ. وَمَنْ يَعْطَشُ فَلْيَأْتِ. وَمَنْ يُرِيدُ فَلْيَأْخُذْ مَاءَ حَيَاةٍ مَجَّانًا"، (رؤ ٢٢: ١٧). وينتهي الكتاب المقدس بعبارة عهدية خطيرة يمكن للمرء أن يجدها في كل العهود القديمة:

"لَأَنِّي أَشْهَدُ لِكُلِّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالَ نُبُوءَةِ هَذَا الْكِتَابِ، إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَزِيدُ عَلَى هَذَا، يَزِيدُ اللَّهُ عَلَيْهِ الضَّرَبَاتِ الْمَكْتُوبَةَ فِي هَذَا الْكِتَابِ. وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْذِفُ مِنْ أَقْوَالَ كِتَابِ هَذِهِ النُّبُوءَةِ، يَحْذِفُ اللَّهُ نَصِيْبَهُ مِنْ سِفْرِ الْحَيَاةِ .."، (رؤ ٢٢: ١٨-١٩).

تمنع العهود أطرافها من أن يحذفوا كلمة من وثيقته العهد. وقد طالب الرب شعبه قديماً بنفس الشيء قبل أن يدخلوا ويمتلكوا الأرض عندما قال لهم: "لَا تَزِيدُوا عَلَى الْكَلَامِ الَّذِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهِ وَلَا تَنْقُصُوا مِنْهُ .."، (تث ٤: ٢-١). ويبدو أن البشير يوحنا قد احتفظ في ذهنه بنفس المبدأ السابق لشعب العهد الجديد، قبل أن يدخل السماوات والأرض الجديدة، أي الميراث الأبدي الذي يسمو على أرض الموعد القديمة. إن الأمانة لكلمة عهد الله هي السبيل الوحيد إلى الأرض الجديدة.

يعكس لنا سفر الرؤيا الأفكار التي تقوم عليها ديانة العهد. إن الأساس الفلسفي للسفر كله عهدي، مع أن لفظة "عهد" لم ترد فيه صراحة. وما يشدد عليه كاتب الرسالة إلى العبرانيين، والبشير يوحنا في الرؤيا، هو الثبات في قلب الآلام مع الثقة في انتصار الله النهائي. وفي الحقيقة، لا يمكن تصنيف سفر الرؤيا كأدب رؤيوي، فهو توظيف لرؤيا إعلانية تصف القوة وتطبقها على العهد بمفرداته، وتأكيداته. وقد تأذى السفر كثيراً، عندما صنفه اللاهوتيون كأدب الرؤيوي، مع أنه ليس كذلك، فالأدب الرؤيوي يتخلى عن الناموس، ومقدرة الناس، وفكرة ملكوت أرضي بدون تدخل مدو مختلف عن مجيء المسيح الأول^(١). ولا تؤمن الكتابات الرؤيوية بالتدرج مع أنه يمثل بكل دقة الطريقة التي يعمل بها الله. كانت رؤيا يوحنا نبوية بحسب تقليد أنبياء الناموس، ويجلس فيها المسيح عن يمين الله، ليملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه، (١ كو ١٥: ٢٥)، كما يملك أيضاً، على هذه الأرض في الكنيسة ومن خلالها، لينتصر معها، لأهما جسده، (رؤ ١٢: ١٠-٢٠).

العهد: الكارثة اليونانية

انتشرت الكنيسة في العالم اليوناني المعروف آنذاك. وبحلول العام ٤٠٠ م، كان البحر الأبيض المتوسط بحيرة مسيحية: كانت للشعوب الكلتية في شمال إنجلترا كنائس قوية، ورجحت الكنيسة المسيحية منطقة شمال أفريقيا، كما عرفت الإنجيل العشائر المولعة بالحروب في شمال أوروبا مثل رومانيا، والمجر، ويوغسلافيا، وتشيكوسلوفاكيا. وقد أصبحت قطاعات كبيرة من تلك القبائل مسيحية بالفعل^(٢). وبطريقة منظمة، حمل الكارزون إنجيل الأخبار السارة إلى أقصى الهند. كما رجعت إلى المسيح أراضي أفريقيا العالية، إذ تابت بأعداد كبيرة الشعوب الشمالية القوية في إثيوبيا. ولم يكن هناك شيء حسن في العالم اليوناني إذ تضافرت ثلاثة أمور معاً، لتخيم بنسيج من البؤس على العهد:

1- Walter Schmithals, *The Apocalyptic Movement*, Nashville: Abingdon Press, 1973, P. 87.

2- Kenneth Scott Latourette, *A History of Christianity*, New York: Harber-Row, Revised Edition,, 1975, Vol. 1, P. 98-102

أولاً: كانت أساليب التفكير التي استعملتها الفلسفة اليونانية، وعلى رأسها أفلاطون، أو الغنوسية، غريبة على العهد القديم. حاول المسيحيون اليونانيون التوفيق بين موسى والمسيح والنظريات الفلسفية اليونانية. إن تخلي الكنيسة عن فلسفة العهد، ولجؤها إلى الفلسفة الطبيعية والباطنية، قد خلق ما يقرب من خمسمائة عام من الجدل المثير. وتغير النقاش من البحث في علاقتنا نحن بشخص الله إلى البحث في طبيعة الله وجوهره بطريقة يونانية جامدة. وبالطبع، لم يكن هناك حلٌّ مرضٍ. وبددت الكنيسة طاقاتها في محاربة الهرطقات، وإن تصدّت للقليل منها. وفي نفس الوقت، فتر الاهتمام التبشيري لدى اليونانيين، فيومهم العظيم كان قد أوشك على الانتهاء كقوة أساسية في خدمة العالم برسالة الإنجيل.

ثانياً: ما أن استولى اللواء العسكري الروماني قسطنطين على الحكم في روما كقيصر، حتى استعاد للحياة مرة أخرى المفهوم المدمر والمنبؤ للمملكة الشيوقراطية، بجعله المسيحية الديانة الرسمية للدولة. وفوق ذلك، ذهب أبناؤه لأبعد من ذلك عندما منعوا اعتناق الديانات الوثنية في الإمبراطورية⁽³⁾. عجل هذا الأمر بتدهور الإيمان الرسولي الحقيقي عن العهد، وبالعودة إلى فكر العهد القديم في النهاية. كما أصبحت المواطنة، والعلاقة العهدية مع الله تنتقل من الأب المواطن إلى الابن بالميلاد، ليصير كل طفل مولود في النهاية مواطناً مسيحياً بالقانون. وقد ترتب على ذلك، غياب الكرازة الحقيقية، وتعميد الأطفال الرضع بعد ميلادهم، إذ أضحت المعمودية عملاً دينياً وقومياً، فكان واجب الكنيسة تربوياً فقط، وأمست التوبة الشخصية فكرة غريبة على الذين دخلوا العهد المسيحي بسبب إيمان والديهم.

ثالثاً: المحاولة الجادة بفرض المسيحية على مجتمعات عرقية أخرى، جلبت وبالأعلى على العالم القديم؛ إذ يجب على كل مواطن روماني أن يصير مسيحياً، مثلما كان الإسرائيلي قديماً مجبراً على أن يكون مواطناً يهودياً صالحاً ثابتاً في الناموس. وأصبحت ثيوقراطية العهد القديم نموذجاً للمسيحية. وهكذا كان

3- Latourette, ibid., pp. 92-94.

الحال في العالم الروماني المسيحي المترامي الأطراف، فلم يكن مسموحاً فيه بأية عرقيات أو جنسيات أخرى في الكنيسة. وتغير تكليف المسيح من تلمذة تائبين جدد من هؤلاء الأمم إلي امتصاصهم في الكنيسة بقوة القانون. وقد كانت مقاومة هذا الطغيان المجتمعي شرسة، ويسودها الإخفاق غالباً.

كانت للاستعمار البيزنطي نتائج مأساوية أخرى أوهنت من حال الكنيسة وخاصة في الشرق ... أما في الغرب، فقد تمسكت الكنيسة الرومانية الغربية بالنظام الثيوقراطي كنظام نموذجي لأكثر من ألف عام. وهناك، طورت الكنيسة العلوم اللاهوتية التي تدافع عن هذا النظام وتعزز منه. وللأسف، استعملت الكنيسة العهد القديم لتجاهل الجديد، وأعادت تفسير التعاليم الرسولية لتتفق ومفهوم الخلاص بالميلاد من أبوين مسيحيين.

لم تقبل الكنيسة الرومانية بالفلسفة الإغريقية. من حيث أساليب التفكير، يميل الرومان للأسلوب العبري بشكل أكبر. كان اتجاه الرومان والعبرانيين إداري أكثر منه فلسفي. وبسبب تفكيرهم المباشر كشعبين، لم يهتما بالتخمينات والأفكار الفلسفية المجردة^(٤). ساعد هذا التشابه بين الرومان والعبرانيين في صد تدفق الأفكار الفلسفية الإغريقية لعالم البحر المتوسط غرباً. وبسقوط مدينة روما عام ٤٧٦م، أصاب الإخفاق الكنيسة الرومانية، التي كان ذات شأن آنذاك. وبفقدان روما لدورها الإداري، عمّت الفوضى العالم الغربي كله. في ذلك الوقت، كانت الكنائس القوة الرئيسية الفعالة في استقرار المجتمعات، كما حلت الكنيسة محل روما كمدينة الله. ولاتصالهم المحدود مع بعضهم البعض، بدأ القادة في الإمبراطورية تأسيس اجتماعات كنسية بقدر استطاعتهم. سارت هذه الاجتماعات على نسق النظام الإداري المماثل لنظام الأقاليم الرومانية. وقد تطور هذا النظام لما هو معروف لدينا الآن: الكاهن، الأسقف، رئيس الأساقفة، البابا.

ولمرة أخرى، تعاظم الجانب التربوي للكنيسة التي تبنت الحكم الثيوقراطي للعهد القديم، وأدركت شعوبها المحلية أنها نظير مواطني إسرائيل قديماً، وأصبح

4-Michael Williams, *The Catholic Church in Action*, New York: Macmillian Co., p. 266.

كهنتها لاويين. أما البابا فكان يجمع في شخصه ما بين النسل الملكي لداود، ورئاسة الكهنوت الماروني. وتكتمل ثيوقراطية الكنيسة، عندما تتمتع بنفوذ سياسي قوى على دولتها، فتصبح إسرائيلاً جديداً وأمة كهنوتية. وكما كان الحال في إسرائيل قبلاً، لم يكن للحرية الدينية مكان في الكنيسة، فسعت سلطاتها الدينية مع السلطات الحكومية إلى فرض برنامجها الديني بالقوة. وهكذا، ساد العهد القديم على عهد المسيح الجديد، إذ أعادت الكنيسة تفسير كتابات الرسل، وممارستهم لتتوافق مع العهد القديم، الذي اعتبرته الكنيسة مجرد امتداد أخلاقي للدولة النموذجية إسرائيل. شابهت الكنيسة إسرائيل القديم تماماً شكلاً وموضوعاً، فانساق وراء الزخارف التي صاحبت ليتورجية العبادة، وانبهرت بالملابس الكهنوتية المقدسة، والمكانة السامية لرجال الدين، واتحاد الكنيسة بالدولة. وبحسب فكرها الديني، كانت الكنيسة الغربية وحدها هي صاحبة السلطان على تغيير التقاليد واستحداثها. ومثلما خرجت أسفار العهد القديم من إسرائيل كشعب الله، لتعلن أنها أسفار إلهية، هكذا، شاركت تلك الكنيسة أسفار العهد الجديد نفس السلطان، فأصبح للتقليد الكنسي نفس سلطان كلمة الله. وتشير لفظة "تقليد" هنا إلى التقاليد التي اعتمدتها الكنيسة الكاثوليكية. كانت طريقة تفسير العهد الجديد بواسطة القديم هي الأساس لكل الأفكار الدينية التي عاشتها الكنيسة الغربية. وبتعبير آخر، مثلت تلك الكنيسة إحياءاً لديانة العهد القديم.

اللاهوت اللوثرى

لم يهتم اللاهوتيون اللوثريون بشكل كبير بقضية العهد. في البداية، تأثر لوثر، *Martin Luther*، بفكر أغسطينوس، ومن ثم، بالفلسفة الإغريقية. ولتمسكه بعقيدة الفساد الكلي، انقطعت علاقته مع اللاهوتي الألماني إراسموس، *Erasmus* ^(٥). ولكن بتأثير ملانكثون، *Melancthon*، ازداد التوجه العبري لديه. ولتهدة العاصفة الناجمة عن تبدل فكر قائدهم، استخدم اللوثريون

5- Ewald M. Plass, *What Luther Says: An Anthology*, St, Louis:

Concordia Press, 1959.

مفهوم النعمة حتى تتكامل كل الأفكار اللاهوتية. ولم يولِ اللوثريون أي اهتمام بمفهوم العهد مع أن لفظة "بيريث، בְּרִית"، التي تعني عهداً، قد تكررت في أسفار العهد القديم ما يزيد على ٢٨٥ مرة. وفي هذا الصدد، يعلق يوليوس: "لعب العهد دوراً بارزاً في اللاهوت المصلح أكثر منه في اللاهوت اللوثري، ربما بسبب تشديد الأول على متطلبات الخلاص"^(٦).

وثمة سبب آخر يبرر الاهتمام الفاتر من قِبَل اللوثريين نحو العهد، وهو ظهور جماعة قوية العزم في ألمانيا، نادى بإعادة المعمودية، وعرفت باسم "الأنابابتست، *Anabaptist*"، ومن أبرز قادتهم، المعلم الوديع بيلجرام مارباك، *Pilgram marpack*. اعتمد مدخل مارباك اللاهوتي على مركزية المسيح، متبنياً فكرياً عقيدياً قوياً يفصل تماماً بين العهدين^(٧). وأصر مارباك على أن العهد الجديد لا يدعم أي مفهوم عن الشيوعية السياسية. كانت جماعة الأنابابتست تمثل أولي محاولات الرجوع إلى لاهوت الاسترداد، *Restoration Theology*. ولكن إزاء تصميم لوثر على خلق دولة سياسية بروتستانتية، اتهمت الدولة تلك الجماعة بالخيانة لها، وطاردتهم، وأصرت بشق الطرق على إعدامهم، رجالاً ونساءً، وأطفالاً، حتى أنهم ربطوا مارباك نفسه في عربة جرتها الخيول عبر السوق، فتمزق جسده أشلاءً بسبب الأسنان المعدنية المثبتة في تلك العربة، ولم يكتفوا بذلك فقط، بل قاموا بحرقه على خادوق^(٨).

وإلى عهد قريب، جدد اللوثريون اهتمامهم بالعهد كأساس لاهوتي. وبدأ التشكيك في الثنائية الجذرية التي تجمع بين العهدين على أساس الناموس والنعمة. ومن أمثلتهم: رويرز، *W. R. Roehrs*، وخاصة كتابه، "العهد والتبرير في العهد القديم، *Covenant and Justification in the Old Testament*"، واللاهوتي كلاين، *Kline*. والكاتب ماير، *J. M. Myers*، وخاصة كتابه، "النعمة والناموس، *Grace and Torah*"، الذي يقول فيه: "بالحق، هناك معنى

6- Julius Bodensiech, Ed., "Covenant," *The Encyclopedia of The Lutheran Church*, Minneapolis: Augsburg Publishing House, 1965, Vol. I, p. 627.

7- William Klassen, *Covenant and Community*, Grand Rapids: Eerdmans, 1977, P. 124.

8- W. R. Estep, *The Anabaptist Story*, Nashville: Broadman Press, 1963,

pp. 75-87, 142-145

في العهد القديم يصوّر مفهومًا للنعمة أقل مما يقابله في العهد الجديد وخاصة في دعوة إبراهيم، وأحداث الخروج، والعهد في سيناء^(٩)."

اللاهوت الفيدرالي المصلح

تحطم النظام السياسي والديني لروما علي صخرة التعددية العرقية، وهو نفس السبب الذي أدى لإخفاق المملكة الثيوقراطية لإسرائيل قديمًا. كان لسكان شمال أوروبا أسلوب خاص في التفكير والتعامل مع الأمور، فليست لديهم لغة عالمية واحدة. وبسقوط العدو القديم لروما، أي الإمبراطورية الشرقية بسبب الفتوحات الإسلامية^(١٠)، هرب الكثير من الباحثين وعلماء اللاهوت إلى ألمانيا، وبسببهم كان الإصلاح يونانيًا في طابعه. ومع أنه كان مستحيلًا على روما أن تفوز في معاركها السياسية ضد الشمال الأوروبي، لأنها منيت بالهزيمة فعلاً، إلا أنها حققت انتصارًا من الناحية اللاهوتية. رفض قادة الإصلاح البروتستانتي الدور السياسي للكنيسة الكاثوليكية، داعين إياها "ضد المسيح، *Anti-Christ*". كما رفضوا تشديدها الكبير على أعمال البر كوسيلة للخلاص، كان رد فعلهم كبيرًا حتى أنهم أصبحوا غنوسيين. ولم يقبل قادة الإصلاح بأن تكون كنيسة روما الكنيسة الوحيدة الحقيقية. ما ربحته الكنيسة الرومانية هو تبني أغلب قادة الإصلاح النموذج الثيوقراطي بتطبيق نفس مبادئها في التفسير: العهد القديم يفسر العهد الجديد^(١١). وفي حقيقة الأمر، بعد أن حقق كل من لوثر، وكالفن، *John Calvin*، والملك هنري الثامن، *Henry the Eighth*، ونوكس، *John Knox*، نفوذهم السياسي، وظّفوا الدولة لخدمة مقاصدهم كما فعلت كنيسة روما الكاثوليكية من قبل. وبالفعل قد حكموا بالإعدام على خصومهم الدينيين، من باب أنهم أعداء سياسيون، وبنفس السلطان الديني الذي نادى به كنيسة روما من قبل. كان أتباع كالفن في جنيف المصدر التقليدي الرئيس لتفسير العهد

9- J. M. Myers, *Grace and Torah*, London: Fortress Press, 1963, P. 1.

١٠- التي ضمت في جيوشها فصائل مسيحية قوية معادية للطموحات السياسية اليونانية، المؤلف.

١١- راجع الفصل السابع تحت العنوانين: "خلاصة موجزة"، و "الظل والحقيقة"، المترجم.

الجديد بالعهد القديم. أدى تشديدهم الكبير على وحدة العهدين إلى تجاهل التفسيرات الرسولية للعهد القديم. كان أطفال الكنيسة أبناء إبراهيم فقط بالميلاد. ولكالفرن فكران لاهوتيان، متمثلان لكنهما متنافسان: اللاهوت الفيدرالي، *Federal Theology*، وفكر "قياس الإيمان، *Analogy of Faith*". وقد كان لاهوت العهد المصلح المشيخي، *Presbyterian and Reformed Federal Covenant Theology*، هو الفكر الرئيس، فبالنسبة لهم، لم يكن في الكتاب إلا عهد واحد فقط، أطلقوا عليه تعبير "عهد النعمة، *The Covenant of Grace*". ومع أن لفظة "فيدرالي، *Federal*" مشتقة من، "فيدروس، *foederus*"، الأصل لاتيني الذي يعني عهداً، لم يكن لكالفرن أي اتجاه عهدي حقيقي، الأمر الذي يمثل زلته الكبرى^(١٢)، وفيما يختص بالعهد، يعلق كالفرن: "يتعد عهد جميع الآباء كل البعد عن أن يكون من الأساس عهداً مختلفاً عن عهدنا، فهو نفس العهد، لأن ما تعبر فقط هو التدبير^(١٣)".

وفي النهاية، آل ميراث العرش الكالفيني في جينيف إلى تورنتن، *Turrentin*، الذي ألف كتاباً خاصاً به، بعنوان الأسس، *Institutes*، مثلما فعل كالفرن من قبل. ومع أنه تضمن شرحاً عن العهد إلا أنها قدّم عهداً فيدرالياً. قام آر كيولد هودج، *Archibald Hodge*، باستعمال أفكار تورنتن في جامعة برنستون، *Princeton*، حيث كان ورفيلد، *B. B. Warfield*، أحد الطلاب المعجبين به. وقاد هذان الرجلان جيلين متتالين في برنستون، التي أصبحت أقوى مدافع أميركي عن لاهوت العهد الفيدرالي.

دافع ماكلا، *W. L. MacCalla*، من أوجستا، كنتاكي عن عهد النعمة الكنسي، *Ecclesiastic Covenant of Grace*، مدلاً بأن الكنيسة المسيحية ليست إلا فرعاً من الكنيسة الإبراهيمية، وجزءاً من نفس العهد، ولكن في تدبير مختلف، أصبحت فيه المعمودية ختاناً، وبما أن الختان كان مطبقاً على أبناء إبراهيم بالجد، يجب تطبيق المعمودية على أطفال الآباء المسيحيين. وهكذا، أصبحت المعمودية مع باقي الأمور الدينية الأخرى قضايا عهديّة

12- Estep, Op. cit., p. 87.

13- John Calvin, Institute, II: x: 2.

في ذلك التوقيت. ويعلّق ماكللا: "إن المجتمع اليهودي قبل ميلاد المسيح، والمجتمع المسيحي بعد الميلاد هما واحد، بل نفس الكنيسة الممتدة عبر تدابير مختلفة، وبقدر ما أن الأخير ليس إلا فرعاً من الأول، لهما نفس الديانة، ونفس الاسم الموحى به، ونفس العهد. كما أن نفس الوصايا موضوعة على الكنيسة المنظورة في كل العصور، وبشكل موحد تخضع لنفس المطالب ... للمجتمعين نفس طقوس العبادة الدينية. وكما كان كل من الختان والفصح والسبت من الطقوس الأساسية بين اليهود، أصبحت جميعها في الأساس المعمودية، والعشاء الرباني، والسبت المسيحي^(١٤)".

كان هذا هو الإجراء المتبع بشكل جيد للدفاع عن الفكر الأساسي الموروث من روما واليونان. وكتب مؤلفون آخرون دفاعات مماثلة عن معمودية الأطفال، والأحد كيوم للراحة، ودفع العشور، وسلطة رجال الدين، وملابسهم الكهنوتية لتمييزهم عن الشعب، مع التسليم بأن طقوس أو شعائر العهد القديم يحملها في الأساس العهد الجديد بأسلوب مباشر؛ أي أن شكلية العبادة تغيرت بين العهدين دون أن تتغير معانيها، وبالتالي هيمنت معاني العهد القديم على التفسيرات الرسولية. ومن المدافعين اللاهوتيين عن فكرة العهد الفيدرالي: ناثن رايس، Nathan Rice^(١٥)، وجون موري، John Murry^(١٦)، وكالفن نوكس، Calvin Knox^(١٧)، وجيفري بروملي، Geoffrey W. Bromiley^(١٨)، مترجم قاموس كتل اللاهوتي، Kittel Theological Dictionary. وهكذا، انتقل العهد بالنسب الجسدي، أولاً عن طريق إسحاق، وبعده بواسطة شعب المسيح. وصارت الأمانة تتمثل في قبول عهد المسيح مثلما قبل بنو إسرائيل العهد القديم.

14- W. L. MacCalla, *A Public Debate on Christian Baptism*, with Alexander Cambell, London: Simkin and Marshall, 1842, Reprinted Old Paths Book Club, Rosemead, California, p. 111-112.

15- Nathan Rice and Alexander Cambell, *The Cambell-Rice Debate*, A. T. Skillman and Sons, 1843.

16- John Murrey, *The Covenant of Grace*, Sterling, Virginia: Grace Abounding Ministers, 1953.

17- Calvin Knox Cummings, *The Covenant of Grace*, Philadelphia: Great Commission Publications, 1974.

18- Geoffrey Bromiley, *Children of Promise, The Case for Baptizing Infants*, Grand Rapids: Eerdmans, 1979.

ونتيجة لذلك، ساد الالتزام التربوي الفكر الديني للكنيسة، وتوارى العهد الجديد وراء العهد القديم.

عانت فكرة العهد الفيدرالي كثيراً في إنجلترا وغيرها، لأنها جعلت الأطفال أعضاء في العهد قبل أن يخلصوا، فهم مخلصون لأنهم في العهد، وبشكل وقفي، بشرط أن يظهروا أمانتهم للعهد في "سر التثبيت، *The Act of Confirmation*" فور بلوغهم سن المحاسبة. وجاءت سلسلة طويلة من المناظرات بين توومز، *Toombs*، وباكستر، *Baxter*، عام ١٩٤٦م، سلطت الضوء على هذه الصعوبة^(١٩). في تلك الفترة، غزا الفكر اللاهوتي المعمداني الكنائس التي تعمد الأطفال. وقد قام الدكتور بيتر، *Dr. Peter DeJung*، في كتابه بعنوان: "فكرة العهد في لاهوت نيوانجلاند، *The Covenant Idea in New England Theology*"، بتتبع انهيار فكرة العهد الفيدرالي في أميركا الشمالية^(٢٠). إن ممارسة إعلان الأطفال أعضاء في جماعة العهد استناداً على إيمان والديهم، مع الاحتفاظ بحق دخولهم في العهد اعتماداً على اختبارهم الشخصي مع الرب قبل السماح لهم بالمشاركة في مائدة الرب، كانت قد شكلت عبئاً لا يُحتمل على الموقف. وتعبير آخر، ساهمت ممارسة معمودية غير المؤمن على أساس العهد، واشتراك المؤمن في المائدة على نفس الأساس، في تبني الفكر المعمداني من قبل الأجيال التالية. وازداد التركيز على هذه القضية عندما عمّد جون كوتون، *John Cotton*، في ولاية نيوانجلاند، *New England*، طفلاً لأبوين كانا معتمدين في الطفولة، إلا أنهما لم يعترفا أبداً بالإيمان، ولم يشتركا كأعضاء في أية ممارسة كنسية^(٢١). ما عسى أن يكون موقف هذا الطفل؟ هل يمكن أن يعتمد، ليصبح عضواً في جماعة العهد بفضل إيمان جدوده؟ أفرغت هذه التعقيدات الدينية العهد من محتواه في أنحاء كثيرة من البلاد. كما استعملت الأجيال اللاحقة لفظة عهد، *Testament*، عند مناقشة الأمر، وذلك للهروب

19- John Toombs, *Anti-paedobaptism, or The Second Part of a Full Review of the Dispute Concerning Infant Baptism*, London, 1954. An Exercitation About Infant Baptism, 1646. Richard Baxter, *An Answer to Mr. Toombs His Valedictory Oration to the People of Bewdeley*, London, 1652.

20- Peter Y. DeJung, *The Covenant Idea in New England Theology*, Grand Rapids: Eerdmans, 1945.

21- John Cotton, *The Way of The Churches of Christ in America*, London, 1645.

من الصعوبات السابقة^(٢٢). وأطلق المقللين من شأن ما يحدث على ممارسات العهد بولاية نيويورك تعبير "عهد منتصف الطريق، *Halfway Covenant*"^(٢٣).

العهد والفكر التبديري

في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، زادت قوة الجماعات المناهضة لكل عقائد الكنيسة الراسخة. وفي واحدة من تلك الجماعات، التي عرفت فيما بعد باسم جماعة الإخوة البلايموث، *Plymouth Brethren*، ظهر القائد المعروف جون داربي، *John Darby*، الذي صدّق كلام امرأة ادعت بأن المسيح ظهر لها في حلم، معلناً عن فهم جديد ومذهل للكتاب المقدس، وبحسب ديف مَكفيرسون، *Dave MacPherson*^(٢٤)، كانت مارجریت مكدونالد، *Margaret McDonald*، المصدر الأصلي للفكر التبديري. ولدعم نتائج رؤيتها المزعومة، خرجت التبديرية للوجود. وبحسب هذا الفكر، يكون العهد القديم أبدياً وشريك الجديد في الوجود. ولكن يقتصر الأول بمواعيده على اليهود، أما الثاني فهو للأمم، إذ لم يقطع امتداد قصة النبوة الحقيقية التي تخص اليهود، سوى إخفاق المسيح في استرداد مملكة داود المنتظرة أثناء حياته على الأرض. لذا، أصبحت نبوات العهد القديم معلقة، طوال مدة وجود الكنيسة على الأرض. وما أن ينتهي الزمن المحدد للكنيسة، يتم استئناف العهد القديم، والذي يجب أن يحكم فيه المسيح شخصياً كملك ورئيس كهنة هاروني، في أورشليم، وفي الهيكل الذي سيعاد بناؤه، من أجل تقديم الذبائح الدموية^(٢٥).

نادى أصحاب هذا الفكر بأن نبوات العهد القديم يجب أن تتحقق في المسيح، إلا أن تحقيقها الحرفي الدقيق أصبح مؤجلاً حتى وقت مجيئه الثاني. ونتيجة لذلك، أصبح هناك شعبان، ومدينتان، ونظامان للنبوة، وثلاث ممالك

١٢٢- يعتقد أنهم استعملوها كما لو أنها تشير للتمييز بين الأسفار المقدسة العبرية والمسيحية، المترجم.

23- E. Brooks Holifield, *The Covenant Sealed: The Development of Puritan Sacramental Theology in Old and New England*, New Haven: Yale University Press, 1974, pp. 169-170.

24- Dave MacPherson, *The Incredible Cover-up*, Plainfield, New Jersey: Logos International, 1975, p. 47ff.

25- L. S. Chafer, *Dispensationalism*, Dallas: Dallas Seminary Press, 1951. Systematic Theology, 1948.

لله. ويميز أصحاب هذا المذهب بشدة بين ملكوت الله، وملكوت السموات، والكنيسة. ولم يكن المقصود بكل أسفار العهد الجديد أن تكون كتاباً مقدساً للكنيسة، بل بعض أجزاء منه فقط؛ فهناك أقسام تشير إلى الملكوت الحاضر، ونصوص تشير إلى الملكوت الألفي، وأخرى تتحدث عن الملكوت الأبدي. ومع أنهم يتمسكون بأربعة بشاير، إلا أنهم يفرقون بقوة بين بشارة الملكوت وبشارة الإنجيل. ويعتقدون بسبعة أزمنة عهدية بين الله والإنسان تسمى "تدابير"، وهكذا، هجروا بالكامل فكر الرسل المرتبط بعهدين فقط^(٢٦). ومن أشهر كتاب ومفكري هذا المذهب: شافير، L. S. Chafer، وله مؤلف بعنوان "اللاهوت النظامي والفكر التدبيري، *Systematic Theology and Dispensationalism*"، والكاتب جون فالفورد، John F. Walvoord، الذي ألف كتاباً بعنوان "قضية الاختطاف، *The Rapture Question*"، وجابلين، Arno G. Gaebelin، الذي ألف كتاباً لشرح سفر دانيال، Daniel، وليندسي، Hal Lindsey، المكلف بنشر هذا الفكر في معهد دالاس اللاهوتي، Dallas Theological Seminary، وله كتاب بعنوان، *The Late Great Planet Earth*. كما كانت لأصحاب هذا المذهب ترجمات للكتاب المقدس مزودة بتفسيرات هامشية، منها ترجمة سكوفيلد، *Scofield Reference Bible*، وترجمة رايري، *C. C. Ryrie Reference Bible*، وقد ساهمت تلك الترجمات في تدعيم قضيتهم على المستوى الشعبي^(٢٧).

العهد الجديد ليس عهداً

ويعود هذا الفكر الثاني عن العهد، إلى جون كالفن، John Calvin. ويتلخص بحد تعبير شوغوورث في مبدأ "قياس الإيمان، *The Analogy of Faith*"، مع أن شوغوورث نفسه ينسبه إلى لوثر^(٢٨)، وليس إلى كالفن. ولهذا

26- William E. Cox, *An Examination of Dispensationalism*, Plainfield, New Jersey: Presbyterian and Reformed Publishing Company, 1980, pp. 17-50.

27- John F. Walvoord, *The Rapture Question*, Findlay, Ohio: Dunham Publishing Co., 1975. Arno G. Gaebelin, Daniel, Grand Rapids: Kregel, 1955. Hal Lindsey, *The Late Great Planet Earth*, Grand Rapids: Zondervan, 1970.

28- Calvin Schoonhoven, "The 'Analogy of Faith' and the Intent of Hebrews," *Scripture, Tradition, and Interpretation*, Edited by Gasque and LaSor, Grand Rapids: Eerdmans, 1978, p. 92.

الرأي ما يبرره، لأن لوثر، في رفضه لأي شرط يتجاوز الإيمان البسيط، لم يعترف بقانونية رسالة يعقوب، ولا الرسالة إلى العبرانيين. وقد صارعت بعض تيارات الفكر المعمداني مع هذه الإشكالية، على سبيل المثال، إرونسايد، *Ironside*، في دراساته للرسالة إلى العبرانيين، وهُووت، *Hewett*، في شرحه لنفس الرسالة. وشافير، *L. S. Chafer*، في كتابه، "اللاهوت النظامي، والفكر التدبيري"، وسكوفيلد، *Scofield*، في ترجمته للكتاب المقدس طبعة ١٩١٧م، والكتاب المقدس ذو الحواشي لرايري، *Ryrie*، وخاصة تعليقه (أع ٢: ٣٨) (٢٩).

ووفقاً لمبدأ "قياس الإيمان، *The Analogy of Faith*"، يكون موت المسيح النياي على الصليب هو العهد الجديد، فليس هناك أي شرط حقيقي للخلاص سوى المسيح؛ فشرط الخلاص الممثل فيه، قد تم الوفاء به على الصليب. ولذا، يقال: ليس من شرط يقوم به الإنسان من أجل الخلاص إلا أن يسمع الرسالة، وعندما يؤمن بها، يخلص بدون أي رد فعل واضح منه.

وبعد تطبيق مبدأ "قياس الإيمان" على كل نصوص الكتاب المقدس، لم يكن هناك أي شرط حقيقي يمكن للإنسان أن يُكَافَأَ عليه إلا الإيمان. وبحسب زعمهم، هو مبدأ حقيقي، ينطبق على آدم في جنة عدن، وإبراهيم، وشعب العهد في سيناء، والأنبياء، وبكل يقين، على المسيح، إذ أن الإيمان، والإيمان وحده فقط هو الشرط الوحيد لنوال نعمة الله الصالحة في أي عصر. ولذا، أصبح العهد كفكر لاهوتي بلا قيمة، بل زعموا أن الرسول بولس وغيره من الرسل تخلوا عن مفهوم العهد بكامله. والأعمال التي يقوم بها الإنسان في أي عهد ليست إلا أعمالاً خاوية، لا تأثير لها في علاقة الإنسان مع الله. وذلك لأن ما يبحث عنه الله في الإنسان هو حالته الفكرية عندما يستجيب للوصية، فالإيمان هو حالة الفكر. وأي نص كتابي لا يدعم مبدأ "قياس الإيمان" لا بد من إعادة تفسيره بغض النظر عن الإساءة التي يمكن أن تلحق بالمعنى الصريح

29- H. A. Ironside, *Studies in Hebrews and Titus*, 1932, pp. 79-82. Thomas Hewett, *Hebrews*, Grand Rapids: Eerdmans, 1960, pp. 106-111. C. I. Scofield, *Reference Bible*, 1917, p. 1295. L. S. Chafer, *Dispensationalism*, Dallas: Dallas Seminary Press, 1951.

له، وقد تطرّف لوثر بشكل كبير في هذا الأمر حتى أنه أنكر قانونية رسالة يعقوب والرسالة إلى العبرانيين!

وبحسب هذا الرأي، يُنظر لأشكال العبادة، *Forms*، سواء كانت عهدية أم لا، على أنها "أعمال، *works*"، لا علاقة لها بالخلاص، لأن ما يخلص الإنسان هو "الإيمان"؛ أي حالته الذهنية، وليس الأعمال. ويتم التعبير عن هذا الإيمان، عندما يقبل الإنسان المسيح بالصلاة. ولذا، تم تطوير مفهوم جديد عن التوبة، كان التركيز فيه على الطبيعة الخاطئة للإنسان بهدف خلق شعور داخلي للحاجة إلى الراحة. أصبحت السماء بحسب هذا الرأي عطية إلهية مجانية، غير مشروطة. ولأن شرط الإيمان كان بسيطاً، فلم يكن شرطاً حقيقياً للخلاص. ويشعر الإنسان بأنه خلّص، عندما يطلب من المسيح أن يدخل إلى قلبه، وبعد تلك الصلاة الموجزة، يتم تأكيد الخلاص للتائب، ويُطلب منه بأن يشكر الله عليه. وأمست الحياة في الكنيسة محاولة جادة وطويلة بغرض التمسك بذلك اليقين الداخلي للخلاص. فليس هناك خلاص بدون هذا اليقين الداخلي، الذي فهم على أنه الشهادة الخاصة للروح. ومع إنكارهم المطلق لتأثير الأعمال على الخلاص، فإن الكنائس التي تمسكت بمبدأ "قياس الإيمان" عملت بكل قوة للدفاع عن هذا المبدأ، ولتوسيع عضويتها. ومع بداية الجزء الأخير من القرن العشرين، تغيرت ملامح الحضارة الغربية التي سادها عدد من المظاهر، كانت قد تمثّلت في فقدان الثقة في الحكومات، والمنطق، والاتفاقيات الدولية، وإمكانية حل المشاكل باستعمال المدخل العقلاني. كما أن انهيار القانون الدستوري واستقرار الزواج، وصدمة حربين عالميتين خاضتهما قوى سياسية زعمت أنها مسيحية، ساعدت جميعها على تفاقم النزعة الفردية، والفلسفة الوجودية، والحلول العاطفية للمشاكل. في هذا المناخ، تعاظم مبدأ "قياس الإيمان"، حتى حقّق كل شيء ما عدا المسيحية الحقّة.

العهد وحركة الاسترداد

عاش جون لوك، *John Locke*، الفيلسوف الإنجليزي المسيحي، قرب نهاية العصر الوسيط. ومن الناحية السياسية، كانت أوروبا تمر بحالة انتقالية من الحكم الملكي إلى الحكم الدستوري. كان لوك جزءاً من حركة تطورت من جهة، إلى ما يُعرف باسم الفلسفة الإنسانية، *Humanism*، ومن جهة أخرى، باسم فلسفة الفكر البدهي، *Common Sense*. كما كان لوك المتحدث المفوه الذي نادى بنظرية العقد الاجتماعي، *Social Contract*، في الحضارة الغربية. وقد لقيت أفكار لوك السياسية انتباهاً أكبر مما لقيته أفكاره الميتافيزيقية، أي ما وراء الطبيعة. انحاز لوك إلى أفكار كل من أرسطو، ونيوتن، وذلك فيما يرتبط بالجدل الفلسفي الأبدي بين المنهج الباطني لأفلاطون، والمنهج العلمي الموضوعي لأرسطو^(٣٠). أدرك لوك كفيلسوف سياسي عدم التسامح الديني للدول المسيحية، فسعى لاكتشاف حل. جاء لوك في الوقت المناسب من التاريخ، واشتهر بسبب أعماله عن التسامح الديني والحكومة المدنية، التي يفصل فيها بين الكنيسة والدولة بطريقة حازمة، فأحدث ثورة كفيلسوف مسيحي. أيضاً، أدرك الفرق الكبير بين ديانة العهد القديم، وديانة الجديد. واعتمد دستوره النموذجي على نموذج علاقات العهد أو الاتفاقيات. وفي الدستور السياسي، تتفق كل من الدولة وشعبها بأن بعض السلطات تخص الدولة كي تحفظ الأمن والنظام، وأن بعض الامتيازات والحقوق تخص المواطنين. وقد كانت لنظرياته دور كبير في تشكيل الدستور الأميركي.

هاجر توماس كامبل، *Thomas Cambell*، وابنه ألكساندر، المعجب بأفكار جون لوك، من أسكتلندا إلى أميركا في بداية القرن ١٩م. ومع أنهما كانا مشيخين، راودهما حلم برؤية كنيسة الله الواحدة غير المنقسمة، والتي تضم كل تلاميذ المسيح الحقيقيين من كل مكان في العالم. قدم توماس بياناً وخطاباً، *Declaration and Address*، أكد فيه على التعريف الرسولي للكنيسة. وبطريقة بديهية، جمع في ذلك البيان بين مفهوم الكنيسة كجماعة،

30- Mont W. Smith, *The Philosophy of Education of Alexander Cambell*, Unpublished Master of Science Thesis for Butler University, Indianapolis, 1956, pp. 1-20.

والمنظور الكتابي، والتسامح، وذلك قبل مائة وخمسين عاماً من ظهور الحركات الوحدوية للشعوب. وقد قدم توماس برنامجاً في سلسلة من ثلاثة عشر اقتراحاً^(٣١).

الاقتراح الأول

كنيسة الله على الأرض واحدة في الأساس من حيث بنائها وجوهرها؛ تتألف من كل الذين يعترفون بإيمانهم بالمسيح في كل مكان، ويقرون بطاعتهم له في كل الأمور وفقاً للأسفار المقدسة، والذين يظهرون بسلوكهم المتزن نفس الإيمان

الاقتراح الثاني

بالرغم من حتمية وجود كنيسة الله على الأرض في مجتمعات مختلفة منفصلة عن بعضها البعض محلياً، إلا أنه لا يجب أن تكون فيها أية انشقاقات أو انقسامات تفتقر إلى المحبة بينها؛ وعلى أعضائها أن يقبلوا بعضهم بعضاً كما قبلهم المسيح لمجد الله. ومن أجل هذا القصد يجب أن يسلكوا بنفس القانون ...

ويهدف الباقي من هذه الاقتراحات إلى استبعاد إقرارات الإيمان العقائدية كمعايير للشركة، فالكتاب المقدس بكل أسفاره هو ما يتقيد به المؤمن، مع التأكيد على سلطان الرسل، ولمحة عن الأمور العتيدة، وخاصة عند وصف العهد القديم كدستور لإسرائيل قديماً، والعهد الجديد كمعيار للمسيحيين. ويعد بيان كامبل هجراً جذرياً للفكر النمطي عن العهد، بل وفكراً ثورياً مثلما كان فكر مارياباك فيما يتعلق بإعادة المعمودية.

الاقتراح الثالث

وللقيام بذلك، لا يجب فرض شيء على المسيحيين مثل إقرارات الإيمان، أو مطالبتهم بها كشروط للشركة، باستثناء ما تعلمه وتفرضه عليهم كلمة

31- Thomas Cambell, *The Declaration and Address*, St. Louis: Bethany Press, 1955, pp. 44-48.

الله صراحة. ولا يجب الاعتراف بأي شيء كإلزام إلهي في إدارة ودستور كنائسهم، باستثناء ما يفرضه المسيح ورساله على كنيسة العهد الجديد، سواء بتعبيرات مباشرة، أو من خلال سابقة ماضية قبلتها الكنيسة الأولى.

الاقتراح الرابع

بالرغم من أن الأسفار المقدسة للعهدين مرتبطة ارتباطاً لا ينفصم، لكونها تمثل الإعلان الكامل عن المشيئة الإلهية بقصد خلاص وبناء الكنيسة، إلا أن الغرض الذي يخص كل منهما بشكل مباشر، هو أن أسفار العهد الجديد تمثل المعيار التام لواجبات أعضائه المحددة، مثلما كان العهد القديم بخصوص العبادة، والنظام، والحكم.

بالنسبة للبشرية، كانت وجهة نظر كامبل عن الإنسان سامية تتسم بالتفاؤل. وفي هذا الشأن، يمكننا القول إنه عبراني التفكير أكثر من كونه يونانياً، فلدنية ثقة في أن الإنسان العادي الذي يمكنه أن يقرأ ويفهم الأسفار المقدسة. ويعكس كلا الاقتراحين الخامس والسادس تصوره الراقى عن الإنسان.

الاقتراح الخامس

بشأن وصايا المسيح، وحين تصمت الأسفار المقدسة بشأن توقيت، وأسلوب تنفيذها، فليس لأية سلطة بشرية حق التدخل لفرض ما تراه من قوانين تفترض أن تلك الوصايا لم تتطرق إليها، ولا يمكن مطالبة المسيحيين سوى بحفظ هذه الوصايا التي تكفي وحدها للوفاء بالغاية من تشريعها.

الاقتراح السادس

وبالرغم من أن التخمينات والاستنتاجات القائمة على حقائق الأسفار المقدسة، إذا ما تمت بأمانة وإنصاف، يمكن أن نطلق عليها بحق "تعليم كلمة الله المقدسة"، إلا أنها ليست ملزمة بشكل رسمي على ضمائر المسيحيين، ما لم يدركوا أنها ملزمة بكل وضوح، لأن إيمانهم لا يجب أن يعتمد على حكمة الناس، بل على قوة الله وحقه. ومن ثم، لا يمكن جعل أية استنتاجات شروطاً

للشركة، ما عدا أنها تخص ببيان الكنيسة بشكل مناسب. من الواضح إذن، أنه لا يجب أن يكون لمثل هذه الاستنتاجات، والتخمينات مكان في إيمان الكنيسة. وبقبول الرأي المعبر عنه في البيان، *Declaration*، انحلت مجامع عديدة في أميركا، وانصهرت الكنائس التي كانت تدعم النظم المشيخية في كنيسة واحدة بوجه عام^(٣٢).

تمسك ابن توماس بنفس رأي البيان والخطاب، الذي تم الإعلان عنه عام ١٨٠٩م. كما ألقى خطاباً عام ١٨١٦م أمام اتحاد رdston المعمداني، *Redstone Baptist Association*، بعنوان "عظة عن الناموس، *Sermon on the Law*"، وفيها قدم شرحاً صريحاً مماثلاً لما ورد في بيان والده. ويتحدى الخطاب اللوثرين والمعمدانيين، أصحاب فكرة العهد الفيدرالي، أو مبدأ "قياس الإيمان".

عظة عن الناموس

تمثل هذه العظة نموذجاً مبكراً لما يُعرف اليوم باسم علم اللاهوت الكتابي، *Biblical Theology*، فهي عبارة عن دراسة للفظـة "الناموس" في الأسفار المقدسة العبرية أولاً ثم اليونانية. وانتهى كامبل، *Cambell*، فيها إلى أن الفكر اللاهوتي الرسولي يشير إلى الفصل بين العهدين، إذ يمثل الجديد هجرًا وإحلالاً للقديم، فكنيسة الله ليست ملتزمة بشيء من العهد القديم باستثناء ما قرره الرسل. ولم يعترف كامبل بضرورة الحاجة إلى الناموس، ليزيد من وعي الإنسان بخطايـاه وذنوبه إلى الدرجة التي تدفعه إلى التوبة. فقد تمسك فقط بكفاية رسالة إنجيل المسيح لتوبة أي إنسان على الأرض، فالتمسك بناموس موسى يدفع العابرين إلى المسيحية بالابتعاد عنها إذ يرسخ فيهم الإحساس بالذنب. وقد أشار كامبل إلى أن التعليم الرسولي وحده هو ما يكفي للبناء ولبلوغ الكمال في المسيح.

32- Barton W. Stone, *Last Will and Testament of the Springfield Presbytery*, St. Louis: Bethany Press, 1955, p. 17.

أيضاً، شدد على وحدة وكمال الناموس. ولأنه ليس هناك مبرر لتقسيمه إلى ناموس قضائي، وطقسي، وأخلاقي، حدد ما هو المقصود به، وما هو معنى الأخلاق؛ فلا يمكن لأي طقس يفرضه العهد الموسوي، أن يخلو من الأخلاق. واعترض على معمودية الأطفال على أساس الختان، مثلما اعتقد أن العشور كفريضة عهد قديم لا يمكن الدفاع عنها باستخدام أسفار العهد الجديد. ونادى بأن العهد القديم استعمل لتبرير بناء المؤسسات الكهنوتية الضخمة، التي كانت سبباً في تقسيم الكنائس إلى طوائف متصارعة. ولم يستعمل كامبل لفظة "Covenant" بشكل متكرر، إلا أن كل ما تعنيه عبّرت عنه لفظة *Testament*، فأصبح بطل كنيسة ومسيحية العهد الجديد^(٣٣).

وعندما تعامل كامبل مع العهد كدستور قانوني، أكد أن المعنى الواضح للكلمات لا بد أن يسود. كانت طريقته في التفسير طريقة معاصرة جديدة بالملاحظة، فقد أصر على وصف المفردات الكتابية في ضوء القرينة أو السياق التي وردت فيه، وليس بشكل عقيدي. وبسبب الفصل بين العهدين، تحاشي الوقوع في أشارك التفسير المجازي، الذي سقط فيه كثير من اللاهوتيين. وشدد على أن الصور الجمالية الواردة بأي نص يتحدد معناها فقط بحسب سياق النص الذي وردت فيه. واستخدم خاصية التوازي بشكل مكثف. كان واحداً من الكتّاب القلائل الذين استطاعوا التمييز بين استمرارية الطقس أو ما يوازيه. وباستعماله وفهمه للمجاز المرسل، *Synecdoche*، استطاع التعرف على نظام التصنيف الأساسي لمفردات العهدين القديم، والجديد. تجلّت شجاعته، عندما رفض مبدأ "قياس الإيمان، *Analogy of Faith*" الذي كان يزداد قوة في أيامه. وناظر أنصار الفكر المعمداني، وأصحاب رأي العهد الفيدرالي، والفيلسوف الطبيعي، روبرت أوون، *Robert Owen*، مؤلف كتاب "يوتوبيا التوافق الجديد، *New Harmony Utopia*"، والأسقف الكاثوليكي

33- Alexander Cambell, *The Christian System*, 1835, Reprinted by Standard Publishing, Cincinnati. Christianity Restored, 1845, reprinted by Old Paths Book Club, Rosemead, California.

بيرسل، *Purcell*، من سنسيناتي، *Cincinnati*. وهو الخادم الوحيد الذي كان يدعى لمخاطبة مجلسي الكونجرس الفيدرالي الأميركي، كما كان عضواً بالمجلس التشريعي لولاية فرجينيا. كان توماس كامبل، وابنه ألكساندر، رجلين جديرين بالملاحظة. فقد وصفه روبرت لي، *Robert Lee*، بأسمى المديح. وفي هذا الشأن يعلق عليه بنيامين، *Benjamin*: "كان رجلاً اجتمعت فيه بكل وضوح، كل الصفات التي ترفع من شأن الطبيعة البشرية التي ينتمي إليها ... وما أن يتقابل مع أي شخص يحظى بأسمى المراكز، حتى يقدم له فكرة جليلة عن البشرية"^(٣٤).

ولم يسع كامبل لتأسيس طائفة جديدة، بل حركة متعددة الطوائف تعود إلى نموذج كنيسة العهد الجديد. لم يكن له أي توجه طائفي، ولم يناد بأن الكنائس التي تتفق مع آرائه هي الكنيسة الحقيقية الوحيدة. اشتهد أن تقطع الكنائس كل ارتباطاتها التي تعمل على تفتيت شركة الكنيسة في العالم. كانت له آراء في أغلب القضايا اللاهوتية. ولم يحسب أبداً أي شخص مختلف معه عدواً حقيقياً له طالما يعترف بالمسيح رباً. لم يعتقد أن المختلفين معه ليسوا مسيحيين، بل ببساطة إخوة في المسيح وأعضاء في كنيسة الله الواحدة، ولكنهم مخطئون إن سلكوا بما يناقض العهد. وبالإيجاز، انجذب للعهد الجديد كسلطان ومعيار. لم يعتبر الخطأ في أي موضوع لاهوتي محدد كافياً ليهيمن على ولاء الإنسان للمسيح. لم يعتقد بمعمودية الأطفال ولا مارسها. أيضاً، لم يسمح لأي شخص غير معمد بالدخول في عضوية كنيسة مستردة، في حين نظر إليه كمسيحي، على الرغم من خطأه. بالنسبة له، اعتراف الإنسان بالمسيح كرب، له من القوة ما يمنعه من وصف هذا الإنسان بأنه غير مسيحي. إلا أن هذا الإيمان لا يبطل معيار العهد الجديد للإيمان والممارسة. وبهذا المعنى، كان كامبل نبياً، لأنه وفقاً للتقليد اليهودي، كان النبي الحقيقي يدعو شعبه للسلوك وفقاً للعهد.

كان آشلي جونسون، *Ashley Johnson*، أصغر بجيل من كامبل. بدأ

34- Benjamin L. Smith, *Alexander Campbell*, St, Louis: Bethany Press, 1930, P. 286.

في تأسيس مدرسة صغيرة للدراسات اللاهوتية بالمراسلة في ولاية تينيسي، Tennessee، والتي نمت فيما بعد لتصبح معهداً صغيراً باسم مدرسة الكارزين، School of Evangelist، والتي صارت في النهاية كلية جونسون للدراسات اللاهوتية الكتابية، Johnson Bible College. اعتاد جونسون تقديم سلسلة من المحاضرات في الفصل الدراسي الأول من كل عام. ومن شروط تخرج طلابه، استماعهم لهذه المحاضرات أربع مرات. وقد نشرت تلك المحاضرات تحت اسم، عظات عن العهدين، Sermon on the Covenant. وفي هذا الكتاب، يصف جونسون ألكساندر كامبل كمن ساهم بقدر كبير في تشكيل تفكيره^(٣٥). ومع أن العظات مسجلة على نحو مختزل، إلا أنها تظهر أسلوباً أميركياً رائعاً يتماشى مع الحال. وقد اعتقد مؤرخو الفكر المسيحي فيما بعد أنها مثال لحضور الروح القدس في الكنيسة. لأن ما لدينا هنا هو رجل ولد وتربى في أرياف أميركا أثناء مرحلتها التكوينية، وعن طريق دراسته المستقلة للنص الإنجيلي وصل إلى استنتاجات مذهلة عن كل من الرسولين بولس ويوحنا، بل أمكنه أن يستوعب روح واتجاه المسيح. وفي عام ١٨٣٠م، أضاف عنصراً حيوياً للإصلاح الأميركي الذي كان يهدف إلى استرداد حيوية ورسالة القرن الأول الميلادي. سعى هؤلاء الرجال البواسل إلى تجديد حقيقي لموضوع العهد في جميع الكنائس، إنهم أول من بدأوا حركة الاسترداد^(٣٦). كانت رغبتهما في زمن العهد الجديد هي نفس ما أراده نحميا، في خدمته العظيمة لتجديد العهد، (نح ١٠).

وثمة كاتب آخر معاصر، وصل بشكل أساسي، لنفس استنتاجات كامبل وجونسون، فيما يرتبط بموضوع العهد. كان ولم يزل بول چووت رجلاً مشيخياً، يدعم فكرة العهد الفيدرالي لكن مع التعديل، فقدّم في كتبه الثلاثة رحلة الإيمان بشكل لا يختلف عما عرضه كامبل من قبل. وفي شرحه ليوم الرب، يبرهن على أنه تعبير خرج للوجود بسبب "عشاء الرب"، ومثل كامبل،

35- Ashley Johnson, *Sermons on the tow Covenants*, 1899, reprinted by Gospel Light Delight Arkansas, p. 40.

36- James DeForest Murch, *Christians Only*, Cincinnati: Standard Publishing, 1962.

أكد أن اليوم الأول من كل أسبوع هو يوم الرب لأن فيه يُمارس عشاء الرب. وفي كتابه بعنوان "الإنسان ذكر وأنثى، *Man as Male and Female*"، أظهر استعمال نفس أساليب كامبل في التفسير، كما وصل بخصوص خدمة النساء، إلى نتيجة أكثر مرونة عما كان شائعاً في أيامه بين أصحاب مبدأ "قياس الإيمان"، وأتباع حركة الاسترداد.

وفي مؤلفه الأخير، "معمودية الأطفال وعهد النعمة، *Infant Baptism and the Covenant of Grace*"، يعرض منطقته بالقول: "حتى يكون لاهوت العهد متسقاً في تأكيده الأساسي على الالتزام والإيمان الشخصي، فعلى المؤمن ألا يحيا الشركة المقدسة فقط، وهي ما يفعله، بل أن يمارس المعمودية أيضاً، وهي ما لا يفعله⁽³⁷⁾". انخرط الرجال الثلاثة، كامبل، وآشلي، وجووت في تيار الدراسات الأكاديمية المستفيضة، وأدركوا أن مفهوم العهد يؤثر على كل القضايا اللاهوتية. وعند قراءة أسفار الكتاب كسجلات عهد، بعيداً عن التقليد البشري الضخم الذي يحجب الحق المتضمن فيها، يمكن للإنسان أن يصل إلى استنتاجات تفي بالغرض.

مستقبل لاهوت العهد

بسبب استعمال لفظة "العهد" بطرق مختلفة كثيرة، توخى أغلب الباحثين الحذر عند مناقشته. ومن المستبعد، استعمال اللفظة بحسب ما يفهمها المرء. يشكّل تنامي شعبية المبدأ الأفلاطوني، "قياس الإيمان"، الذي يرفض أي معيار أو شرط بالكتاب المقدس، التهديد الأعظم لشيوع أو قبول الفكرة التي تعبر عنها لفظة "عهد". ومع ذلك، هناك إجماع متزايد وإن كان ينمو ببطء بين الباحثين على مستوى العالم.

ويُطلَق على الكتاب المقدس نفسه عهداً، وهذه الحقيقة وحدها، تضمن لنا استماعاً منصفاً لما تحمله اللفظة من مفهوم. وقد اتفقت الدراسات البحثية

37- Paul K. Jewett, *The Lord's Day*, Grand Rapids: Eerdmans, 1971. *Man as Male and Female*, Grand Rapids, 1975. *Infant Baptism and the Covenant of Grace*, Grand Rapids: Eerdmans, 1978. Front Cover statement by John D. W. Watts.

الأكاديمية الدولية، بأنه لا بد من وجود معيار موضوعي معين من أجل وحدة الإيمان، فالإيمان النظري وثنية. بل أن الإيمان باسم غير محدد، حتى وإن كان اسم المسيح، هو وثنية. وإعادة تعريف المفردات الكتابية لتلائم افتراضاً أو فكرياً فلسفياً مسبقاً متفقاً عليه، ما هو إلا رفض للكتاب نفسه. نتيجة لذلك، إن فهم الكتاب كمعيار أو شرط للإيمان والنظام، فلا بد وأن ينتصر مفهوم العهد؛ فالعهد يكون فعالاً، سواء استعملت لفظته أو لم تستعمل، عند تقييم السلوكيات والحكم عليها بواسطة الأسفار المقدسة. وللمثال، على كل المؤمنين بالمسيح أن يقبلوا بعضهم بعضاً من باب الولاء التام له. ولذا، على تلاميذ المسيح أن يوفقوا إيمانهم وسلوكهم بما يتفق والتعاليم الرسولية. ومن غير الضروري، اعتبار الناس البعيدين عن العهد بعيدين عن الإيمان الذي به يخلصون. لكن من الضروري على من يملكون الولاء للمسيح أن يقيموا إيمانهم وسلوكهم بحسب معايير العهد الجديد. وعلى كل، يرتبط بلاهوت العهد أربع قضايا رئيسية تحدد ملامح الفكر اللاهوتي الخاص بالعهد مستقبلاً:

أولاً، حقيقة مفهوم الشرطية: إن كانت حالة الإنسان الذهنية فقط، المتمثلة في إيمانه، هي الشرط الوحيد للخلاص بالمسيح، يسقط الانتباه المفترض للعهد، فيتحول إلى مجاز، ويطويه النسيان.

ثانياً: موضوع التفوق فيما يختص بالعلاقة بين العهدين. هل يسود العهد القديم على الجديد، أم أن الجديد هو البديل الذي يفسره؟ وترتبط قضية الفصل بين الكنيسة والدولة بكاملها بهذا الأمر، الذي يمكن التعبير عنه بشكل آخر في إطار ارتباطه بعلاقة العهد: هل تعتمد مكانة الطفل المولود في كنيسة مسيحية على قسّمه الشخصي بالولاء للمسيح قبل ارتباطه بأي علاقة كنسية رسمية؟ وبخصوص الفكر اللاهوتي عن الكنيسة وممارساتها، هل الأولوية للأفكار الرسولية؟ وبأي طريقة ترتبط المعمودية بختان العهد الجديد؟ هل المعمودية في حد ذاتها قسّم أم مجرد علامة لعلاقة سابقة، عملاً بمبدأ "قياس الإيمان"، أو بفكرة العهد الفيدرالي؟ وأخيراً، هل تحققت مواعيد العهد القديم في الكنيسة، أم لا شأن لها بتاريخ الكنيسة، أم أنها ستتحقق مستقبلاً بشكل ما في المملكة

القومية الثيوقراطية لإسرائيل القديم؟ وبصيغة أخرى، هل النبوات عن المستقبل متأصلة في كتابات الرسل أم في أسفار الأنبياء؟ هل للرسل سلطان على إعادة تعريف العهد القديم من خلال خبرتهم الخاصة عام ٥٠ م، أم أن الكنيسة مجرد عبارة اعترافية في جملة التاريخ اليهودي؟

ثالثاً: علاقة العهد الجديد بأسفاره القانونية: هل نسعى لاسترداد ثقافة القرن الأول الميلادي أم الإنجيل وما يحمله من أخبار سارة؟ هل تُعد أسفار العهد الجديد بأكملها عهداً شرعياً؟ هل تُظهر تلك الأسفار الممارسات الثقافية، والعهدية معاً. ما هو الأكثر أهمية؟ وكيف للمرء أن يحدد الوصايا أو الممارسات في تلك الأسفار التي تمثل تعبيرات ثقافية لمبدأ ما في العهد؟ وما هي الوصايا والممارسات التي تمثل جوهر العهد الجديد ذاته أو جزءاً منه؟

رابعاً: ما هو الاتجاه اللائق للعمل به تجاه كاسري العهد؟ هل هم مسيحيون حتى وإن ضعف ولاؤهم العهدي للمسيح؟ وهل من فرق أساسي بين الخطأ في تأسيس علاقة عهد، والخطأ في حفظ العهد؟ وبتعبير آخر، هل غير المعمدين أعضاء بشكل كامل في الكنيسة، ومن ثم فهم مناسبون للوحدة. أم يحتاجون للتوبة؟ وإن تم احتساب شخص ما أخاً، فهل يُسمح له بالرغم من عدم عماده، بالعضوية الكاملة أم الجزئية في كنيسة مستردة تحفظ العهد؟ وإن قَبِلَت الكنيسة إنساناً على أنه مسيحي دون الوفاء بالشروط المحددة للعهد، ألا يختزل ذلك القبول العهد إلى مجرد فكرة نظرية؟ وهنا لا بد على من ينادون بالولاء للمسيح بطريقة عهدية أن يبذلوا جهداً جديداً نحو تصويب الخطأ بلاهوت متعل.

يشكل عدم التواصل الكامل بين المجموعات المختلفة صعوبة كبرى. وبالرغم من كفاءة اللاهوتيين في كنيسة الله إلا أنهم يخشون أن مناقشة هذه القضايا تصدق على الوضع الراهن. ومن ناحية أخرى، فإن أصحاب مبدأ "قياس الإيمان" يرفضون أي فكرة ترتبط باللاهوت السرائري، دون تمييز بينه، وبين انتقال النعمة بالوساطة الكهنوتية. ترفض المكتبات المشيخية تبني أية أعمال أدبية منشورة لكتاب يؤيدون ما يعتقدون أنه "أعمال بر". إلا أنه

لابد من عمل متتدى للحوار يمكن فيه لأصحاب فكر الاسترداد أن يتواصلوا مع باقي الكنيسة بدون فرض لمسلمات مسابقة كشرط للحوار ذاته. وعلى أصحاب فكر الاسترداد القيام بنفس الشيء، فلا يمكن لفكرة الإيمان القائم على العهد أن تمر ببساطة عن طريق اتفاق ضمني لا يحدد معناه. ومن المشكوك فيه، إمكانية تحقيق الوحدة في وجود رأيين مختلفين جذرياً في الكنيسة العامة حول أساس الخلاص. ومن ثم يكون الإصرار على طريقة تفسيرية تسمح للأسفار المقدسة بأن تتكلم عن نفسها بوضوح، ضرورةً ملحةً.

ختم الفصل التاسع

للتعرف على الآراء اللاهوتية المختلفة عن العهد، تتبعناه بشكل تصنيفي عام في هذا الفصل، بدءاً من العصر الرسولي وحتى الوقت الحاضر. قمنا بفصح سريع وموجز لبعض الكتابات التي كانت منتشرة في الكنيسة الأولى في ضوء علاقتها بالعهد، وذلك اعتماداً على معرفة طريقة صياغته. وانتهينا إلى أن هذه الكتابات كُتبت بأسلوب عهدي. وعند دراسة سفر الرؤيا وجدنا نفس الشيء أيضاً. بمعنى أن السفر ينقسم إلى ثلاثة أقسام، وبشكل رئيسي، يتعامل كل قسم فيها مع مواد يمكن تصنيفها تحت ملامح العهد الثلاثة: الأطراف، والشروط والمواعيد. وبخصوص أطراف العهد، تظهر لنا الرسائل إلى الكنائس السبع، كل من الأطراف والشروط والمواعيد، بالإضافة إلى البناء العام للسفر، الذي ينتهي بملحين عهدين: تكرار التكليف العظيم، والتحذير من تغيير وثيقة العهد.

وبإيجاز، تم وصف خبرة كل من العالمين اليوناني والروماني مع العهد. وفي كل حالة منهما، كان هناك ارتداد درامي لفكر وأسلوب العهد القديم، فقد حاول كل منهما إقامة مملكة مسيحية ثيوقراطية على نسق مملكة داود. وبهذا تم عكس العهود، إذ أصبح العهد القديم النموذج المثالي للإمبراطورية المسيحية. ولم تكن عودة تلتزم بكل شروط الناموس بل عودة إلى الثيوقراطية كنموذج مثالي. وبشكل مختصر، تم شرح الرأي اللوثيري عن العهد. وبحسب هذا الرأي، كان هناك تركيز كبير على النعمة مقابل الناموس، الأمر الذي منعهم من الانتباه بجدية لفكرة العهد. كان اللوثيريون أول من نادوا بفكرة "قياس الإيمان". ويعود السبب الآخر وراء إخفاقهم في استعمال لفظة "العهد" كما استخدمها الرسل، إلى عدائهم لجماعة الأنابابتست، *Anabaptist*، التي نادت بفكر الاسترداد. وكرد فعل لروما، وجنيف، والأنابابتست، تجاوز لوثر أورشليم بفكرها العبري عن العهد!

سُمي لاهوت العهد المصلح باسم اللاهوت الفيدرالي. أنتج قادة جنيف نوعاً من العهد أكدوا فيه على "النسب" كسمة للعهد. كما تمسكوا بنظرة سمحت للعهد القديم بأن يحدد الفكر اللاهوتي للعهد الجديد في مواضع محددة.

وفي روما، والكنيسة اليونانية القديمة، ساد العهد القديم الجديد. وبهذه الطريقة فإن رجال الدين، ومعمودية الأطفال، ودفع العشور، واستعمال يوم الأحد كيوم للراحة، والملابس الكهنوتية، وغيرها، أصبحت من الثوابت الدينية.

أنكر أصحاب الفكر التدبيري الفصل بين العهدين كما فهمه الرسل، بزعمهم أن المسيح قد أخفق في خدمته، وباعتبارهم أن الكنيسة مجرد عبارة اعتراضية في جملة التاريخ اليهودي، وأن اليهود هم موضوع الاهتمام الرئيس لله في تاريخ الإعلان. وفيما يرتبط بالعهد القديم فهو المثال للدولة النموذجية في ملكوت المسيح الألفي على الأرض. ويتمسك التدبيريون ببشارتين مختلفتين عن الأناجيل الأربعة بأسفار العهد الجديد القانونية، وسبعة عصور تدبيرية، وعهدين متعايشين معًا جنبًا إلى جنب، وإسرائيلين لله، ومسارين للإعلان، وبأسلوب تفسيري يتيح للعهد القديم السيادة على العهد الجديد.

أما أصحاب رأي "عهد النعمة"، أو "لا عهد" فيزعمون أن العهد الوحيد هو العهد بين الله والمسيح، وقد تم الوفاء بشروطه على الصليب. ولذا، لا يوجد عهد بين المسيح والكنيسة. تمسك أصحاب هذا الرأي أيضًا بمبدأ "قياس الإيمان" في الأسفار المقدسة، واستعملوه في كل تفسيراتهم، لاستبعاد أية علاقات مبنية على أي شرط مع الله، وأصبحت علاقتهم مع الله ديانة غنوسية سرية جديدة، ذات طابع فردي كبير.

أما آخر الآراء التي قمنا بفحصها فكان مفهوم حركة الاسترداد عن العهد. ويتمسك أصحابه بالسلطان الرسولي على العهدين القديم والجديد، وبامتداد تاريخ الخلاص خلال العهدين، وامتداد الكنيسة كإسرائيل الله، والمسيح باعتباره يهوه الظاهر في الجسد، أما الفصل الجذري الوحيد فيرتبط بالعهد المقطوع في الأسفار القانونية للعهدين، كل على حده. ويدعم التفسير المثالي التيولوجي أصحاب هذا الرأي في تمسكهم بعهدين أساسيين. وفي كل هذه الأمور، يسود الجديد على القديم، ومع أن كليهما موحى به من الله، إلا أن الأول انتهى ليصبح مثلاً، بينما يظل الثاني باقياً، عهداً ملزماً. وأخيراً، قدمنا تقييماً يربط بين التفكير المستقبلي عن العهد وأربع قضايا حية بخصوصه.

الفصل العاشر

خاتمة

خرجت إلى الوجود دراسة مفهوم العهد بسبب التشويش الذي يحول دون فهمه في الكنيسة. ويُدعى الكتاب المقدس كتاب العهدين: القديم، والجديد. ولسوء الحظ، أن لفظة "عهد" لم تنقل للقراء ما تعنيه في ذهن من كتبوا الأسفار المقدسة.

والنهج الدراسي في هذا البحث هو نهج تاريخي، يتتبع فكرة العهد بدءًا من أول أسفار الكتاب المقدس حتى آخرها. أما عن الطرح الذي تناقشه الدراسة فهو حتمية التعامل مع العهد بجدية وإلا خاطر المرء بابتداع ديانة من صنعه، يسميها "المسيحية". وأوجبت الدراسة فحصًا ومسحًا لبعض المفردات التي تشير إلى أفكار العهد الأساسية، وللمثال: لفظة "بيريث، בֵּרִית، Berith"، أي عهد، و"آلاه، אֱלֹהִים، Alah"، التي تعني "قَسَم"، و"حيسد، חֶסֶד، Heseh"، بمعنى "حفظ العهد بما يحقق الأفضل للشريك الآخر"، وغيرها من المفردات. أما الافتراض الأساسي المسبق لهذه الدراسة فهو التمسك بفكرة عهد رسمي مع الله. وترتبط كل أسفار العهد القديم القانونية بعهد الله مع إسرائيل.

ومن الكتابات العبرية الأولى يمكن لنا تتبع المفاهيم الفلسفية اللازمة لدعم الفكرة بأن لله علاقات رسمية متفق عليها وملزمة بقَسَم، تقوم على إعلانه الشخصي المباشر للإنسان. وقد أعلن الله عن نفسه بطريقة فعلية ملموسة، ولذا تعتمد كلا الديانتين العبرية والمسيحية على أحداث موضوعية يشهد لها التاريخ. ويبدأ أعظمها بظهور الله لإبراهيم. واعتمادًا على التدخل الإلهي في التاريخ البشري، خرج العهد الإبراهيمي إلى الوجود. وتؤكد حادثة تحرير بني

إسرائيل من عبودية الأسر وخروجهم من مصر مصداقية العهد القديم، والمُبرّم في سيناء، في حين يرهّن موت المسيح وقيامته كأحداث تاريخية على صدق المسيحية، كديانة عهد جديد. وكل تدخل عظيم من التدخلات الإلهية، يعقبه عهد، لا تستند مصداقيته على فائدته الملموسة، ولكن على الحقائق التاريخية التي أدت إلى ظهوره.

وفي الدراسة، تبين لنا أن للعهد ثلاثة ملامح أساسية: أطراف، وشروط، ومواعيد. وعلى ضوءها، تم فحص العهد الموسوي القديم وغيره من العهود، مع وضع الشرطية في الاعتبار كمبدأ ملازم لها، وذلك بتسليط الضوء على طبيعة وعاقبة خرق العهد. وفي بعض حالات الخيانة، يكون لله رد فعل فوري وحاسم. ومن ناحية أخرى، زود الله شعبه بالنظام الذبائحي، لتثبيت إيمانهم، مسدداً احتياجاتهم لتطهير الضمير، وإن كان تطهيراً مؤقتاً. ويفترض نظام الذبائح في العهد القديم توقعاً إلهياً بإمكانية كسر العهد دون إنهاء علاقته.

يمثل أنبياء العهد القديم هيئة الدفاع المتحدثة نيابة عن الله في علاقته مع شعبه. وقد حذر الأنبياء شعب الله من عواقب انتهاك العهد، فأذروهم بالخسارة والدينونة واللعنات الواجبة حال استمرارهم في العصيان. كان الأنبياء فلاسفة مؤرخين، سجلوا الأحداث التاريخية القيّمة لصالح الله وعهده مقابل الخيانة له وإهمال ناموسه. وبدراسة عبادة البعل الوثنية تبين لنا وجود مجتمعين متكاملين بفكرين فلسفيين متصارعين: الديانة الإلهية المعلنة، مقابل عبادة وثنية مبنية على فكر الفلسفة الطبيعية، *Naturalism*. أعلن الأنبياء الأخيرون نفاذ صبر الله، بمثول إسرائيل أمام شهود العهد. ويتضمن مصير إسرائيل أمرين: الإجلاء من الأرض، والرجوع مرة أخرى إليها، دليلاً على نعمة الله وحفظه لعده.

وبحلول العهد الجديد، تأكد لنا أن المسيح نفسه هو العهد، والممثل لأطرافه، فكل من يتحد به بعهد المعمودية، يكون "في المسيح". وحياة المسيح هي الكمال الأعظم لكل ما يريده الله من البشرية، وتتحقق شروط العهد الجديد عندما يقتدي الإنسان بالمسيح في كل الأمور، أما مشاركة المسيح في كل ما له، فتلخص لنا مواعيد العهد الجديد.

وَقَّعَ الله على العهد الجديد في الجَلِثَّة بدم ابنه. ويتحد الإنسان مع الله بتسليم الحياة له في المعمودية، روحًا وجسدًا، ليتمتع بعدها بكل امتيازات الملكوت الجديد، إذ يصبح واحدًا من رعاياه. ويخلص الإنسان بالنعمة، كما يخلص بالإيمان، والطاعة للمسيح. ويعني قبول المسيح استجابة كاملة لرسالة الإنجيل بفعل إيمان، وتوبة، ومعمودية. ويقدم العهد الجديد خلاصًا يقوم على شركة العهد التي فيها يكون لله دور، وللإنسان دور.

لخصت الدراسة حفظ العهد كأمر مطلوب من الإنسان المسيحي، وكذلك تفاصيل الكنيسة والحياة الشخصية والقداسة. ولشروط العهد شكلان، يناظر كلاهما نوعين من البشر: الذين هم "في المسيح"، والبعيد عن المسيح. ويتلخص واجب الكنيسة نحو البعدين عن المسيح بتقديم "خدمة المصالحة" لهم، أما دورها من نحو من هم في المسيح فيتمثل في الاقتداء بالمسيح. فيجب معاملة الكل، رجالًا ونساءً كما لو أن المسيح معهم في نفس الزمان والمكان.

إن خدمة الكنيسة هي خدمة سر الله المعلن أي الإنجيل، بالوصول لكل العالم بأخبار خلاص الله السارة. والعمل الصالح هو كل ما يساهم في تحقيق قصد الله. و"مشيئة الله" أو قصده هي المرادف الأعظم للعهد الجديد، فالله يريد خلاص جميع الناس، وأن يُقبل كل الأمم إلى ناموس الروح في المسيح، اقتداءً به.

أظهرت الدراسة بهذا الكتاب أن كل ما يجمعنا، يجب أن يتشكل بحسب علاقة المسيح بالكنيسة. وقد سعى المسيح لتحقيق الأفضل للكنيسة، والكنيسة بدورها تمجده بتحقيق مقاصده. وفي ديانة العهد الجديد، على كل طرف أن يسعى وراء الأفضل من أجل الآخر في جميع العلاقات الاجتماعية: رجل وامرأة، عبد وحر، يهودي ويوناني، غني وفقير، حكومة وشعب. ويشير النظام الذبائحي الذي يشرحه العهد الجديد، إلى الحياة التي يقودها الروح القدس، وخدمة مصالحة العالم مع الله.

كان للرسول إدراك بوجود عهدين، أحدهما قديم، والآخر جديد، حل محله؛

الأول ظل، أما الثاني فهو الحقيقة. وقد ارتبط العهدان معًا بالتوازي، الذي به نكتشف مغزى استعمال الرسل لتاريخ العهد القديم وأسفاره القانونية.

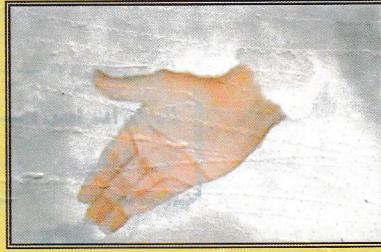
وفي الفصل الأخير من هذه الدراسة، قدمنا مسحًا عن الآراء المختلفة حول العهد، تضمن استعمال اليوناني والروماني لكل من العهدين، مع تلخيص لوجهات النظر اللوثرية، والكالفينية، والمعمدانية، والتدبيرية، والاستردادية، *Restoration*. وفي النهاية، أشرنا إلى أربع مشاكل خاصة بالعهد. ويتوقف مستقبل العهد على طريقة تعاملنا والحل لكل مشكلة منها.

إن الموضوع الذي يطرحه هذا الكتاب ليس فكرة مجازية عن الديانة الحقيقية والإيمان بل هو الإيمان ذاته. ويعالج الكتاب موضوع العهد كحق يُعوّل عليه، وكمعيار للحساب أمام الله.

أطلق المسيحيون الأوائل على الكتب المقدسة العبرية اسم "أسفار العهد القديم". أما الكتابات المقدسة المسيحية فعرفوها باسم "أسفار العهد الجديد". ولأن غالبية من يقرأون الكتاب المقدس أو يسمعون عنه، لا يعرفون السبب وراء هذه التسمية، نقدم للقراء في جميع أنحاء العالم العربي أول كتاب باللغة العربية يتناول موضوع العهد بشكل وافٍ لخدمة احتياج القارئ، ودارس اللاهوت المتخصص.

والكاتب يأخذنا في رحلةٍ من اغتراب البشرية إلي مصالحتها مع الله. وفي رحلتنا معه، يتطرق الكاتب إلي مواضيع شتى ربما لم نفكر فيها من قبل في إطار موضوع العهد منها:

- ما الذي تعنيه لفظة "عهد"؟
- وما معنى أن يقوم عهد بين الله والإنسان؟
- وهل هو عهد مشروط أم غير مشروط؟
- وما هي أهم عهود الله مع الإنسان عبر التاريخ؟
- وما وجه العلاقة بين العهدين القديم والجديد؟ هل هما واحد أم عهدان منفصلان؟
- وإن كانت أسفار العهد الجديد تشير إلي مصالحة البشرية مع الله بأنها "خدمة عهد"، فما هو دورنا فيها؟



عزيزي القارئ، يكتسب الإنسان مكانته اللائقة في شركته مع الله بناءً على أمانته للعهد. فالإيمان بدون عهد هو تدين أجوف بلا معنى. ومع أن خرق العهد مع الله كان قد تسبَّب في اغتراب البشرية عنه، إلا أن للعهد الجديد دورًا في مصالحتها مع الله. فالعهد هو قُبلة محبة من الله للإنسان. وفي كل معاملات الله مع البشرية، يكون لله كلي الصلاح دور، وللإنسان دور. ومع أن دور الله هو الأعظم بما لا يُقاس، ليس على الإنسان إلا أن يقبل يد الله الممدودة له بالمصالحة بالدخول إلي عهده والثبات فيه.